منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية

سلسلة الوثائق التاريخية ـ7

ذكريات

في نصف قرن من الأحداث الاجتماعية والسياسية

الهادي ابراهيم المشيرقي





الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية

سلسلة الوثائق التاريخية -7



ذكريات

في نصف قرن من الأحداث الاجتماعية والسياسية

الهادي ابراهيم المشيرقي



الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى



مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية

رقم الإيداع ٨٨/٤٩٢ دار الكتب



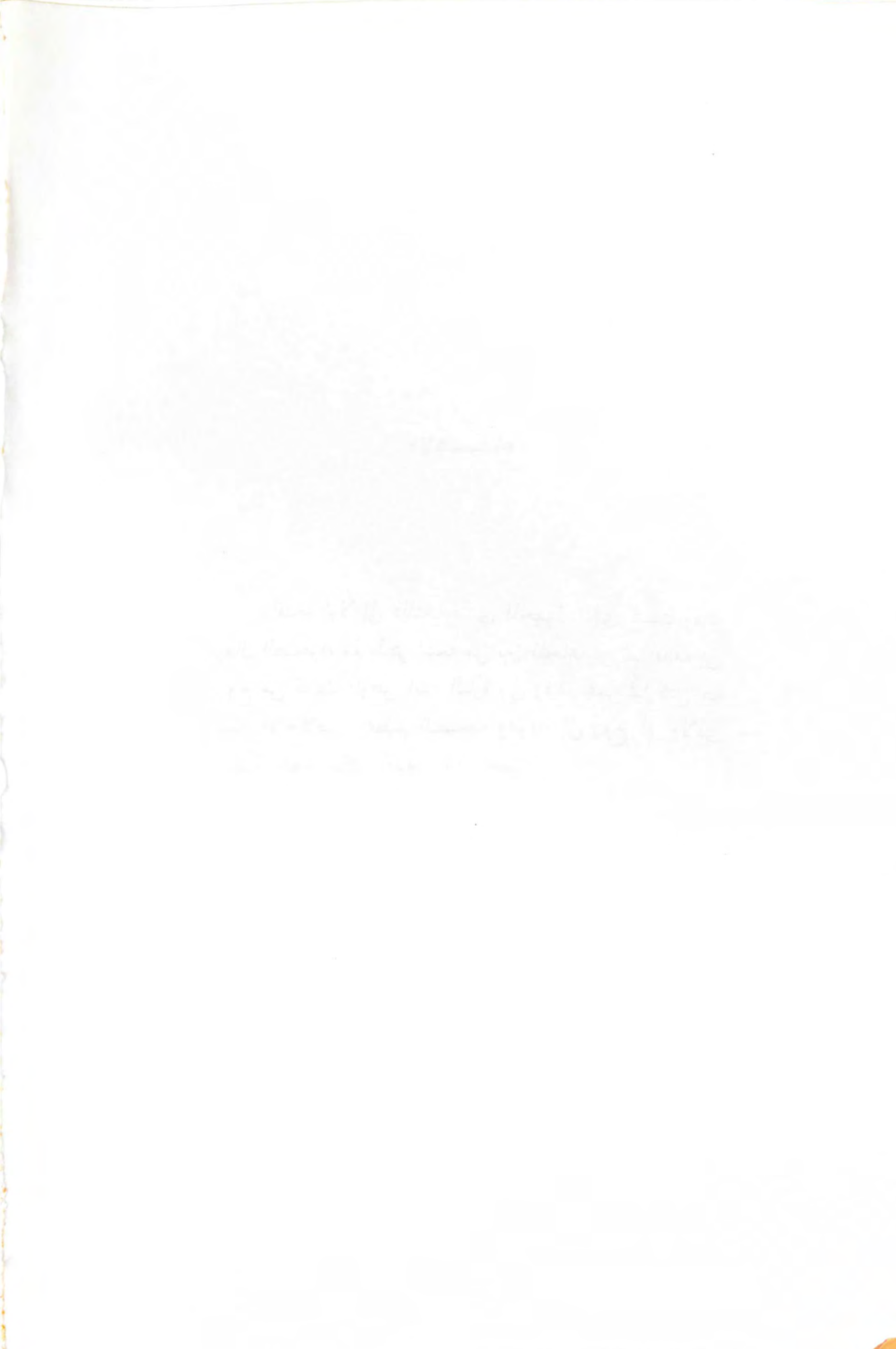
الزعيم بشير السعداوي

هدية إلى المواطن الذي عرفت فيه الوطنية الصادقة
يوم كان سيف الاستعمار مسلطاً على الأعناق :
الأبيّ الأستاذ العمادي المشيرقي ، حفظه الله

بشير السعداوي

الاهـــداء

أقدمه أولاً إلى ذلك الجندي المجهول الذي كست رفاته رمال الصحراء ولم يذكر اسمه من بين المجاهدين ثم أقدمه إلى روح من كانت للوطن ابنته البارّة ولي رفيقة عمر شاركتني فيه بكل الإخلاص وعظيم التضحية والوفاء إلى روح أم أولادي عادلة محمد باكير أقدم هذا العمل .



مقدمة

إن كنت حاولت أن أسجل هنا شيئاً شاهدته وعايشته طفلاً وشاباً ورجلاً ، وعلى امتداد أكثر من نصف قرن من الزمان . . فليس هذا من قبيل ادعاء البطولة ، أو حتى الالمام بالمعرفة . . فكتابتي تصدر عن زاوية ذاتية محصورة في إطار ذكريات . . منها ما مسني مباشرة في شخصي . . ومنها ما تجاوزني إلى إخوتي في الأسرة والوطن . . ومنها ما عملته راضياً أو مكرهاً . . وما قابلني نتيجة عملي أو عمل غيري دافعاً أو مدفوعاً ، مشاركاً أو مشجعاً ، مصيباً أو حتى مخطئاً ، وأيضاً مما صددت عنه هنا هو مواجهة ظاهرة آلمتني . . فالذين كتبوا صفحات من تاريخنا اقتصروا على أقاليمهم وتستروا على انحرافات الضالين ، مما أدى ـ حسبما يشاع ـ إلى مفارقات وأخطاء . . فحمل أوسمة المجاهدين بعض الذين منحهم الطليان أوسمة جزاء العمالة والارتزاق . وكما يلاحظ القارىء ، فإنني بدوري غفلت عن ذكر أسماء تلحقها اللعنة . . واكتفيت بذكر من يستحقون التكريم . . ولعل تحفظي بعض الشيء ـ ذكرا أو عزوفا بالنسبة للأشخاص أو الوقائع ـ لعل ذلك لا يمثل بترا أو خللا في سياق الأحداث ، خاصة وانني آليت على نفسي أن ألتزم هذا الموقف حتى النهاية .

وانصافاً للحقيقة ، فإن هناك قلة سطرت الحقيقة . . دونما تجنّ أو مجاملة ـ حسبما تراءى لهذه القلة ـ ولست هنا بصدد إحصاء أو تحليل دوافع أو مبررات نفسية . . فإذا كان الاقتصار على تناول اقليم قد يسوّغ ادعاءات دور أو مزيد من

مزاعم بطولة فإنني هنا ربطت نفسي بالتجربة الحيّة المباشرة . . وساعدتني فيها ظروفي ـ واتساع مجال حركتي ـ لأطلّ على أرجاء الوطن . . بل ولأستشرف وقائع وأنشطة مرتبطة بي . . وان جرت هناك في أقطار الوطن الكبير . .

حاولت بقدر ما سمح به الجهد في التدوين وأسعفت الذاكرة بالتداعي . . أن أسوق حقائق وذكريات الحقب الثلاث : الايطالية . . الانجليزية . . ونبذة عن عهد الاستقلال . . ثم أتبع ذلك بنبذة موجزة عن دوري في قضية فلسطين وتحرير تونس والجزائر ونضال أريتيريا . .

ولكـني . . أمانة مع القارىء ، وقبولاً لمسؤولية الكلمة ، والتزاماً بكل مقتضيات هذه المسؤولية ، استندت على ذاكرتي وبعض المستندات . . وحاولت أن أقدمها في ثوب خفيف . . فإن حكم لي القارىء . . فهذا شرف أعتز به . . وإن حكم علي . . فلي من طهارة القصد . . وحسن النية . . الشيء الذي قد يشفع لي أمامه . . وإزاء نفسي أولاً وأخيراً .

وإن بقي لي بعد ذلك ثمة توجه . . فإنني أسوقه مباشرة وعلى الفور . . إلى كل أبناء هذا الجزء من الوطن الكبير . . وبكافة أرجائه . . سائلاً المولى تعالى أن يسدد خطى الجميع . . وقوفاً عند مستوى المسؤولية التاريخية . . التي قبلها عن طيب خاطر . . وسار بها قدماً إلى بر الأمان . . عشرات الآلاف من المجاهدين حتى تركوا الراية . . شامخة . . عزيزة . . تتسامق إلى عنان السماء . .

والله أسأل السداد والتوفيق .

(الهادي ابراهيم المشيرقي)

طرابلس الغرب (١٩٨٠م)

(الفصل الأول)

(مشاهد مبكرة)

اندفع الحصان يسحب العربة (الكرّوسة) بسرعة بالغة . . فشوارع طرابلس مع نهاية النهار صارت تخلو من الحركة والناس تقريباً . . فضلاً عن خفة حمولة العربة . . فليس بداخلها غيري وأمي . . كانت العربة ملفوفة برداء كبير . . وذلك وفقاً للتقاليد السائدة في عام ١٩١٧ . . عندما تستقل العربة امرأة . . هرباً من عيون الفضوليين من جهة . . ورغبة من أبي في مزيد من تكريم والدتي من جهة أخرى .

فجـأة بـدأ دوي جماعي يرتفع في ايقاع . . أخذ يتضح بالتدريج . . إلى أن صرنا في مواجهته . . فتوقفت العربة . . وبفضول الطفل الذي لم يتجاوز الثامنة من عمره . . أخرجت رأسي من بين اللفائف . . أتبين ما يجري . . كان المشهد فضلاً عن الايقاع بالنسبة لي أكثر من غريب .

كنا في زقاق (بالخير) . . وبالتحديد عند التقاطع مع الشارع الغربي . . الطريق مسدود تماماً بجيش تطغى عليه امارات التعب . . ودلالات الهزيمة . . فأفراده مطأطئو الرؤوس . . يصفقون ويهتفون على الوحدة . . وبصوت مرتفع (روح يا مطلين ياكلب . . فندق بن غشير صعب) . . ومن بين المشاهدين أيضاً . . تتواتر كلمة واحدة أيضاً (سباييس) واذا كان قد صعب على طفِل مثلي

أن يفهم معاني هذه الكلمات . . أو يحيط بحقيقة المشهد . . فإن الأمر كان واضحاً جداً ومحدداً بالنسبة لأمي . . فالجيش هو جيش السبايبس . . العرب وهم الفرسان الذين خدعهم الايطاليون . . وجعلوهم يحاربون معهم ضد المجاهدين . . والسبايبس عائدون من معركة بن غشير . . يجرون اذيال الهزيمة والخيبة مثل الايطاليين . . ولأنهم عرب فهم يستشعرون الخيانة . . ويستصرخهم تأنيب الضمير هذا الهتاف (روح يا مطلين يا كلب . . فندق بن غشير صعب) . . في داخل العربة الملفوفة اتحدت ابتسامة الأم . . مع ابتسامة المشاهدين للمنظر خارج العربة . . فابتسم الطفل في داخلي . . وإن كنت لم أفهم . .

(.. ودمعة على ترهونة ..)

ومرت السنوات . .

وفي صباح يوم ٦ من فبراير ١٩٢٢ ، كنت تلميذاً بمدرسة العرفان الابتدائية الأهلية . . وأثناء دخولي المدرسة استوقفني عند الباب مشهد بواب المدرسة (الفقي سالم الترهوني)، وقد انخرط في البكاء ، وقد لف (حوليه) على رأسه وأخفى جزءاً كبيراً من وجهه ، وكأنه يحاول اخفاءه أو اخفاء نفسه عن الآخرين ، وقد مال عليه أخي (علي) التلميذ بنفس المدرسة ، يواسيه . . ومن جديد شدتني امارات الخوف والتأثر على وجه أخي أن أسأل لتختنق العبرات في حلق أخي وهو يرد (ترهونة بلد عمك الفقي احتلوها . .) وهنا رفع عمي (الفقي) عينيه إلي . . كانت محمرتين من البكاء . . ونقلت بصري بينه وبين أخي ودون أن أفهم أي شيء مما قيل ، وجدت نفسي أمسح عيني وأطرقت متوجهاً إلى فصلي .

وحتى في الفصل ، وفي أحد أيام البرد الشديد ، الذي اضطرنا إلى غلق كل النوافذ . . وفجأة إذا بمدرّسنا محمد عبد السلام الفيتوري المصراتي يقترب من احدى النوافذ ثم يمتقع وجهه ويمد يده يفتح الزجاج مشيراً بيده إلى شخص يقف عند مدخل المدرسة طالباً منه اللجوء إلى مدخل المدرسة حتى يتقي شر البرد والمطر

ولما أغلق الأستاذ النافذة وظل على شروده وامتقاعه سألناه . . وأجاب بأن الشخص (بوليس) طلبوا منه مراقبته . . ومع سماع هذه الاجابة أسرع الطلبة حول النافذة ليشاهدوا هذا الخائن (البصاص) وأسرع الطالب يوسف بن كورة فخلع نعله وألقى به على رأس الرجل . .

وجاء يوم آخر خرجنا فيه لرحلة رياضية مدرسية ، وانتهى بنا المطاف إلى الباب الجديد . كان المكان عبارة عن ميدان فسيح ، وعند رجوعنا إلى المدرسة بدأنا نردد نشيداً (إلى العلم . . إلى العلم) ولكن الطلبة ما لبثوا أن حرفوه (إلى الحرب . . إلى الحرب) وعلى نفس النسق جرى تغيير بقية أبيات النشيد .

(أزيز طائر):

وبعد ساعات الدراسة ، وفي ميدان سوق الخبزة ، وفي موقع النافورة الحالية ، وكان عبارة عن مربع به بعض حنفيات المياه فضلاً عن كميات كبيرة من الأتربة بالاضافة الى الفنادق المنتشرة على طول الشارع الغربي ، التي يرسو عليها القادمون من خارج طرابلس . . فيتركون مواشيهم ودوابهم فيها ، وبالقرب من سوق الرشتة التي كانت تأتي بها (الدادات) داخل قدور (حلل عتيقة) لتقديمها في صحون طينية للجالسين قرب السور العتيق محادين لباعة العقابات (بقايا السجائر) الملفوفة باليد وهي تجمع من الطرقات فوق هذه المسا حة بالتحديد . . دوي أزيز طائرة . . كانت الطائرات عام ١٩٢٢م نادرة في العالم بأسره ، وصوتها يثير الالتفات ، فترتفع إليها الأبصار تتفرس في شكلها الذي لازال بدائياً ، الأجنحة في المقدمة . . والمؤخرة عبارة عن مروحة كاملة الاستدارة . . وشكلها بصفة عامة يحاكي تماماً شكل الطائر الكبير . . ويثير الفضول عن بعد ، فما بالك إذا كانت تطير منخفضة وتحوم حول الميدان باستمرار وإصرار . . وهكذا تجمع الكثيرون ينظرون ولم يطل الوقت ، إذ بدأت تتساقط من الطائرة على رؤوسنا أوراق بيضاء التقطت مثل غيري واحدة منها ووقفت أقرؤها . . سطور قليلة ، لكنها تقول : «اليوم سيرتفع خليفة بن عسكر عن سطح الأرض قليلاً لاستنشاق

الهواء النقي . . ويشعر بحبل المشنقة يطوق عنقه . . وهذا جزاء كل من تخول له نفسه بالتلاعب أو السخرية لهيبة وعظمة دولة صاحب الجلالة ملك ايطاليا الأم» .

كنا نعرف أنهم سيقومون بتنفيذ الاعدام في ذلك اليوم ، الجميع تقريباً ، بما فيهم الصغار مثلي يعرفون القصة أو المؤامرة التي أودت بالمجاهد ، طالما كررتها روايات الكبار حتى تناقلها الأطفال لبعضهم البعض ، سمعتها داخل المدرسة وخارجها ورويتها لأطفال أصغر مني سناً ، فقد أصبح ذلك جزءاً من القلق والهم اللذين صارا يسودان حياتنا . . حياة الجميع . . فمع القبض أو استشهاد أي زعيم من المجاهدين يتناقل الكل الخبر همساً داخل البيوت وخارجها أثناء سهرات (شرب الشاي) وتثقل علامات الهم والقلق . . اعلانا واعلاماً بجسامة المصاب . . كان خليفة بن عسكر وجنوده من المجاهدين في حاجة ماسة للسلاح ، ولم يجد المجاهد أمامه طريقاً سوى مساومة أعدائه الايطاليين بحجة الانضمام إليهم . . وتظاهر الايطاليون بالقبول . . ولعبت الوشايات دورها . . وفي الوطية جرى تحديد لقاء . . استدرجه اليه الخونة ولما ذهب (للوطية) اذا بالايطاليين يحيطون به شاهري السلاح . . وبوعي بأبعاد الوشاية مد خليفة بن عسكر يديه على الفور لاستقبال القيود الحديدية . . أما بقية مهزلة المحاكمة والاعدام فمعروفة . .

(طريق بلا اختيار)

كل هذه الوقائع والمشاهد وغيرها مما رأيته رأي العين . . تضافرت في دفعي إلى الطريق الوحيد وشكلت وعيي السياسي . . وموقفي بالتالي محدداً . . بعد أن فتحت عيني طفلاً لأجد واقعاً معيناً خلته في بادىء الأمر شيئاً طبيعياً ، لكن المرارات والأحداث . . والمفارقات بل والجرائم اخذت تفتح عيني شيئاً فشيئاً ودون ما شرح من أحد أو تعليق وتعقيب . . فهمت في ذلك الوقت أن وجود الطليان في البلاد هو التطفل وأن قدومهم إليها كان احتلالاً وأن تكبيل حريتنا واستغلالنا هي هدفهم . . وتحت هذه الأضواء الجديدة من الفهم . . تبدلت مشاعري نحوهم وتغيرت نظرتي . . وهكذا بدأت ألاحظ أن كل المراكز بيد

الايطاليين . . كل المهندسين . . الأطباء الموظفين . . الضباط . . الحكام . . رجال الأعمال ، بل وحتى العمال . . الجميع ايطاليون . . العربجي ايطالي أيضاً . . ولا يسمح بحمل العربي بزيه البلدي في عربته بدا لي أنه لم يبق لنا في بلادنا غير أعمال الكناسين وماسحي الأحذية . . أما ما عدا ذلك فقد زاحمونا فيه وعليه مزاحمة كاملة . .

عرفت أيضاً أن البعض من أعيان البلاد صاروا عملاء للايطاليين . . وأن بعضهم ساعد ايطاليا في احتلالها لأرضنا . . وأن ايطاليا كانت تدفع معاشات سياسية لحوالي عشرين منهم عن طريق بنك روما قبل قدوم ايطاليا بجيوشها لغزونا . . وأنه اثناء نشاط بنك روما . . قام القنصل الايطالي (سامني) بالاتصال ببعض الأعيان . . وشيدوا المطحن الواقع أمام الكنيسة الكبيرة وجعلوا من موعد افتتاحه مولداً . . عرفت الكثير من المعلومات التي قد أعود إليها في مكان آخر . .

(.. وآخر بصيص ..)

كل الأحداث تصب في اتجاه المعاناة والمرارة . . فمدرسة العرفان الوطنية الوحيدة . . اضطرت لاغلاق أبوابها . . بعد أن زادت الضائقة الاقتصادية بالناس . . فعجزوا عن دفع أقساط المصروفات . . كما أن البعض امتنع عن الدفع خوفاً من سلطات الاحتلال . .

وفي الحقيقة فإن كل شيء آخر في حياتنا . . صار يصب في قوالب المعاناة والمرارة فحتى عندما دخل موسوليني روما يوم ٣١ اكتوبر عام ١٩٢٢ . . لتتحول ايطاليا فاشية استبشر الكثير من الليبيين ، لأن الفاشيست وعلى رأسهم الدوتشي ، كانوا ضد احتلال طرابلس الغرب . . ولم تطل فرحة المستبشرين . . ففي أول يوم ومن أول جلسة استصدر الدوتشي قراراً بتصعيد الحرب . . واستعادة ما أسماه بمجد أجداده الرومان . . وهكذا فهمنا على الفور أن معارضاته

السابقة ، لم تخرج عن اطار المناورات عبر الصحافة والبرلمان ، لاحراج الحكومة الموجودة تحقيقاً لفائدة الحزب فقط .

(يوم بلا غد)

أصبح يومي ، منذ الصباح حتى المساء ، بلا أدنى التزامات ، وبالتدريج انتظم ترددي على محل والدي . . كان المحل غرفاً بفندق كبير ، يضم أكثر من أربعين نولاً بمنطقة الفنيدقة بطرابلس . . طبعاً الهدف الطبيعي من ذلك هو تعلم حرفة شأني شأن بقية زملائي وأقراني من العرب الذين لا يجدون فرصة . . أي فرصة للتعليم والتحصيل . . بدا والدي محزوناً ، نظراته لي تنبىء بالشفقة لعدم امكان مواصلة الدراسة . . أفهمني أن العمل في النسيج غير مجد ولامربح وربما أدى هذا نفسه بأحد المشايخ ، تعاطفاً مع والدي ، أن يخصص لي درساً يومياً في جامع محمود ، يبدأ بعد صلاة العصر ، وينتهي بحلول موعد صلاة المغرب . . وتركزت الدروس على اللغة العربية ، لغتنا الحقيقية التي يحاول المستعمر أن يطمس معالمها وعلى دروس الدين أيضاً ، الذي تستهدفه نفس المؤامرة . . حاول الشيخ أن يجعل الدرس غير ممل . . واشترك معي آخر . . هو مبروك الزقلعي . . وبين الفينة والفينة ، وأثناء الدروس ، يقوم أحدنا باعداد الشاي لنا جميعاً . . وحرص شيخنا أحمد الأزمرلي أن يدفع ثمن الشاي أحياناً ، علماً بأن الدروس بالمجان . . والفضل بالفضل يذكر فإنني لا أنسى كذلك فضل صديقي وأستاذي أحمد قنابة في تزويدي بالمعرفة . .

في هذه الأثناء،وفي احدى مرات تواجدي بمتجر أخي علي . عثرت في إحدى زواياه على كتاب ، عنوانه يحمل كلمات : (حاضر العالم الاسلامي) وفوقه غلاف ليخفي اسم الكتاب . . أخذت أقلب الصفحات ، تزايد نهمي للقراءة ، فالوقائع والمشاعر تتجاوب مع المرارة التي تختزنها أعماقي . . عدت إلى الغلاف . . لأجد أن المؤلف شكيب أرسلان[1] . . قد سجل عنوانه في (جنيف)

---

(١) انظر رقم (١) من الوثائق الملحقة .

بسويسرا . . ولم أشعر بنفسي . . إلا والقلم في يدي . . وفوق الورقة قمت أسطر رسالة . . سرعان ما وضعتها في مظروف ولما كنت أدرك أن دون وصولها عقبات كثيرة . . فقد وضعت المظروف داخل مظروف آخر . . سجلت على المظروف الداخلي اسم شكيب . . ودونت على الخارجي بقية العنوان . . دون ذكر الاسم «آملا أن يصل الخطاب . . خاصة وان العنوان هو لأحد النوادي الأدبية في جنيف . . طبعاً باعتبار الظروف السائدة في البلاد . . وبحكم سني لم تكن محاولتي هذه . . في أحد معانيها الأساسية . . غير عملية تنفيس . . فلم أتوقع أي احتمال لرد على رسالتي . . وان ظلت عبارات الكتاب تسيطر على بؤرة مشاعري . . وتتزايد حدة مع تزايد وقائع مرارات الحياة اليومية . .

وكتبت من جديد لشكيب شارحاً له الوضع في البلاد واضعاً بدلاً من اسمي لفظاً صار هو التعبير المادي الذي يجسد واقعنا . . أعني لفظ (المستعبد) ومضيت أكتب وأكتب . . وأوقع (المستعبد) ولم أتوقع بطبيعة الحال رداً . . وإن كنت عرفت فيما بعد من محمد علي الطاهر صاحب جريدة الشورى وغيره من المتصلين بشكيب . . أنهم رأوا رسائلي عند ابنته في سويسرا . .

ظلت هذه العلاقة من جانب واحد . . ولكنها تنفيس كما قلت . . بدا ضرورياً . . خاصة وان قبضة الايطاليين أخذت تتزايد . . ومنعت أدنى بصيص من حرية الحركة في أدنى مستوياتها ومفاهيمها حتى امتدت الى اجتماعات شرب الشاي . . وهي عادة شعبية قديمة بين الأهالي . . يجتمع فيها الأهالي في (المرابيع) داخل البيوت ويستضيف صاحب البيت . . اصدقاءه من جيران وأقارب . . ويجري تقديم الشاي أثناء أحاديث السمر . . حتى هذه العادة أثارت خوف الايطاليين وبدأوا في تشديد الحصار . . وتضييق الخناق عليها . . فاضطر الأهالي إلى نقل جلسات شرب الشاي (إلى الفنادق) فصاروا يجتمعون داخل الفندق الذي توجد به أنوالهم وأعمالهم . . في حجرة خاصة يساهمون في دفع إيجارها لمالك الفندق . . وفيها تجري السهرة . . نحكي في الليل ما حدث في النهار . . والعكس . . وفي بعض الليالي عندما يحضر احد المنشدين ترتفع الأصوات مع الأوتار تنشد وتغني وتردد المألوف الأندلسي . . والطّريف انه برزت

جماعة من بين الأهالي شكلت ما يشبه وكالات الأنباء . . فأجادت هذه الجماعة في تنميق الكلام ورواية الأخبار . . دون ما تمحيص أو تحري الدقة . . معظم الأخبار تذكر على الجهاد والمعارك . . اذكر منهم محمد العش وكان يعمل في الأصل نجاراً في سوق النجارة وأحمد الجمالي وكان جزاراً . . والعادة أن يذهب البعض إلى أحد هؤلاء ويتقصى منه الأخبار . . ثم يختزنها إلى جلسة الشاي ليرويها . . وفي اليوم التالي تنتشر الروايات . . وطالما كانت تتضارب وتتناقض . . والسبب كما قلت عدم تحري الدقة من جانب هؤلاء الرواة المبالغين في وصف مختلف المعارك العالمية والمحلية والمطالبين في بطولة المجاهدين من عرب وأتراك . . وان بقي خيط مشترك حقيقي بينهما . . هو تحول الأمور في غير صالح المجاهدين . . والنجاح النسبي الذي حققه المستعمرون في بث الفرقة بين صفوف المجاهدين . .

(حتى مجالس شرب الشاي)

ورغم ذلك كله فإن ايطاليا بقيت على خوفها . . فحتى مجالس شرب الشاي داخل الفنادق خضعت للمراقبة المشددة ، وطالما ألقى القبض على الموجودين فيها وداهمتها بالتفتيش . . والمثال على ذلك ما حدث في فندق الطبجي بسوق الترك . . إذ اعتادت مجموعة على السهر معاً لم يزد عددهم عن ثمانية . . اذكر منهم أحمد الزقوزي ، محمد العجيلي ، محمود شكري القلالي ، أحمد الحصائري . . أثارت سهرتهم شكوك الدساسين والشرطة فأراد الايطاليون القبض عليهم متلبسين . . ودخلت عليهم أثناء السهرة قوات الشرطة مدججة بالسلاح . . وألقت القبض على الجميع . . عندما وجدوا معهم كتاباً بعنوان «وثبة الأسد» . . وموضوعه الثورة الفرنسية . . دخل الجميع السجن . . وامتدت التحقيقات شهراً كاملاً . . دون أي بادرة للافراج عنهم . . إلى أن لجأ أهلهم إلى حسن القره مانلي للتوسط لدى السلطات ولم يتحقق الافراج عليهم إلا بعد أخذ تعهدات عليهم بعدم الاجتماع مرة اخرى في سهرات شرب الشاي . . ولم تعد المجموعة بالفعل إلى سهراتها . . إلا بعد عام

كامل . . وبعد تغير مكان الاجتماع إلى فندق الخوجة قرب جامع الدروج وحاولت من جانبي أن أقدم خدمة بعد أن تحولوا إلى أبطال في نظري ونظر الصبية . . لجأتُ إلى جمع ما يصل الى يدي من كتب قومية وجرائد أجنبية ومطبوعات بصفة عامة . . وتسللت بها في الظلام اثناء صلاة العشاء . . لأضعها على باب غرفتهم بالفندق المذكور وأسرع بالهرب . . مخافة القاء القبض علي . . وقد كررت ذلك مرتين . . ولم يعرف المصدر إلا البعض منهم وذلك بعد فترة طويلة .

وقد انقسمت السهرات عموماً إلى نوعيتين متباينتين تماماً . . أو قل على طرفي نقيض وذلك على مستوى البلاد . . الأولى ، وكانت بمثابة متنفس للشعب المكبوت . . ويغلب عليها طابع التمويه رغم كونها موسمية . . تنعقد في شهر رمضان وليالي المولد والجمع والأعياد والزرادى . . ولم يكن يخلو لقاء في مجمله من تبادل أخبار الجهاد من انتصارات وهزائم . . والعادة أن يكون مكان هذه اللقاءات في غرف الفنادق وتحت أنوال النسيج والحوانيت الخاصة . . ومرابيع البيوت . . والزوايا والبساتين . . والخلاوي المخصصة لطلاب العلم بالمساجد . . وهذه الاجتماعات تمثل فرصة مواتية لنشر آراء واتجاهات وتوجيهات محددة . . سواء كانت بوحي محلي أو صادرة عن المناضلين في الخارج . . ومن الطبيعي أن العمل في هذه الاجتماعات يتبع عدة مستويات ، وذلك وفقاً لنوعية الموجودين ومدى المعرفة الشخصية بهم . . والتأكد من عدم اتصالهم أو اتصال أحد بهم من المتعاونين مع أعداء الشعب . . ومن هنا استلزم الحذر أن نغلف التوجيهات ونقدمها في صور غير مباشرة حيناً ، أو نسوقها في صيغها الصريحة ومن خلال مصادرها أحياناً أخرى ، أو نقدمها في صورة أخبار واشاعات ، ونتظاهر بأننا نبحث عن اثبات أو نفي لها . . وفي معظم الحالات كنا نصل إلى نتائج ايجابية ، وهنا لابد من توضيح . . فالايجابية مفهوم نسبي بدوره ، فإبقاء جذوة الكراهية والحقد للمستعمر مشتعلة في القلوب ايجابي . . وتنفير الناس من أي مظهر للتعاون أو القبول بوجود المستعمر ايجابي والاستمرار في تذكية الأمل في جلاء المستعمر

ورحيله رغم مرور السنوات الطويلة وامتداد البقاء ايجابي أيضاً . . إلى غير ذلك من المظاهر والصور التي طالما تمخضت عنها الاجتماعات واللقاءات التي بدت عادية . . ومن جهتي فإنني كنت أواظب على حضورها في عدة محلات وخاصة على اثنتين منها ، هما سهرة الفنيدقة ومربوعة على دريبيكة . . وفي الأولى كنا نرقب الوقوف بجوارنا . فإذا لمحنا واحداً من (البصاصين) نرفع أصواتنا على الفور بتلاوة العقيدة القادرية (عقيدة الأكابر) . . أما اذا كنا بمربوعة على دريبيكة ، فإننا نعمد بين الحين والحين لرفع أصواتنا بأناشيد الفاشو وشباب ايطاليا ، تارة بالايطالية مباشرة، وتارة بالعربية وكلها تمجيد لايطاليا وزعيمها وجيشها ، وذلك من أجل أن نلفت نظر الحضور إلى هؤلاء (البصاصين) . . المهم أن القبضة الايطالية استحالت الى كابوس ثقيل يكمم الأفواه ويكاد يكتم الأنفاس . . كل من تحدثت معهم في زردات أو سهرات رمضان . . أو في مواقع العمل أو غيرها . . كلهم عبروا عن هذا الاحساس الرهيب . . وأوصلوني من ثم إلى قناعة بأن ثمة ضرورة للاتجاه إلى خارج البلاد لعمل شيء . . أي شيء لصالح الداخل ، وبدأت أتطلع إلى فرصة . . تحققت لي عام ١٩٣٠ بالتحديد . . في شكل زيارة لتونس .

مجموعة مربوعة على دريبيكة . . تتكون من أشخاص بعينهم يواظبون على الحضور في مواعيد منتظمة . . وإذا لم تخطئني الذاكرة ، فإن منهم أحمد نبيه المصري ، عبد الله الأمين الشريف . . أحمد راسم باكير . . محمود شكري القلالي . . مصطفى الأسطى . . راسم قدري . . محمود الكعبازي . . وعبد الله اليازجي . . كامل الجعودي . . وأنا . . كما لا أنسى سهرات بستان علي العش ، ويضم جماعة الظهرة ونخبة من رجال التعليم . . وقد اشتهر بالعش نسبة لأخواله . . أما اسمه الحقيقي فهو علي اسطى عمر . . وكان وطنياً غيوراً محبوباً لدى الجميع . . تقع مربوعته فوق الجابية ، ويحرص على توفير المجلات التي نتعاون على شرائها جميعاً واسطوانات الغناء . . ومقره بجوار قصر بالبو الحاكم الايطالي . . ومعه كنا نتدارس أخبار الوطن العربي على المكشوف ويحتفظ هو لنفسه بحب وحماس غريبين لعبد الرحمن عزام وبرأي لا

يلبث أن يكرره في الجلسات . . ويتلخص في ضرورة الحرص على ابقاء روح الكراهية للعدو . ولم يكن ثمة شائبة على هذه الجلسات ، سوى لجوء البعض احياناً لشرب (اللاقبى) المأخوذ من النخيل في فصل الربيع . . وهو شراب قوي ومسكر . . ولم يكن صاحب البستان علي اسطى عمر يتعاطى شرب الخمر .

ولم تكن الأمور تخلو من عقد جلسات في بيتي أو بيت أحمد راسم باكير وغيرهما من الأمكنة حتى ينتهي موسم (اللاقبي) .

مقابل ذلك كله ، كان ينعقد نوع آخر من الجلسات كلها علنية صارخة تضم بعض أعيان البلاد . . ويتزاحم عليها عبّا د الرتب والمناصب والسلطة . . ولكل كبير منهم محاسيب وعبيد يسهرون على خدمته ويحرصون على طاعته . . وهي سهرات لا تحظى فقط بمباركة المسؤولين الايطاليين . . وانما بزيارتهم في بعض الأحيان ، ويحضرها غالباً تراجمة من العرب الوافدين من خارج البلاد . . وطابعها البذخ والاسراف . . فهي لا تقتصر على الشاي والمشروبات الحلال . . بل تمتد إلى صحون الغريبة والمقروض والبكلاوة والقطائف ويحكمها عامل حب الظهور أمـام الايطاليين بمظاهر العظمة والرفعة ، وطبعاً كان الهدف من ذلك هو الوصول إلى المناصب . . وتقلد الرتب والألقاب .

الفصل الثاني

(نبت وحيد تعهدوه)

انصبت كل الممارسات الايطالية ، وبلا استثناء في مجرى واحد لا بديل عنه ولا خيار فيه وهو مجرى الكراهية . لقد زرعوا في القلوب نبتاً للحقد ، وتعهدوه وسهروا عليه بكل طاقتهم وتصرفاتهم حتى احتفالاتهم صبت في نفس المجرى ، وروت ذات النبت . . ففي سنة ١٩٢٨ ، ومع موعد زيارة فيكتوريو ملك ايطاليا لطرابلس، بدأوا يستعدون بالزينات ، وحركوا بعض العرب في نفس الاتجاه استعداداً للزيارة . . ولكن حتى هذا لم يدم لوقت ، وكأنهم لا يريدون أن يتركوا للناس فرصة ، أي فرصة حتى لوقفة متفرج . فسرعان ما ارتفع أزيز الطائرات في سماء طرابلس ، وعندما تجمع الناس في ميدان سوق الخبزة ليستطلعوا الخبر ، انهال فوق رؤوسهم سيل الأوراق البيضاء . . المنشورات من جديد . . إلا أنها كانت في هذه المرة تخاطب الأموات . . ومستهينة بالأحياء الذين يقرأونها ، وبأبسط مشاعرهم ، وخلجات قلوبهم . فقد سطر الايطاليون في منشوراتهم تلك : «يا شهداء تاقرفت . . قوموا لتحية الملك معنا» . . أما الشهداء هنا فهم قتلى الايطاليين الذين لقوا حتفهم وهم يواجهون المجاهدين . . وأما تاقرفت فان الجميع من عرب وايطاليين يعرفونها حق المعرفة ، وخاصة الايطاليين الذين تكبدوا فيها أفدح الخسائر . فوادي تاقرفت عبارة عن موقع منخفض تحيط به المرتفعات التي تحصّن فوقها المجاهدون . . ونزل الايطاليون الى الوادي ، ودارت المعركة ورفع المجاهدون شعار القتال والتضحية . . فكانت

خسائر الايطاليين فادحة وتساقطت الأعداد الكبيرة من رجالهم . . وجاءت التعزيزات ، ولم تنته المعركة إلا بنهاية آخر طلقة لدى المجاهدين ، وبحيلولة ظلام الليل بين الفريقين ، ودون أن يسجل أحد الفريقين نصراً حاسماً على الآخر .

(دسائس وأخطاء) :

وأزعجت ايطاليا جسامة الخسائر في صفوفها ، وعجزت عن تحملها أو كتم أحقادها حتى أثناء زيارة ملكها . . بل ان الملك جاء بنفسه ليقدم الأوسمة للذين هلكوا في هذه المعركة ، ولمن بقي على قيد الحياة ، حتى يمنع المزيد من تدهور الحالة المعنوية بين رجاله ، وهو ما ينص عليه المنشور الايطالي . . أما مالم يقله ، فقد دار في خواطرنا . . حسرة أيضاً وضيقاً بما وقع في صفوفنا من أخطاء مكنت الأعداء من احراز انتصارات بطيئة . . لم يكن الفضل فيها لهم . . بقدر ماكان الخطأ بيننا . . في صفوفنا . . عند بعض مجاهدينا الذين تغيرت مفاهيمهم أو قل نفوسهم . . فبعد أن ظلت المقاومة على مستوى الوطن كله . . تحولت الى نطاق اقليمي ، انحسرت داخل حدو د ضيقة . . وبات وكأن حدود القبيلة أو المنطقة صارت البديل عن حدود الوطن عامة . . وتحكمت وتسلطت على النفوس دعاوى الزعامة وادعاءات التفرد وتهيأت المجالات للشكوك وللتشكيك بين الزعماء . . والنتيجة جرعات متوالية من المآسي والكوارث . . فالحروب تشن على بعضهم البعض . . وعمليات استدراج . . وكمائن وفخاخ . . واعدامات الى آخر المرارات المؤسفة . . وتحرك المؤشر بقوة دلالة على نجاح مخطط المستعمرين . . وأصبح الزعماء يشهرون سيوفهم في العلن ضد ايطاليا . . وفي الباطن ينهشهم التردد . . وازدادت النعرات الاقليمية والقبلية حدة وارتفاعاً . . حتى تكاملت عناصر الهزيمة . . زادت من شدة وقعها . . إن الذين دخلوا الحاضرة من الزعماء وبقوا فيها فترة الهدنة . . ركنوا الى ترف العيش . . وإلى اغراءات المدينة ومالوا لقبول وتمرير وعود ايطاليا . . ومن ثم أخذوا يخططون لتمكين أنفسهم من الامساك بزمام السلطة دون ما كبير منافسة . . ولم يكن بالتالي صعباً أن يستنتج الكثيرون جملة حقائق . . على رأسها حقيقة أن الجهاد يكاد يكون قد انتهى . . والتعبئة العامة . . وعمليات الاستنفار ذودا عن الحياض . . وفداء كل شبر من

أرض الوطن . . كلها وكأنها وصلت الى خاتمة . . كما برزت ظاهرة الفرار للخارج واللجوء إليه بدعوة العمل من اجل مواصلة النضال . . وتدبير المؤن والعتاد للمجاهدين وقد ثبت ذلك كله . . مع أول محك عملي . . فعندما تجدد القتال في يناير ١٩٢٢ وبدأ بحرا في مصراتة . . اذا بالأمور تبدو على نقيض ماكانت عليه . . فاسترخاء زعماء المجاهدين سنوات بدون قتال . . واعتماد معظمهم على المعونة الايطالية . . جعل أوصالهم تتفكك . . والروابط بينهم تنفصم . . واهدافهم ومآربهم تتباعد . . في الوقت الذي كان من السهل عليهم بمكان أن يكتشفوا هذه الخديعة . . فقد عمدت ايطاليا على تهدئة الحالة في برقة وابقائها بعيدة حتى يسهل عليها افتراس طرابلس . . وعندما استغرقت الحرب العالمية الأولى ايطاليا . . وواتت الفرصة للاجهاز على الاستعمار فوق أرضنا والخلاص نهائياً من الطليان . . اذا بايطاليا تعقد الهدنة لصالحها . . وبعد الحرب استدارت علينا . . بكامل العدة والعتاد . . فكأننا نحن الذين ساعدناها على الاجهاز علينا . . تماماً كما فعل عبد القادر الجزائري من قبل . . فقد واصل ثورته على فرنسا . . ونجح في تحقيق الانتصار تلو الانتصار . . وعندما دخلت فرنسا الحرب ضد ألمانيا . . اذا بالأمير يعلن الهدنة ويوقف القتال . . ويقابل نفس النتيجة . . فبعد انتهاءالحرب استعدت فرنسا للانفراد به . . ووجهت له ضربة جعلته يرحل على اثرها الى سوريا نادماً على تضييع الفرصة وربما كانت نفس المأساة هي التي واجهت العرب في الحرب ضد عصابات الصهاينة عام ١٩٤٨ . . في فلسطين .

(الكابوس الثقيل والأمل)

ومرة أخرى . . عادت ايطاليا لممارسة نفس أساليب القهر والصلف . . بل لقد زادت ممارساتها وحشية وغلظة ، ودفعها الجهد الذي بذلته والخسائر التي تكبدتها إلى الدأب في العمل على ابقاء قبضتها محكمة فوق كل شيء في البلاد . . وهكذا جثم على الصدور الكابوس المزعج . . وثقل الهواء حتى كاد يكتم الأنفاس التي كمموها . . والمنفذ الوحيد للأمل صار ـ كما قلت ـ العمل من الخارج لصالح الداخل . . حيث ومضت من هناك أشعة عمل وأمل . . وكانت المناسبة لسفري إلى تونس عام ١٩٣٠ هي زواج ابن خالي . . قبل

وصولي بشهر تقريباً . . تنوقلت اخبار الاحتفالات الضخمة التي أقامتها فرنسا على أرض تونس وذلك بمناسبة مرور مائة عام على احتلال فرنسا للجزائر . . وقد جهدت فرنسا لهدف أو آخر في محاولة تعميم هذه الاحتفالات في سائر اقطار الشمال الافريقي . . وجاءت الاحتفالات بمثابة تهييج للجراح . . فالشمال الافريقي العربي . . وبكافة أقطاره وأمصاره يرزح تحت الاحتلال الاجنبي . . الفرنسي والانجليزي والايطالي . . والاحتفالات تجري حتى فوق أرض تونس العربية بمناسبة احتلال الجزائر العربية لمدة قرن بأكمله . . ترى هل نبقى نحن هنا بدورنا في ليبيا . . نرزح تحت وطأة هذا الكابوس الثقيل المفزع مثل هذه الفترة . . أو . . ولم أستطع أن اصرف ذهني في اطار هذا القصور . . فما يقع في مجال الادراك . . ويومياً . . اكبر من أن يترك مجالاً لقصور . . انه يدمي القلب . . ويكدر النفس . . ويعصف بالكيان . . ولا يدع فرصة أو لحظة لهدوء أو نسيان . . حتى وأنا في داخل الباخرة التي تقلني إلى تونس . . فما أن خلصنا من رجال الجوازات . . ونقط الرقابة والتفتيش الايطالية داخل ميناء طرابلس حتى بدأت توقعاتنا لما سيحدث . . فبالطبع سيسلمنا الطليان إلى زملائهم الاستعماريين الفرنسيين . . لحظة تجاوز الحدود المصطنعة أو المدبرة مع تونس . . وبالفعل استقبلنا الفرنسيون في الميناء . . وجرى اتمام الاجراءات بواسطة رجال الجمارك الفرنسيين . .

(شاعر ومقهى ..)

خلال ساعات قليلة من وصولي . . كنت أجلس في أحد المقاهي حيث تعرفت على أخ تونسي اسمه محمود بورقيبة . . ينظم الشعر . . فأسمعني على التو بعض القصائد عن فرنسا والاستعمار ومآسيه . . وصارحته بدوري بمشاعري نحو ايطاليا . . ونصحني بالذهاب إلى صحفي معتدل هو الشاذلي القسطلي صاحب جريدة (النهضة) . . وأفهمني أنه الوحيد الذي سيساعدني . تكلمنا عن الأحزاب والشخصيات السياسية الأخرى التي عددتها له في تونس . . ووصف لي مكان صحيفة النهضة . . وما زلت اذكره . . في ميدان القصبة . . قرب مقهى (الجزائر) ، أشهر مقاهي العاصمة التونسية أما مبنى الصحيفة فعبارة عن

بيت متواضع . . به مطبعة ومكتبان أو ثلاثة . . وعندما دخلت وجدت في مواجهتي رجلاً في حوالي الخمسين من عمره . . قدمت له نفسي . . وشجعني استقباله وترحيبه على الدخول مباشرة في الموضوع . . في قضية بلادي . . وفاجأني بسؤال : أليس من بينكم طبيب . . أو مدرس . . أو مساح ؟ . . وأجبت بالنفي . . فكل هذه المناصب وغيرها قاصرة على الطليان . . فضلاً عن إصرار ايطاليا على عدم وصول العرب إلى مثل هذه الدراسات المؤهلة لتلك المناصب والتخصصات . . وهز رأسه في أسى . . مركزاً على هـذا الوتر . . واستمر في الأسئلة . . وكلما أجبت دوّن في ايجاز بعض الملاحظات . .

(.. للقضية .. لفرنسا ..)

وقبل أن تنتهي المقابلة . . قال لي انه سينشر ما أريد . . ولكن داخل اطار يبدو فيه وكأنه خـدمة لفرنسا . . لكي لا يقف الفرنسيون ضد نشره . . وبذلك تحقق هدفنا في خدمة ليبيا وشعبها . . كما أفهمني أن ذلك يقتضيه التصرف في المعلومات . . فالاستعمار وإن وقعت بينه المتناقضات . . هو الاستعمار في النهاية بعدائه للشعوب . . وبوحدة أهدافه في الاستغلال . . وتشابه وسائله في اخضاع الشعوب . . والسيطرة عن طريق الارهاب والقتل . . وبادلني نظرة . . فهمت منها المقصود تماماً . . فالعديد من المجاهدين الليبيين الذين فروا عبر الحدود الى تونس . . نتيجة ظرف أو آخر . . ألقت القبض عليهم السلطات الفرنسية . . وسلمتهم للايطاليين . . حيث أعدم بعضهم . . وعندما ذكرت له ذلك أمّن على كلامي . . أما أنا فلم أستطع أن أنتزع من ذاكرتي منظر تلك الخيمة الاسمنتية الكئيبة في (برق النص) مابين نالوت وسيناون والمأساة الكامنة وراءها . . فقد تأخر الجنود في القيام بتمريناتهم اليومية . . يعدون العصيدة . . احتفالاً بإحدى المناسبات الدينية وتصادف مرور ضابط ايطالي . . فإذا بالغرور والصلف يدفعه للنزول من فوق جواده . . ويصدر الأمر لهم بترك المكان فوراً . . ولما أفهموه أن البلاد تحتفل بالعيد وأنهم سيرحلون فور الانتهاء من طعامهم . . أصر الضابط على صلفه وزاد بأن تفوه بهذه العبارة : «مافيش عيد . . مافيش نبي . . » وضرب

حلة العصيدة برجنه . . وعند ذلك فقد صبر الجنود . . وانتهت المعـركة بمقتـل الضابط الايطالي . . لجأوا إلى تونس . . وهناك ألقى الفرنسيون القبض عليهم . . وسلموهم لايطاليا . . وأعدمهم الايطاليون . . وأقاموا الخيمة الايطالية نصباً تذكارياً لضابطهم القتيل . . وبالطبع فإنه لم يكن ثمة أي فرصة أو أمل لنشر مثل هذه الادانة المشتركة أو الجريمة المشتركة لفرنسا وايطاليا معاً . . لكن الشاذلي القسطلي نشر عن الحالة التعليمية المتردية . . واغلاق ايطاليا للمدارس . . وعدم السماح لأبناء الشعب بفرص متكافئة في التعليم مثل غيرهم . . كما قدمت له في مقابلة تالية معلومات عن المعمرين الايطاليين الذين جاءوا من ايطاليا ليمتلكوا الأراضي الخصبة . . ويطردوا اصحابها منها . . وقد تواكبت زيارتي مع تنفيذ المخطط الايطالي للاستيلاء على مزارع فندق بن غشير (أخصب مناطق طرابلس) . . وتسليمها للايطاليين بعد طرد العرب نهائياً منها . . كما لم يكن قد مضى وقت طويل على حادثة شارع الصريم . . عندما بنى الايطاليون بيوتاً عمالية لمواطنيهم . . وطلبـوا من السكان العرب اخلاء المزارع والبيوت التي يسكنونها محل المشروع . . ولما تباطأ بعض العرب في ترك البيوت . . شرع الايطاليون في تدميرها فوق رؤوس أصحابها . . الذين كانوا مع أطفالهم ونسائهم داخلها . . وأزالوا منطقة بأكملها من مزارع وبيوت وسكانها العرب . . ليحيلوه ايطاليا بكل معاني الكلمة . . ونشر القسطلّي اجزاء من المعلومات . . وترك أيضاً اجزاء . . ولكن جريدته النهضة . . لم تترك القضية الليبية بعد ذلك . . فقد فتح لي ملفاً كما أن أسئلته وأجوبتي . . فتحت لي المجال لتزويده بتفصيلات وقضايا جانبية . . ربما لم تكن تستوقفني كثيراً . . ولكنه كصحفي استطاع أن يشكلها في قوالب تشد القراء . . وتحوز على تعاطفهم لقضيتنا . . ولقد دفعني ذلك إلى تسجيل عنوان الصحيفة . . وعنوان بيت صاحبي معاً . . وتحايلت بعد ذلك على مراسلته بالتركيز على عنوان البيت . . مع كتابة اسم أحد خدمه على المغلف . . وأيضاً استغلال كل فرصة تسنح . . وقد استفدت من الفنانين العرب الذين كانوا يحلون بطرابلس . . في طريقهم الى تونس . . وحمل الكثيرون منهم رسائلي اليه دون أن يعرفوا شيئاً عن محتواها . . خاصة وأن هؤلاء الفنانين لم يكونوا يتعرضون كثيراً لعمليات التفتيش والمضايقات

التي يتعرض لها غيرهم من المسافرين واستمرت النهضة في نشر ما يصلها من معلومات مني . . طالما كانت هناك خلافات بين فرنسا وايطاليا . .

(تعقب الوطنيين في الخارج)

وخلال اقامتي بتونس . . عملت على توسيع دائرة الاتصال بشخصيات وطنية سياسية . . وطالما امتدت لقاءاتي معهم إلى ساعات متأخرة من الليل . . انطلقت بعدها إلى بيت خالي لأجده في انتظاري يعاني من القلق والمخاوف عليّ . . ولم يقتنع باجاباتي على استفساراته عن تأخري . . حاولت اخفاء الحقيقة عنه . . لأنه كان يعرف أن لايطاليا عملاء في تونس . . وأنها تراقب بواسطتهم نشاطات وحركة أبنـاء ليبيا الموجودين هناك . . وهكذا انتهى الأمر . . بأن أبرق خالي لأخي علي في طرابلس . . حتى يطلبوا عودتي بأسرع ما يمكن . . وقد كان . . فتسلمت برقية تطلب عودتي فوراً . . وعدت من تونس بعدد من الانطباعات العامة . . تؤكد كلها على بشاعة الاستعمار الايطالي وشدة تخلفه . . ففي تونس رأيت الفرنسيين والتونسيين يتعاملون في شيء من الندية . . ويتناقشون بمنطق وصولا لقناعة . . ومظاهرات ضد الاستعمار يسير فيها فرنسيون اشتراكيون . . وقرأت الصحافة التونسية وهي تهاجم المتجنسين بالفرنسية من العرب . . وحكى لي الشاعر محمود أبورقيبة . كيف أن العرب رفضوا دفن أحد الموتى المتجنسين في مقابرهم . . واضطر اهل الميت أن يرضخوا رغم وجود قوات الأمن الفرنسية وسط الجنازة . . حتى ان هذه القوات نفسها هي التي قامت بابعاد جثة المتجنس واقاربه . . ولأن الشيء بالشيء يذكر . . فإن الشرطة الايطالية في اثناء غارة ليلية على بيوت الأهالي . . واقتياد الرجال الى السجون . . صرخت زوجة بأعلى صوتها . . فإذا بأحد رجال الشرطة ينظر إليها . . ثم يفاجئها بعبارة تتنافى وأبسط مفاهيم الانسانية «روحي دوري على غيره» . . في الحقيقة تشكلت المشاهد والانطباعات في اطار مختلف عبر رحلة تونس . . حتى لتكاد تصل بالمرء الى تلمس جو نسبي من الحرية . . وإلى اتجاه لا شعوري . . قد يؤدي في محصلته إلى غبط تونس . . ربما عندما يعرف أن الصحف تنظم حملات من أجل الاصلاح . . الى غير ذلك من مظاهر

الانفراج . . وحتى توازن في مجالات الحياة الاجتماعية . وقد نصحني بعض الأصدقاء كالأستاذ محي الدين القليبي والشاذلي القسطلي وكذلك مصطفى حسن بك وهو الليبي الوحيد الذي قابلته بتونس بعدم الاتصال (باللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية والبرقاوية) وفرع (جمعيـة الدفاع عن طرابلس وبرقة) وكلاهما يديرهما الأستاذ احمد زارم ورفاقه .

(معارك بلا أخبار) :

عدت من تونس ، بعد شهر كامل ، لأجد كل شيء على مساره . . فقط انتقلت الحرب الى برقة وأخذت الأخبار تصلنا في طرابلس متباعدة . . كلها تجيء عن طريق الايطاليين وحدهم . . وبالتالي فهي تتحدث عن هزائم لنا في برقة ، وتكرس المزيد من اليأس والقنوط ، وان كان ذلك ليس هو كل الحقيقة . . أبدا . . فضربات المجاهدين استمرت وان جاءت خاطفة ومتفرقة ، وعمليات بطولية نفذها مجاهدونا ، وان وأ د الايطاليون أخبارها ، وحجبوا حتى عن العالم الخارجي أبعادها ونتائجها . . ولعل أقوى دليل عليها ، دون ما حاجة إلى تناولها هي بذاتها ، هو التصرفات العصبية التي كان يلجأ اليها الايطاليون . . ومن ذلك أسلوب المعتقلات الشعبية ، مثل معتقل (العقيلة) ونقل قبائل بتمامها ، وسكان مناطق بأكملها داخل هذه المعتقلات ، والاستمرار في محاصرتهم بالأسلاك الشائكة ، والأسلحة بمختلف أنواعها ، ومئات الجنود ، ولما تفشت الأمراض والأوبئة ، لم يحركوا ساكناً أو يغيروا شيئاً من أساليبهم ، بل عمدوا إلى زيادة عدد هذه المعتقلات والسير قدماً فيها لوضع الشعب بأكمله داخلها ، فلم تعد أمام الرجال ازاء عملية الاعتقال الجماعي والعام والمستمر، لم تبق أمامهم ثمة فرصة لتوجيه الضربات ونصب الكمائن والفتك بالجنود والضبا ط الايطاليين بالجملة ، فقد حالت هذه المعتقلات بينهم وبين استخدام التكتيك الجديد الذي اتبعه المجاهدون بعد عام ١٩٣٠ ، وهو توجيه الضربة الخاطفة والاستيلاء على الأسلحة ، ثم العودة الى مواقع العمل والسـكن للراحـة وممارسة النشاط العادي . . فالتخطيط من جديد لعملية جديدة . . وهكذا . . واستمر الايطاليون على **نفس المحاولة** . . **فأقاموا** من البحر والصحراء حاجزاً من الأسلاك الشائكة

امتد لمئات الكيلو مترات حتى يمنعوا وصول أي امدادات لعمر المختار ورجاله ونشطت دوريات الحراسة فوق هذه المساحة الواسعة من الصحراء . . والغريب في الأمر . . أننا هنا في طرابلس سمعنا خبر اعدام عمر المختار قبل أن نسمع خبر القبض عليه . . كنت آنذاك في سهرة بفندق (التوغار) بالفنيدقة . . دخل علينا محمد عبد القادر الجزيري . . وكان صاحب محل بقالة بنفس منطقة الفندق . . ولفت انتباهنا مدى ما يعانيه من حزن . . وما يرزح تحته من هم ثقيل . . ولم يطل تساؤلنا . . فقد اخبرنا هو على الفور أن ايطاليا أعدمت اليوم عمر المختار . .

(عاصفة الحزن .. العاتية ..)

. . قمنا مباشرة للوضوء . . وصلينا صلاة الغائب في نفس الليلة . . وحتى في هذه . . أوصدنا باب الغرفة طوال فترة الصلاة . . حذرا من (البصاصين) . . وبعد الصلاة اقترح أحدنا قراءة (الصمدية) ١١ مرة . . ثم رفعنا أيدينا . وأخذ كل واحد منا في دوره يدعو والآخرين يؤمنون . . كل الدعوات تركزت على طلب الرحمة للشهيد العظيم . . والهزيمة لايطاليا . . وفي صباح اليوم التالي انتشر الخبر في أرجاء طرابلس وعمت موجة كاسحة من الحزن . . أخذ البعض يعزي البعض دون سابق معرفة . . في الشوارع . . وداخل الفنادق . . والمساجد . . شدت الأيدي على بعضها . . وقد أودعتها القلوب ما يعتصرها من ألم . . وكأن النفوس قد سلمتها كل ما يعتمل في أعماقها . . من صبر مر . . وآهات دفينة . . ولا حاجة بي أن أذكر أن المصاب دخل كل بيت . . وكأنه مصابه ، وكان الشهيد العظيم رمزاً لآخر خيط أمل . . وبصيصاً من ضوء . . حمل عمر المختار على كاهله عطاء شهدائنا منذ بداية الاحتلال الكريه . . وراح يواصل السير فوق الطريق المقدس . . ومد يده بسيفه يحول بين وحوش اليأس أن تطبق على نبضات القلوب . . وقف الشيخ فوق روابي الجبل الأخضر بفرسه كومضة ضوء باهرة في دياجير ليل بهيم . . حيا الله المجاهد الكبير . . فقد كان من المستحيل على الجميع . . أن يعوا أنهم وصلوا معه إلى فراق .

الفصل الثالث

مناورات .. وادعاءات .. مكشوفة

لم يلق زملاء عمر المختار السلاح . . استمروا في الجهاد . . ولكن سرعان ما حقق الحصار المضروب نتائجه . . فلم تصل المؤن والعتاد اليهم من الشرق . . نظراً لتكثيف ايطاليا للأسلاك الشائكة والحراسة وتنشيط الدوريات المسلحة بالقرب من الممرات والمنافذ التي يمكن المرور عبرها . . ورغم ضروب التعتيم على أخبار المجاهدين . . فقد وصلنا بعضها في طرابلس . . عرفنا أن المجاهد عبد الحميد العبار وقد واصل مع مجاهدين آخرين طريق عمر المختار . . وتابعنا مراحل حاجته وحاجة زملائه للسلاح ، ومحاولتهم الدخول للشرق عبر الأسلاك . . وكيف لاقاهم الايطاليون بوابل من الرصاص . . ونجحوا في حصارهم . . فاستشهد البعض . . وألقوا القبض على آخرين حيث أعدموهم . . أما عبد الحميد فقد انطلق بفرسه في محاولة انتحارية . . مفضلاً الموت بعيداً عن أيدي الايطاليين . . ونجح بالقفز بجواده فوق سور الأسلاك الشائكة . . وواصل الحصان الجري داخل الحدود المصرية . . وبذلك نجا الشيخ .

وأرادت ايطاليا أن تقضي على البقية الباقية من الأمل في النفوس . . وأن تشغلنا نهائياً عن متابعة الأخبار أو الوقائع ، فلجأت إلى أسلوب ماكر . . أعلنت عن اصدار عفو عام عن كل المعتقلين . . وتظاهرت بتنظيم تجمع عام للشعب احتفالاً بهذه المناسبة . . وانتهى - كما هو مرسوم له - باجتماع عام في خندق

(دورار) بالظهرة . . وهناك جاء الوالي الايطالي . . وجاء الجنود بالمعتقلين العرب . . فألقى الوالي كلمة فيهم . . وأطلق سراحهم . . وليس ثمة ضرورة في التوقف مع معاني ودلالات كلمة الوالي . . فقد تركزت على التيئيس من أي تحرك ضد الايطاليين . . وتوعدت من يحاول أن يقع في أي مخالفة . . وانهاها بكذبة كبيرة . . فقد أعلن ان الافراج تم عن جميع المعتقلين . . ولم يكن ذلك صحيحاً على الاطلاق . . فقد بقي الكثيرون في المعتقلات . . حتى دخول الانجليز . . والمرير ان الانجليز قد استمروا في ابقائهم داخل المعتقلات أيضاً . . وقد تأكدت للناس هذه الكذبة قبل مضي وقت قصير .

(بين الرقابة والتفتيش)

ورغم طنطنة الايطاليين بحالة اهدوء . . وإظهار الاستقرار . . ومحاولة طرق موضوعات الاصلاح . . رغم ذلك كله ، فقد بقي كل شيء على ما هو . . عمليات الرقابة الصارمة . . التحقيقات القاسية اثر أي وشاية . . أو شكوى كيدية . . وهكذا لم يبق أمل إلا في العمل من الخارج . . واتجه تفكيري تلقائياً للسفر إلى الشرق . . وبينما أنا أقلب قائمة الأعذار التي يمكن أن أنتحلها للسفر . . إذا ببرقية من أخي سليمان الموجود بتونس تصلنا . . البرقية تطلب من أخي علي الحضور لمسألة تجارية . . وبالفعل سافر أخي علي وبقي في تونس بعض الوقت . . ولما كان يعرف رغبتي للسفر شرقاً . . فقد أبرق لي في طريق عودته بالاستعداد . . وذلك كي أحل محله على ظهر الباخرة التي كان يستقلها . . عند نزوله في طرابلس . . وبالفعل نزل هو لأكمل أنا الرحلة مع الباخرة إلى الاسكندرية . . وتحرزا للتأخير في الخارج . . سلمت أخي على المتجر . . وأطلعته على معاملاتي والتزاماتي . . وبعد الفترة المقررة لرسو الباخرة بميناء طرابلس . . وكانت يوماً واحداً . . أبحرت الباخرة يوم ١٩٣٤/٨/٣٠ وعلى متنها فرقة مسرحة ايطاليا في طريقها لتقديم عروضها في القاهرة . . وحاولت أن أبني على ذلك بعض الفروض عن الحالة في مصر . . ودلالة وصول فرق فنية أجنبية إليها . . ولكن تلك الفروض تبددت لحظة نزولنا في ميناء الاسكندرية . ومواجهة موظفي الجمارك . . وكانوا من الانجليز يجرون تفتيشاً قاسياً مجرداً من

اللباقة والذوق ، ولا يجيدون أي كلمات عربية ، اللهم إلا نطق عجيب لهذه الكلمات متتالية : اسم أنت ؟ . . أبو انت ؟ . . أم أنت ؟ . . وفي كل مرة يستعين بتكرار الكلمات حتى يفهم ما قيل رداً على هذه الأسئلة العوّيصة . . وعندما جاء دوري لترديد الاجابة على هذه الأسئلة . . كنت أتمزق من داخلي . . كنت أشبه بمن انتهى من حلم مزعج ليصادف كابوساً . . أليس مهولاً أن يحدث هذا لمصر . . أن يجلس في موانيها الانجليز بهذه الكيفية وتوقعت أن أعايش هذه المأساة طوال وجودي بمصر . . ولكن المفاجأة التي أذهلتني وأراحتني معاً . . انني عندما خطوت إلى داخل المدينة لم أجد أي وجود للانجليز . . حتى عندما افتعلت البحث عنهم داخل المقاهي والمطاعم وعبر الشوارع . . أو في السيارات العامة والخاصة . . لم أعثر لهم على أثر . . أو أتحسس لهم وجوداً في الحياة الاجتماعية . . وهو ما أغراني بالحكم بأفضلية هذا الوضع . . على ما رأيته في تونس . . وأثار اعجابي هناك . . خاصة عندما وجدت أمامي ذات صباح مظاهرات صاخبة تتحرك في شوارع الاسكندرية ، هاتفة بسقوط المحاكم المختلطة . . وهزتني المشاعر ، فسرت في مواكبة المظاهرة التي أضافت إلى الهتاف ضد هذه المحاكم ، هتافاً ضد الانجليز والاستعمار .

(شخصيات وطرائف في مصر):

أقمت في مصر شهراً أيضاً . . تنقلت أثناءه بين القاهرة والاسكندرية . . قابلت وتعرفت على الكثير من الشخصيات الليبية والمصرية الموجودة بالمدينتين الكبيرتين . . لعل أطرفها وأهمها شخصيتان تتقدان بالوطنية والحماس ، ومع ذلك يتباين اسلوبهما الى حد التناقض ، كما تعرفت بشخصية ثالثة لبضع ساعات ، ولكنها استطاعت أن تحفر ذكراها . . نبلا وبطولة حتى الآن ، أما الأولى فشخصية جميل المبروك ، وقد نزلت عليه ضيفا في فترات وجودي بالاسكندرية ، وكان قد هاجر الى مصر عام ٣٢ ، واستقر بالاسكندرية . . وأتاح له ذلك مساعدة الكثيرين من العرب الليبيين الموجودين بالاسكندرية ، وظل على اتصال بالمجاهدين ، وقد عاد لليبيا عدة مرات فوق البواخر ، وفي كل مرة كان يخضع لتفتيش دقيق ، دون أن يعثروا في حوزته على شيء ، فقد اختار لنفسه العمل

السري . وقد أطلعني بالتفصيل على معلومات عن الشخصيات الليبية المقيمة بالاسكندرية واتجاهات وميول كل منها . . وكان (جميل) على علم بكل الذين جندتهم ايطاليا للتجسس على التحركات الوطنية ، يرصد ترددهم على القنصلية الايطالية في الاسكندرية ، وعرف عنه أنه وصهره أحمد عتيق المسلاتي من أنصار السعداوي ولأسباب نشاطه لم يفكر في الدخول إلى طرابلس أكثر بسبب ظهوره في ميادين الاسكندرية مع السعداوي ، وقد أخضع كل من يتعامل أو يقترب من جميل لرقابة قاسية ، وتفتيش دقيق ، ولا أشك لحظة أن اقامتي عند جميل المبروك في الاسكندرية ومساعداته ونصائحه ، قامت بدورها ، وإن ملت عاطفياً إلى الشخصية الثانية ، التي كانت تعمل في العلن . . ولا تحسب كثيراً العواقب . . انه عبد الرحمن دقدق ، والده زميل والدي في نفس المنطقة بالفنيدقة ، وصاحب أنوال للحياكة أيضاً . . توثقت الصلة بين أبيه وأبي بحكم انتمائهما للطريقة القادرية ، كما كنت وعبد الرحمن زميلين في الدراسة بالكتاب والمدرسة ، وطالما سرنا معاً إلى الزاوية القادرية وعندما أرسله أبوه إلى مصر ليتعلم بالأزهر الشريف ، لم تنقطع صلاتنا ، فقد وصلت الرسائل بيننا ، ولما اتصل عبد الرحمن ببشير السعداوي ، وشددت ايطاليا الرقابة على أسرته ، وعلى رسائله ، تحولنا للمراسلة شفاهة عبر جميل المبروك . . ولم تزد أعمال عبد الرحمن إلا نشاطاً فدأب على الاتصال بالديبلوماسيين الأجانب في القاهرة ، وأعد الشروح والدراسات عما ترتكبه ايطاليا من فظائع وأخطاء ، وراح يشرحها ويقدمها في مذكرات لهؤلاء الدبلوماسيين .

(شخص يعادل سفارة):

وأنشأت صداقة راسخة مع السفير الأفغاني (المجددي) وكان نشاط عبد الرحمن دقدق يفوق ما تقوم به سفارات أو أجهزة بأكملها ، فصار ينقل لسفارات العالم ما يجري في ليبيا أولاً بأول ، ومد نشاطه إلى الطلبة الليبيين في مصر ، واتصل بحزب الوفد ، وحزب مصر الفتاة ، وغدا اللسان المعبر عن الليبيين في اجتماعات الحزبيين ، ونجح في الوصول لأسرة الأمير طوسون ، وكسب استمرار تأييدها للقضية الليبية ، وقد أحنق هذا النشاط السلطات الايطالية وأصبح في

وضع يخشى منه دخول البلاد ، وأخذت في مضايقة والده بكثرة الاستدعاءات والتحقيقات في الشرطة ، وكان الأب الشيخ ينفي عن ولده الاتهامات دون جدوى ، وقد هداني التفكير الى نقطة الضعف في الرقابة الايطالية ، وهي التي تتصل بالنقد ، وعمليات تحويله ، فصرت أرسل لعبد الرحمن اضعاف مصروفه العادي ، مبالغ كبيرة في فترات متقاربة ، كلها كأنها محولة من والـده إليه . . أما هو فإنه يقوم بالخطوة التالية ، فور وصول النقود إليه ، وذلك بإرسالها للجنة الدفاع عن طرابلس وبرقة مباشرة ، وفي البداية كان أبوه هو الذي يقوم بتحويل النقود ، ولكنه بفعل التقدم في السن أبدى التردد خوفاً من عقاب الايطاليين ، ولم أجد غضاضة في الذهاب الى المصرف وتحويل النقود اليه باسم والده ، وقد اكتشف أبوه الأمر وواجهني ، واقتنع بردي تماماً ويتلخص في أنه اذا اكتشف الايطاليون الأمر وقبضوا عليه فليتهمني حتى يدرأ عن نفسه أي عقوبة ، ولم يكتشف الايطاليون شيئاً ، وان حاولنا من جهتنا تأمين سلامة الأب بعدم الاتصال به بتاتاً .

(جرعة أمل قوية):

وفي القاهرة تركت بفضل مساعدة عبد الرحمن دقدق مقابلة كثير من الشخصيات السياسية اتصلت من بين من اتصلت بهم ، بأحمد حسن الزيات ، صاحب ورئيس تحرير مجلة الرسالة ، وشرحت له تطـورات القضية الوطنيه ، وتوثقت الصلة بيننا ، وصرت وكيل المجلة بطرابلس ، وقد عرفته بجميل المبروك وعبد الرحمن دقدق ، كما ذهبت لمجلة الأزهر ، وقابلت المجاهد العربي الكبير (محمد علي الطاهر) صاحب جريدة (الشورى) وكانت الجريدة مصادرة في ذلك الوقت ، أما هو فكما عهد به مثابرا على العمل من أجل كل القضايا العربية ، وأسعدني أنه يعرف عن قضيتنا كافة التفصيلات والدقائق ، وحضرت الندوة الأسبوعية التي يديرها في مكتبه ، ولعل أظهر ما يعرفه الناس عن هذا المناضل العربي الفذ . . أنه هو الذي خطط لتخليص المجاهد عبد الكريم الخطابي من قبضة الفرنسيين . وكذلك له الفضل أيضاً في رفع سيف الجلاد من على عنقي الزعيمين أحمد النعمان والفضيل الورتلاني ، عندما أمر امام اليمن بضرب

عنقهما . . وأضعه في قاموسي النضالي في المرتبة التالية مباشرة للأمير شكيب أرسلان .

(أغرب ما قابلت !):

أما الشخصية الثالثة التي صادفتها في رحلتي الأولى لمصر ، فقد كان محمود زكـري ، طالب بالأزهر مثل عبد الرحمن ، زرته في مسكنه ، فإذا به يقدم لي مجموعة كبيرة من الصحف والمطبوعات ، تتحدث عن الجرائم والمآسي التي يرتكبها الايطاليون في ليبيا ، وأخبرني انه يجمع كل ما يكتب عن البلاد في الصحف والمجلات العربية المتداولة في القاهرة ، وسألني أن أدله على طريقة لادخالها لليبيا ، وحاولت أن أقنعه بأن هذه المقالات معروفة للجميع داخل البلاد ، وانها أدت دورها بالنسبة للرأي العام في الوطن العربي ، وانه ليس ثمة فائدة من ادخالها البلاد ، تتناسب مع حجم المخاطرة فيها لو وقعت في يد المستعمرين . . ولكنه دون جدوى أبى محمود أن يقتنع ، فنصحته أنه يوزع المقالات على زملائه حتى يستظهروها، فإذا ماعادوا للبلاد، أعادوا تدوينها من جديد ، حفاظاً على قيمتها التاريخية ، وودعته على أمل في لقاء آخر بعد شهرين ، وعندما رجعت وجدته كعادته يلف حول الجامع الأزهر طوال اليوم ، وتهلل للقائي ، ثم صحبني مباشرة إلى مقهى ، وطلب لي شيشة . . وفوجئت به . . وقد بدأ في تلاوة ما استظهره من قصاصات الصحف . . يذكر اسم

الصحيفة . . وتاريخ صدورها . . ورقم العدد . . وعنوان المقال . . ثم (يسمّع) على ماجاء فيه حرفياً . وعندما تنتهي واحدة . . يبدأ في أخرى ، ولم أتمالك نفسي من الدهشة . . والساعات تمضي على هذه الحال . . أشفقت عليه وقد خلته لم ينم أو يسترح طوال شهرين كاملين منكباً بكامل الطاقة على استظهار قصاصات الصحف . . ولمح الفزع في عيني . . وقبل أن أبادره بأنه جاء ليحفظ الحديث . . ويتفقه في الدين . . قال محمود في أسى : في الحقيقة وجدت بعض اصحاب العمم أقرب الى الاستعمار . . والبعض منهم ولا أقول كلهم يفتي بما يطلب الحاكم . . وليس بما يرضي الدين والضمير . . وسرد لي أمثلة لهذه

النوعية من المشايخ التي تتملق الحكام العرب والأجانب في كل قطر خصوصاً ليبيا . . ثم جاء بأسماء علماء ومشايخ آخرين صمدوا للمكاره . . ولم يخالفوا دينهم ولا ضمائرهم . . سواء في الحاضر أو الماضي . . وعند توديعي له . . انفجر في بكاء مر . . وكاد يعصف به التأثر . . وعبر لي عن خشيته من أن أتعرض لسوء . . فيحرم من رؤيتي . . وتحققت المخاوف عبر مفارقة ساخرة فلم أر محمود بعدها . . ولم يرني . . فقد توفي رحمه الله بعد ذلك بأيام قليلة .

(الطريق الى السعداوي):

كان تخطيطي . . حتى قبل أن أترك طرابلس الى الاسكندرية . . أن أتوجه الى بشير السعداوي . . وبعد الشهر الحافل الذي أمضيته بمصر . . طرحت فكرة سفري للشام على صديقيّ جميل المبروك وعبد الرحمن دقدق . . وحدث ما كنت أتوقعه بحكم معايشتي للاثنين . . فقد تحفظ جميل على الفكرة . . وأبدى تخوفه أن يحول ذلك بيني وبين دخول طرابلس إلى الأبد . . في وقت تتطلب فيه الأمور الوجود في طرابلس . . وفي الحقيقة فان جميل ظل قلقاً ومتخوفاً من كل الاتصالات التي أجريتها في القاهرة والاسكندرية . . أما عبد الرحمن فقد تحمس للفكرة . . بل وذهب إلى حد اعداد برنامج كامل للحركة والاتصالات هناك . . وتصنيف بأسماء الوطنيين والخونة . . وجد في كسر عوامل التردد سواء في نفسي أو في نفسه على حد سواء . . وهكذا استقلّت (فيلكس روسيل) . . وهي باخرة فرنسية للركاب . . اشتهرت عالمياً في ذلك الوقت . . جميع العمال فوق ظهرها كانوا من الهند الصينية . . احدى المستعمرات الفرنسية . . وبعد ليلة ونهارين من السفر وسط مياه البحر الأبيض . . رست الباخرة في ميناء بيروت . . لم أجد ظلاً للفرنسيين في الميناء . . كل ما لاحظته هو سيطرة الأسماء المسيحية على كافة الوظائف . . والعمليات في الجمارك وغيرها . . وقد استقرت الملحوظة في أذهان الكثير من القادمين مثلي للمرة الأولى . . بقيت في بيروت اسبوعا . . وحاولت اجراء اتصالات . . ولكنها لم تسفر عن شيء . . وأذكر اثناء سيري في أحد شوارع بيروت ليلاً . . أن شاهدت شخصاً يتعقبني . . كلما أبطأت

يبطىء . . وإذا أسرعت يسرع . . ودخلت طريقا يكاد يخلو من المارة . . فإذا به خلفي . . كنت أحمل سكينا . . وقررت أن أبدأه قبل أن يبدأني ، وأخرجت بالفعل السكين من جيبي . . ووقفت فجأة . . وصرخت فيه . . ماذا تريد مني . . وإذا بصوتـه يـأتيني قوياً : ألست المشيرقي . . أنا بوشعالة . . وسقطت السكين من يدي . . لنتعانق عناقا طويلا . . كان (ولد حومتنا) وصديقا بدا لي أنني نسيته بنفس الدرجة التي قد أكون نسيت بها احدى جنايات الاحتلال الايطالي على أهلي . . فقد أحال أرض جدودهم الى جحيم بالنسبة لهم . . وجعلهم يرحلون الى الخارج . . لا يهم بعد المسافة أو قربها . . مادام الرحيل بات المرادف الموضوعي للحياة . . للنجاة . . صادفني علي بوشعالة عندما كنت أشرب كوبا من عصير الجزر أمام أحد المحلات ، واشتبه بشخصي وتردد وقرر أن يتبعني عسى أن تسعفه الذاكرة . . سألته عن النشاط الوطني لليبيين في لبنان . . فأشار قائلاً : انه هناك . . في دمشق دعاني لزيارته . . واعتذرت له . . فقد كنت في طريقي الى دمشق في الصباح . .

استقللت سيارة مع غيري دون ماحاجة الى تأشيرات أو اجراءات ، فلم تكن معالم الفصل بين سوريا ولبنان قد اتضحت بعد . . ولم نلحظ بالتالي غير محطة تفتيش صغيرة . . وغير أسئلة خفيفة . . انطلقت بنا السيارة بعدها إلى دمشق . .

(حرب لابد أن تتصاعد)

طوال الطريق . . المسمى (بعاليه) . . وجبل لبنان وكل ما يتدفق فيه من جمال . . وكأن الطيور والأشجار تغني . . مناظر تجمعت فيها كل مفاتن الطبيعة . . تغري بالنظر والتأمل . . شدتني بعض الطريق . . ولكن طوال الطريق . . لم تغب عني تلك الصور المشرقة الآملة هناك . . على مسافة بضع ساعات مني . . نوعية من المجاهدين من أبناء بلدي . . انتشروا شرقاً وغرباً في أرجاء الوطن الكبير . . ورفعوا سلاحاً آخر ضد المعتدين . . سلاح القلم والكلمة . . في داخل البلاد خفت صوت البندقية والمدفع . . فليكن تركيزنا . . وجذوة الأمل

بيننا . . وُلد مؤقتاً . . هذا السلاح . . القلم والكلمة . . خاصة وأن العدو حاربه بنفس القوة والشراسة . . وتعقب هؤلاء المجاهدين شرقاً وغرباً بمختلف أساليبه ووسائله . . إذن فواجب يمليه علينا واقعنا الراهن . . وظروفنا الموضوعية . . أن تتصاعد حرب القلم والكلمة . . حتى توقد الشعلة من جديد . . وتنطلق البندقية هذه المرة . . من خلفية أكثر وعياً . . وأرسخ وأصلب عوداً . . عندها لن تفلح دسائس ولا فتن ولا كل الأساليب الشيطانية في تفريق الكلمة مهما أوتيت من حيل . . ان القلم والكلمة هما السلاح الطليعي في المعركة في هذه المرحلة . . فليكن . . ولنضم جهودنا . . وعقولنا وامكانياتنا لفرسانها . . في المهجر . . وفي طليعة طلائعهم يقف بشير السعداوي . . الذي يعرفه ويذكره أبناء وطنه من المجاهدين بالبندقية . . وتمتلىء نفوسهم حباً واحتراماً له .

الفصل الرابع

هؤلاء المجاهدون .. في الخارج

على الطريق .. بين بيروت ودمشق .. كل شجرة أو حبة رمل .. أو امتزاج بين لونهما الأخضر والأصفر .. يشدني الى هناك .. وإلى ما يجري فيه .. الدفاع عن بلدي لم ينته أو ينقطع .. حمل رايته المجاهدون .. ورفعوها عالياً وبعيداً .. وتقدموا بها الى حيث وصل مدى بنادقهم .. وقدموا أروع صور البطولة والفداء .. وفي أصعب الظروف .. ودون ما أدنى حساب لموازين أو تكافؤ .. ولم تستطع قوة المستعمرين وصلفهم .. أن تنال منهم مباشرة .. وعبر المواجهة .. فلجؤوا الى الأسلوب الاستعماري التقليدي .. فرّق تسد .. فشقوا الصفوف بالفتنة والدسائس .. وأحالوا للمعتقلات سكان مناطق بأكملها .. وعندما بدا أن الكماشة الايطالية قد أطبقت على الداخل .. تعاظمت مسؤولية ابناء الوطن في الخارج .. فراحوا يكملون المشوار .. وان اختلفت الوسيلة بالطبع .. لجنة الدفاع عن طرابلس وبرقة التي كونها بشير وعمر شنيب .. ونظيرتها التي شكلها أحمد زارم ومحمد بن عباس ورفاقهم ..

القليلون في بلدي .. حقيقة هم الذين كانوا يعرفون أن هناك من يناضل في الخارج شرقاً وغرباً .. بشير السعداوي ورفاقه في دمشق .. وأحمد زارم ورفاقه في تونس .. أخبار نضالهم تأتي مع القادمين من الخارج .. وبين طيات الصحف العربية التي تتسرب خلسة قفزاً فوق رقابة الايطاليين الصارمة ..

ورغم وصولها شحيحة . . إلا أنها تأخذ طريقها الى الناس . جنباً الى جنب . . مع اخبار المجاهدين . . والمعارك . . وبالتدريج ومع خفوت صوت البندقية . . ارتفعت اصداء الأصوات التي تكافح في الخارج . . بالنسبة لوجهتي . . فان لجنة الدفاع . . أخذ يتضح دورها ونشاطها لأبناء البلاد في بدايات عام ١٩٢٨ . . ومع حلول عام ١٩٣٢ . . تبلور حصاد الجهد المبذول في الشرق والغرب نسبياً . . وأدى ذلك في جانب منه . . إلى محاولات للرد من جانب ايطاليا . . بدأت ايطاليا الدعاية في الخارج لترغيب الناس في العودة الى البـلاد . . وجندت لذلك وسطاء من الليبيين المغتربين والمحتاجين . . بقصد الترغيب والدعاية . . وتمخض الأمر عن اغراءات مادية . . فوعدوا كل من يعود بأربع نعاج وجمل . . وأملت طبيعة المرحلة علينا الموقف . . فتحركت مع مجموعة من الأصدقاء نبارك عودة الذين قبلوا العودة . . ونذهب اليهم في أماكنهم مهنئين ومسلمين . . وكتبت من جهتي رسائل للأصدقاء في الخارج ، أدعو لعدم الوقوف ضد هذا الاتجاه . . فلا يجب أن نقف ضد العائدين أو الراغبين في العودة ، حتى لا نوصد في وجوههم أبواباً، يمكن أن تتفتح على المستعمر . . وقد حرصنا على تحية وزيارة الشرفاء من العائدين ، وقد عادت بالفعل أعداد كبيرة من المهاجرين الى مصر وتونس ، وكانت الأغلبية من مصر . . ولم يؤد ذلك الى تخفيف المرارة ، فقد رأى الناس بأعينهم ، وعايشوا غصة قاسية وهم يرون المعمرين الايطاليين وكيف كانوا يصلون في حالة يرثى لها من البؤس والفاقة . . حتى لقد اضطرت ايطاليا الى مد خطوط السكك الحديدية الى مسافة داخل الميناء ، لكي ترسو القطارات مباشرة تحت البواخـر ، فينتقل اليها المعمرون القادمون . . دون أن تسنح الفرصة لرؤيتهم أو لتصويرهم بواسطة الصحفيين والأجانب . . وهكذا كان يجري شحنهم في الخفاء الى مزارع وبيوت حديثة مجهزة بكل شيء . . من محركات وآليات ووسائل الانتاج والمعيشة . . بما في ذلك أدقها وأتفهها ، مثل ابرة الخياطة . . وبمجرد أن يبدأ المعمر الأجنبي أول ضربة فأس ، يجري صرف المسـاعدات له ، ومن قبيل كسب الدعاية في الخارج قاموا بنقل عدد من السكان العرب الى جهات غير صالحة للزراعة ، وأقاموا فيها بيوتا صغيرة وأبقوا فيها

العرب حتى انتهوا من الجانب الدعائي ، واضطر السكان للهرب بعد أسابيع نظرا لجدب الأرض . . (مثل قرية نعيمة) .

وقائع كثيرة . . وتفاصيل أكثر . . أخذ شريطها يتوالى أمامي عبر عملية تداعي معان نبهتها وربطتها مشاهد الطريق ، وان دفعتها وغذتها فداحة الخطب الجاثم على صدر الوطن وأنفاس الناس .

وأخيراً وصلت السيارة الى دمشق . . كانت الساعة حوالي الرابعة بعد الظهر . . العنوان الذي أريده ، سجلته في أكثر من ورقة ، فقد وجدته عند الزملاء والاصدقاء في مصر ، أكثرها وضوحاً ما نقله لي جميل المبروك مع شدة بساطته ، فلم يتعد تحديد حي المهاجرين من دمشق ، ولم تطل حيرتي ، فسرعان ما وجدت نفسي داخل الحي ، وخارج بيوته ، كان الناس كثيرين ، كلهم عرفوا بيت بشير . . وصفوه وأشاروا عليه . وعقبوا بأن دمشق كلها تتكون من طابق واحد ولها نفس لون الجير (الزواق) .

(الساكن ونوعية السكن ..):

. . اذن وجه التمييز . . هو في نوعية الساكن . . وهكذا دار بخيالي . . أن تستقبلني هيئة مكتب . . وأن يجري تحديد موعد لي . . وأن . . وأن . . وبدأت أفكر ان كان من المناسب الاتجاه اليه مباشرة في بيته . . وعدم انتظار مقابلته في مكتبه . . وقبل أن يطرد خيط التفكير . . كانت يدي قد ارتفعت تدق الباب . . وجاء الرد صوتاً وحركة معاً . . انفتح الباب . . لأجد في مواجهتي شخصاً ضخماً . . أسمر . . تبدو عليه علامات الاجهاد أو الاعياء . . ولكن تقاطيعه تنطق في نفس الوقت بالكبرياء والاصرار . . انحنى وهو يرد تحيتي في بساطة . . وفي تواضع وأدب . . وفي الحال ذابت وزالت كل الصور التي رسمتها مسبقاً . . عن الرجل الذي هز ايطاليا بنشاطه . وعبأ المشاعر ضدها . . بصورة مكثفة . . ربما أوحت لكل الناس مثلي . . أنه يعمل من خلال هيئة مكتب كاملة . . من مستشارين . . ومساعدين . . و . . و . . إلى الآخر . . ولكن هذه هي الحقيقة كاملة وبسيطة أمامي . .

(الهم الوحيد .. والعمل)

يا ألف مرحبا . . كيف حالك يا ابني . . وشدني إلى الداخل وهو يردد «تعال . . جابك ربي . . اشتغل معي . . » كان بشير في الصالون بمفرده . . أمامه أكوام من الأوراق والمنشورات والمظروفات . . وجدت نفسي أطوي في الرسائل معه . . لعلها الصدفة . . كان اليوم هو الثالث من اكتوبر . . الغد هو الرابع . . ذكرى ضرب الاسطول الايطالي لطرابلس. ونزول الطليان للبلاد . . كان بشير قد سلم للصحف التي تصدر في صباح اليوم التالي . . ما يخصها من منشورات . . ضماناً لفرصة واسعة أمام النشر . . تذكيراً للناس بما حدث في هذا اليوم المشؤوم . . والأعمال البشعة التي ارتكبها الايطاليون في حق الشعب والبلاد . . اعتباراً من هذا التاريخ . . والمناورات الايطالية . . وكيف جرى الصلح . . ستاراً لخديعة كبرى يهدف من ورائها الطليان كسب الوقت . . حتى ينتهوا من الحرب . . وكيف أسعدهم خسارة تركيا للحرب . . فتمكنوا من الشعب . . حقائق مركزة واضحة . . كفيلة بتعبئة المشاعر . . وفضح المستعمرين . . واظهارهم على حقيقتهم امام الرأي العام . . منذ سنوات . . وبشير يركز على هذا النشاط . . ويخص هذا اليوم بنشاط مكثف . . فيقوم بتجميع أخطاء وخطايا وجرائم ايطاليا . . ويركزها بقلمه . . ثم يوزعها على الصحف . . لتتناقلها الصحف عن بعضها . . في الوقت الذي تدور فيه الأمور على نحو سافر هزيل في ذكرى هذا اليوم نفسه . . بالنسبة للايطاليين . . فقد اعتادوا ان ينظموا احتفالاً في ذكرى مصرع الجنـرال(كنتوري) . . وقد مات هذا الجنـرال برصاص المدافعين عن طرابلس . . على مسافة عشرة أمتار من مكان نزوله من البحر . . وقد أسرع الطليان باقامة نصب تذكاري له في مكان مصرعه . . وأصبح التقليد . . أن ينظم الايطاليون احتفالاً في ذكرى وفاته . . ذكرى سقوط طرابلس . . وأن يحضر الاحتفال عديد من الشخصيات الايطالية الرسمية . . والأجانب . . واليهود . . وعملاء ايطاليا من العرب . . والصبية الذين تحت سن الادراك . . وفي هذا الحفل يتبارى الايطاليون . . من عسكريين ومدنيين . اشادة بهذه الذكرى . . ومدحاً لقواتهم وجنودهم . . أما الشهداء العرب الذين

قدموا التضحيات الحقيقية . . وسقطوا ذودا عن حياض الوطن . . فلا شيء عنهم . . ولو ذرا للرماد في العيون . . عيون العملاء العرب الذين يشاركونهم الاحتفال . . مع أن الحقيقة هي أن كنتوري سقط من أجل ترقية . .

استغرقني العمل . . في لف الرسائل . . ولصق طوابع البريد . . وسرت الراحة في أعماق نفسي . . رغم اجهاد الرحلة من بيروت إلى سوريا . . وأخذت استرق نظرات الاعجاب والاشفاق . . على هذا المجاهد الذي راح يواصل الساعات منحنياً في صبر على اكداس من الأوراق والمظروفات . وبين الحين والحين . . تلتقي نظراتنا . . وتنطلق تلقائياً زفراته حادة «آه ياريح طرابلس . . ياريح الطيبة . . » . . سألني «ألم تحضر حفنة من ترابها . . أو برتقالة» . . سألني عن حدائق سكرة الغناء . . وعن الخمس ومسلاتة . . بدأ يستعيد بعض ذكريات صباه . . واستفسر عن معنويات الشعب . .

(تحية ودلالة ..)

. . وحكيت استطرادا الى مرارة الواقع . . وقبل أن أعبر عن يأسي . . أمسك في لباقة وأدب بزمام الحديث . . وراح يوجهه ويوجهني معه نحو الأمل . . طالت الساعات . . وامتد الحديث وتشعب . . وان ظل على استعجاله للانتهاء من الرسائل وتوزيعها على الصحف المسائية وعلى الجهات التي يود مخاطبتها داخل سوريا وخارجها . . في ارجاء العالم . . وحملنا معنا كميات الرسائل الجاهزة . . وخرجنا في اتجاه مكتب البريد لتصديرها . . وفوق كوبري كبير . . صادفتنا سيارة بصحبة دراجة نارية . . ارتفعت يد من داخل السيارة بالتحية لبشير . . كان صاحب التحية هو رئيس الجمهورية السورية نفسه . . ودار حديث حول الأخوة العربية ، وكيف يتعاطف أبناء سوريا مع لجنة الدفاع ، ويتضامنون معنا وقت الحاجة ، وستظل ترن في أذني عبارة بشير : «عندما ينادي المنادي للعمل للقضية السورية ، فنحن في المقدمة معهم ، نتعاون في السراء والضراء معاً . . لم يبخلوا علينا بشيء ضروري لنا» . .

أوصلنا الرسائل ، بعد مسيرة طويلة امتدت الى مكاتب البريد ، فدور الصحف فمباني السفارات والقنصليات ، فمكاتب ومراسلي صحف خارج الوطن العربي . . ولم نترك للصمت مجالاً . . أصر على توصيلي الى الفندق الذي أنزل فيه ، وقبل وصول الفندق بمسافة توقف معي بعض الوقت للمزيد من الحديث ، ولكنه خشي عليّ من مضايقات وتقارير عملاء ايطاليا ، إذا رأوني بصحبته ، وانتهى الموقف ، بأن شدني الى مقهى صغير وانزوى بي في ركن بعيد عن العيون ، وتركزت أسئلته على الوضع الداخلي والحالة في المناطق المختلفة ، وشدد على العمل لرفع معنويات الناس حتى تبقى للشعب ارادته المستقلة ، وركز على ضرورة التمسك بعاداتنا وعدم الانجراف في مصيدة التقليد للايطاليين ومسايرتهم حتى لا تضيع هويتنا . . «فالزرادي يجب أن تقام ، وأن تتضاعف ، وجلسات الشاي لابد أن تستمر ، وتتسع وتتقارب الاجتماعات . . كل ماهو عربي الصبغة . . وقومي لا يصح التحول عنه أو محاولة تغييره تحت أي دعوى أو شعار .

وترقرقت عيناه بالدموع وهو يقول : «أعاهدكم أن تعيش القضية في وجداني ، حتى يقبضني الله تعالى» . . وطلب مني في تواضع صادق أن أبلغ الجميع أن الفضل في هذا العمل ، لا يعود لبشير السعداوي ، ولكن الكثيرين من رجال الوطن الموجودين معه هم أصحاب الفضل فيه ومن الذين عملوا معه السادة فوزي النعاس وعمر شنيب وعبد السلام أدهم وباجقني والمؤقت ومحمد خليفة شعبان وغيرهم الكثير . . فهم بنص تعبيره : «ينقصون على البيت ولا ينقصون على القضية . .» ولما لاحظ علامة اجهاد فوق تقاطيعي ، سارع بتوجيه دعوة للغذاء في اليوم التالي ، وشد على يدي وكرر وصف الفندق ، وانصرف بينما وقفت أتأمله في مشيته وهو يسرع الخطى عائداً إلى بيته ، وكل مافيه يفصح عن عظمة شخصيته واصراره ، وفولاذية ارادته . . أحسست أنني أمام طراز آخر من البشر . . لم أحس بالساعات الطويلة التي مضت وصرت أتعجل انقضاء الساعات التي تفصلني عنه ، حتى موعد الغذاء . .

(عودة الى البيت الكبير ..):

قبل الظهر ، كنت أطرق البيت ، الذي اكتشفت بعد جولة صباحية في دمشق أنه أقل من أن يوصف بأنه (عادي) . . فجميع البيوت الدمشقية ألحقت بها بساتين ومجار مائية ، هي عبارة عن قنوات صغيرة من النهر ، لكنها تؤلف مع الحدائق بعدا جماليا . . باستثناء بيت بشير ، وبيوت حتى المهاجرين معه . . وجدت مع بشير في داخل البيت ، شخصاً آخر قدمه لي . . كان عمر شنيب . . ساعده الأيمن ، كما قال هو نفسه عنه ، صلتهما يومية ، ويشركه في جميع الأعمال ، وقد عمل عمر شنيب بالجهاد داخل ليبيا ، ولما ضيقت ايطاليا الخناق ، سافر من طرابلس ، حيث استقر به المقام في دمشق ، وهناك سخّر طاقاته للقضية ، ولم يتردد بالتضحية حتى بمتطلبات أسرته في سبيلها ، ولم يتخلف عن الاجتماعات حتى في حالة المرض . . هذا الاخلاص أدى به إلى حل قضايا ومشاكل ، تتفاوت أهمية وطرافة . . وأذكر أنه عرضت لنا مشكلة لم نجد لها حلاً أثناء حديثي والسعداوي ، فقد طلب مني أن أوافيه بتنقلاتي خارج البلاد ، وتواريخ التنقلات حتى يوافيني بتوجيهاته ، دون أن يتعرض لها الايطاليون وعملاؤهم ، واقترح عليّ بشير أن أكتب الرسائل باسم شيخ طريقة هو (محمد الكتاني) ، دون أن أذكر اسمي ، وأن الشيخ سيرفع الخطاب له ، فيقف على مافيها . . وفي موضوع التنقلات ، وكيفية اخفائه حتى لا تقع في أيدي الرقابة الايطالية ، فتنتظرني حيث أصل ، وعرض بشير المشكلة على عمر شنيب ، الذي طلب مهلة للتفكير ، وفي اليوم الثالث وجد لها حلاً ، وأبقينا الأمر سراً بيننا نحن الثلاثة ، وكان يتلخص في أن أكتب الحرف الأول من اسم البلد الذي انتقل اليه ومعه التاريخ الهجري بالقلم الرصاص وبخط دقيق ، تحت طابع البريد ، والسر في تحديد القلم الرصاص دون غيره ، هو منع ضياع التاريخ عندما يجري (بل) المظروف في الماء ويرفع الطابع . . وهكذا صرت اكتب مثلاً أسفل طابع البريد (ت١٠صفر) فتؤخذ على الفور على أنني ذاهب إلى تونس في ١٠صفر . . كما حذرني عمر شنيب من وضع أصابعي فوق الرسائل ، وقد طلب مني حلاً لذلك أن ألبس قفازاً . . والطريف أن عمر آخر هو (عمر طالب) خبير البصمات

الليبي ، قد قدم لي الحل عرضا ، عندما قال في معرض حديث أن دهن الأصابع بالزيت ، يكفل اخفاء البصمات ، ولعلي لا أحتاج ههنا الى تأكيد صرامة الرقابة الايطالية . . ولجوئها الى مضايقة بشير السعداوي وغيره من المجاهدين في الخارج . . فضلا عن عمليات التفتيش والاعتقال . . لأقل شبهة اتصال بهم . . تجري من الداخل . . وهذا ما ستبينه الوقائع نفسها فيما بعد . .

(الطرائف والمرارات ..)

كان الغذاء في بيت بشير بسيطا للغاية أيضا . . وقد أوردت شدة بساطته قصة طريفة أخرى . . فالغذاء مكون من أرز يصبون عليه الزبادي اثناء الأكل . . وبجانبه طبق آخر . . حاول عمر شنيب أن يصب فوقه الزبادي أيضا . . ولكني نهيته عن ذلك . . في استغراب وخوف . . هنا ضحك بشير وقال : «نسينا انك ليبي طازج» . . فقد كان ذلك هو العادة السائدة عند السوريين . . وقد روى لنا بشير قصة حدثت في أحد المطاعم . . فقد جاء عامل المطعم لزبون أجنبي بالمأكولات التي طلبها الأخير . . فأسرع العامل بطبق زبادي كبير . . أخذ يصب منه على كل الاطباق الموجودة امام الزبون . . ودون ما استثناء . . واستولت الدهشة على الزبون فاكتفى بالتأمل ، وعندما أفاق فوجىء بنفسه يصب المائدة بما فيها على العامل .

أما المفاجأة ذات الدلالة . . فقد صادفتني وأنا جالس الى المائدة ومع أول جولة قامت بها عيناي في أرجاء البيت . . فالأثاث بسيط جدا وقديم . . بصورة تثير الشفقة ، ولعلني لم أستطع اخفاء قلقي لذلك . . فأجاب بشير بطريقته البسيطة المتواضعة . . ان الصالون فاخر لأنه يستقبل فيه ضيوفه القادمين من اجل قضية البلاد . . وحتى يتناسب مع مكانة الوطن . . ويحقق الأثر المطلوب . . فيشعر الزائرون أن النضال لا تشوبه مظاهر نقص أو عجز مادي . . أما بقية البيت فلا لزوم لأي مظاهر أو تعقيد . . وأضاف المجاهد إن (الصالون) بدوره يعتبر في خدمة القضية وأنهم ربما يحتاجون لثمنه وقت الضيق . . فيبيعونه وفاء لتكاليف منشورات أو اتصالات تخدم قضية ليبيا . . قائلاً : بأنهم فعلا في حاجة

ماسة لثمنه وسيبيعه اذا ما (وقفت الزنقة للهارب) بنص تعبيره . . ولعله في هذه العبارة الأخيرة . . كان يشير الى ما حدث بعد ذلك . . بمدة قصيرة . . فقد راجت شائعات عن اتصالات بين السعودية وبينه ليعمل مستشارا هناك . . ولم يكن يبغي في البداية الذهاب . . مخافة ان يشغله ذلك عن القضية التي كرس لها حياته حتى اضطر اخيرا للسفر عندما وجد أن سفره مفيد للقضية . . وقد اتصل هناك بأحد الليبيين الموجودين في الأراضي المقدسة . بقصد العمل الجماعي من اجل الوطن ولكنه رفض .

(تذكير بما لا ينسى)

. . وعلى المائدة . . وفي منتصف الوجبة . . تضافرجهد بشير وعمر شنيب . . في تذكيري بفظائع الايطاليين ضد العرب . . وآلاف الشهداء . . وغارات الطائرات . . وذلك حتى أذكرها عند من سأقابلهم أو يقابلونني . . فلا تتزعزع الثقة بما تقدمه لجنة الدفاع من معلومات عن المآسي والمحن التي يواجهها اصحاب البلاد . . والغريب أن الوقائع رغم كثرتها وهولها . . كانت حية في ذاكرتهم بصورة أدهشتني . . حتى لكأنهم لم يفارقوا ليبيا ، وانهم يقضون حياتهم متنقلين في أرجائها كشهود عيان على جرائم المستعمرين . . وهكذا توالت الاجتماعات . . وعمليات تقديمي للصحفيين والمسؤولين في سوريا . . قابلت شخصيات كثيرة . . منهم نصوح بابيل صاحب جريدة الأيام والصحفي السوري محمد كامل البني . . صاحب جريدة الأسبوع الرياضي في دمشق . . والذي اشتهر بكثرة التحقيقات معه وكثرة دخوله الى المعتقل الى الحد الذي جعله يحمل فراشه معه عند كل تحقيق . . حتى لقد ترك فراشه داخل المعتقل . . في احدى المرات . . فلما طلبوا منه ان يحمل فراشه لبيته . . قال ببساطة انه موقن انه سيعود خلال أيام . . وقد وقف هذا الصحفي مع لجنة الدفاع بكل ما أوتي من حماس . . رغم معرفته بأن سلطات الاحتلال الفرنسي في دمشق تضايق جميع الوطنيين على قدم المساواة . . وفي وقت واحد . . ولعل في ذلك تفسير لدهشة عمر شنيب . . عندما سمع من بشير انني أتيت اليه رأسا من بيروت . . فرد عمر

محييا جرأتي . . وقال ان أحد الليبيين جاء الى دمشق . . ذهبت للسلام عليه . اذا به ينتقل في اليوم التالي الى فندق آخر . . وذلك مخافة عملاء ايطاليا . . وتقاريرها . . فقد ذكر لي اسم هذا الشخص . . ولكن الذي يمنعني من تسجيله ان الله تعالى أمر بالستر . . والرسول الكريم يأمرنا بأن نذكر محاسن موتانا . .

شدني السعداوي بنفس القوة التي شدد بها عليَّ (أمين سيالة . .) شيخ الطريقة القادرية . . عندما وقف ينصحني . . ويلقنني العهد للانضمام للطريقة . . ويضع على رأسي الراية الخضراء الخاصة بالمريدين . . نفس الانطباع حملته لمعلميَّ الأوائل . . هؤلاء هزوني من الأعماق وأفسحوا لأنفسهم مكانا ثابتا في ذاكرتي وعاطفتي . . وقد واصلت الكتابة لبشير في دمشق . . والتزمت بكتابة تنقلاتي تحت طوابع البريد . . وساعدني على ذلك أن ايطاليا كانت تصدر بين الحين والحين . . وفي مناسبات عديدة طوابع كبيرة الحجم . . وقد لجأت الى شراء الطوابع ذات الحد الأدنى . . من السعر . . حتى يمكنني الصاق اكبر عدد منها . . واستعنت بعبد الله الجزيري خطاط الزاوية القادرية . . الذي كان ينقل المعلومات بخط دقيق جدا . . جميل ومقروء . . كما انني امعانا في التمويه . . عهدت الى كتابة العنوان بالايطالية . . وقد أتت هذه الحيل بنتائجها . . وظلت الرسائل بعيدة عن الرقابة الايطالية . .

الفصل الخامس

طرابلس في فلسطين

كنت أستعد لمغادرة دمشق عائدا لطرابلس . . ولكن دعوة وصلت لجمعية الدفاع عن طرابلس وبرقة ، جعلتني أغيّر طريقي . . كانت الدعوة لحضور مؤتمر عام للأقطار العربية في ذكرى وعد بلفور المشؤوم . . وقد تحدد مكان المؤتمر في كلية الروضة بالقدس الشريف . . كلّفني السعداوي بحضور هذا المؤتمر ممثلا للجمعية ، وقبلت التكليف على الفور ، رغم صعوبات مؤكدة ، اذ انني قبل خروجي من طرابلس ، طلبت من القنصل الانجليزي منحي تأشيرة لدخول فلسطين ، ولكنه أرجأني وماطل عدة مرات ، ثم رفض دون ابداء أسباب . . وهكذا سافرت الى حلب ، حيث توجد قنصلية انجليزية ، للحصول على تأشيرة دخول ، اصطحبت معي قريبا ليبيا يقيم بحلب هو محمد كامل عويدان ، ابن القاضيّ احمد عويدان ، الذي نجا من الموت على أيدي الايطاليين بأعجوبة ، بعد أن اقتحم المسجد يوم الجمعة ، وطالب المصلين بالجهاد وحمل السلاح ضد المحتلين ، وأفتى بأنه لا صلاة ولا مساجد في وجود غزاة أجانب . . وخشي الايطاليون مغبة الأمر . . فألقوا عليه القبض ونقلوه مباشرة الى عنابر الذين ينتظرون تنفيذ أحكام الاعدام ، وبالفعل وضعوا في عنقه الشارة المميزة . . وأبدى أحمد عويدان شجاعة ورباطة جأش نادرة أمام الموت ، فلم يبال . . وأثار ذلك فضول أحد الضباط الايطاليين من حراس السجن ، فناقشه في الموضوع . . فأعاد أحمد عويدان على مسامع الضابط مضمون الفتوى ، وعبثا

حاول الضابط اثارة الخوف في نفسه بالتلويح بشبح الموت والمشنقة أو الاعدام رميا بالرصاص . . إلا أن ما أعقب ذلك كان هو العجب ، فقد أثارت شجاعة البطل واستهتاره بالموت الاعجاب حتى في قلبَ الجلاد الايطالي ، اذ أمسك ذلك الضابط بالقلادة ونزعها من عنق أحمد عويدان ، ثم اصطحبه من يده الى خارج الطابور وقال وهو يودعه ما معناه أن أحمد خسارة في الموت . . وانطلق أحمد من المعتقل مباشرة الى الميناء. وهناك استقل سفينة الى مالطا ، ومنها الى الشام حيث لحقت به أسرته ، وأقام في حلب وظل يحمل واسرته الحنين للعودة الى الوطن الأم الى طرابلس . . وكنت ضيفا عليهم طوال مدة إقامتي بحلب . . اصطحبني ابنه محمد الى مقر القنصل الانجليزي الذي رفض اعطائي التأشيرة أيضا واشترط حصولي على ضمانة أحد المواطنين المقيمين بالمدينة ، وخرجنا من القنصلية لنقف بجانب الباب الخارجي ، حيث كتب محمد صيغة ضمانة ووقعها باسم والده ، وانطلت العملية على القنصل الانجليزي ، الذي منحنى تأشيرة الدخول ، وعدت الى دمشق لأحصل على توجيهات بشير استعدادا للسفر . . وأثناء تجوالنا معا صادفنا محمد كامل البني ، صاحب جريدة الاسبوع الرياضي ، والذي سبق أن قدمني اليه بشير السعداوي ، وقد عرفت أنه مسافر أيضا للقدس لنفس المؤتمر، وطلب منه بشير أن يقدمني للشخصيات العربية التي ستحضره ، وسلمني رسالة الى اللجنة التحضيرية للمؤتمر ، وقال انه بحضوري المؤتمر تكون اللجنة قد أوفدت شخصا يمكنه نقل المشاعر الليبية من داخل الوطن نحو فلسطين العربية وشعبها الشقيق ، والتعبير عن الاستنكار لوعد بلفور المشؤوم وودعني أعضاء لجنة الدفاع . . وقد حجز لي محمد كامل البني في فندق الملك داود بالقدس. ولحق بي هناك وقد ساعدني كثيرا في تعرفي على الزعماء وحضرت معه جلسات المؤتمر ، وأشد ما أثار عواطفي وهزني تلك الكلمات الحماسية التي ألقيت من طرف القساوسة بما فيها من معاني الاخاء بين المسلمين والمسيحيين والتضامن للوقوف صفا واحدا في وجه الصهاينة والانجليز . وبعد انفضاض المؤتمر بدأت في الزيارات والاتصال بالزعماء المناضلين وبدأت الزيارة بمقر المؤتمر الاسلامي العام بالحرم الشريف . . كما تعرفت على أمين الحسيني وجمال الحسيني والطاهر الفتياني صاحب جريدة الجامعة الاسلامية وسليمان الفاروقي صاحب جريدة الجامعة

العربية ، وزرت صحفهم ونواديهم وأحزابهم وتحدثت بتفاصيل كثيرة حية في قضية البلاد ، وقد شجعني على ذلك أسئلتهم ورغبتهم في معرفة ما يجري ، وممارسات الايطاليين ضد أبناء البلاد ، وقابلت المبعد السياسي من سوريا السيد نبيه العظمة ، وقد أنساني حماسي والاجتماعات المتواصلة تاريخ انتهاء جواز السفر ، وفوجئت بهذه الحقيقة عندما هممت بالحصول على تذكرة العودة لطرابلس ، اذ رفضت شركات البواخر العالمية الحجز لي نظرا لانتهاء صلاحية الجواز .

(مطب غريب وحل أغرب ..):

ورحت أدور في حلقة مفرغة طيلة أيام كاملة دون جدوى ، وفهمت في النهاية أنه يلزمني ببساطة أن أرسل جواز السفر الى ليبيا حتى يمكن تجديده هناك فقط ، وقد تطلبت المحاولة تنقلي عدة مرات بين القدس ويافا وحيفا واخذت تلوح أمامي اشباح مأساة حقيقية ، ويتهددني خطر نضوب نقودي ، دون حتى الابقاء على ثمن تذكرة السفر ، وقد شرد بي التفكير ونزلت من السيارة التي عادت بي من يافا الى القدس ، عند الغروب ودخلت المسجد الأقصى حيث صليت المغرب ، ولم أجد داخل حرم المسجد الشريف غير بعض الأطفال يملؤون الماء لذويهم ، وسرعان ما اختفوا ، ولم يبق بالحرم غيري من البشر ،، وعدد كبير من عصافير القصب المعروف عندنا في ليبيا ، استقرت هذه العصافير فوق الاشجار الضخمة القائمة داخل الحرم ، وراحت تكمل ما تبقى في حناجرها من شقشقة استعدادا للمبيت ، وتطابقت الاصوات والاشجار مع نظيرتها هناك فوق أرض الوطن ، وتداعى شريط الذكريات ، وترقرقت الدموع في عيني ، ولم أفق إلا على صوت المزور وهو يعاتبني على بقائي وحيدا على هذا الشرود وكأنه عرف ما ألم بي ، فدعاني لمرافقته للبيت لنتعشى (كسكسى) ، ولا أريد أن أستطرد في سرد مصاعب ومشاق مازالت محفورة في ذهني ، أعادتني بالكامل الى محنة الوطن ووضعتني في قلب الدوامة التي يدور فيها ابناؤه ، مع فارق واحد أساسي ، أو لعل الظرف هو الذي ضاعف من قيمته في تقديراتي ، أعني وجود الأهل

والأقارب وغيرهم ممن يتجرعون نفس كؤوس المرارة والضيم . . كان عليّ ببساطة أن أجد حلاً ، قبل أن تضيع الفرصة الأخيرة ، ووسط هذا الجو النفسي ، جاءت تسرية روحية كتعويض مناسب ، فحظيت بسماع قصة الاسراء والمعراج في تلك الليلة (٢٧ من رجب) وفي مسجد الصخرة المشرفة ، تلى القصة امين الحسيني ، وساد المسجد جو روحي يجل عن أي وصف ، وفي الصباح ، وجدت أبسط حل للمشكلة التي أرقتني فأجريت تحويرا بسيطا بجرة قلم كما يقال ، صار جواز السفر صالحا لفترة أخرى ، ومرة اخرى برزت المشكلة مجددا ، فكثرة ترددي ومحاولاتي مع مكاتب شركات الملاحة ، جعلت الجميع يعرفون حقيقة أمري ، ومن المحتمل أن يبلغوا ضدي الشرطة في حالة رؤية التعديل . . وأخذت أدور في شوارع حيفا بحثا عن شركة ، لم يسبق لموظفيها أن عرفوا بمشكلتي ، وبعد تعب ، وجدت مكتب الشركة الخديوية المصرية ، وهناك عرفت أن الباخرة الموجودة ليس بها أماكن ولا سرائر اللهم الا سطح السفينة ، فهي ليست باخرة ركاب ، ولم يكن هناك ثمّة غير القبول ، وصعدت بين قطعان الضأن والماعز .

(صعوبات في طريق العودة ..)

ونجحت في استئجار سرير أحد البحارة ، وعندما وصلت بور سعيد وأردت النزول من أجل القيام بجولة قصيرة ، منعوني فقد اكتشفوا حقيقة التزوير في جواز السفر (التاريخ) . وفي الاسكندرية تكرر المنع ، وبقيت تحت التحفظ حتى جاء جميل المبروك ودفع لي ضمانا ماليا قدره ٢٠ جنيها فأخلوا سبيلي ، وانتهزت فرصة وجودي بمصر ، فسافرت الى القاهرة ، حيث توجهت الى مكتبة محمد مصطفى الفقيه بشارع محمد علي . . واشتريت كمية من الكتب الممنوعة . . وقمت بتغيير اغلفتها . . وذلك بوضع اغلفة كتب اخرى مسموح بها وأرسلتها على عنوان محلنا في طرابلس كطرود بريدية . . وفي الحقيقة فان لي مع بيع الكتب قصة . . بعيدة تماما عن الاغراض التجارية . فلا يخفى على أحد انها تجارة غير مربحة . . ولا رائجة . . فالبلاد مستعمرة . . واللغة العربية لا تحظى في المدارس الا بحصتين في الاسبوع . . وخلال المرحلة الابتدائية فقط . . اما

المراحل الاخرى فليس ثمة اي دروس للعربية . . كما انه لا يدخلها التلاميذ العرب في أغلب الأحوال بسبب تعنت الايطاليين . . كل ذلك جعل تجارة المطبوعات بائرة تماما . . وبالتالي لم يهتم بها أحد . . وآلمتني هذه الحقيقة . . فكرت شركتنا (شركة ابناء ابراهيم المشيرقي)في جلب المطبوعات . . وقمت بعرضها للبيع في محل للبقالة . . اسوة بالشاهي والدقيق والخضار . . وقد عاونني على اختيار الكتب الجيدة . . استاذي احمد قنابة . . وذلك من خلال الفهارس التجارية للناشرين . . وحالا اتجه تفكيري لادخال الكتب المحرمة . . وقد اخترت كتبا مثل (حاضر العالم الاسلامي) و(الثورة العربية) . . وغيرها . . ونجحت محاولتي . . فقد وصلت الطرود . . بعد وصولي لطرابلس . . وذهبت للمراقب . . وكان اسمه الخواجة امين الحاج . . وأظنه سوري أو لبناني . . فأرفق معي موظفا من البوليس المدني . . وسحبنا الطرود . . لنعود بها الى مكتب المراقب . . ودار الرقيب بعينيه على الأغلفة . . ليتأكد من أنها غير ممنوعة . . وقلب بعض الكتب على سطح الطرود . . وكانت حقيقية . ثم أجاز الطرود . . وبالطبع فلم يكن ثمة هدف لربح من وراء هذه العملية . وإنما الهدف هو أن يقرأها اكبر عدد من المواطنين . . وبحسب نصوص القانون الايطالي المعمول به . . فان جلب المطبوعات المحظورة للاتجار والكسب يلقى عقوبة أخف من عقوبة الترويج لأجل مبدأ أو عقيدة . . ولهذا حرصت على أن يؤخذ أي مقابل ولو رمزي للمطبوعات والكتب المحظورة . . حتى تكون عقوبتنا اخف . . فيما لو وقعنا في قبضة البوليس الايطالي . . استمرت كتابتي للسعداوي في الشام . . وكذلك للقسطلي في تونس ، حرصت على اطلاعهما على القوانين الجائرة التي تستصدرها ايطاليا . . المفارقات الصارخة في الاجور وظروف العمل بين الوطنيين والايطاليين . . واظهار الخلل بين الدخل والمصروف لمعظم الأسر المتوسطة . .

(حفلة .. ردا على مقال ..)

أذكر أنني كتبت في احدى رسائلي للقسطلي عن المعمرين الايطاليين . . وكيف أنهم وصلوا حفاة عراة . . وفي حالة يرثى لها من الفقر والعوز . . حتى

حملتهم القطارات الى المستعمرات الجديدة . . التي بناها الايطاليون لهم . . وقد أفضت في الوصف . . ونقل(القسطلي) الصورة على صفحات جريدته . . وكانت النتيجة ان تأخر وصول الدفعة التالية من الايطاليين المعمرين . . وعندما وصلت الدفعة الجديدة رافقتها فرقة موسيقية . . وظهر جميع افرادها في ثياب جديدة . . وجرت عروض في الميناء . . وشوارع طرابلس . . استمرت طوال اليوم . . وتوالت الاستعراضات الراقصة عند موقع الفندق الكبير . . وعند الغروب حملتهم سيارات أولئك المستعمرين الى مستعمراتهم ، بينما استقل أعضاء الفرقة الفولكلورية الموسيقية الباخرة في طريق العودة الى بلادهم ، كما طلبت من القسطلي ان يطالب بتوصيل شبكات المياه والانارة للأحياء العربية اسوة بالاحياء الايطالية . . والتي يسكنها الاجانب . . وحرضته على اثارة موضوع قصر القروض الزراعية على الايطاليين . . وحرمان العرب اصحاب البلاد منها . . وكذلك منع تراخيص صيد السمك عن الصيادين العرب . . وفي نفس الوقت تواصلت توجيهات بشير . . حثا على التركيز على ضرورة الاحتفاظ بالارض وعدم التخلي عنها للايطاليين تحت أي اغراء . . والعمل على تخفيف ومنع الحزازات بين القبائل . . وايجاد فرص عمل وطني لمن يترك أو يسرّح من الجندية مع الطليان ، حتى يدفع ذلك غيره من العرب لترك عملية الارتزاق من الجندية . . وأيضا الدأب على ارسال الابناء الى الاقطار العربية المجاورة للتعلم والاطلاع على حالة الشعوب . . ومقارنتها بحالة الشعب العربي الليبي . . وقد غاب عنه صعوبة تنفيذ هذه التوصيات . .

(في مواجهة المخطط الرهيب)

ومن توجيهاته ايضا . . عدم الاعتماد على المساعدات الايطالية بأنواعها . . والاشادة بكفاح ابناء الوطن في الخارج . . وعدم التهوين منه وقوعا في مخطط الايطاليين لنشر اليأس وتعميمه بين الوطنيين . . واستمر الناس في جلسات الشاهي يتناقلون الأخبار العامة . . ويتعرضون للمحتلين . . ولتصرفاتهم رغم تشديد الرقابة . . والاستتباب الظاهري للأمور لصالح الايطاليين . . وبدأ تطلع الناس ايضا لمعرفة ما يدور في المغرب وسوريا والبلاد العربية الأخرى . .

خصوصا العراق وفلسطين . . وكنا في الحقيقة نعلق الآمال على الملك فيصل الأول ملك العراق . . ونتابع اخبار شكيب ارسلان . . وكفاح الأحزاب المصرية . . وخاصة الوفد المصري . . وزعيمه مصطفى النحاس . . والمؤتمرات الاسلامية . . ونعيش مع بطولات عبدالكريم الخطابي وعبد القادر الجزائري . . وتمتد بنا الاشواق الى ماضي العرب المجيد في الأندلس . . الى غير ذلك من الأحداث تبعث وتجدد الأمل في النفوس . . وبالطبع فان ذلك كله في الخفاء وبعيد عن عيون الايطاليين . . فلم يهدأ هؤلاء . . أن يتركوا فرصة للتيسير على الناس حتى يتنفسوا أبسط قدر من نسائم الحرية . . بعيدا عن القلق . . بل انه حتى عندما هاجمت ايطالية الحبشة . . وتمكنت من التغلب عليها بدأت الأسلوب الدموي الهمجي الذي طبقوه في ليبيا حتى بعد حدوث هذا . . كانت بعض المجلات العربية تصلنا . . ومن بينها مجلة الرسالة الأدبية المصرية . . وقد حمل العدد ١٠٨ من هذه المجلة . . قصيدة ثناء وتشجيع للأحباش . . وهجاء للايطاليين . . مطلعها يقول :

أمة الأحباش يا أسد الحمى   عَلِّمي الطليان عقبى من بغى[١]

وبعد ساعات من وصول المجلة . . جاء أحد المقربين لايطاليا . . وطلب أن يرى المجلة . . وبحسن نية قدمت له نسخة . . فأخذ يقلبها . . حتى وصل الى القصيدة . . فتوقف عندها . . وقال انه لابد من الانتقام من المراقب . . وحاولت عبثا ان اثير فيه نخوة الرجولة . . لكنه أصر على حمل المجلة الى البوليس حتى بعد ان افهمته انني سأتعرض لاستدعاء البوليس وللتفتيش . . وبعد ساعة من انصرافه . أخذت تتتالى عمليات الايطاليين . . جاء رجال الأمن فسحبوا النسخ . . ثم أعقبهم رجال البوليس المدنيين . . وطلبوا مني أسماء الزبائن (القراء) الذين اشتروا الأعداد الناقصة . . فادعيت اني لا أعرف ولا أتذكر اسماء

---

(١) مجلة الرسالة ، عدد ١٠٨ ، قصيدة فخري أبو السعود ، عنوانها : (سودٌ قمصانُكم حُمرٌ غدا) ، الاثنين ٢٨ ربيع الثاني ١٩٥٤ - ٢٩ يولية ١٩٣٢ ، السنة الثالثة ، ص ١٢٢٩ .

وعناوين الجميع . . وذكرت لهم أسماء وعناوين أناس ذي صلات طيبة بالايطاليين ولا يخشى عليهم من العقاب . . وأخفيت اسماء الوطنيين الذين أوقن أن مجرد ذكر اسمهم سيعرضهم لأفظع ألوان العقاب والانتقام . . وزيادة في الحرص عليهم . . سحبت منهم الأعداد . . وقدمتها للسلطات مدعياً أنني كنت قد وزعتها على محلات أخرى .

حدة الرقابة وصرامة العقوبة

ربما بدا الأمر تافها . . تحت أضواء نظرة حالية . . لكنه وقتها كان يعني الكثير . . ولذلك فانه عندما فشلت محاولاتي مع هذا الشخص . . لجعله يعدل عن التبليغ . أسرعت بجمع ما في حوزتي من محظورات . . ووضعتها طرف جاري في المتجر على بوحلقة . . وقد كان في منتهى الاخلاص والحرص على ما أودعته اياه . . وفي كل مرة منها تتردد في سخف وغباء اتهامات وشكوك . . هي نفسها حتى ان الرد عليها يبدأ دائما بكلمتين . . سبق أن ذكرت . . ثم أروي القصة أو الاجابة من جديد . . ولم يكن ذلك بالنسبة لي وحدي . . وانما عانى منه كل من استدعاهم الايطاليون .

الفصل السادس

تقنين المفارقات والمظالم

عزمت على السفر لتونس ، والاستفادة من عمليات التفتيش والتحقيقات والاستدعاءات التي دارت بسبب مجلة (الرسالة) أردت أن أتبع اسلوبا جديدا يجنبني المزيد من مضايقات الايطاليين ، ويمكنني في نفس الوقت من نقل صور لما يجري في البلاد الى الخارج ، خاصة تلك الصور والممارسات التي كان يحرص الايطاليون على ابقائها طي الكتمان ، فلا يسمحون لصحف المعارضة في بلادهم ، ولا لمندوبي الصحف الأجنبية الأخرى في طرابلس بالاطلاع عليها أو الاقتراب من مواقعها . . وفي الحقيقة كانت الممارسات الخاطئة ، بل والمجرمة كثيرة الى الحد الذي يحتم عملية الانتقاء . . (من جهتي حاولت قدر استطاعتي أن أسجل بعض ماقد لا تسعفني به الذاكرة) ففي ليبيا ضرب الايطاليون عرض الحائط بالقيم والأخلاق والقوانين ، على الرغم من أنهم يعتبرون أنفسهم أحفادا للرومان الذين نبغوا في وضع التشريع وصاغوا القانون الروماني الذي ما يزال يدرس في الاكاديميات وكليات الحقوق حتى وقتنا الحاضر . ولعل الايطاليين لم يستمدوا من ذلك التشريع الواسع غير ما يتعلق بقانون السادة والعبيد . وأكتفي فيما يلي بعرض ما ابتدعوه من قوانين تمس الشارع والحياة اليومية بصورة مباشرة وأخص بالذكر منها :

ـ قوانين تمنع العرب من دخول الدرجة الأولى بالحافلات العمومية ، اذا ماكانوا يرتدون زيهم العربي . . هكذا . .

ـ قوانين تحرم على العرب ركوب العربات والكروسات الأجرة ، حتى لا يتحول قائد العربة أو الكروسة الى عامل في خدمة العربي ، فتسنح بذلك الفرصة المحرمة بوقوف العربي في موقع متفوق النسبة للايطالي صاحب الكروسة أو سائق العربة .

ـ قوانين تحرم على العرب نهائيا ، بأي لباس ، دخول مصايف (الدريجيبلي) وهي اجزاء من شواطىء البلاد اقتطعها الايطاليون وأداروا حولها الأسوار والأسلاك وخصصوها لأنفسهم .

ـ قوانين تمنع العرب باللباس الوطني والملونين (هكذا . .) من دخول (الليدو) وهو شاطىء آخر للاصطياف . . ودون ما أدنى تقدير لمسؤولية قانونية أو احترام لنص أو روح قانوني . . وكان لليهود مصيف خاص تابع لنادي (مكابي) . . واذا كان هذا حال القانون . . فان الممارسات تجاوزت أي تعقل أو منطق . . وظهرت للمواطنين سافرة الحمق . . صارخة الوجه دلالة على الغطرسة والغباء .

(.. شوارع ممنوعة على العرب)

ولأنني قررت هنا . . أن أذكر فقط . . ما رأيته بعيني رأسي . . فانه في الأعياد وأيام الآحاد عامة . . لفت نظري . . ودون وجود قوانين من الدرب السابق اياه . . أن الايطاليين يعمدون الى وضع الحرس البلدي عند مداخل سوق الترك . . وشارع فيكتور عمانويل الثالث . . أعظم شوارع طرابلس . . وليس لهؤلاء الحرس من وظيفة . . غير منع العربي من دخول هذه المناطق . . اذا كانت ثيابه رثة . . ولا يمكن بأي حال من الأحوال مقارنة ذلك . . أو تقريبه بأي وجه من الوجوه . . بما فعله الطليان الفاشيست ضد الايطاليين الديمقراطيين داخل البلاد . . رغم ان عمليات الفصل من الوظائف جرت على قدم وساق . . ومظاهر مطاردة الديمقراطيين ومراقبتهم تواصلت بنشاط ، والامتيازات اقتصرت على الفاشيست دون غيرهم من أبناء ايطاليا الآخرين . . وتحول القميص الأسود

(رمز الفاشيست) الى طالع سعد . . يجلب للابسه الفرص والاستثناءات والامتيازات الأكثر في كل امور الحياة . . بدءاً بالمعاملة . . والاحتفالات . . وانتهاء بالمساكن وشروط العمل . . المهم . . كانت أعماقي حقيقة ممتلئة بصور وذكريات الجرائم والأخطاء الايطالية في حق الشعب والأرض . . ومع ذلك خفت أن يفوتني شيء مهم . . خاصة وان الذاكرة غالبا . بل والعاطفة الانسانية عامة تستهويها التفصيلات أو اللمسات الحادة الصارخة . . فتتوه عبرها مخلفة او مسقطة امورا اكثر اهمية وحيوية . هنا لجأت الى عبد الله الجزيري الخطاط الشهير . . حملت اليه كمية من أوراق في حجم لف السجاير . . وكتبت له الوقائع التي أريد حملها معي للخارج مكتوبة . . وراح الشيخ يكتب بقلم دقيق . . بأحرف غاية في الصغر . . في سطور متلاصقة . . بخط آية في الجمال والتنسيق والوضوح أيضاً . .

(في أوراق البافرة)

ولم يشبعني ما سلمته للجزيري . . فرحت بدوري أنسخ امورا اخرى بخطي . . وكـان تقديري في البداية ان اضع جزءاً من اوراق (البافرة) المكتوبة وسط زميلاتها في علبة لف السجاير العادية . . منتحلا هيئة مدمني التدخين . . ولما زادت اوراق البافرة . . لجأت الى غطاء رأس (الكبوس) وحشرت فيها القليل داخل حاكمة النوارة . . أما التفتيش عند الحدود . . فان المفروض فيه . . أن يقتصر على المشتبه فيهم . . من جانب الايطاليين طبعا . . وهنا تبرز صورة ساخرة اخرى . اذ كان التفتيش يمتد الى الاغلبية الساحقة من الداخلين والخارجين على حد سواء . . وهذا دليل مادي ايضا على الممارسات الايطالية . . وتصوراتهم عن مشاعر الناس وأحاسيسهم ضدهم . . والتفتيش يمتد من الحقائب . . الى الجيوب . . الى بقية اجزاء الملابس . . والنساء ايضا تنتظرهن إمرأة ايطالية لاجراء التفتيش الذاتي . . خلف ستارة . . وزادت الأمور تعقيدا . . اثناء وبعد الحرب الحبشية . . وظهر جليا حرص ايطاليا . . وخوفها من قيام أي اتصالات بين الاقطار أو الأجزاء العربية المشتتة . . بين بنغازي ومصر . . أو طرابلس وتونس مثلا .

(تعاون مشترك ضد العرب ..)

.. والغريب .. الذي طالما لفت النظر .. أن الايطاليين والفرنسيين .. رغم الخلافات السياسية ومظاهر العداء التي وصلت للحرب ، انهم كانوا متضامنين حول هذا الموضوع .. ويتساويان حرصا على عدم قيام هذا الاتصال .. فتشددوا معا .. وتعاونوا في اجراءات التفتيش .. ولم يترددوا معا ايضا في تبادل المعلومات وتسليم أي شخص أو أي بيانات عن شخصي .. يحاول ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء .. واذا كنت قد رأيت ذلك بعيني .. وعايشته .. ووقفت عدة مرات في الطوابير الرهيبة للتفتيش .. وأنا أدخل تونس أو أعود منها .. فانني سمعت الكثير مما يكاد يتطابق في أدق التفصيلات .. لما يجري على حدود مصر ايضا .. وما يتعرض له العرب .. سواء الليبيون أو المصريون .. من الغزاة الاستعماريين .. سواء كانوا ايطاليين أو انجليزاً ..

(بلادي .. في قصائد شاعر الشباب ..)

وصلت الى تونس أخيرا .. ونزلت بفندق الرياض الذي يديره محمد البخاري الغدامسي وهو بيت قديم حوله الى فندق .. وبدأت العمل .. وعلى المقهى نفسه .. وفي نفس المكان .. وجدت شاعر الشباب (محمود بورقيبة) .. على نفس عادته .. رويت له ما يجري في البلاد .. وصرنا نتقابل ليصحبني معه الى المقهى .. وهناك يرتفع صوته بقراءة ما سطر من قصائد عن القومية العربية .. وضد المتجنسين بالفرنسية من ابناء تونس .. وهجوماً على الاحتلال الاجنبي الفرنسي والايطالي .. ويرتفع صوته تدريجيا حتى يطغى على كل ما عداه .. فتتوقف ماكينة الغناء التقليدية التابعة للمقهى .. ويترك كل الجالسين أحاديثهم الجانبية .. وينصتون اليه . وينتقل (محمود بورقيبة) من قصيدة الى قصيدة .. وصار شاعر الشباب يشارك في كل مناسبة وطنية .. فيلقى فيها ما نظمه من شعر .. واحتلت طرابلس الغرب مكانها في هذه القصائد ..

وعند وصولي الى تونس هذه المرة . . عرفت خبرا تناقله الذين اتصلت بهم . . وهو وجود بيرم التونسي بينهم . . فقد أبعده الانجليز من مصر . . وأسرعت إليه . .

(الصردوك .. ووعي بيرم ..)

كان يصدر في تونس مجلة أطلق عليها اسم (الصردوك) (أي الديك) . . رمزا للطائر الذي يصيح في أي وقت . . ولا يمكن لأحد أن يسكت صوته . . مهما أوتي من قوة أو جبروت . . طالما انه (الديك) على قيد الحياة . . والجريدة جادة الموضوعات . . وان مالت الى تناول الأمور في قوالب وصيغ ساخرة لاذعة . . وقد قابلته ايضا في مقهى بالقرب من ميدان (الحلفاوين) الكبير . . وقد اعتاد الجلوس فيه مع أصدقائه محبي فنه . . وكان يزيد عددهم من حوله . . عن خمسة عشر . . وقد عرفته بنفسي . . وذكرته بلقائنا السابق . . على مقهى بسيدي أبي العباس بالاسكندرية . . حيث دار بيننا حوار عن ليبيا وجرائم الاستعمار . . وحيث تأثر كثيرا مما سمع . . وقد تذكر بيرم التونسي . . وأعاد على بعض تفصيلات مما دار في اللقاء . . وأفرد لي مقعدا بجواره . . واستمهلني كي ننصرف معا . . وعند قيامنا وانصرافنا من القهوة . . اخذ يستمع لي وزاد بأن أخبرني أنه سيسلمني قصائد كتبها عن ليبيا . . وما يجري فيها . . سمعت من بيرم تعبيرات وتأكيدات تنم عن ايمان كامل بحتمية الوحدةالعربية . . وقد حمد الله . . اذ أن الاسم الذي اشتهر به (محمود بيرم التونسي) قد تسبب في منع الانجليز من الزج به في السجون . . فوجوده (التونسي) جعل الانجليز لا يرون ضرورة في تأكيد معنى وحدة الوطن العربي . . اذا اعتقلوه . . ومن ثم اكتفوا بابعاده عن مصر . . وقد كتب موضوعا لما يجري في البلاد . . استنادا على ما سمعه مني .

(اتصالات حتى الجزائر ..)

وتكرر اجتماعي أيضا بمحيي الدين القليبي الرجل الثاني في الحزب الحر الدستوري . . فقد كان يشغل منصب نائب رئيس الحزب . . وقد شرحت له ما

يجري . . وأفضت في الشرح والتدليل استنادا لما كانت له من شهرة وسمعة في تونس كلها . . سواء داخل الحزب أو خارجه وتردد اسم طرابلس في خطب (القليبي) ومقالاته . . وقد نصحني هو ايضا بالاتصال بالقسطلي صاحب جريدة (النهضة) . . وطلب مني أن أداوم الاتصال بالقسطلي كسبا لتأييده . . دون أن أذكر له اتصالي أو معرفتي بالقليبي . . حتى يتحرك القسطلي للكتابة بدافع ذاتي قومي . . من غير احساس بأنه موجه أو مأمور من داخل الحزب . . وقد ساعدت اتصالات القليبي بالجزائر . . وسفرياته العديدة لها . . في افادة القضية الليبية كما حرك العديد من الجمعيات الأهلية لصالح القضية . . منها جمعية العلماء التي يرأسها عبد الحميد بن باديس وكلف محمد بشير الابراهيمي أن يتبنى قضيتنا . .

(مضامين وقيم ممنوعة ..)

وجدت في انتظاري بتونس ، طرف أخي سليمان حيث كان مقيما مع اسرته ، مجموعة من المنشورات التي اصدرتها جمعية الدفاع عن طرابلس وبرقة . . في الشام . . وعدداً من الكتيبات عن القضية الفلسطينية . . وكلها كنت ارسلتها في طرد بريدي الى تونس . . ولما كان من المتعذر حمل المنشورات مطبوعة . . كي لا تثير الشبهات . . فقد بدأت في نقلها بخطي . . أما الكتب . . فانها بدورها ممنوعة . . ورغم أن فلسطين بعيدة عن ايطاليا . . فإن الايطاليين تصدوا بكل ما يتعرض لقضيتها . . وبصفة عامة لكل مطبوع من شأنه أن يثير حماسا في النفوس . . أو يقوي بارقة أمل في الأعماق . . أو حتى يعول على قيمة انسانية ايجابية . . ولو مجردة . . كالحرية . . أو المساواة . . فضلا عن الاستقلال . . والعدالة . . وغيرها . .

نقلت بخطي أيضا مقالات الصحف المنشورة عن طرابلس . . وتصادق أثناءوجودي بمحلات (مكزان جنـرال)بتونس العاصمة. . أن وقعت عيني على صورة متحركة (للنجاشي) وهو يرقص على قبره . . والنجاشي بالطبع يرمز للحبشة كلها . . من هنا فان مفهومها قد يجعل رجال الشرطة على الحدود . . وحرس الجمارك ينشغلون عني وبالفعل اشتريتها . . وفي السيارة استقر معي

يهودي قال انه أسلم وتسمى (عبد الله) . . وأنه كان في الجزائر حيث تزوج فرنسية تعرف بعض الكلمات العربية . . وعندما توقفت السيارة أمام حرس الجمارك الفرنسيين في نقطة بن قردان . . استخدمت الفرنسية ابتساماتها . . وكانت لعوبا . . فاستجاب الحرس . . ولم يتعرضوا للسيارة او يقتربوا من حقائبنا . . ولكن عند نقطة (الجمارك) على الحدود الليبية . . اختلف الموقف . .

(ساعة الحساب الدقيق)

. . . وجدنا أمامنا سيارة وجهتها تونس . . قادمة من طرابلس . . وكالعادة يتعرض ركابها لعملية تفتيش دقيقة . . امرأة تابعة للشرطة الايطالية تتولى أمر النساء . . أما الرجال فان كل واحد منهم قد تفرغ له عدد من رجال الشرطة والجمارك في وقت واحد . . الاستجوابات . . وعمليات التفتيش تدور في وقت واحد . . ومن الكل بلا استثناء . . ودارت عيني في المكان . . فإذا بعدد من القيود الحديدية . . جاهزة على الحائط . . في صورة تثير الرعب . . هنا قفزت لذهني صورة واصف القرقني . . ابن بلدي الطيب . . الذي كان يتردد بين طرابلس وتونس . . في زيارات لأقاربه الهاربين في تونس . . ومنهم صهره (يوسف قرجي)كنت قد أوصيته أن يحضر لي بعض هذه المطبوعات الخاصةبوقائع مؤتمر وعد بلفور المشؤوم المذكور آنفاً . . وقد بنيت طلبي على أساس أن واصف القرقني لم يكن محل شبهة . . وبالفعل حمل اجزاء من الأوراق . . وعندما عاد الى طرابلس . . ذهبت اليه . . اعترف لي بأن الموقف العسير في نقطة أبي كماش . . وعمليات التفتيش الرهيبة . . جعلاه يتردد . ثم يتخلص من الأوراق بجوار كومة حجارة هناك . . وأفقت من سرحتي لأجد ان دورنا ما يزال في التفتيش . . وأن الافلات بما في جيبي . . ضرب من المستحيل . . أو هو المستحيل بعينه . . فإن ثمة فرصة محدودة جداً أمامي . .

(بلع الأوراق والمستندات ..)

واستأذنت في الانصراف لقضاء حاجة . . واستدرت بعد خطوات قليلة فلم أجد أعينا تراقبني . . وهكذا توقفت . . حتى لا أثير مزيدا من شكوك . .

وأخذت أدخل يدي في جيبي فأخرج الورقة تلو الورقة . . وأحشرها في فمي . . وألوكها ثم أبلعها . . جف ريقي تماماً . . وما تزال في الأوراق بقية ولكن الجروح والآلام في حلقي . . أخف كثيرا مما ينتظرني . . وانتهيت من بلع الأوراق . . بعد عملية مؤلمة حادة[1] . . وعدت الى مكاني في طابور التفتيش . . ولم تشفع ابتسامات الفرنسية اللعوب لها ولا لزوجها . . فأخذتها الشرطية خلف الستارة . . أما الرجال فقد تولى أمرهم نوعان من الشرطة . . البوليس الملكي . . وهم يتتبعون الأمور السياسية . . وكان يجري اختيارهم وفق مواصفات خاصة . . مثل حسن السمعة وطول القامة . . والتسمية الايطالية . . تضيفهم الى ملك ايطاليا . . وثم رجال الجمارك . . وهم ايطاليون أيضا . . ويهتمون بكل ما يتصل بالجمرك . . وتحصيل الرسوم . . وهي عديدة . . تجري جبايتها على العطور والملابس . . وغيرها . . ويمكن القول أن تجارة الشنطة راجت بين تونس وليبيا في ذلك الوقت . . فمن ليبيا كان يخرج البوخة (العرق) بطريقة سرية لتونس . . والذين يحملونه معظمهم من اليهود . .

(خوفا من تحقيق ربح)

. . وحتى لا يحقق الليبيون ربحا . ـ كما يتوهم الفرنسيون ـ فانهم شددوا الرقابة . . وبالغوا في تحصيل الرسوم . . اما المجلوبات من تونس . . فانها تركزت حول العطور . . وخاصة (الكونتيل) وهو أسلاك فضية رقيقة . . تطرز بها ملابس العرائس والوسائد واللوحات وغيرها . . وكان ثمنها مرتفعا جدا في طرابلس . . بينما تباع رخيصة جدا في تونس . . ولذلك فان هذا أغرى البعض . . بالذهاب في رحلات لتونس وقضاء عطلات . . والترفيه . . وكل نفقات الرحلة تغطيها العودة بكيلو جرام من (الكونتيل) . . وأدرك رجال الجمارك الطليان هذه الظاهرة فركزوا على التفتيش . . وتحصيل الرسوم العالية . . ولعلهم كانوا أيضا يبغون تحقيق أو توفير فرص لأرباح عالية لتجارهم في داخل البلاد .

---

(١) من بين تلك الأوراق رسالة من الأمير شكيب أرسلان رداً على رسالتي إليه من تونس وقصاصة جريدة تونسية بها مقال لجبهة الدفاع (فرع تونس) .

فضلا عما وفرته عمليات التفتيش الدقيقة والقاسية . . من فرص لتشديد الرقابة منعا لدخول المطبوعات الممنوعة . . ولم يكن صعبا ادراك أن المقصود بهذه الاجراءات وعمليات التفتيش هو الجانب السياسي أساسا .

(التفتيش والمفاجأة)

أخيرا امتدت الأيدي الى حقيبتي . . وجاء دوري في التفتيش . . وجاءت معها المفاجأة التي قلبت الأمور الى حد فاق أبعد حدود خيالي . . فما أن فتح الايطالي حقيبتي . . ورأى أعلاها صورة النجاشي المتحركة . . حتى أطلق صيحة . . ونادى في أثرها على زملائه وأمسك (باللعبة) يحركها وقد علت الابتسامات وجوه الجميع . . وتحولت الى قهقهات مجلجلة . . وهم يشهدون رئيسهم يحرك الصورة . . ونظر الي وقد لمعت عيناه ببريق عجيب . . ومسح على كتفي . . وقد هزته النشوة . . فطلبت منه أن يحتفظ بها . . وفعلا هم بأن يفعل . . لكنه بعد تردد قصير . . وضعها في مكانها من الحقيبة . . وأعاد غلق الحقيبة دون أن يمسها أو يمس ملابسي واحد منهم . . فقد استنتجوا أني فاشستي بلباس عربي . . وصافحني الرجل . . قائلا إنه سيحضر مثل هذه اللعبة تماماً لنفسه . . حتى جواز السفر لم يفحصوه . . أو يمنحوني تأشيرة الدخول . . واختلطت في أعماقي شدة الفرحة . . بالندم والأسى . . فلو أني أبقيت الأوراق التي بلعتها لمرت بدورها . . ولما تورم حلقي . . وآلمتني الجروح فيه . . ولما أحسست بحاجة لطلب كميات من الماء . . أتغلب بها على الغصة في حلقي وجوفي . . ولكن قياسا على النتيجة . . فقد كرر لساني عدة مرات وبصورة تلقائية (الحمد لله) . .

(استدعاء لمقر الشرطة)

بدأت في سرد ما سمعته وقرأته من مقالات عن ليبيا للأصدقاء متحريا منتهى السرية والحذر حتى لا نتعرض لعمليات الانتقام من الايطاليين . . ويتبادل الوطنيون بنفس الحذر ما قلته لهم في جلسات شرب الشاي والزرادى . . لم يكن

ثمة مذياع أو وسائل اعلام يمكن أن يستقوا منها شيئاً . . أي شيء . . وطالما دفعنا حماسهم والحاحهم في الاستجواب الى تكرار رواية أو قراءة ما سبق أن أبلغناه لهم . . وأحياناً كنا نستخلص استنتاجات محضة فنجيب بها على تساؤلاتهم . . وربما كان الاخلاص للقضية . . وعمق الحب للأرض . . هما المحك لهذا الشعب الثائر . . وسارت الأمور بيننا بصورة تكاد تنأى عن عمليات التفتيش والمضايقات التي استهدفت مجموعات شرب الشاهي وسائر تجمعات الوطنيين الأخرى .

ولكن في ظهر أحد الأيام الأخيرة من شهر اكتوبر من نفس عام ١٩٣٥ . . وبينما كان أخي علي يعمل بمتجره بشارع الحران . . إذا بمحمد بفني الشوشان . . الذي يعمل شرطيا مدنيا مع الشرطة الايطالية . . اذا بالرجل يدخل على أخي علي ليخبره بأن الشرطة المدنية يطلبون (الهادي) للحضور في الساعةالرابعة بعد الظهر بمركز الشرطة . . وكان في طاحونة الدقيق القديمة . . قرب الكاتدرائية . . وهمس الشرطي بنصيحة كي يبلغها أخي لي . . ومفادها أن أتشجع وألا أكترث أو اضطرب . . ولم يكن لدى الشرطي المعلومات التي تمكنه من الاجابة على استفسارات أخي . . حول سر الاستدعاء . . أو ماذا يمكن أن يكون وراءه من تحقيقات أو تحريات . . ولكن المغزى من النصيحة . . هو مجرد الاستنتاج بأنه ليس لدى الطليان وثائق أو أدلة ضدي . . وإلا لتم الاستدعاء في صورة أخرى . . أي بواسطة القيود الحديدية . . بعد هجوم وتفتيشات للسكن ومكان العمل وغيره . . وبالفعل لقد بدا الاستنتاج منطقيا محضا . . وان بقيت الممارسات الايطالية سببا ومدعاة لسطوة خوف على مصيري بين الأهل والمعارف . . ومرت الساعات ثقيلة . . حتى حان الموعد ، فتوجهت إلى المركز المذكور ، وجدت أنه قد سبقني الى هناك كل من محمد بفني ، بلقاسم الزرقاني وسليمان عريبي . . وعلى محمد ابو صرة . . وهم من رجال الشرطة المدنية (القسم المدني) . وبعد حوالي نصف ساعة وصل ضابط ايطالي (كولنير) . . واستدعاني الى مكتبه . . ثم فتح درجا بالمكتب. . حيث أخذ منه ملفا . . وبدأ يقرأ . . ثم أعاد الملف الى مكانه . . وأخذ ورقة وقلما . . وبدأ في استجوابي . . وجاء السؤال الأول ليجلي حقيقة الأمر بعض الشيء . . ثم سألني . . السؤال

على البلاد التي زرتها . . وأجبته . فعاد للسؤال عن الذين أعرفهم في هذه البلاد . . فسميت له في سوريا صهري (ابن عويدان) وعبد الغني الشيخ . . ثم سألني : وفي مصر . . فقلت انني أعرف أم كلثوم . . ومحمد عبد الوهاب . . وبديعة مصابني وببّا عز الدين ، فسأل : وماهي مناصبهم وأعمالهم . . وعندما أجبت . . سأل من جديد : ألا تعرف غير الفنانين . . فرددت ، أعرف كذلك بعض مكاتب النشر والتوزيع للمطبوعات التجارية . . هنا تدخل محمد بفني الزنتاني قائلا: انه عندما تأتي الفرق الفنية الى طرابلس . . يكون (الهادي) معهم . . هنا هز الضابط الايطالي وسطه . . في رقصة خاطفة . . وهو جالس في مكانه . . وردد ويرقص معهم . . أليس كذلك . . فأجابه الزنتاني بدون تردد (نعم) . . وأمن عليه بقية الحاضرين من زملائه . فجال ببصره فيهم . . ثم قال لي اذهب لحالك . . ولم أصدق ما سمعته . . فكرره الضابط الايطالي بحدة . . وخرجت من القسم . . وأنا لا أكاد أصدق . . فقد تواتر ان الشرطة الايطالية لديها معلومات عن نشاطي . . ومن خلال مبالغات وتهويلات . .

(السبب له مغزاه أيضا)

. . وان كان السبب المباشر لاستدعائي . . قد انحصر في واقعة لها دلالتها أيضا حول صرامة الرقابة الايطالية . . وترجع الواقعة . . إلى أنه بعد مصادرة عدد مجلة الرسالة . . والذي صودر بسبب القصيدة التي تشيد بنضال الحبشة ، قام بزيارتي على اثر ذلك وبصفة سرية مراقب المطبوعات وهو لبناني كما سبق ان ذكرت . . وحذرني من أن الايطاليين لن يتركوني في المرة القادمة . . في حالة قيام أي شبهة ضدي . . ونصحني بالكف مؤقتا عن احضار المجلات المصرية . . مثل مجلة الهلال والرسالة . . وغيرها . . ولما توسمت الاخلاص في كلام الرقيب . .توجهت الى البريد . . حيث أبرقت الى ادارات هذه المجلات في مصر . . وأخذت كلمة واحدة في البرقيات هي (توقفوا) . . ومدلولها واضح وهو طلب عدم ارسال المزيد من الاعداد . . وأثارت هذه الكلمة شكوك الايطاليين فأبلغوا الشرطة لتقوم باستدعائي والتحقيق معي . .

وازاء كثرة الاستدعاءات والتحقيقات . . وماصاحبها من مضايقات . . كانت تتزايد حدة وتنوعا في كل مرة . . ازاء ذلك نصحني اخي علي بمغادرة البلاد لفترة قصيرة . . حتى نقطع الطريق على الايطاليين أمام محاولة ادخالي السجن . .

وأيد أخي في هذه النصيحة أحمد قنابة وجميل المبروك . . وتقدمت في ذلك الوقت في يونيو عام ١٩٣٦ طالبا تأشيرة خروج . . وعلى الفور رفض طلبي . . وتكرر هذا الرفض نفسه . . تحت ظروف مشابهة . . في عهد الادارة البريطانية عام ١٩٤٤ . . عندما تقدمت طالبا تأشيرة خروج للحج . . فاستثنتني الادارة البريطانية . . وسمحوا لبقية رفاقي . . وكررت الادارة منعي من السفر الى مصر في عام ١٩٤٦ . . فإذا لم يكن ذلك مستغربا في عهود الاحتلال والاستعمار . . فان الغريب ان نفس الشيء تكرر في عهد ما أسموه بالاستقلال . . ففي عام ١٩٦٧ ميلادية لم يسمح لي بالسفر للخارج . . وزادت السلطات في المرة الأخيرة . . أن حجزت جواز سفري . . ولم أتسلمه إلا بعد سقوط الوزارة .

الفصل السابع

أربعة كيلو مترات.. خارج طرابلس

أشبه بجرس تحذير خفيف لي ولزملائي .. ملت الى تفسير عملية الاستدعاء لقسم الشرطة .. ومن ثم اتفقنا على اتخاذ مزيد من الاحتياطات .. حتى لا نقع فريسة سهلة في أيدي الطليان .. وهداني تفكيري الى مزرعة يمتلكها اخوالي في رأس حسن .. على مسافة أربعة كيلو مترات من قبل طرابلس كان لأبي نصيب صغير في ملكية هذه المزرعة .. واستقر رأيي على انشاء كشك و(كوخ) صغير فيها .. وقد شجعتني عزلة المزرعة .. وعدم وجود مساكن حولها .. على السير قدما في التنفيذ .. حملنا على اكتافنا كميات الخشب اللازمة للكوخ .. وكنا نضطر لخلع احذيتنا في منتصف الطريق .. حتى نتجنب امتلاءها بالرمل .. وعملية المعاناة .. المضاعفة في نزع اقدامنا الغائصة لمسافات عميقة في الرمال .. وقام بدور رئيسي معي في العملية .. الصديقان عبد الباسط سيالة .. ومصطفى الأرناؤوطي .. فكنا نصلي الفجر معا في الزاوية القادرية .. ثم نرفع الاخشاب الى المزرعة .. ولمزيد من التمويه .. أقمنا ملعب كرة في جوار الكوخ .. وصرنا نتظاهر بلعب الكرة .. طالما هناك حركة .. أي حركة مشبوهة .. حولنا .. من مرور بهائم وعربات حنطور .. الى غير ذلك من حركة الطريق .. وعندما تهدأ الأمور .. نخرج مافي حوزتنا من مطبوعات ممنوعة .. ونبدأ في القراءة والمناقشة .. ومما يزيد من نشاطنا حضور استاذي احمد قنابة واحمد راسم باكير وجميل المبروك واخي علي وآخرين .. ورغم بعد المسافة

وعدم مأهولية المكان . . وموقعه الموحش . . فضلا عن وعورة الأرض . وامتلائها بالعقارب . . وتعدد اصاباتنا بلدغاتها . .

(الراحة بعد التعب)

. . ورغم ذلك كله . . فان الجميع اعتبروا المكان حلا . . وفرصة للافلات من الرقابة الايطالية والابتعاد عن عيون الفضوليين . وقد تغلبنا على اللدغات بحمل (امواس) صغيرة نظيفة . . نشق بها عدة جروح حول المكان . . ثم نمتص السم المختلط بالدم . . وقد شكل هذا .ـ مؤقتاً ـ مواجهة حاسمة لمشاكلنا مع العقارب . . وبدت العقارب الحشرية . . أخف ضررا ولا تقاس خطرا بالعقارب البشرية الايطالية . . واستقرت في حياتنا عادة جديدة . . أن ننتهي من أعمالنا لنتناول غداءنا ثم نتابع خطواتنا في الطريق الى الكوخ . . وأحيانا نتعمد اقامة (الزرادى) فيه وحوله . . ونصحب آخرين معنا . . من جيران وأقارب ومعارف وزملاء عمل . .

(الزردات والسياسة)

وبالطبع كنا نفتعل الفرص لفتح الموضوعات السياسية . . ودفع المشاركين في (الزردة) للكلام . . والادلاء بما عندهم . . ونتدخل نحن بين الحين والحين . . وبصورة تبدو عفوية لاضافة خبر . . او تفسير واقعة . . المهم أن نربط كل ما يجري بالاستعمار . . ونبين للجميع أن الطليان هم أساس البلاء . . ومصدر الخطر والشقاء . . وحتى لا أنساق خلف التجريد . . فانني أذكر ان فضائح الحاكم الايطالي (بالبو) تميزت بطرافتها . . وبالتالي حازت على اهتمام وحوار الكثيرين من الرجال . . خاصة وأنها كانت تتركز حول مغامراته النسائية . . فقد اشتهر (بالبو) بين الطليان والعرب . . وعرف عنه حتى الزوار للبلاد هذه السمعة . . وتبادل الجميع الطرائف والحكايات . . حول هذا الأمر . . فقد اتسعت دائرة الظاهرة . . فتجاوزت حدود الايطاليين . . لتصل الى التجار والصناع العرب الذين يعملون في سوق المشير . . فهؤلاء كانوا يصنعون ويبيعون ملابس النساء المطرزة . . الجميلة وأشهرها (البرنوس) . .

(مغامرات وفضائح بالبو)

.. وهذه الازياء كانت تروق للايطاليات والأوروبيات كثيرا .. وهكذا صارت النسبة العظمى من المبيعات قاصرة على الحاكم الايطالي (بالبو) .. وأصبح (البرنوس) الغالي الثمن يصنع ويباع حكرا على (بالبو) .. وأدى ذلك الى انتشار ظاهرة غريبة .. اذ كانت النساء الاجنبيات يتبارين في ارتدائه .. كرمز او دلالة على صلتهن (ببالبو) .. حتى ان الناس اذا ما صادفوا احداهن بغير (برنوس) .. وتوسموا فيها جمالا .. فان تعليقهم على الفور .. يدور حول تركها البرنوس في البيت .. ولم يكن (بالبو) يهتم كثيرا لهذه السمعة .. بل بدا وكأنه يعمد لترويجها .. والأدلة على ذلك عديدة .. عديدة .. منها :

- في رحلات صيده .. في منطقة بئر دوفان .. حرص دائما على اصطحاب اعداد من جميلات ايطاليا .. سواء من زوجات الضباط والقادة الايطاليين أو من نساء المدنيين الايطاليين .. واليهود والجاليات الاجنبية .

(بين روحية .. وبرنشيبيا)

- قصته مع (روحية) التونسية .. راقصة مقهى سوق المشير .. الرائعة الجمال .. فاذا كان من المعروف ان (بالبو) هو الذي أقام هذا المقهى .. وهو الذي جعله مكانا مفضلا لسهراته . فانه لحظة وقوع بصره على (روحية) .. لجأ الى التصرف على المكشوف .. ذلك أن (روحية) كانت تقيم بفندق (فيكتوريا) ويقع في (طريق الحلقة) .. وايطاليا هي التي افتتحته .. وتولت ادارته .. ورغم أن عمل روحية واقامتها في دائرة الاختصاص الايطالية .. ومن ثم يسهل امرها تماما على (بالبو) فانه أرسل اليها (مديرة) قصره أو كما يسميها الايطاليون (جوفرنانتي) مصحوبة بسيارة كبيرة .. وفي اثناء عمل روحية بالرقص في المقهى .. قامت (المديرة) الايطالية .. بنقل حاجياتها وملابسها من الفندق .. وانتظرتها على باب الفندق .. وصحبتها مباشرة لتقيم في فندق الودان ، وبعد ذلك صارت (روحية) تخرج للصيد في جميع رحلات الوالي الايطالي .

ـ اكثر من ذلك وأخطر . . حكاية (بالبو) مع الأميرة برنشيبسا زوجة ولي العهد الايطالي (امبرتو) . . كانت رائعة الجمال . كما اشتهر زوجها بأنه زير نساء أيضا . . وقد فضلت عليه الزير الكبير (بالبو) . . فجاءت الى الوالي . . الذي أخذها الى رأس هلال في برقة . . ورفع الرمال والتراب عن حوض روماني قديم يصب فيه الشلال وشيد بالقرب منه استراحة . . فضلا عن شاطىء البحر الرائع الجمال في تلك المنطقة . . وقد فقدت الأميرة أثناء الاستحمام شريطاً من القماش يضم شعر رأسها الذي كان يصر (بالبو) على أن يكون له نفس لون (المايوه) . . وعندها استدعى الحاكم الايطالي أحد الطيارين الايطاليين . . وطلب منه ان يبحث عن نفس اللون في طرابلس . . فان لم يجد فعليه بالطيران مباشرة الى روما . . والعودة به وتصادف أن كان المتر من الشريط المطلوب موجودا لدى واصف القرقني في محله بطرابلس وهنا تنهد الطيار ارتياحا . . وقال : «يقال اننا سنكسب الحرب . . ولكن كيف ذلك . . وهناك النساء» . . وروى الطيار القصة . . والطريف ان زوجة ولي العهد بقيت مع (بالبو) رغم كل طلبات الملك اليها بالرجوع . . واضطر الملك في النهاية . . ان يعلن ركوب البحر في طريقه لبرقة . . عندها فقط . . طلب (بالبو) من الأميرة العودة الى روما . .

(زوجة مدير الأمن أيضا)

وربما لا تقل دلالة عن هذه الواقعة الأخيرة . . واقعة أخرى . . تناقلها الناس عن قصة (بالبو) مع مدير أمنه (ليفي) كان هذا الأخير يهوديا . . متزوجا بفتاة رائعة الجمال . . وطاردها (بالبو) على المكشوف . . ولما استعصت عليه . . لجأ الى اقامة حفل عام دعاها وزوجها اليه . . ولما لم تأت الفتاة . . ترك بالبو الحفل . . وذهب اليها في بيت الزوجية . . لكنها رفضت ان تفتح الباب . . فنزل (بالبو) ليأمر السائق بأن يحمل معه الدجاج الموجود بحظيرة البيت . . وذلك لتغطية موقفه خاصة وأنه سمع الفتاة بالداخل تتصل بالهاتف . . فظن أنها تتصل بزوجها . . وفي اليوم التالي دعا (بالبو) مدير الأمن الى الغذاء بنفس الدجاج المسروق . . ثم استجاب لنقله الى روما . . بعد ممانعة واصرار طويلين . . ولم تفلت الزوجة من التعليقات حول (البرنوس) الذي لابد أن يكون داخل

حقيبتها . . أو ربما يكون زوجها (اليهودي) قد باعه مفضلا الثمن نقدا كعادة اليهود . .

(مارشال ايطاليا أو الخطة)

وحتى لا أطيل الوقفة عند فضائح (بالبو) ومخازيه . . خاصة وأنها كثيرة . . ورواياتها تأتي بطرائف التعليقات مجددا . . فانني أكتفي منها بهذا القدر . . وللحقيقة . . فان تعددها طالما سمح لنا بالتفسير والتعليق في ثنايا الوقائع نفسها . . فإذا كان الفاشيست قد تخلصوا من ماريشال (ايطاليا)بالبو . . ومن منافسته لموسوليني داخل مجلس الفاشيست الأعلى . . وأرسلوه لطرابلس . . فمعنى ذلك واضح تماما . . فمخازيه ومغامراته هنا . . هي محاولة لاهدار قيم ديننا الحنيف . . وابراز مثل صارخ للانحلال والاستهتار امام شبابنا . . وتدنيس طهارة هذه الأرض الاسلامية . . وتعزز تحليلاتنا هذه عدة أمور . . ومظاهر . . فقد بدأت حانات الخمر . . تتزايد بشكل ملحوظ . . وبدا التعاون الايطالي اليهودي سباقا على فتح الملاهي الخليعة . . ونشر صناديق البيرة . . والنبيذ وما شابهها . . وذلك مع سبق الاصرار . . وتعمد ذلك . . وبصورة لا تتفق منطقيا . . مع ما عمدت اليه من تصرفات . . فلأن ايطاليا تبغي نشر الموبقات بين العرب . . وتعميمها بينهم . . فانها تفعل ذلك . . وتنشر اخباره بين الناس . . وكأنها تقول لهم . . اذا كان هذا حال حاكم البلاد (بالبو) . . فلا ضير في أن يجاريه الآخرون . . وفي نفس الوقت . . الذي تغرق فيه ايطاليا في الوحل (اخلاقيا) . . فانها تبقى على نفس الصلف . . وتعامل العرب من خلال لفظها الايطالي المشهور (أرابتشيو) . . وهي دلالة على الاحتقار للعرب . . وتصل السخرية ذروتها . . أن السلطات الايطالية ظلت تحرم اي (استلطاف) أو (علاقة) اي كان نوعها بين أي عربي . . وأية (ايطالية) ومع اكتشاف اية شبهة لذلك . . تقوم بترحيل الايطالية على الفور . . دون أدنى جهد للتحقيق في الأمر . . أو حتى التأكد . . فيكفي ان تبتسم فتاة في مواجهة اي شاب عربي . . لتتخذ سلطات ايطاليا اجراءات ترحيل الفتاة .

(عنصريون حتى النهاية ..)

تجاوزت التفرقة العنصرية حدود المعقول أيضا في صورة أخرى ، في حرب الحبشة ، فبالرغم من ان ايطاليا جمعت جملة من شباب البلاد ، واستخدمت في سبيل ذلك سبل الترغيب والترهيب حتى اجتمع لديها جيش من العرب الليبيين قوامه أربعون ألفا . . وعلى الرغم من الاعترافات التي توالت من القادة الايطاليين . . تقديرا لشجاعة الجندي الليبي . . واستماتته في القتال . . ورغم ان محصلة ذلك تبلورت في صورة انتصار ازال مرارة هزائم سابقة تجرعتها ايطاليا في محاولتها السابقة لغزو الحبشة . . رغم ذلك كله . . فانه في عمليات الترفيه عن الجنود . ظلت حريصة على أن تفصل فيها بين العرب والايطاليين .

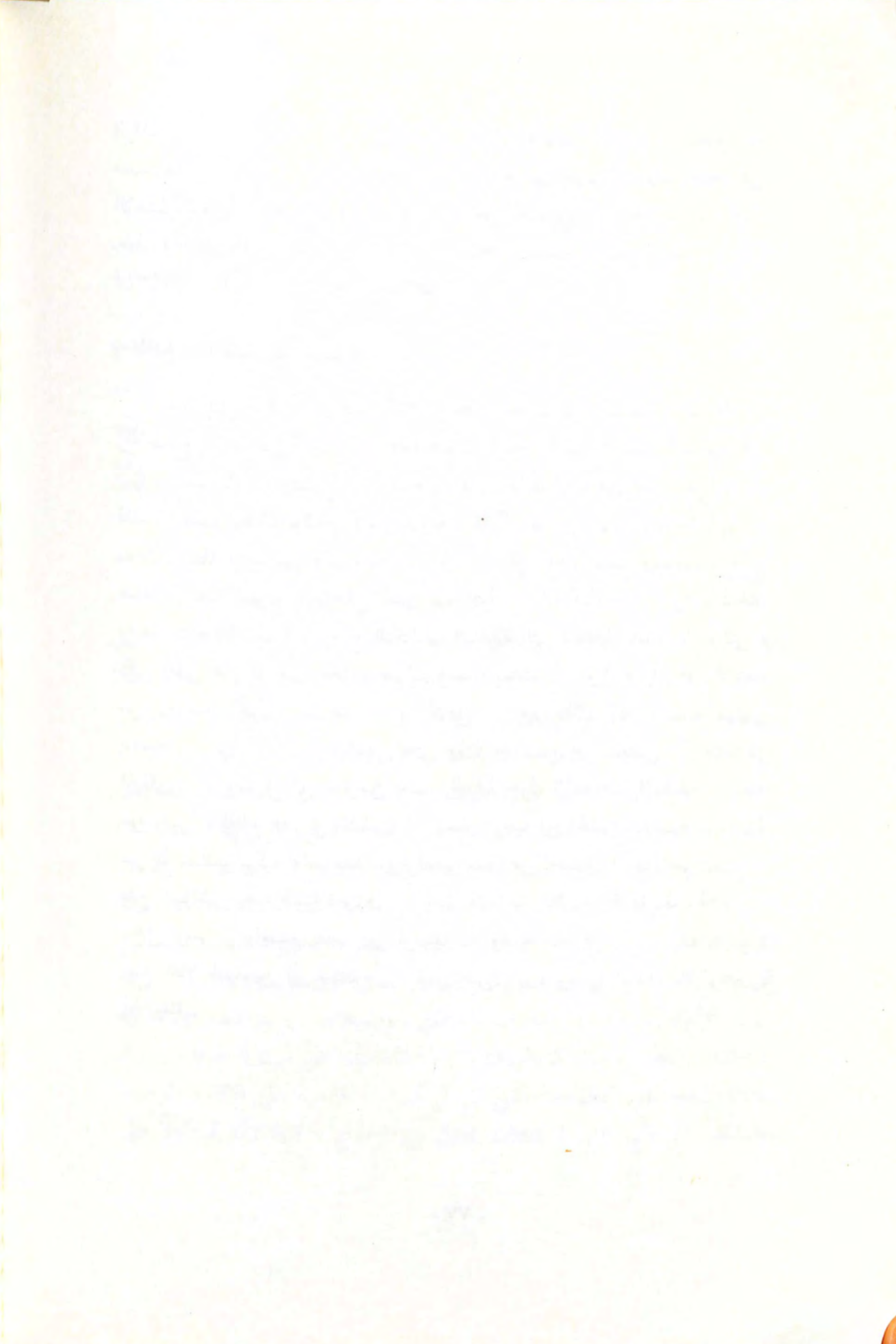
(تضحيات ونتائج معكوسة)

وتكتسب المفارقة بعدا أخطر . . وأقسى . . عندما نعرف ان النصر الذي تحقق في الحبشة اسفر عن نتيجة عكسية تماما بالنسبة لليبيا . . فقد أنعش هذا النصر أحلام ايطاليا في السيطرة النهائية على البلاد . . والقفز منها الى جيرانها . . فعمدت الى إقامة الطرق وتعبيدها . . وتوصيل شبكات البرق والهاتف . . وتقاذفتها موجات الثقة المفرطة والغطرسة . . وبالتالي صارت تصرفاتها وتعاملاتها تجري من مركز قوة . . فشكلت ادارة للمستعمرات في كل جهة . . وأخذت تستفيد من الطرق الجديدة . . في مظاهر عديدة . . مثل التدريبات . . وتحريك النجدات وأظهرت استهانة بالأمور . . فقد بدت امكانيات القضاء على أي حركة في المهد . . متوفرة وسهلة . . خاصة بعد ان صارت الخطوط الجوية تربط بين أرجاء البلاد . . واصبح الايطاليون يسمحون بتعدد الصحف والمجلات . . وان بقيت الرقابة صارمة على المطبوعات والكتب والمجلات . . ولم تبدر أي محاولة لمراجعة او تعديل قائمة المحظورات . . أو التخفيف من مركزية الرقابة . . اذ ظلت الرقابة على المطبوعات التي تدخل ليبيا . . قاصرة على الادارة الموجودة بطرابلس . . فأي كتب أو مجلات تصل من الخارج . لابد وأن تمر أولاً على

الرقابة . . وهذه تجيز او تمنع . . وكثيراً ما جرت عمليات المصادرة . . لمطبوعات مصدرها مصر وتونس وارجاء اخرى متفرقة من الوطن العربي . . واذا وضعنا في الاعتبار صعوبة المواصلات وندرتها وارتفاع ثمن المطبوعات . . فاننا ندرك مباشرة خطورة الدور الذي لعبته الرقابة . . فمن الناحية العملية . . تمر الشهور . . قبل أن يتحقق تلبية طلب في هذا الصدد .

(مطامع ايطالية بلا حدود)

ولم يطل الوقت بالمراقبين لنوايا وخطط ايطاليا في السيطرة والتسلط . . والاطماع القوية في التوسع . . فاذا كانت الأمور بالنسبة لأحكام السيطرة على ليبيا . . سارت من وضوح الى أوضح ـ. فانها تجلت ايضا فيما يخص جيرانها . . فقد اتشحت ايطاليا بوشاح الامبراطورية وبعد الربط بين غرب ليبيا وشرقها . . بدأت بالمطالبة بتونس وكورسيكا . . ويدخل في اطار ذلك وبالضرورة . . عملية رصف الطريق الساحلي الذي يبلغ طوله ١٨٠٠ كيلو متر . . وعندما حان وقت افتتاحه وتدشينه . . ومع التكاليف الباهظة التي دفعتها ايطاليا . . والتي لم يكن يخفى على المراقبين مغزى صرف هذه النفقات . . او الاصرار على الانتهاء من رصف الطريق بسرعة . . وبالكامل . . مع ذلك كله جاء موسوليني بنفسه . . من روما . . ليكمل المعنى دون ما لبس أو غموض . . عند كل المراقبين . . وليزيل اي ذرة من حسن النوايا حول الأهداف الايطالية . . جاء موسوليني لافتتاح الطريق وتدشينه . . وسار بموجبه الى الحدود التونسية . . وبدلا من أن يستدير بركبه عائدا بعد بلوغ أقصى نقطة في الحدود . . بدلا من ذلك . . فتح الدوتشي باب السيارة ونزل . . وسار قدما مترجلا ومخترقا فاصل الحدود . . دخل تونس . واصبح يقف على أرضها . . وقسمات وجهه . . وبريق عينيه لا يدع مجالا لتخمين او استنتاج . . فهو يعني انها (تونس) امتداد للامبراطورية الجديدة . .



الفصل الثامن

الزيارة الثانية للطاغية

سادت المفارقات والتناقضات الحقبة الايطالية ، وعمت كافة المستويات والأشخاص . فلم يشذ عنها موسوليني ولا بالبو . . الأول زار طرابلس للمرة الأولى في عام ١٩٢٦ عندما كان الفاشيست مايزالون في مرحلة التكوين ، وقبل زيارة موسوليني بأيام ، اعتدت عليه احدى المواطنات ، واصيب في أنفه اصابة ظلت آثارها على ملامحه حتى النهاية . . وجاء موسوليني الى طرابلس ، ووقف يتملق الملك في خطبه ، وفي خطبته الرئيسية ، قال موسوليني : ان الملك تفضل بايفاده الى طرابلس بعد أن أصبحت ايطالية للأبد . . وعاد موسوليني الى روما ، وبعدها بثلاث سنوات فقط ، جاء الحاكم الايطالي بادليو ، كرر نفس المعنى ، ولكن مع اختلاف أساسي ، فقد أعلن أن الدوتشي (موسوليني) تفضل بايفاده الى طرابلس . . وقد اجتمع بالاداريين الايطاليين ، كأول عمل علني يقوم به هذا الحاكم الجديد ، وقد تكلم معهم كثيرا ، كما سمعنا وقرأنا في الصحف ، ومن جملة ماقاله ، وقد حرصت على تدوينه في وقتها : «اننا حللنا محل الأتراك الأغبياء العجزة ، لنقوم بتأدية رسالة حضارية سامية ، وعلى الوطنيين العرب أن يفهموا بأننا جئنا مسلحين وفي الوقت نفسه مسالمين لنبقى الى الأبد . . وقد دار بخاطري أن أترجم هذه الكلمات بلغة الواقع اليومي المعاش ، حيث جرائم القتل والسلب والاعتداء على الحريات وحملات التفتيش والقمع تتواصل ليل نهار ، وقد جرى قلمي بتدوينها : «اننا جئنا بعد طرد الأتراك الفجرة ، برسالة

حضارية رومانية ، وعلى العرب أن يفهموا أننا جئنا مسلحين لنبقى لأبد الآبدين . . سنعمل على تحسين وضعنا وذلك بجلب خمسة ملايين ايطالي لتعمير السهول والوديان لاطعام الوطن الأم . . ولتأمين بحيرتنا (يعني البحر الأبيض المتوسط) . . »

(الكلمات تعني نقيضها ..)

وقد أبقيت معي هذه السطور الأخيرة ، بقصد ارسالها للخارج ، فلم تكن في الكلمات أية مبالغة أو تجن على الحقيقة . . ألم يجعلنا الطليان نحس بل ونوقن أن غزوهم هو هجمة صليبية جديدة . . فما أن استتب الأمر لهم حتى فكر الفاتيكان في تنصير البلاد بأكملها وتعميدها . . وتعددت خطوات السير في هذا الطريق . . فانعقد مؤتمر الكرادلة في طرابلس ، فأرسل البابا بعثة التعميد أثناء المؤتمر في طائرة خاصة ، تصور بخط سيرها صورة الصليب . . كما جرى رشها من الجو بماء المعمودية من اناء عتيق ربما بقي بدوره من الحروب الصليبية الأولى . . وقد جيء بفرشة ، وصار غمسها في الاناء ثم رشها من أعلى في صورة صليب . . ألم يرفع الايطاليون علمهم عاليا فوق الهلال على مآذن المساجد ، وظلوا على عدائهم للدين . . وقد عجزوا في عديد من المناسبات عن اخفاء حقيقة مشاعرهم . . أذكر مرة أن جاءني أحمد الحصائري في متجرنا بزنقة جامع (النخلي) وهو بالغ الاضطراب والغضب ، وروى كيف أن المدرس الايطالي في مدرسة سوق الحوت (بالمدينة القديمة) وجد مصحفا شريفا على أحد الأرفف الخاصة بالتلاميذ فألقاه على الأرض وداس عليه بقدمه . . وقال باستهتار وحنق : ألا زلتم في تأخركم . . وأخذ يستفز مشاعرنا الدينية . . فأغلقت المحل . . وأعلنت ان الرد المناسب هو تجميع الناس في مظاهرة احتجاج الى الكاتب العام أو ادارة المعارف . . وقد اتجهنا بالفعل الى باب الحرية . . ووقفنا على محل القصاب احمد الجمالي فنصحنا بالرجوع الى أعمالنا فرجعنا مكرهين . . وقد دونت اسم المعلم الايطالي ، وتفاصيل هذه الواقعة ، وهذه الوثيقة ومعها صورة العلم الايطالي فوق مآذن المساجد وسلمتها للصحفي تيسير ظبيان .

(مبالغة في النفاق ..)

ولنعد الى موضوعنا الأول . . فقد بالغ (بالبو) في النشاط . . حشدا وتعبئة للجماهير من أجل استقبال موسوليني ، حتى لقد بدأت الاستعدادات قبل موعد الزيارة بستة أشهر كاملة ، وقد استخدم في الحقيقة مختلف الوسائل والحيل الذكية للوصول الى هدفه ، فمثلا ، كان هناك حوار بين موسوليني وشكيب أرسلان حول القضية الليبية ، وحدثت مراسلات بين الاثنين وقد وجه شكيب ارسلان الى الدوتشي سؤالا واضحا ومحددا حول ماهية المنحة التي ردد موسوليني أنه يعدها للشعب الليبي ، وقد اجاب موسوليني على السؤال بصلف وغطرسة ، وكان مؤدي اجابته ان المسألة مادامت منحة فلا يجدر بالأمير أن يفرض عليه تحديد ماهيتها . . وجاء هذا الحوار بمناسبة الزيارة ، ومحاولة الدوتشي اغراء شكيب ارسلان لاصطحابه فيها وقد استغل بالبو من جهة هذا الحدث وروج بين الناس اشاعات عن الحرية . . والاستقلال الذاتي . . والتخفيف على الناس من القيود . . واطلاق سراح المجاهدين السجناء . . الى غير ذلك من الأماني الشعبية . . التي ساقها (بالبو) للناس . . على أساس ان الدوتشي . . سيعلنها عند وصوله لطرابلس . . ومن ثم فانه يتعين على الناس حسن استقباله . . والترحيب به . . وقد شكلت بالفعل لجنة من أعيان البلاد . . وقد اطلق على هذه اللجنة اسم (اللجنة العربية لاستقبال الزعيم) . . ولعل المنشور الذي أصدرته اللجنة . . ووزعته في أرجاء البلاد . . يعطينا فكرة وتصورا عن اشخاصها الذين قدم لهم (بالبو) هذا المنشور .

(كلمات منشور .. بلا حقائق)

(يامسلمي ليبيا . .

ان زيارة الزعيم لبلادنا . . لمن الحوادث التاريخية النادرة . . التي تتعدى آثارها حدود الزمان والمكان . . إنه اول اتصال مباشر للرجل العظيم بمسلمي ليبيا . . والعالم أجمع بعد أن قطعت السياسة الموسولينية ازاء الاسلام والمسلمين

مراحل عظيمة . . كنا ولم نزل نحن معشر الليبيين اول من جنى ثمارها وشهد آثارها . .

فاستقبالنا يجب ان يخرج عن كل حد مألوف . . ويبلغ من العظمة والسمو في الدرجة الي تعبر عن شعور الامتنان والموافقة التي تملك اليوم أفئدة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لهذه السياسة . . التي اختصت بها ايطاليا الفاشستية دون سائر الدول . . وخرجت بها عن كل ما سجل التاريخ لحد الآن في معاملة الغرب للشرق . .

أيها الاخوان :

كونوا جديرين بتحية موسوليني باسم اربعمائة مليون مسلم . . وأكدوا للعالم اجمع . . ان هذه المجموعة الهائلة . . تقدر تلك السياسة القائمة على احترام الدين والرغبات والحاجات التي هي الوسيلة الوحيدة للتعاون الحقيقي بين الشرق والغرب . .

امضاء : اللجنة العربية لاستقبال الزعيم

(لجنة الاستقبال)

وقع المنشور من قبل اعضاء اللجنة الستة ، وبعد توزيعه ، واجه الأعضاء موقفا حرجا ازاء الشعب . . واكتشفوا بأنفسهم انهم لم يعودوا عمليين . ولا قادرين على أي مواجهة شعبية . . او كسب اي تأييد . . وحتى يغطوا حرج موقفهم امام الايطاليين . . الذين كلفوهم بهذا العمل ، ودفعوهم في هذا الطريق ، لجأوا الى حيلة مكشوفة اخرى فعمدوا الى تشكيل لجنة اخرى أضافوا الى تسميتها مفهوما جديدا هو (الشعبية)[1] كما أضافوا لاسم لجنتهم كلمة اخرى هي (العليا) ، وعملت اللجنة العليا على عقد اجتماع عام بمبنى البلدية ، وجرى حشد أعيان البلاد فيه ، وذلك بترويج ما سبق أن ذكرته من وعود وأمان . . كما لم

---

(١) انظر رقم (٢) في مجموعة الوثائق الملحقة .

يخل الأمر من الضغط والارهاب ، وقد جرى في الاجتماع ترشيح لجنة جديدة ، اطلق عليها (اسم اللجنة الشعبية الاسلامية) وأخذت في تسجيل عدد جديد من الأسماء للجنة المقترحة . . اذ ذلك لاحظ أحدهم وهو خليفةاليازجي أن عنصر الشباب غير موجود في اللجنة ، وطلب منهم ادراج اسم الهادي المشيرقي . . ولأول وهلة هممت بالاعتراض . . غير أن الاشاعة الخاصة بمرافقة شكيب ارسلان للدوتشي ، وماكان يعنيه الاسم بالنسبة لي شخصيا ، فضلا عن وجود صحفيين آخرين أسماؤهم غير غريبة عليّ . . كل ذلك جعلني أتردد في الرفض . . ثم اندفع للقبول ، وقد بدأت اللجنة الشعبية ، مدفوعة باعتبارات الوطنية السابقة ، تعمل وتسهر الليل وتطوف الاحياء وأماكن العمل بالنهار . . وحقق عملها نجاحا ، فجرى تحديد الأدوار بدقة ، بحيث ينظم الشاعر ما يمكنه من قصائد للمناسبة ، والكاتب يدبج المقالات في الصحف تحميسا واستنفارا لمشاركة الجماهير ، وآخرون لوضع الشعارات . . وتنظيم الهتافات . . وتنسيق الزينات . . ومجموعات لاقامة أقواس النصر . . وغيرهم لتجميع أكبر عدد من الناس . . الخ .

(في مهمة مع الشباب ..)

وأما أنا فقد أسندوا إليّ تنظيم الشباب ، وقد وضع الطليان كافة الامكانيات في خدمة نجاح الاستقبال ، واستجابوا على الفور عندما طلبت تخصيص الميدان البلدي الرياضي لتنظيمات الشباب . . وسارت الأمور في طريقها المرسوم ، دون ما عقبات أو مفاجئات . . وأخذت الاستعدادات المتواصلة والتدريبات تتكامل اقترابا من ساعة الصفر للزيارة ، وفي ظهر يوم ١٦ من مارس ١٩٣٧ ، وفوق بارجة بحرية ، وصل موسوليني الى طبرق ، وسط مظاهر فاقت كل مبالغة ، فقد خرج اليه (بالبو) بزورق خاص لاستقباله في عرض البحر ، وجرت احتفالات عظيمة في تلك الليلة بطبرق . . وفي صباح اليوم التالي ، وبعد ان سار موسوليني وركبه الى أقصى الشرق حتى حدود مصر ، اتجه غربا حتى حدود درنة حيث اعدوا له استعراضا لطلبة المدارس ، وزيارة لمدرسة البنات العربية . . وألقت احدى الطالبات العربيات كلمة بالايطالية ،

ومبالغة في المظهرية . . تقدم مدير المدرسة فطلب من الصحفيين المرافقين للدوتشي . . أن يوجهوا ما يعني لهم من أسئلة للطالبة الخطيبة . . وتصادف أن كان الصف الأول من الحاضرين مكونا من صحفيين أجانب . . هنا انبرى من خلفهم صحفي عربي هو تيسير ظبيان ، وهو صاحب جريدة تصدر بدمشق ، تحمل اسم (الجـزيرة) ، كما أنه مؤلف كتاب بعنوان (الحبشة المسلمة) . . وآخر بعنوان : (فلسطين الدامية) . . وقد وجه هذا الصحفي أسئلة ذات دلالة للطالبة ، أحرجت الأسئلة مدير المدرسة ، خاصة وأن ردود الطالبة جاءت مؤكدة لحقائق دامغة ، فقد كشفت الردود ان دروس اللغة العربية تكاد تكون معدودة ، مع أن المدرسة يدعون أنها عربية ،، كما أن مادة (الدين) معدومة تماماً في البرنامج الدراسي ولا تكاد الطالبات تعرفن غير الشهادتين .

(.. ونطق القاضي كفرا ..)

ثم حط الركب بجوار ضريح سيدي رافع الانصاري . . وترجل الجميع ودخلوا الضريح . . وتبرع موسوليني ببعض الليرات ، وألقى القاضي كلمةأثارت استغراب العرب . . اذ قال بين ماقاله فيها : «الحمد لله الذي أودع سر العبقرية لمن اختاره من عباده . . ليكون مظهرا واضحا لعظمته التي تقصر عن الاحاطة بها العقول . . فنتوصل بها الى توحيده وتمجيده . . » المهم أن ترجمة الكلمة ، فيما يبدو قد أسعدت الدوتشي . . الذي رد بأنه يعتبر هذه التحية موجهة اليه من كل مسلمي ليبيا . . وقد لاحظ الجميع أن الدوتشي يتعمد عدم استعمال كلمة (عرب) على الشعب الليبي . . وزاد الطين بلّة ، عندما انبرى مندوب صحيفة الأهرام المصرية ، وارتجل كلمة أخرى شكر فيها الدوتشي على تبرعه .

وجاء دور المرج في البرنامج . . وخصّت هذه المدينة بتقديم معرض للمنتجات الزراعية والمعروف أن هذه المنطقة هي من أخصب أراضي ليبيا . . أو لعلها أخصبها على الاطلاق . . ومن ثم فقد استولى عليها الطليان من اصحابها العرب . واتفق أن توافق وصول الدوتشي الى المعرض بمرور عربة محملة بالمنتجات الزراعية ، ومرت العربة أمام منصة الدوتشي ، ويبدو أ ن منظر الزعيم

الايطالي لم يرق للثور أو ربما أثارته عنجهيّة الدوتشي وماكان يبديه من غرور وصلف واعتداء ، فهجم عليه وقلب العربة بما فيها وانقض على الزعيم الايطالي مشرعا قرنيه الفتاكين ، اذ ذاك لاذ الجميع بالفرار وبقي الدوتشي وحيدا في مواجهة القرنين المشرعين وقد استبد به الرعب حتى تسمّر في مكانه وعجز عن الاتيان بأية حركة، ولم تنقذه الا رصاصات الحرس التي انطلقت لتصرع الثور الهائج ، وعاد الجميع الى أماكنهم ليستمعوا الى تعليق الدوتشي وهو يشبه الثور بـ (ستالين) . .

(تشفّ رغم كل الترحيب ..)

ورغم مظاهر الحفاوة ، وآيات التسامح والتكريم ، التي أحاط بها الشعب الحاكم الفاشيستي فانهم لم يتركوا فرصة التشفي لأحقادهم من المجاهدين . . فأقاموا حفل الغذاء بوادي الأطرون ، ولم يخف مغزى ذلك على أحد ، فهذا المكان يحمل الكثير من الذكريات المرة بالنسبة للعرب . . ففيه سقط جواد شيخ المجاهدين والشهداء ، وطويت صفحة مجيدة من صفحات جهادنا الطويل . . في هذا المكان سقط فرس عمر المختار جريحا ، وفوقه عمر المختار . . ولم ينس الزعيم العربيد أن يدعو الى مائدته ، ويقرب منه قائد الحملة التي أسرت عمر المختار ، وأخذ الضابط الايطالي الجبان يختلق القصص ويحكي بغباء وصلف للصحفيين الموجودين ، كيف أن حملته استطاعت أن تنصب الكمين لفارس عربي شجاع ، وكيف أن جرح الفرس ، أتاح له ولجنوده القبض على النسر العربي .

الفصل التاسع

دخول عند الغروب

.. بعد ثلاثة أيام من الاحتفالات .. أو (الزفّة) الكاذبة .. وصل الطاغية الى طرابلس .. وحسب البرنامج الدقيق الموضوع .. جرى كل شيء بتوقيته المرسوم .. أو المسموم بالنسبة لنا ولمشاعرنا نحن العرب .. فاذا كان المعروف عن الرومان .. في سالف الأزمان .. أيام الامبراطورية المنهارة .. اذا كان المعروف .. أنهم كانوا يختارون لحظة الغروب لدخول المدن المفتوحة المهزومة .. فان موسوليني وحاشيته أرادوا احياء نفس الرمز والمعنى بالنسبة لمدينة طرابلس .. فتعمدوا أن تجيء لحظة دخول المدينة متزامنة مع لحظات الغروب .. وحرص الجميع على ذلك .. حتى ليقال ان فقرات البرنامج تقدمت بضع ساعات .. وكان هذا كفيلا .. بتوفير فرصة لدخول طرابلس مع العصر .. أو بعده بقليل .. لكن جرى تدبير الأمور بسرعة .. اصلاحا لهذا الخلل .. وفي الطريق .. اخذت السيارات تسرع وتبطيء حتى تضمن الوصول في اللحظة المرسومة .. تخليدا لمعنى بالٍ عفا عليه الزمن .. وذهب هو وأصحابه الى غير رجعة .. بعد أن قوضت سنابك خيول الفتح الاسلامي .. الامبراطورية كاملة .. وداس الفرسان العرب أوثانها وطقوسها .. لتشع حضارة الاسلام .. وقيم التسامح والعدل والمساواة في ارجاء الامبراطورية الهرمة .. التي لم تتقن غير ما يطبقه احفادها الآن .. من مظالم وجرائم . نزل الامبراطور الفاشي من السيارة .. في منطقة الملاحة او لعلها (أبي ستة) .. وامتطى صهوة جواد

عربي . . مسرج بعلامات الفاشيست وترجل اثنان من فرسان العرب . . واحد على اليمين . . وآخر على الشمال . . قرب رأس الحصان وحمل كل منهما شعار الفاشيست (حزمة الخشب رمز الاتحاد ووسطه الساطور) . . وسار الركب الى المدينة . .

(اطالة في عمر الزمن السخيف)

وامعانا في اطالة فترة الرمز أي الغروب . . جاءوا بمنارة من ألمانيا . . وضعوها في أول شارع البلدية . . عند اول ميدان السرايا . وقد زاد ارتفاعها على ارتفاع المباني المجاورة بما في ذلك السرايا الحمراء نفسها . . وأضيئت لتعطي نفس الضوء الذي يغمر المدينة ساعة الغروب . . وعم هذا الضوء الخافت الميدان . . وشارع فيكتور عمانويل الثالث . . حتى قصر بالبو . . ومن الطريف انهم جاؤوا بمجموعات من البدو . . في احدى الليالي . . وحشدوهم أمام قصر بالبو . . حيث كانت تجري حفلة صاخبة في الداخل . . وطلبوا من (البدو) ترديد هتاف واحد . . الهتاف عبارة عن كلمة الزعيم الرومانية (الدوتشي) . . وعندما بدأ البدو الهتاف . . حرفت ألسنتهم الكلمة فصارت (لوتشي . . لوتشي . .) وهذه الكلمة معناها (النور) وقد أثار ذلك استغراب الزوار من المرافقين الأجانب لموسوليني . . فخرجوا الى شرفات القصر . . وهم يتساءلون عن سبب المطالبة بالنور في الوقت الذي يغرق فيه القصر وماحوله في اضواء كهربائية . . تكاد تحيل ليله الى نهار . . وتكررت الطرائف على هذا المنوال . . ففي اثناء احدى الحفلات . . كان من بين فقرات البرنامج موسيقى ورقص . . وتقدمت راقصات «بالبو» الجميلات . . وهن كثرة يعرفهن بالبو ربما اكثر من ازواجهن . . وبقي موسوليني دون أن يراقص واحدة منهن واستحى القساوسة والكرادلة ومندوبو البابا . . فتركوا القاعة . . وبقي احد الشيوخ . . ولمح بالبو الشيخ . . فجاء اليه مازحا بكلمات «أنت شيخ (مودرن) . . سخنت الرقصة وشجعتني عليها . . بوجودك بيننا . . وقد تواترت هذه الكلمات . . وتنوقلت بين العرب . . سخرية من الشيخ الذي لم يفعل على الأقل مثل الفيسكفوا فيكنتي والقساوسة المسيحيين . . وبالرغم من ان هذه المشاهد الفاجرة تعتبر عادية في بلادهم . .

وغريبة على بلادنا . . فضلا عن محنة بلادنا التي ابتليت بهؤلاء المحتلين الاستعماريين . .

(سيف الاسلام لموسوليني)(١)

ولم تكن الوقائع والمشاهد التالية . . بأقل من ذلك سخرية ومرارة . . ففي عين زارة دار مشهد رهيب آخر . . خرج موكب الزعيم الفاشي . . وخرجت او اخرجت معه اعداد مهولة من الأهالي . . ورافقهم الزوار الأجانب من ارجاء العالم . . وفي (عين زارة) ضم برنامج المهرجانات والاحتفالات فقرة بالغة القسوة . . والسخرية . . وهي فقرة تسليم (سيف الاسلام) . . لمن ؟ . . لحفيد الرومان . . لموسوليني . . أُمِرَ أَحَدُهُمْ من طرف بالبو ليقول عبارات يصم وقعها الآذان . . ويطيح بالعقل وحدود المنطق والمعقول : فقال :(٢)

أتشرف بتقديم سيف الاسلام للزعيم المظفر . . وان العالم الاسلامي بأسره في انحاء المعمورة لتهتز قلوبه في هذه الدقيقة الى جانب قلوب شعبنا الذي يرى في شرف رجل الدولة العظيم . . القابض بيده المتينة على أعنة قوم يخلصون لايطاليا على الدوام . . وتناول موسوليني السيف . . سيف الاسلام . . وجرده من غمده . . ثم اخذ يلوح به . . قائلا بالعربية (ياولاد بوسيف) . . ولم يتمكن احد من فهم المقصود . . نتيجة لرداءة اللكنة . . وان كان المفهوم انها جملة يرددها الفارس عند الوثب على العدو . . والطريف هنا ايضا انه وسط هذه الاحتفالات الضخمة . . والمظاهر البراقة . . والطبل الأجوف . . كان المحيطون بموسوليني يتوقعون اعتداء على حياته . . من الايطاليين أنفسهم . . حتى لقد طلبوا منا

---

(١) سلم الوالي بالبو السيف لأحدهم لتقديمه لموسوليني وسلم له ورقة بها كلمة التقديم كما يريدها المقدم له ونسب لنفسه بحامي الاسلام .

(٢) كل شيء مدروس في روما وكلمة حامي الاسلام قد سبقتها توطئة من بالبو في المنشور الذي نسب للجنة العربية بتوقيع ستة من الأعيان وقد جاء بالمنشور . . كونوا جديرين بتحية موسوليني باسم أربعمائة مليون مسلم .

(أعضاء اللجنة الشعبية) . . السهر على عدم اختراق الاجانب لصفوف الجمهور اثناء الاحتفالات . . وقد طلبوا مني مباشرة أن أوصي الشباب بتنفيذ ذلك . . وانتهزها الشباب فرصة . . فبطحوا اكثر من خمسين ايطاليا على الأرض واشبعوهم لكما وضربا . . ولم يجرؤ هؤلاء على الشكوى . . فالأوامر صريحة بذلك . .

(صحفي بين الآخرين)

. . وقد أعطتني الشارة الخاصة باللجنة . . صلاحيات وحرية حركة . . قمت بتعليقها على ظهر ياقة السترة . . وصرت أخترق الصفوف الخاصة بالحراسة . . وأصل الى الأماكن المحرمة على الآخرين . . وأجول بين الصحفيين . . وكان قد استرعى انتباهي . . وشدني واحد منهم . . وذلك لأنني صرت أراه كثيرا وهو يبتعد عن الآخرين . . وينحو الى الناس ويلقى الأسئلة . . التي لا تخفى دلالتها على أي وطني . . وسرعان ما قدمت له نفسي . . وجلسنا على انفراد . . وأفهمني أنه عربي أولا وقبل أي شيء آخر . . وانه يعرف أبعاد قضيتنا الوطنية . . وأن الايطاليين لا يتشككون فيه . . بل يحاولون اقامة علاقة طيبة به . . وذلك باعتباره صاحب صحيفة (الجزيرة)[١] التي تصدر في دمشق . . كما أنه مؤلف كتب . . منها كتاب عن فلسطين وآخر عن الحبشة . . وفهمت منه أيضا أن ايطاليا . . رحبت بطلبه للقدوم الى طرابلس . . وتغطية رحلة موسوليني . . وسرعان ما توطدت علاقتنا خاصة عندما أخبرني أن رضاء ايطاليا عنه . . يسخره لخدمة القضايا العربية . . والطلب والالحاح على مشاركة العرب في الادارة . . واجراء الاصلاحات التي يستفيد منها العرب . . وسأتناول ذلك في مكان آخر . . فقد استمرت علاقتنا بعد رحلة موسوليني . . وتكرر لقاؤنا كثيرا وتبادلنا العديد من الرسائل لفترات طويلة . . وقد ساعدني اثناء الاحتفالات على الاتصال بالصحفيين الآخرين . . من العرب والأجانب . . كما شجعني على الاختلاط بهم . . وعندما كنت أتحفظ في الرد على بعض

---

(١) انظر رقم ٣ في مجموعة الوثائق الملحقة .

الأسئلة . . كانوا يذكرون لي أنهم عرب . . وأن المصلحة العربية فوق اي اعتبار . . وأشهد هنا انهم تعاطفوا مع كل القضايا التي عرضتها عليهم . . وأبدوا تفهما لها . . رغم ان ايطاليا هي صاحبة الدعوة لهم . . وهي من ثم التي تتحمل تكلفة الاقامة والانتقالات لهم . . وقد استمر في زيارتي بالبيت والمتجر . . بعد خروجي من لجنة الاحتفالات . . ولذلك قصة . . ففي عين زارة . . لم نكن كلنا كشباب نعرف شيئا عن مناورة تسليم سيف الاسلام لموسوليني . . وقد فوجئت بها انا وزملائي . . ودارت بي الأرض . . وأنا أسمع ان موسوليني حامي الاسلام . .

(تنكيس الأعلام الايطالية)

وقمت من فوري الى الاعلام الايطالية المرفوعة على (أقواز) الرمل في المنطقة . . فقلبتها جميعها وتركتها منكسة على الأرض . . وساعدني في هذه العملية كل من الشابين يوسف بن كورة والهادي خرم . . حتى أتممناها بسرعة . . وقبل أن يتنبه الينا أحد . . وقفنا نتشفى بمشهد الاعلام وهي مغموسة في التراب . . والأخشاب التي تحملها هي المرتفعة في الهواء . . وعند عودتنا من (عين زارة) . . اذا باللجنة تجتمع على عجل وقد ظهرت على أحد أعضائها علامات الاضطراب والغضب . . وعند الاجتماع . . اتجه مباشرة اليّ بالكلام قائلا : «أنت قصدك تفتك بالبلاد والعباد . . وكل ما قمنا به خربته» . . واحتد مواصلا الكلام «لقد طلبت مني الحكومة أن أبلغها اسم صاحب هذه الفعلة» . . وتظاهرت بخلو الذهن عما يقصده . . فثار معلنا انه يقصد عملية تنكيس ودس الاعلام الايطالية في التراب . . وان هذه الفعلة لم يقم بها غيري . . » ولم يترك فرصة لأحد كي يتدخل فاتهمني بأنني الوحيد (المشبوه) . . وأنهم قبلوني على مضض في اللجنة . . وأنه لابد من انسحابي فورا . . ورددت على ثورته بمثلها فقلت ان اللجنة لا فائدة منها . . مادام الأمير شكيب ارسلان لم يحضر . . وهنا تهدج صوته وتضخم . . وهو يعلن طردي من اللجنة . . وقد آزره البعض . . وكأنهم يتخلصون من أفعى . . وتدخل السيد أحمد قنابة في محاولة لابعاد المسؤولية عني . . معللاً بأنني لم أعترف . . وكادت تحدث مشادة بينهما لولا تدخل

علي أمين سيالة . . وقد جهد الشيخ لتلطيف الجو . . وانفضت الجلسة على ألا أعود إليها . . وفي الغد لم أعد إليها . . وقد تطوع بعض أعضاء اللجنة بالذهاب لأبي واخوتي . . بحجة النصيحة . . والتخويف من انتقام الايطاليين . . ولكن ايماننا جميعا بالله . . جاء فوق أي خوف أو حذر . . وتطورت الأمور على نحو لم يكن متوقعا . .

(خطاب ليس له معنى):

. . فقد قطع موسوليني الزيارة قبل موعدها بثلاثة أيام ، وكثر القيل والقال حول أسباب ذلك ، وفي اليوم الأخير وقبل مغادرته لطرابلس ، وقف موسوليني على المنصة فوق جواده العربي ، قرب سلم السراي ، أمام نقطة الشرطة ، وألقى خطاباً طويلاً ، كان عبارة عن حشد من الجمل والتراكيب التي تتدرج تحت مفهوم (الثرثرة) ، ومن جملة ما سمعته منها هذه الجملة المدوية : «اني كما تعلمون لست من أولئك الذين يأتون بالوعود جزافاً ، ولكنني اذا قطعت عهداً فلابد من انجازه . .» وخلف هذا الموقع كانت مجموعة من النخل ، بعد رحيله بأيام ، جاؤوا بتمثال بالحجم الطبيعي له وهو فوق الجواد ، وجرى وضعه وتثبيته في ذلك الموقع ، وكأن أشجار بلادي بدورها ترفض هذا الوجود البغيض في كافة صوره وأشكاله . . اذ مالت نخلة على التمثال وظلت تقترب منه رويداً رويداً لتخفيه وتخفي منه خاصة السيف الذي في يده ، فقد احتجب بين جريد النخل ، وظل هكذا حتى رفعه الانجليز من مكانه نظراً لحاجتهم الى المعادن المصنوع منها ، وقد وصل الى يدي تمثالان صغيران من هذه التماثيل المعدنية ولوصولهما قصة اخرى كاملة . . وقد أهديت واحدا للمتحف ، والثاني ما يزال في حوزتي . . وقبل رحيل موسوليني أنعمت ايطاليا بأوسمة على بعض الأفراد فارتفعت أصوات آخرين بين متوسلين ومطالبين بالأوسمة ، وبعد وصول موسوليني الى روما ببضعة أيام ، وبالتحديد في ١٩٣٧/٤/١١ ، ترأس مجلس الوزراء ، وطرح على الاجتماع وعوده للشعب الليبي[٨] ، واتخذ قرار بالعفو عن

---

(٨) انظر رقم ٤ من مجموعة الوثائق الملحقة .

اللاجئين الليبيين في الخارج والسماح لهم بالعودة ، ومساعدتهم بتسليمهم أراضيهم الخالية . . كما أعطى للحاكم العام الحق في توقيف الاجراءات الصادرة من المحاكم ضد الليبيين حتى تاريخ ١٩٣٧/١/٣١ ، وكذلك حق التجنس لمن يريد أن يحمل الجنسية الايطالية مع البقاء في الاسلام . . وبتاريخ ١٩٣٨/١٠/٢٦ ، أي بعد حوالي عشرة أشهر من هذا التاريخ ، أصدر الحاكم الايطالي ايتالو بالبو بلاغاً يعلن فيه بشرى تحقيق الوعود التي قدمها الدوتشي ، بقرار المجلس الفاشي الأعلى ، بضم ليبيا إلى ايطاليا ، وهو منشور طويل ، ويقال ان تقديم السيف أثناء الزيارة كان له نفس هذا المعنى وهو الانسلاخ عن الجنسية الأصلية العربية والتجنس بالجنسية الايطالية والحاق ليبيا لتصبح جزءاً من ايطاليا كما ألحقت فرنسا الجزائر بها ، تماماً نفس الأمر .

(نعم .. ما فعل الولد ..)

وقد كان لهذه القرارات رد فعل عنيف في العالم العربي والاسلامي قاطبة وللحقيقة فإنه لم يقبل التجنس إلا قليل من الموظفين الذين حمل لهم رؤساؤهم استمارات التجنس ، بصورة توحي بالقهر ، فضلاً عما فيها من تهديد وحرج ، وقد رفض البعض علانية قبول الاستمارات أو التفكير في عملية ملئها ، بل ان منهم من مزقها جهاراً نهاراً أمام الجميع ، ومن هؤلاء الخيرين أحمد راسم باكير ، وكان معلماً بمصراتة ، وقد كتب المسؤولون بمصراتة الواقعة ورفعوها لادارة المعارف بطرابلس واتصل هؤلاء المسؤولون بوالد أحمد فلم يتردد الشيخ في أن يعلن على الاشهاد تعليقاً قصيراً رائعاً : «نعم ما فعل» . . وزادت الأمور تعقيداً ، فقد جاءني أحد المسؤولين وطلب مني أن أنصح أحمد بالاستقالة والاختفاء فوراً حتى لا يتعرض لعقوبات صارمة ولانتقام الايطاليين ، وقد أبرقت إليه للحضور ، فلم يرد ، فركبت السيارة العمومية في اليوم التالي الى مصراتة وأبرقت له أشعره بقدومي اليه ، وعند نزولي منها ، تقدم إليّ مباشرة من يدعوني للتوجه إلى المتصرفية ، فتبعته ، وعند الدخول على المتصرف الايطالي ، أجلسني أمامه وأحضروا لي ملفاً وفتحه ، ثم استنكر عملية حجز البرقيات واتصل بالبريد معاتباً على حجزها خاصة وأن ليس فيها أي مأخذ ، وقد أفهمني أن الجنسية

تطلب ولا تفرض ، ولصاحبي الحق في أن يرفض ولكنه دون تمزيق الأوراق ، وإذا صحت عملية تمزيق الاستمارات فهذا شيء آخر ، وانه لو كان الدوتشي يريد فرض الأمر ، لأصدر بسهولة القانون الذي يسري على الفور ودون ما اختيار في هذا الصدد ، فنستريح خاصة وأن الكلام كثير بين راض ومحبذ ، وقد انتهى الموضوع بسلام بسبب استنارة هذا المتصرف . ولزيادة الترغيب طلب الوالي بالبو من رجال الدين إباحة التجنس ، فترددوا أولاً ثم تسابق بعضهم على تقديمها .

الفصل العاشر

سلاح آخر .. دخل الميدان

لعبت الرصاصة دوراً أساسياً في كفاحنا الوطني ضد الاحتلال الايطالي .. وذلك عبر مرحلة هامة في عمر الحقبة الايطالية البغيضة . ولكن الكلمة أيضاً لعبت دورها منذ بدء الاحتلال .. وحتى نهايته .. وان كانت ايطاليا قد عملت المستحيل من أجل القضاء على مطلقي الرصاصة أو اسكاتهم .. ودفعت في سبيل ذلك الآلاف من قتلاها وجرحاها .. سواء عبر المواجهة العسكرية المباشرة .. أو من خلال بث الفتن .. ونشر الدسائس في ربوع البلاد .. الى آخر ما ذكرته كتب التاريخ المعروفة .. وفي مقدمتها ما كتبه ايطانيون عسكريون ومدنيون على السواء .. ان كان ذلك كله وغيره حقيقة راسخة .. فانه على نفس المستوى .. تجيء مكافحة ايطاليا للكلمة .. ودأبها الدائم على خنقها .. وتكميم الأفواه .. حتى لا ينطقها قائلوها .. بل وسد الآذان حتى لا يصل ذويها الى الشعب .. ونشر البصاصين في أرجاء البلاد .. وبثهم في كافة المحافل وأماكن تجمع الناس هو محاولة في هذا الصدد .. واقفال المدارس .. وتحريم التعليم على أبناء الشعب .. وتعميم الجهل ووأد الوعي بالكلمة هو أيضاً محاولة في هذا المجال نفسه .

وترويج الأكاذيب والادعاءات الباطلة .. عن انتصارات وهمية .. او عن بطولات كاذبة لجنودها .. في نفس الوقت الذي واصلت فيه الجهد تشويها

وتحريفا لمعارك الجهاد . . ولأهداف المجاهدين . . ذوداً عن الحرية . . وتضحية من أجل الشرف . . وموتاً في سبيل العرض والأرض . .

وللحقيقة وللتاريخ . . فان كلا الطرفين . . قد قدر هذه القيمة الحياتية للكلمة . . وأعني بالطرفين هنا . . الشعب والطليان . . ففي أوج المعارك . . وتحت وطيس نار المدافع والبنادق . . برز شعراؤنا الشعبيون . . وتحولت قصائدهم لأغان ترددها النساء والرجال والأطفال . . وتستقبل بها مواكب المجاهدين الظافرة . . في اثناء الكر والفر . . وحرص الناس . . كل الناس على سماع الكلمات التي تنقل اخبار المعارك . . وعلى ترديدها وتناقلها . . داخل البيوت . . وفي الشوارع . . وجلسات الشاي . . وكان في طليعة انجازات حكومة الباروني . . اصدار صحيفة . . وذلك الجهد الواعي من اجل صياغة الاتفاقيات مع ايطاليا في كلمات مكتوبة . . لها قدسيتها واحترامها . .

(حرب الكلمة .. من الخارج)

وعندما اشتدت الأزمة . . وتعذرت الكلمات داخل حدود الوطن الصغير . . خرج بها ومن أجلها العديد من أبناء البلاد . . شرقاً وغرباً . . في أرجاء الوطن الكبير . . وفي بعض دول العالم . . وقصة الوفد الليبي لروما مشهورة . . فلم يكن أعضاء هذا الوفد يحملون بنادق ولا قنابل . . وإنما كان كل هدفهم هو الاتصال بالأحزاب الاشتراكية الايطالية . . وايصال كلمة الشعب الليبي اليهم . . ولم تجد ايطاليا مفرا من اعتقالهم . . فهرب البعض . . ووقع في قبضتهم البعض الآخر . . وحتى لا يطول بنا الأمر فانني اكتفي بذكر بعض مظاهر العسف . . وأعني بها مصادرة الكتب والمطبوعات . . وأحكام السجن والغرامات . . وقوائم الكتب الممنوعة . . وقد سمعت من بشير السعداوي جملة تلخص ما تقدم كله . . وتشير اليه في قوة وباقتدار . . قالها لي اثناء حديث بيننا . . عن موقف الصحف العربية والعالمية من القضية الوطنية . . قال بشير بالحرف الواحد وهو بصدد صحيفة الشورى وصاحبها محمد علي الطاهر : «لو

كان الجميع مثل الطاهر . . لكان لنا شأن آخر مع ايطاليا» . . مشيرا بذلك الى الدور الكبير الذي تقوم به الكلمة فوق صفحات الشورى . . في مؤازرة القضية . . وفضح الممارسات والجرائم الايطالية . . وبهذا القدر نفسه من الاهتمام والوعي بدور الكلمة وخطورتها . . وقفت ايطاليا فاضطررنا الى استخدام الشفرة في الرسائل . . واخفاء الخطوط . . وحتى البصمات . . وارسال الرسائل الى بعضنا بأسماء وعناوين غير حقيقية . . تجنباً للبطش والتنكيل . .

(.. من اجل جهاز الراديو ..)

ومازلت اذكر قصة اجتماع هام تم في طرابلس . . كرست له ايطاليا اهتمامها . وخصص له بالبو وقته ومكتبه . . وحرص على ان يحضره جميع تجار اجهزة المذياع بلا استثناء . . وكنت واحداً منهم . . ودخلنا الى بالبو . . فإذا به يطلب منا أن نقدم أنفسنا . . واحداً واحداً . . بعد أن ركز كل كلامه على ضرورة ادخال المذياع في كافة المحلات والقرى والمدن . . وبعد أن نجح الفنيون في تصميم جهاز استقبال ثمنه عشرون فرنكا فقط . . يلتقط الاذاعة المحلية . . ولم يفت بالبو ان ينبه مباشرة الى خطورة دور الكلمة التي تخرج من هذا الجهاز الى الناس في البوادي والمدن . . ولم يكن من قبيل الصدفة أن أكون التاجر العربي الوحيد الذي يحضر هذا الاجتماع . . فكل التجار ايطاليين أو يهود . . وقد أثار وجودي التفات الجميع . . عند تقديم نفسي . . حتى لقد علق (بالبو) على ذلك . . وسألني باستغراب ان كنت عربيا . . فأجبت بالايجاب . . ولست أدري لماذا ذهب بي خيالي في ذلك الاجتماع نفسه . . الى المستقبل القريب . . الذي أحصل فيه على جزء من محتويات مكتب (بالبو) . . لأضعها على مكتبي رمزا لحقبة بغيضة مرت بالبلاد . . ولا أدري أيضاً لماذا استقر اختياري من هذه المقتنيات التي أمامي . . على تمثا ل صغير للدوتشي من المعدن فوق جواد عربي . . وضعه بالبو فوق مكتبه . . ودعوت الله في أعماقي ألا يطول انتظاري . . والطريف انني كنت امر في أحد الأيام من امام السرايا الحمراء التي اتخذها (بالبو) مقراً له . . وذلك عقب الهزيمة الايطالية . . فاذا بأحدهم يمر أمامي حاملا بعض

مقتنيات القصر . . فاستوقفته أطلب منه أن يبيعني التمثال . . وبالفعل اشتريت التمثال وعدت به الى البيت . . وبعد بضع ساعات . . اذا بطرقات على باب بيتي . . ولما فتحت وجدت في مواجهتي شخصاً آخر يحمل تمثالاً آخر بنفس المواصفات . . قدمه لي قائلاً : انه سمع حديثي عن التمثال . . فأحضره لي من القصر . . وأصر هذا الأخير على رفض أي مقابل لهذا التمثال . .

(تبادل استخدام نفس السلاح)

المهم . . لقد أفقت على صوت بالبو . . وهو يدعو الى بيع اجهزة (المذياع) بأقل سعر ممكن . . وعدم المبالغة في تحديد الأرباح . . من وراء هذا الجهاز بالذات . . والا . . وانساق في التهديدات والاغراءات أيضاً . . بحجة حرص ايطاليا على تعميم هذا الجهاز لينشر الدعاية للفاشيست . . ويبشر بقيام الامبراطورية الجديدة . . إلى الآخر . . ولعل هذا نفسه . . هو ما أدركه الصحفيون والكتّاب العرب . . فعملوا على نشر ما يصلهم عن فظائع ايطاليا ضد الشعب . . وتعددت الأسماء في الشرق والغرب على السواء . . كما سبق ان ذكرت . . وكان لتيسير ظبيان الصحفي السوري . . وصاحب جريدة الجزيرة دور اكبر من مجرد النشر . . فقد عمل أيضاً على الكتابة مباشرة للطليان طالبا الاصلاحات . . كما عمد الى نشر كل ماهو في صالح القضية الوطنية . . وحتى لا يقطع علاقته بايطاليا . . فانه لجأ الى نشر الكثير من المعلومات والبيانات بأسماء مستعارة في بعض الأحيان . . وقد ذكر في صراحة . . كما قلت . . ان (ايطاليا راضية عنه) . . وأنه يسعى لعمل شيء يرضي ضميره وعروبته واسلامه . . مستغلاً هذا الرضاء . . وقد أتاحت له ايطاليا فرصة الدخول في دوائر الحكومة . . والتجول في طول البلاد وعرضها . . وكان ذكياً وحكيماً في استدراج الموظفين والمسؤولين للاجابة عما يدور في العلن والخفاء أيضاً . . وقد أتاح لي التعرف اليه من خلال لجنة الاستقبالات الشعبية . . أن أقيم معه علاقة صداقة . . وصرت أقدّم اليه شخصيات أخرى ليبية . . ونعقد اجتماعات سرية معه . . يسمع فيها . . ويستفسر . .

(الوقائع وتجميع الأدلة)

ولم يكن يقبل بأمر مالم نكن نقدم له فيه الوثائق والأدلة المقنعة . . وحرصت السلطات الايطالية على أن يصحبه مرافق موثوق به من جهتها . . وقد التزم هو الحذر . . وأن شكر العنيزي على اتاحة الفرصة له كي يقترب من الناس . . ويوجه كل ما يريد من أسئلة . . اذ كان العنيزي وعلى أسعد الجربي هما المرافقين له في معظم الوقت . . وقد حاولت الافادة لأقصى حد من هذه العلاقة بتيسير ظبيان . . فدونت العديد من حقائق الممارسات الايطالية . . وما وصل الى سمعي منها . . وقدمتها له . . طالبا منه أن يتحرى عنها ويجمع ماشاء الله له فيها من أدلة وبيانات . . وستمكنه جولاته وزياراته للمواقع المختلفة من ذلك . . وقد كان . . اذ أبلغني بنفسه انه توصل الى بيانات ووقائع مثيرة ودقيقة . . وأن كلاً من محمود المنتصر وعلي العنيزي قدما له مساعدة طيبة . . وزود بالبيانات والأرقام . . وقد تكررت زياراته للبلاد . . ولم تنقطع صلتنا عبر الرسائل والمكاتبات . . وقد أبرق لي مرة أنه سيدخل البلاد بطريق البر من حدودها الشرقية . . وكان هذا يعني بالنسبة لي أكثر من الخبر الذي حدد تاريخه بيوم ١٩٣٧/١١/٢٠ . . فقد صار اتفاق مسبق بيننا . . على أن يمر على لجنة دفاع طرابلس - برقة . . أثناء وجوده بدمشق ويحمل لنا منهم المطبوعات . . ويحضرها تحت كتبه ومؤلفاته . . وقد لبى لنا الطلب في مرات سابقة . . أما في هذه المرة فان المفروض حسب البرنامج الموضوع له . . أن يصل لطرابلس بعد أربعين يوماً من دخول البلاد . . مما قد يعرض (الكتب والمنشورات) للاكتشاف والوقوع في أيدي السلطات . .

(ممنوعات داخل سلامة):

وقد فكرت في الأمر ملياً . . حتى هداني تفكيري الى حيلة . . فطلبت منه أن يسلم كتبه (إلى عبد الهادي ستيته في طبرق) . . وهو يعرفه وسبق لهما ان التقيا . . وعرف تيسير أيضاً أن عبد الهادي من المجاهدين . . الذين عملوا مع عمر المختار (المحافظية) . . ولم يتردد في تسليم الصندوق الكبير كاملاً . . وبكافة

محتوياته الى (عبد الهادي) فعلاً . . أما أنا فإنني انتهزت فرصة وجود شريط الخيالة (سلّامة) الذي كان يعرض وقتها لحسابنا . . فسعيت حتى وصلت الى اتفاق لعرضه في طبرق ودرنة وبنغازي . . ورتبت امري على أن أحمل بكرات الشريط في اكبر عدد ممكن من الصناديق وان اضع بينها حشوا من الأوراق والنجارة وحجزت تذكرة بالطائرة الى بنغازي . . وفي المطار جرت عمليات التفتيش والوزن . . ونزلت في بنغازي . . ومنها الى درنة . . وجاء الدور على طبرق . . وهناك وجدت عبد الهادي ستيتة في انتظاري . . قمت بافراغ الحشو من الصناديق . . وملأته بالكتب والمنشورات . . ثم وضعت فوقها بكرات الشريط . . وفي بنغازي تسلم المجاهد اسعد بن عمران نصيب بنغازي . . وأسعد له جولات وطنية . . وصلت الى حد الفداء . . فضلا عن نشاطه وذكائه وشعبيته التي وفّرت له حب واحترام الجميع . . فهو الذي أسس أو غرس النواة الأولى لجمعية عمر المختار في المهجر . . وذلك عند تشكيل الجيش السنوسي لدخول ليبيا - كما سيرد - واثناء وجودي ببنغازي في رحلة العودة . . مررت وأسعد بن عمران على مكتبة صديق لي . . أردنا أن نقدم له بعضا من الكتب على أمل توزيعها ولما لم نجده تركناها له بين الصحف والمجلات الأخرى . . وانصرفنا . . ولم نعرف حتى اليوم مصير ما تركناه .

هدية .. لا تهدى :

كنت أنزل بفندق (جراند هوتيل) في بنغازي . . وذلك بعد أن تسلمت الكتب الممنوعة والتي أحضرها الصحفي السوري تيسير ظبيان معه من الشام . . وقد أعددت نفسي على اساس السفر بها داخل الصناديق الخاصة بشريط (سلّامة) ولكنني اثناء وجودي في حجرتي . . أخرجت اعدادا منها . . للاطلاع عليها ووضعتها على الطاولة . . وأثناء انهماكي في ترتيب الكتب واخفائها . . سمعت طرقات مفاجئة على الباب فأسرعت بفتحه . . ودخل عمر المحيشي جاء للسلام كالعادة . . وقد وضع يده على الكتب . . وسألني - ماهذا . . فأجبته تلقائيا ودون ما تفكير . . بأنها هدية احضرتها له معي . . وبنفس الجدية طلب مني أن الفها له ليحملها . . وبالفعل قمت بلف الكتب وكلها ممنوعة وقدمتها له .

ومع أول فرصة جاء فيها لطرابلس .. جاء بالكتب معه .. وزارني مع محمد رجب السوكني وبشير الغويل في بيتي وتحت يده رزمة .. ولما هممت بتناولها منه .. لجأ إلى التمويه على من معه .. قائلا انه طرد مرسل من رحومة بن يعقوب وفهمت أن رفيقيه لم يكونا على علم بمحتويات الطرد فحاول محمد السوكني خطفه مازحا قائلا (اقسم علينا) وقد ضمت جلسة الغداء والشاهي كلا من أخي علي ، احمد قنابة ، احمد الحصائري ، ومحمد الميت .. وكان الحديث طيلة الجلسة يدور حول تردد تيسير ظبيان الصحفي السوري صاحب جريدة الجزيرة وتجوله في كل البلاد ، وكنا نأمل أن تأتي هذه الزيارات ولو بقليل من الراحة والطمأنينة .. وألا تكون لصالحه فحسب .

وقد كتب تيسير مذكرة تطالب بالاصلاح .. ليسلمها لموسوليني .. وأطلع عليها علي العنيزي .. ومحمود المنتصر .. وأعجب الاثنان بما جاء فيها .. فقدمها لموسوليني في روما .. كما أراد أن ينظم محاضرة في طرابلس وطلب مني أن أساعده بتجميع اكبر عدد من الناس .. وذلك حتى تبدو له شعبية في نظر الايطاليين .. فلا يمانعوا في الاستجابة لما في المذكرة .. ولأنني كنت اعرف مشاعر الناس فقد حاولت أن أثنيه عنها .. خشية ان يقاطعها الناس على أساس ما يعرفونه عنه أو الوجه الظاهر له امامهم من تعاونه مع الايطاليين .. ولكنه أصر على القاء المحاضرة ..

(خطط ورسائل)

.. وصمم على أن أدعو إليها .. وأقدمه للناس قبلها .. وقد تحدد مكان المحاضرة وهو مسرح (البوليتامه) وفي الوقت المحدد جاء الجمهور .. وشغل نصف المقاعد .. أو أكثر .. وحاولت أن أجعل أحد الأدباء يقدمه للناس .. لكنهم رفضوا جميعا .. فأصر على طلبه أن أقدمه أنا .. وبالفعل قدمته .. وكان موضوع المحاضرة تلخيصاً لكتابه عن الحبشة المسلمة .. ووصفا لما كابدته من تخلف عبر العصور .. وما بدأ من محاولات الاصلاح .. وهذا المعنى الأخير يومىء بالطبع الى دور ايطاليا في تحريك عجلة الاصلاح .. وقد تنامت الثقة

بيننا . . فأطلعني على الكثير من مشروعاته ونواياه . . كما أطلعته على جانب من علاقة لم تنقطع في صورة مراسلات لشكيب ارسلان . . وكيف انني اكتب اليه من طرابلس بتوقيع (المستعبد) . . وعندما اكون بتونس اكتب له بالاسم الحقيقي . . وفي هذه وتلك اصف له مدى ما ترتكبه ايطاليا ضد الشعب من ممارسات وخطايا . . ولعل اوضح بيان يمكن ان اقدمه هنا . . هو نقل بعض الفقرات من مقالاته ومذكراته . . وقد حرصت على أن تحمل الدلالات في وضوح وبتركيز شديد . . يقول تيسير في مذكراته .

« . . وقد بدأت الرحلة في أواسط شهر آذار (نوفمبر) ١٩٣٧ . . وقبل مغادرتي دمشق قابلت بعض الزعماء الليبيين . . وعلى رأسهم بشير السعداوي وعمر فائق شنيب فزودوني بكثير من المعلومات الهامة . . والأوراق الخطيرة . . لكي أسلمها الى بعض اخوانهم في طرابلس الغرب . . الذين كانوا يقومون بنشاط سياسي سرا ، أذكر منهم الهادي ابراهيم المشيرقي من كبار وجهاء طرابلس . . » .

ويقول في موضع آخر ، اشارة الى جانب آخر من اجتماعاته بوفود من الوطنيين بالبلاد : . . . » اذا قلت بأن الحانوت التجاري الذي يملكه السيد المشيرقي واخوانه النشيطون . . ومنزلهم . . كانا بمثابة ندوة يلتقي فيها النخبة المنتخبة من الوطنيين الليبيين . . وقد اثارت هذه الاجتماعات على ما يظهر اهتمام السلطات الايطالية . . فاتصل بي احد كبار الموظفين الايطاليين في فندق (مهاري) بطريقة لطيفة . . وسألني عما اذا كنت ارغب في تمديد اقامتي في ليبيا بعد انتهاء الرحلة الرسمية . . وأشار من طرف خفي . . بأن بقائي يتطلب اجراءات واتصالات مع روما . . ثم قال : «ان المارشال بالبو على استعداد لاستقبالك في الموعد الذي تحدده . . اذا ازمعت على السفر . . » . . وجاء ايضاً . . في هذه المذكرات . . تحت عنوان : (رحلة ثانية الى ليبيا - نوفمبر ١٩٣٧) . . يقول الكاتب نفسه : «وقبل أن أبدأ الحديث عن هذه الرحلة التي استغرقت شهرين . . لا أنكر بأنها كانت على جانب عظيم من الأهمية . . وذات تاريخ واسع المدى . . لقد استطعت في غضونها أن أقف على معلومات دقيقة عن

وضع الشعب الليبي . . وما يعانيه من متاعب وما يكابده من آلام . . والفضل في ذلك كله للاخوان الاحرار الذين مدوني بتلك المعلومات . . وعلى رأسهم المفضال السيد الهادي المشيرقي الذي ساعدني على أداء مهمتي الصحفية والقومية على أكمل وجه . .» .

(ملامح شخصية مجاهد)

وكتب ايضاً عن عبد الهادي ستيتة ما يلخص حقائق وملامح حول الشخصية الوطنية عامة : «عبد الهادي ستيتة تاجر متوسط الحال . . يناهز الأربعين من عمره . . ثقافته محدودة . . ولكنه ذكي ونشيط . . وعقيدته الاسلامية راسخة . . واخلاقه مرضية وحديثه شيق . . وقد يتظاهر امامك بالسكينة والغفلة . . ولكنه على جانب من الدهاء والرأي . . وقد لاحظت انه يتجنب الخوض في الأحاديث السياسية . . أما في الحقيقة فانه يضمر لهم حقداً دفيناً وكراهية متأصلة . . كيف لا . . وهو الذي تتبع أعمالهم التعسفية عن كثب وأدرك نواياهم الاستعمارية البعيدة . . وقد زرته في حانوته التجاري دون سابق معرفة أول زيارة . . ولما اختليت به وأطلعته على المهمة التي أنهض بها . . والفكرة التي أحملها . . والتحيات التي زودني بها بعض المجاهدين الطرابلسيين في دمشق وغيرها . . اطمأن إليّ . . وأخذ يفرغ مافي جعبته من المعلومات السرية . . ويرشدني الى الاشخاص الذين يجب أن أتصل بهم . .

(تصرفات حول اجتماع)

وهذه قصة أخرى . . وردت في مذكرات نفس الصحفي . . وأقدمها هنا لما لها من دلالة . . فهي تلقي الأضواء على علاقته بالايطاليين . . وعما حمله ويحمله هذا الصحفي من حميّة عربية . . وللقارىء الحكم أولاً وأخيراً . . يقول تيسير ظبيان . . «ان مكتب المارشال (بالبو) الحاكم العام . . اتصل بي ذات يوم في فندق (مهاري) الذي حللت به اثناء اقامتي بطرابلس . . وأعرب عن رغبة المارشال في مقابلتي بمكتبه في صباح ذلك اليوم . . فتوجهت في الوقت

المحدد . . وأنا أتوجس خيفة مـن نتائج هذه المقابلة . . لأنني قبل يومين قد تناولت الشاهي في منزل الصديق الهادي ابراهيم المشيرقي مع نخبة من الشبان الأحرار الذين كانوا يعملون سراً ضد الاستعمار الايطالي . . وقد اطلعوني على كثير من الأسرار والمعلومات الدقيقة . . وقصوا علي بعض الأعمال الهمجية والحوادث الوحشية التي كان يرتكبها الحكام الفاشيست والأساليب التي كانوا يعمدون اليها لاذلالهم واضطهادهم وحرمانهم من حقوقهم المشروعة . . وكنت أدون هذه الحوادث بأرقامها وتواريخها . . وقد أخبرني في اليوم التالي أحد الاخوان المخلصين ان سلطات الأمن علمت بهذا الاجتماع . ويتابع : «وعند المقابلة لم يفاتحني بذلك الاجتماع وانما اخذ يستدرجني في الحديث بلباقة للوقوف على مدى ما يجيش في صدري من انطباعات ومشاعر عن الحكم الفاشي» . .

واذا كان لي ثمة تعقيب في هذا الصدد . . فهو تلك الانطباعات التي تصب في نفس التيار الآثم . . فعندما كنت اذهب لمقابلة هذا الصحفي الوطني في الفندق . . يطلب مني (بواب الفندق الايطالي) . . ان انتظر في صالة الفندق واقفاً . . ويصر على ترديد مفهوم الوقوف . . في الوقت الذي يسمح فيه للزوار الايطاليين واليهود بحرية الحركة صعوداً إلى حجرات زائريهم . . أو جلوساً في قاعة الفندق وردهاته . . ويظل يترقبني مخافة أن أغافله واجلس . . واظل تحت رقابته الصارمة حتى ينزل الاستاذ فيصطحبني للجلوس معاً . . والطريف هنا ان الايام دارت دورة كاملة . . ووجدت نفسي استأجر وأدير هذا الفندق نفسه في سنة ١٩٥١ . . وصار هذا الايطالي يعمل تحت ادارتي . . ويتلقى أوامره مني . . وينفذها صاغرا . . ومخفياً ما في نفسه بالطبع من أحقاد وضغائن طالما جاهر بها ضد العرب من ابناء البلاد . . محتمياً بالوجود العسكري لأبناء بلده .

الفصل الحادي عشر

في سجون الايطاليين

بقدر ما أدهشت (بالبو) حقيقة وجود عربي وسط تجار الراديو . . بقدر ما أدهشتني أيضاً . . إذ أحسست بغرابة الموقف . . فهذه بلادنا . . ومع ذلك فإن ميداناً تجارياً هاماً . . يبقى حكراً على اليهود والأجانب . . هذا في الوقت الذي تتيح فيه تجارة هذه الأجهزة . . الفرصة لتغطية تسويق الكتب والمجلات المرخصة وغير المرخصة . . فكلها ، أجهزة الاذاعة والصحف والمجلات . . مصنفة كأدوات اعلام . . من هنا قررت التوسع في تجارة الراديو . . والدخول فيها مباشرة مع الشركات العالمية . . دون وساطة . . والوسطاء في أغلب الأحيان اما ايطاليون أو يهود . . وبالفعل سافرت وأخي عبد المجيد الى ايطاليا للتعاقد على صفقة من الأجهزة . . كان ذلك في أواخر مايو سنة ١٩٤٠ . . وبينما كنت وأخي في شركة (سافر) للراديو بروما . . إذا برئيس أحد الأقسام ينصحنا بالعودة لبلادنا فوراً . . لأن ايطاليا ستدخل الحرب بين ساعة وأخرى . . وشاء الله تعالى أن نأخذ النصيحة بجدية واهتمام . . فخرجنا من عنده مباشرة . . نتحسس طريق العودة لطرابلس . . رغم أن مسألة دخول ايطاليا الحرب لم تكن جديدة . . فمنذ البداية . . والشواهد تتوالى داخل البلاد . . مؤكدة أن ايطاليا في طريقها للحرب . . وقد أمكن لي ولغيري رصد ذلك في عدد من المظاهر منها :

ـ الطريق الحربي الضخم . . الذي شقته ورصفته ايطاليا . . في المنطقة الواقعة بين قرقارش وحي الأندلس . . امتداداً الى باب بن غشير . . وذلك حتى

تتم التنقلات العسكرية الايطالية من شرق طرابلس وغربها . . دون ماحاجة للمرور بوسط المدينة . . كما كان يحدث من قبل . .

- بدأ المقاولون منذ فترة مبكرة في حفر خندق كبير . . يمتد من جنزور البحر . . حتى تاجوراء البحر . . وقد أثار هذا الخندق تعليقات الأهالي وأحاديثهم . . اذ كانت ايطاليا قد أنشأت سوراً كبيراً يمتد من قرقارش البحر الى الهنشير البحر وبه عدة أبواب منها باب قرقارش وباب العزيزية وبن غشير ورأس حسن والهاني وغيرها ولازالت اسماء الأبواب تذكر في تعريف الطرق رغم الخطأ الجسيم الذي وقعت فيه بلدية طرابلس عملاً بنصيحة فنييها من الايطاليين وذلك بتهديمهاالسور وقد ابقت على بعض الأمتار منه مهملة رمزاً ضئيلاً على ضعف ايطاليا امام ضربات المجاهدين . . وذلك عند بداية احتلالها للبلاد . . اتقاء لهجمات المجاهدين وغاراتهم ، فالحرب كانت حرب فرسان في ذلك الوقت ، وقــد تطـورت الى حرب دبابات . . وجاء السور آنذاك ضخماً هائلاً احتمت به اثنتا عشرة سنة ولا يسمح بالخروج او الدخول الا بتصريح من القيادة[٩] . . وكذلك بدا الخندق مهولا في عمقه وامتداده من منطقة سيدي بلال حتى رأس تاجوراء . . وبلغ اتساعه عند السطح عشرة أمتار . . كما جرى ترميم داخله بالحجارة . .

- على طريق السواني والزاوية جـرى عمـل نشط . . في اقامة قباب بالاسمنت المسلح . . تشبه الأضرحة . . وقد عرف الجميع آنذاك أنها دشم تركبها المدافع الثقيلة . .

ولم يطل انتظارنا بعد العودة . . ففي ١٠ يونيو ١٩٤٠ . . أعلن موسوليني دخول ايطاليا الحرب وجاءت المفاجأة الوحيدة للناس . . أن موسوليني أعلنها في جانب ألمانيا . . في الوقت الذي اعتقد فيه الكثيرون انه لابد داخلها ، ولكن الى

---

(٩) انظر رقم ٥ من مجموعة الوثائق الملحقة

جانب الحلفاء . . وقد أعلن موسوليني الحرب ـ كما عرفنا آنذاك أيضاً ـ دون الرجوع لمجلس وزرائه . . وفي صباح اليوم التالي مباشرة . . دخل (محلي) احد رجال البوليس . . وطلب مني مرافقته . . فسألته ان كان (المشوار) بعيداً أم قريباً . . حتى اتخذ احتياطاتي . . فرد متلطفا بأن البوليس طلبك . . ولعلك تتأخر . . ومن المستحسن تسليم مفاتيح المحل . . وأودعت مفاتيح المحل لدى أخي عبد المجيد . . وذهبت برفقة الشرطي الى مكتب الأمن العام امام المتجر . . ومنه في عربة السجناء إلى سجن باب (بينيتو) . . وفي حجرة تضم اكثر من (٢٠) سجينا استقر بي المقام . . وعلى باب الحجرة قابلني محمد علي الكلابي . . فتفرس في وجهي قليلا ثم قال ضاحكا وموجها الكلام لي : «كل الجماعة المسجونين مظلومين . . إلا أنت تستحق اكثر من ذلك» . . وأدركت على الفور . . فقد كان يعمل مباشرا في السفارة البريطانية او لعله موظف كتابي بها . . وقد امطرت السفارة بوابل من الاحتجاجات على جرائم البريطانيين في فلسطين . . وقبل أن أحاول الرد . . رفع صوته هاتفاً «لم تظلمك ايطاليا اليوم . . ولن ترحمك بريطانيا غداً . . » وسكت وشاء قدري أن يكون سجيناً بنفس الحجرة التي دخلتها . . فلم يكف عن المزاح وتلطيف الجو . . وإن كنت أنسى فلا أنسى هدية بشير جلول حين دخولي السجن . . فقد قدم لي (زميطة) تكفي لعدة وجبات . . وأوصى بي خيراً . . كلا من المساجين والسجانين . . ومن ذلك اليوم أحببت (الزميطة) . . وتحولت الى جزء مفضل من افطاري مع العسل والزيت . . وكان على معرفة كاملة بالسجانين . . وهذا مكنه من تغيير البطاطين لي . . كما طلب منهم أن يعاملوني معاملة طيبة لأني سجين من أجل الوطن . . طبعاً هذا يثير عطف السجانين العرب . . نصيحة عملت بها على الفور . . تلقيتها منه مباشرة . . تتلخص في أن أنسى كل شيء خارج السجن . . وألا أفكر إلا في اللحظة الحاضرة . . ففي رأيه أن التفكير بالمستقبل داخل السجن . . يثير الأعصاب ويرهقها . . فضلاً عن عدم جدواه . . مادام امر الانسان لم يعد بيده . . وبالتالي فان المسؤولية كاملة قد انتقلت منه الى غيره . . وهذا تفكير مبني على أساس عملي .

وقد أخبرني امحمد علي الكلابي . . ان الرسائل التي ترد للسفارة . . كان يقدمها دوارد كسار يهودي يعمل بالسفارة البريطانية . . لأحد الليبيين ليقوم بترجمتها شفوياً الى الانجليزية . . وقد عرف الأخير انني مرسلها . . ومع ذلك فضل عدم ابلاغي بشيء وفضل ان يتركني في طريقي . . أواصل العمل . . خشية ان اتوقف عن الكتابة فيما لو أخبرني . . ورغم الحكايات والأحاديث . . بدت الساعات طويلة داخل السجن . . وعبرها بدأ القلق يخفت . . والحنين للحرية والخارج يخبو والأمل فيهما يتضاءل تدريجيا . . والتسليم بالأمر الواقع ترتفع ارصدته في اعماقي . . وأخذت اتفرغ للقراءة والاطلاع . . خاصة بعد أن صار يصلني الطعام من البيت . . وهذا أمر كانت تسمح به ايطاليا لمن يطلب ذلك من أهالي المساجين . . وكذلك استأجرت سريراً مقابل ثلاث ليرات في الليلة . . وفتحت حسابا جاريا مع (صندوق) السجن . . سرعان ما دعمه اخوتي بمبالغ اخرى بالاضافة لما حملته في جيبي عند الدخول . . وسرنا في الترتيبات على أساس الأمر الواقع . . وتقدم اخوتي بطلب لنقلي الى معتقل (بويرات الحسون) . . وهو أفضل قليلا من السجن . . وكان عبد الرحمن زبيدة ما يزال بالمعتقل . . اذ دخله منذ فترة طويلة . . في وقت مبكر من أيام الجهاد الأولى . . وقد أحيط علما بالطلب . . فاستعد لاستقبالي . . وذلك بتخصيص ركن لي في الكوخ الذي ينزل به داخل المعتقل الذي كان مكانا للجيش يحل به عند الذهاب للصحراء . . وقد رضيت بمعتقل (بويرات الحسون) . . وسلمت امري لله . . ولكن لم تطل اقامتي بالسجن . . فقد ذهبت والدتي الى بيت يوسف خربيش . . وكانت ثمة علاقة عائلية بينها وبين قرينته . . وقد (أخذ بخاطرها) . . وذهب في أحد الأيام الى (بالبو) متشفعاً لي . . وحاول (بالبو) امهاله حتى يعود من طبرق حيث كان مزمعاً الذهاب اليها . . ولكن يوسف خربيش جادله . . حتى قبل (بالبو) . . وأمر الكاتب العام باطلاق سراحي . . وجاء للسجن مصحوباً (بلواجي) المترجم . . وطلبوني في مكتب السجان . . وبعد أن تلقيت عبارات النصح . . أو بالمعنى الحقيقي التهديد في قالب النصيحة . . وطلبوا مني الابتعاد

عن أعمالي والرحيل خارج طرابلس . . أطلقوا سراحي . . بعد عشرة أيام مرت ثقيلة داخل السجن . . رغم التضحية بالنقود لتوفير القدر الممكن من الراحة . . وتخفيف واتقاء المحتمل او المؤكد من اوجه المعاناة والتعذيب . . وطالما سرحت مفكرا في اخوتي المجاهدين الابطال من ابناء الوطن . . ناموا في هذا السجن . . وفي غيره من السجون الايطالية التي امتلأت بها البلاد . . والتي مارسوا فيها أقسى وأبشع عمليات التعذيب ضد المجاهدين . . حتى لقد مات البعض تحت عمليات التعذيب . . وأثناء محاولات الاستنطاق . . لم اصدق انني مطلق السراح . . الا بعد أن فتح باب السجن . . ووجدت نفسي أخطو بالفعل خارجه . . عندها اغرورقت عيناي بالدموع . . لست أدري بالتحديد . . هل كان السبب فرحي بنسمات الحرية . . أو اشفاقي على الاخوة المواطنين الذين لا يعرفون شيئا عن مصيرهم في الداخل . . وينتظرون ساعة الافراج . . او حتى تحديد تهمة . . وفتح ملف التحقيق . . أو ربما كان بكائي اعجابا بتلك الروح الطيبة الصابرة . . التي يحملها الكثيرون . . ومنهم محمد علي الكلابي . . او شفقة على ذلك الصابر الصادق هناك في مكان قصي بالصحراء . . في معتقل (بويرات الحسون) . . اقصد عبد الرحمن زبيدة ورفاقه . .

(الافراج ومصرع بالبو)

المهم . . انطلقت في طريقي الى سواني سيالة . . حيث تقيم الاسرة بعد أن ورثت جزءاً منها . . وفوجئت العائلة بدخولي . . فلم يكن قد وصلهم خبر الافراج عني . . وجاء بعدي اخوتي وأقاربي الذين اخبرهم يوسف خربيش بالخبر . . وأثناء تبادلنا السلام والحديث . . دخل علينا احد الأقارب ليزف خبر مصرع (بالبو) . فصار العيد عيدين . . وهجم أحد الاصدقاء على خروف بسكين فذبحه . . ومن قبيل الصدفة انه اثر ضرب طائرة بالبو بواسطة احدى البوارج الايطالية . . قيل انها عملية مقصودة دبرها موسوليني نفسه للخلاص من منافس . . ظل يخشاه . . وأذيع انها جاءت بطريق الخطأ (. . بالصدفة . . مات بعد بالبو ايضا الكاتب العام منتحرا ، ولكن بقيت لي ذكرى الاخوان داخل

السجن . . ومن بينهم شخصية الحت على ذاكرتي طويلاً . . وهي شخصية (حارث الفاروقي) الذي كان يدرس بلندن . . وقبض عليه الايطاليـون في طرابلس وهو في طريقه لفلسطين . . وقد واصل كتابته لي . . وواظب على طلب المزيد من النقود مني . . وأعـانني الله على الاتصال بأمين الحسيني . . وذلك اثناء وجود امين بروما . . وجرى الافراج عنه . .

(أمر بمغادرة البلاد ..)

ولم تطل الفرحة باطلاق سراحي . . ففي بداية سنة ١٩٤١ طلبت مني سلطات ايطاليا مغادرة طرابلس نهائياً . . وكان مجرد الخروج من طرابلس من الصعوبة . . بل من الاستحالة . . بسبب ظروف الحرب والغارات في البحر والجو . . واشتدت حيرتي . . واحتار من حولي أيضاً . . وتصادفت زيارة طاهر باكير لي . . وعندما قصصت عليه الأمر . . اقترح علي أن استدعي والده ابراهيم باكير وأخاه محمد باكير (صهري) . . ونذهب جميعاً للولاية . . حيث نضع امامهم المشكلة . . ونتركهم يبحثون عن مخرج في هذه الظروف الطارئة . . وبالفعل استدعيتهما من المعمورة . . وخرجنا في عربة (كاليس) يجرها حصان . . وذهبنا الى رئيس مكتب الحاكم العام . . فوجدنا هناك صديقي علي السراج الذي دخل معنا على المسؤول الايطالي . . وكان لبقاً في تقديمه للشيخين . . قبل دخولهما على المسؤول . . وعندما دخلا عليه . . ارتبك حتى انه تعثر في الطاولة والمقعد . . وقد هاله منظرهما الوقور . . فظل واقفا ولم يجلس إلا بعد أن جلس الشيخان . . ثم سألهما في تلطف شديد عن مطالبهما . . فتكلم ابراهيم بصوته الجهوري المعهود . . فارتعش المسؤول الايطالي . . ونظر إليّ قائلاً : ترجم ماقال . . فاعتذرت بأن ذلك يصعب عليّ . . فطلب من السراج أن يفعل . . وبالفعل قام بالترجمة . . وبعد اتصال هاتفي مع ادارة الأمن العام . . طلب ملفي . . وأثناء حديثه الهاتفي . . تبادلت وعلي السرّاج نظرة ذات معنى . . اذ وردت كلمات او أوامر من رئيس المكتب مفادها ايقاف الأمر الصادر بترحيلي خارج البلاد . . من هنا تكون قد صدقت تماماً قصة يوسف نعامة . . وكان هذا الأخير يعمل بالشرطة المدنية مع الطليان . . جاء إلي في إحدى الأمسيات وانتظر

حتى اصبحنا منفردين تماماً . . فقال لي هامساً : ان ساعات عصيبة تنتظرني . . ولما استفسرت منه عن السبب . . أخبرني ان ملفي يتحرك بصورة غير عادية . . وأن الطليان قرروا ان يضعوني اما في السجن أو ينفوني من البلاد تماماً . . وذلك على أساس استدعائي وسؤالي عن هويتي . . فإذا قلت انني (تونسي) . . فسيلقون بي على حدود تونس . . وإذا قلت (ليبي) فسيلقون بي داخل السجن مباشرة . . والحرب في ذلك الوقت في أوجها في تونس . . وختم يوسف نعامة كلامه . . بأنهم قد انتهوا الى أمر في النهاية . . وهو اخراجي نهائياً من البلاد . . وقد كشفت ذلك القرار عبارات لرئيس مكتب الحاكم العام . . وذلك عندما طلب من جهات الأمن وقف القرار ، وعندما زاد فأخبرنا صراحة بأمره بوقف اجراءات الترحيل . . وفي الحقيقة كان منظر الشيخين . . ووقارهما . . فضلا عن مركزهما الديني والاجتماعي فقد تقلد الشيخ إبراهيم منصب الافتاء في العهد العثماني أما في هذه الفترة فالأول كان إماماً لجامع درغوث والثاني لجامع شائب العين .

وقد جاء موقف رئيس مكتب الحاكم العام مفاجأة لنا جميعاً . . اذ ظهرت رهبته من الشيخين . . وبوادر استجابته لهما . . وذلك مباشرة بعد التقديم اللبق من علي السراج .

على اثر موقف غريب . . جاحد . . وقفه مني دارس بنابولي . . حائزعلى شهادة النميمة والكسب باللسان . . المفروض انه عربي ومن ابناء البلاد . . والمفروض انني بالنسبة اليه اقرب درجة من الطليان . . اذ شكا هذا الطويل اللسان أو وشى للطليان . . بحجة أنني عربي وحاصل على رخصة للتجارة في أجهزة الاذاعة . . وادعى بانني تونسي . . لأنني كنت آنذاك أحمل اوراقاً تثبت بأني تونسي واخرى كوني طرابلسياً (المهم) ربما لم تكن وشاية لتشكل عامل مرارة . . لولا ان الدارس الذي حمل بعد شهور قليلة فقط من الدراسة على درجة تسبق ذكر اسمه . . كرر في اتهامه واستعدائه للطليان على شخصي . . كرر أنني . . عربي . . وكأن وجوده هو في نابولي لبعض شهور . . قد أنساه أنه عربي أيضاً . . كما أنه نسي أني كنت لا أرد له طلباً وأرسل له النقود بصفة دورية

رغم علمي بالجهة الأخرى التي تقدم له منحة . . وهنا أذكر القول المأثور (اتق شر من أحسنت اليه) فلم يكفه ذلك بل كتب رسالة او وشاية اخرى لمكتب الضرائب قائلاً فيها . . ان تقاريري المتقدم بها غير صحيحة وفي هذه شاركه آخر . . والغريب انه من اسرة طرابلسية عريقة . . قصير القامة ينعت بالسلطعان . . لسيره على جنب . . كان صديقا في السابق . . عمل في كل ميادين التجارة بأنواعها وأشكالها وانتقل من محل الى محل غيّر رخصته التجارية عدة مرات . . رغم كل ذلك لم ينجح ولم يربح . .

على اثر ذلك استدعاني الكاوالليرِ سلافيا ، وهو يعمل بوزارة المالية ، وصديق لأخي علي . . وأحد زبائنه بمتجرنا بزنقة الحران . . ونصحني بأن أقوم حالاً وأتقدم باثبات جنسيتي الليبية . . حيث يخشى عندما يحين موعد تجديد الرخصة أن يجدوا هذه الرسالة بالملف فتلغى الرخصة ويترتب على ذلك اتهامات اخرى .

وبالمقابل . . فان أنسى . . لا أنسى موقف موظف عربي صميم في المتصرفية هو محمد الرايس عندما ذهبت لمراجعته عن مصير طلبي للحصول على الجنسية . . وكان بيدي طلب استعجال واذا بمحمد المذكور يقول : اكتب طلباً جديداً بدون الاشارة الى الطلبات السابقة . . وآتني به حالاً . . لأن الملف الذي تشير اليه به تقارير (حموم في حموم) وكلمة حموم تقال على الشيء الأسود أو المعفر . . وودعني بكلمة الله هو الستار . .

وهكذا تصدق الفطرة في موظف غيور وتخون الدراسة او الخبرة حامل لقب دكتور فيصيب الأول . . ويقع الثاني في أفدح وأحط الأخطاء . .

ولهذه الأسباب جعلني اطلب الجنسية الليبية منفردة بعدما كانت مزدوجة واقبل اذا تفضلوا عليّ حتى بجنسية (ايطالي مسلم) حتى أتمكن من السير على الدرب المرسوم تحت مظلة يمكن أن توصلني لأعواد المشنقة بدل ابعادي اذا لم تتنكر لي فرنسا وتردني من الحدود الى الجلادين . . ولله في خلقه شؤون .

الفصل الثاني عشر

ميدان لحرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل

لعل صاحب أخصب خيال جامح .. أو أكثر الناس تشاؤماً .. لم يكن ليفكر للحظة .. أنه بعد كافة ما حلّ بالبلاد على أيدي الطليان من مصائب .. وبعد الجرائم والفظائع التي ارتكبت في حق الجميع وبلا استثناء .. وبعد القضاء على الأخضر واليابس .. حتى الأمل في أعماق الصدور طاله الفاشيست .. لعله بعد هذا كله .. لم يكن يدور بخلد أحد .. أن تتحول بلادنا إلى ميدان قتال .. في حرب عالمية مدمرة .. لا ناقة لنا فيها ولا جمل .. وأن تبدو برقة والجبل الأخضر حمراء قانية بدماء أبنائها أو الآخرين .. إثر عمليات الكر والفر .. إذا تقدم الانجليز بطش العرب بالايطاليين .

.. وإذا تقهقروا .. عاد الطليان ليبطشوا بالعرب أيضاً .. ولم يكن ثمة وقت حتى لاتهام أو تحقيق .. أو بمعنى آخر لم يكن مجال لفرصة عدل هناك على أصحاب البلاد أن يرحلوا مع هؤلاء أو أولئك تقدماً وانسحاباً .. حتى يتقوا تهمة التواطؤ أو التعاون .. وما جدوى اتقائها أو حملها .. مادام القتل دائماً هو الأسبق .. وفي مختلف ساعات الليل والنهار .. ودون ما تمييز للجميع .. من غير استثناء لامرأة أو طفل أو شيخ .. انها الحرب بما تعنيه وترمز اليه .. والغريب والمرير أيضاً .. أنه رغم فداحة التضحية التي حملها العرب .. فإنهم بدوْا في نظر الطليان وعلى مسافة آلاف الكيلو مترات .. وإلى طرابلس .. بدوا

مصدراً للتخوف . . ومن ثم مصدراً للشكوك . . فإذا كان قد قتل عدد من الطليان في برقة . . فإن ايطاليين في طرابلس . . تصوروا . . أن عليهم الخلاص من أهالي طرابلس . . منعاً لتكرار ما حدث في بنغازى . . وهكذا اتصفت تصرفات الايطاليين بمزيد من الحمق والسفه . . سواء على المستوى الرسمي أو المدني . . فسمح الرسميون الايطاليون بفتح مستودعات الأسلحة . . وتوزيعها على المدنيين الايطاليين . . ولم يكلفوا أنفسهم ولو اعلان ان ذلك على رصيد الدفاع عن النفس وقت الحرب . . أو التمويه بأنها عملية من قبيل مبدأ الدفاع المدني . . أو أي تبرير أو تفسير من ذلك القبيل . . مع أنها كلها أمور ومفاهيم معتمدة في قاموس الحرب . . بما في ذلك أسلوب التمويه . . لكن الذي حدث أن السلاح جرى توزيعه على المدنيين الايطاليين . . وسط مبالغات وتضخيمات هائلة لما حدث في برقة . . وقد أدت فداحة أخطائهم هناك . . إلى أسوأ النتائج بالنسبة لهم هم أنفسهم . .

(عشرات الضحايا .. من الأبرياء ..)

اضطر الايطاليون. عند التقهقر عن برقة في المرة الثانية . . أن يأخذوا معهم كل العائلات الايطالية المدنية . . لاعتقادهم أن ما ارتكبوه من مذابح وفظائع . . لابد أن يتولد عنه الثأر . . حاداً وقاسياً من جانب العرب . . بل إن هذا الاعتقاد استقر في أعماقهم بالنسبة لسائر البلاد . . وهكذا راحوا يبحثون ويفتشون عن السلاح لدى الأهالي في طرابلس . . ولم يتحفظوا في مداهمة البيوت عبر ساعات الليل والنهار . . ومد أيديهم الى الصغيرة والكبيرة . . والحفر في الأرض والأسقف على السواء داخل البيوت . . وتحولت عمليات التفتيش إلى ظاهرة عادية . . يمكن أن تقع في أي وقت . . وعند أي مكان . . خاصة وقد جاءني عبد الله موسى السوكني . . وكان يعمل في سلك الأمن . . وأخبرني أن الايطاليين يفكرون في حملي معهم لتونس لأنهم يشكون في تخزيني للسلاح . . وفي أنني أحد أفراد جماعة تجمع الأسلحة . . استعداداً للقضاء على الايطاليين عند الانسحاب . . وحذرني بأن حركاتي كلها تحت المراقبة الايطالية . . في

البيت أو المزرعة . . وأن المراقبة تشمل اخوتي أيضاً . . وسرعان ما بدأت الأمور تضطرد في هذا الاتجاه . . وتزايدت الحركة أمام مزرعتنا . . ومحل تجارتنا . . إلى بيت قوس المفتي . . وتارة يحتفظون بايطالي بصفة مستمرة للمراقبة . . وقد فكرت جدياً في الفرار . . ولكني عدلت عن الفكرة نهائياً . . عندما قدرت أمراً محتملاً . . هو أن يأتوا للسؤال عني أو التفتيش . . وينتهزوا عدم وجودي تحت قبضتهم . . فينكلوا بأسرتي وبإخوتي . . وقد حدث ما قدرت . . ودون مرور وقت طويل . . فقد جاء إلى المتجر ثلاثة من رجال بوليس الباي . . وكانت فرقة بوليس الباي قد جيء بها خصيصاً لعمليات الارهاب . . فأفرادها ضخام الأجسام . . قساة . . يحملون الأسلحة الخفيفة السريعة الطلقات . . وكأني كنت في انتظارهم . . حيث صرت أتعمد عدم الذهاب للبيت . . حتى لا تتضاعف الأضرار وأخطار التفتيش . . وآثار وعواقب القبض عليّ أمام النساء . . ولكنني فوجئت بهم بعد تفتيش المحل . . يسألون عن مفتاح البيت . . وأخرجته لهم . . فحملوني معهم إليه . . وعندما فتحته لهم . . وقف أحدهم معي . . بينما دخل الاثنان . وغابا داخل البيت فترة طويلة . . إذ دققوا في البحث . . فلم يتركوا شيئاً دون أن يفتشوه . . رفعوا عن الأرض كل ما عليها من أثاث وفراش . . وكانت والدتي تحتفظ بعدد من (الأزيار) الكبيرة . . فعاد أحدهما يسألني عما كان في هذه الأزيار . . فقلت لهم : إنها كانت مملوءة بالحبوب قبل الحرب . . فعاد يشمها . . ثم ارتقيا على سطح البيت . . وقاما بنفس اجراءات التفتيش . . وفتحا الشبابيك . . ومضى الوقت ثقيلاً قاسياً . . خاصة وأنا أراهما يتحركان فوق سقف المخزن . . مخزن السلاح . . الذي يحوي نوعيات مختلفة منه . . كان مجرد عثورهم على شيء يسير منه . . كفيلاً بإطلاق الرصاص عليّ في قلب الشارع . . أمام باب بيتي . .

الأسلحة تحت والجنود فوق :

وللمخزن قصة . . ولعملية التمويه التي جعلته بعيداً عن عيون الشرطة والفضوليين من البصاصين قصة أخرى . . ترجع إلى بداية الحرب . . وبدء مظاهر الاضطهاد لي ولاخوتي . . مما دعانا للعمل على شراء مزرعة . . تنفيذاً

لأمر الكاتب العام عندما أطلق سراحي وخرجت من السجن إذ طلب مني أن تكون إقامتي خارج العاصمة فتركنا التجارة في عزها واشتغلنا فلاحين . . وبالفعل اشتريناها بقرجى . . على مسافة قريبة من مخازن الحكومة . . التابعة لمهندسي الجيش . . وكلما جاءت مجموعات الجيش الألماني أو الايطالي للنزول في المزارع المجاورة التي يتملكها الايطاليون . . يشير لهم هؤلاء على مزرعتنا . . ويغرونهم بحجج غير واقعية . . فيزعمون لهم أن المياه في مزرعتنا أنقى وأفضل . . وأن بها مخازن . . وأشجاراً كثيفة . . إلى غير ذلك . . والغريب أن الألمان كانوا يصدقونهم . . ويتجهون مباشرة إلى مزرعتنا . . كما أن وكالتنا لشركة (أوندا) الألمانية للراديو . . جعلت الكثيرين من الضباط الألمان يحملون خطابات تزكية من الشركة الينا . . وطلبات لمساعدتهم . . وقد طلب منا هؤلاء الضباط أن نتقدم للتعامل مع الجيش الألماني . . وامداده بالأغذية والتموين . . على أساس أن ذلك سيحقق مكاسب ضخمة لنا . . ولكننا رفضنا حتى لا نثير شبهات الايطاليين . . وقد مكثت في مزرعتنا مجموعة من الجيش الألماني حتى آخر لحظة للانسحاب . . وللحقيقة فقد ظلوا مثالاً للنظام والنزاهة . . بخلاف الجنود الايطاليين الذين جاءت اقامتهم على حساب المزروعات . . وكسوا المزرعة بالمخيمات . . وكلما رحل فوج . . يترك خلفه جانباً من الأسلحة والذخائر وأجهزة اللاسلكي والاتصال . . وقد تصادف هذا في نفس الوقت الذي وزعت فيه ايطاليا على رعاياها الأسلحة في طرابلس . . وكان في ذلك الوقت أيضاً . . ينزل في بيتنا بعض اخوتنا من برقة . . ومنهم عبد الهادي ستيته . . ومفتاح بزيو . . والسيد أبو خطوة . . وغيرهم كثيرون . . وقد نصحنا هؤلاء الاخوة . . بأن نجمع الأسلحة وأجهزة الاتصال المتناثرة بالمزرعة . . وأن نضعها في إحدى غرف البيت . . ونغلقها بالبناء . . حتى يصعب الاشتباه أو التفتيش . .

(عملية تمويه ناجحة ..)

. . وبالفعل . . تم جمع الأسلحة . . واخترنا لها غرفة ببيت قوس المفتي . . واستدعينا الأسطى (علي بوزيان) الذي قام بسد باب الغرفة بواسطة البناء . . وبطريقة فنية دهنها . . حتى لم يعد ثمة أثر أو دلالة على وجود باب . .

وجئنا بدولاب وضعناه في مقابل الحائط الآخر من الغرفة . . حتى يمكن ثقب الحائط . . والنفاذ من خلف الدولاب . . في حالة حاجتنا لشيء بالداخل . . وقد أحسن اختيار الغرفة وعملية تشوين الأسلحة السيد مفتاح بزيو من تجار شحات . . كما قام بحمل الأسلحة معي الى الغرفة . . وهي الغرفة التي يحوم حولها البوليس الايطالي الآن . . المهم لقد أعماهم الله عنها . . وعادوا بخفي حنين . . ولولا الاخوة أصحاب فكرة الاخفاء والتمويه . . لتمكنوا منها ومني بسهولة . . ورغم ذلك فقد اصطحبوني معهم إلى إدارة الأمن . . وأدخلوني أحد المكاتب . . وسجلوا اسمي . . ثم نقلوني الى عمارة تمام اليهودي . . بجادة رفائيل . . رقم ٤٠ . . وقد حولوها الى مبنى لحجز المشتبه في أمرهم . . أو المقبوض عليهم . . وعلى الباب استقبلني جندي فاشيستي بشع المنظر . . أطلق صوتاً أشبه بحشرجة ماكينة قديمة . . لم أتسطع ادراك مفرداته . . فكرر «هات مامعك» . . فبدأت أسلم له مافي جيوبي . . ولكنه اعتبر حركتي ليست بالسرعة المطلوبة . . فلطمني على رأسي بقوة أدمعت عيني . . ولم يكتف بذلك . . بل شد حزام بنطلوني بقوة تقطعت بسببها كل مشابكه . . وانهال علي ضرباً بالحزام الجلد . . وركلاً بالأقدام . . حتى انهارت مقاومتي فسقطت على الأرض . . داخل حجرة ضيقة . . واستحال تماماً إلى وحش . . فاستمر في ضربي حتى همدت أنفاسي . . عند ذلك أغلق علي باب الحجرة . . ثم فتح الشباك الصغير . . وبصق علي ثم انصرف . . وقد تناهت أصوات الضرب والركل إلى أذن الطاهر وعلي المشيرقي وبقية أولاد عمي . . وكان متجرهم بجوار المبنى . . فجاءوا ببعض المأكولات وسلموها لأحد الحرس . . ولكني لم أجد شهية لأكل أو شرب . . ففي أثناء المعركة من طرف واحد التي خاضها السجان معي . . أشار لي بأن حبل المشنقة . . سيلتف حول رقبتي . . وكانت هذه عادة شرطة الباي الفاشيستية . . فكل من يقع في يد هذه الفرقة يتحول إلى ضحية . . وكثيراً ما ضربوني دون ما أدنى مبرر بكعب أو مقدمة البنادق . .

(آثار العسف على جسدي)

وقد جاءت احدى الضربات على رسغ يدي الشمال . . فكسرته وتهتكت الأعصاب بصورة ما تزال آثارها حتى اليوم . . بعد اجراء جراحات

عليها . . وقد بقيت في تلك الحجرة طوال الليل . . وتسميتها بالحجرة مجازا . . فهي اضيق مـن أي زنزانة فردية . . فلا يكاد اتساعها يصل الى مترين في متر . . وحتى سقفها تحده درجات السلم . . فلا يسمح بالانتصاب عند الوقوف . . وقد أدرك ذلك أحد العمال . . فجاءني بعد منتصف الليل . . وسألني إن كنت احتاج إلى شيء . . أو أود قضاء حاجة . . وعرفني ان السجان ذهب لينام . . فطلبت منه أن يفتح لي باب الحجرة حتى أستنشق الهواء . . وفي الصباح طالعني عبر النافذة . . وجه السجان اللعين مرة أخرى . . وقال لي بوضوح . . وفي تشف ظاهر «ماكان في برقة . . نأخذ بثأره في طرابلس» . . ولما لم أرد بشيء . . بصق في وجهي . . وانصرف ثائراً . . وحمل لي العامل رغيف خبز . . وقليلاً من الماء . . وعند العصر . . حوالي الساعة الرابعة . . فتحوا الباب . . وسحبوني إلى الخـارج . . إلى سيارة أجرة . . حيث توجهت بنا إلى مزرعتنا . . وهناك أمسكوا بي واحتجزوني في الخارج . . ودخلوا إلى البيت والمزرعة . . وفي هذه المرة . . لم يتركوا شيئاً دون أن يفتشوه . . حتى حقائب أيدي النساء . . فتحوها وأفرغوا ما بها . . والوسائد مزقوها والمراتب . . ولم يجدوا شيئاً في هذه المرة أيضاً . . مما يكدون بحثاً عنه . . كما عماهم الله عن التدقيق في البحث بأرجاء المزرعة البعيدة . . والتي يتوقع ان يكون بها بعض الأسلحة والعتاد . . وما زلت أذكر منظر أخي علي الذي تصادف وجوده على الطريق الى المزرعة . . ولما رآني أنزل وسط الجنود . . أسرع لاهثاً خلفنا . . ووصل إلينا وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة . . ولا تسأل عن العائلة والأطفال والوالدة . . وقد أبقى اخوتي خبر القبض علي سراً بينهم . . وعندما واجهوا الأسئلة عن مكاني . . قالوا إنني في المعمورة . . المكان الذي سبق لي أن اصطحبت زوجتي وابنتي إليه . . أثناء غارات الأسطول البريطاني الفار من اليونان على طرابلس . . وقد ركبنا إلى هناك قطاراً للحيوانات . . تكدس فيه البشر بصورة خانقة . . وغير انسانية . . بينما انطلقت قطارات الركاب تحمل الايطاليين بأعداد قليلة . . لا تكاد تزيد على عدد المقاعد الموجودة بها . . وحتى في هذه الظروف الطارئة الكالحة . . بقي الايطاليون على غطرستهم . . فأنزلوا كل من حاول الركوب من العرب . . وابقوهم تحت الشمس الساعات الطويلة . . انتظاراً لقطارات البضاعة . . التي لم

تكن سرعتها تزيد على عشرة كيلو مترات في الساعة في حالة سيرها . . استمرت عملية التفتيش هذه المرة وقتاً أطول . . وفي النهاية أركبوني السيارة وعادوا بي إلى المبني نفسه . . وأثناء المرور بي إلى الزنزانة الضيقة . . أخبرهم أحد الجنود أن الضابط سأل عني . . فعادوا بي إلى جادة بالبو حيث مركز البوليس . . وعلى الباب . . قابلت أسطى أجهزة الراديو بشركتنا . . وهو ايطالي يدعى (التييري) . . وابتسم لي . . وعندما دخلت حجرة الضابط . . تأكد من البوليس أنهم لم يجدوا عندي أسلحة . . ثم قال : «ارجع بيتك . . وأملنا أن تكون كما قال عنك (التييري) . . وأضاف الضابط «وعلى كل حال فإن رحيلنا من هنا مؤقت . . وسنعود لنحاسب كل واحد على عمله . .» وتظاهرت بعدم المبالاة وشكرته . . وأنا أرى الجنود يتباعدون من حولي . . ولكني عدت أسأله «أأذهب إلى بيتي حقيقة ؟» فقال «نعم» . . وقد حملق في وجهي . . وكأنه أدرك أنني لا أصدق . . فأضاف «سعدت مساء» . . واستدرت لأقفز السلالم خمسة خمسة . . والتييري خلفي يردد كلمة «اوجوري . . اجوري» أي «مبروك . . مبروك» . . وأسرعت للمزرعة في سيارة . . ودفعت الأجر مضاعفاً للسائق . . والغريب أن الافراج عني . . ويتلخص في أن (التييري) والدكتور موري مدير الاذاعة والبروفسور ساليرنو (أستاذ أخي عبد المجيد) ذهبوا الى الضابط الايطالي . . وكان يعرفهم . . وقبل أن يحكي (التيري) هدفه . . بادره الضابط قائلاً : قل للمشيرقي أن يغادر البلاد وإلا . . وهنا أخبره التيري بقصة القبض علي . . فطلب الضابط ملفي . . وقال التيري أنهم سيأخذونني معهم إلى تونس . . حتى لا أتحرك ضد الايطاليين المدنيين . . بعد الانسحاب . . هنا بدأ (التييري) ورفاقه في الشرح للضابط . . كيف انني رجل مسالم . . ويمكن الاعتماد علي في اقناع الغير بعدم المساس بالايطاليين .

(تسامح حتى مع السفاحين)

والذي لم يقله (التييري) أو يخطر على بال أحد من الايطاليين أنفسهم . . أن شعبنا ضرب مثالا للتضحية . . والبطولة . . كما ضرب مثالا في التسامح . . حتى النهاية . . وتجنباً للتجريد الذي تحاشيته طوال سطور ووقائع الكتاب . .

فإنني مازلت أذكر المجزرة التي ارتكبها الايطاليون ضد عائلة جعودة ، فقد دخل عليهم الايطاليون بعد العودة الى برقة وأطلقوا على جميع أفراد الأسرة النار . . والوحيد الذي نجا . . هو (رجب) الذي صعد إلى سطح الدار . . وألقى بنفسه إلى الشارع . . ليتعلق بميزاب الماء . . وظل متعلقاً بالميزاب حتى انصرف القاتل . . فعاد ليجد الجميع قتلى . . والأطفال والنساء والشيوخ . . عشرة أفراد كومهم رصاص قاتل ايطالي . . ودون ما ذنب جنته الأسرة . . إلا سماحها لأحد أقاربها بزيارتهم في الدار . . وذلك بلباسه العسكري الموالي للانجليز . . والذي حدث أن القاتل المسمى كنصلى رحل مع الطليان إلى طرابلس . . حيث استقر . . وافتتح متجراً لبيع المشروبات والحلوى . . طوال سنوات . . ورغم معرفة الجميع أنه سفاح عائلة جعودة . . فان التسامح . . والقلوب الطيبة . . تركته في عمله . . ولم يتعرض له أحد من العرب . . رغم سهولة ذلك . . ولكن الأخلاق العربية الاسلامية . . وسعته سماحة وعفواً . . بعد أن أصبح مجرداً من الحماية . . بلا حول ولا قوة . . وغير عائلة جعودة . . لقي نفس المصير التعس عشرات العائلات . .

لقد أشرق صباح يوم ٢٢ يناير ١٩٤٣ . . ليسجل تاريخاً مشهوداً . . لقد انتقلت الحركة بكل ثقلها إلى الطريق الغربي . . وتوقفت عجلة التاريخ عند هذه الطريق . . لتسجل انسحاب الطليان من البلاد . . إلى غير رجعة . . واكتظت الطريق بين قرجى وقرقارش والطرق الساحلية بعربات ومصفحات الايطاليين . . ووقف الشعب يشهد النهاية المحتومة لغاصب دنس طهارة الأرض . . ونشر في ربوع البلاد القتل والمظالم . . وشاء القدر . . أن يشهد الشعب . . مخازن الأسلحة التي طالما حورب بها . . وهي مفتوحة على مصاريعها . . بكل ما فيها من معدات الدمار . . مستباحة لليبيين لكل من يريد أن يحمل سلاحاً . . أو وهي لقمة سائغة للنيران . . بعد أن نسفتها أيدي أصحابها أنفسهم . . من الايطاليين تنفيذاً لأوامر صريحة من قادتهم . . وحتى في لحظات النهاية . . امتدت ايدي التخريب الهمجية الى عدد من المرافق الحيوية بالبلاد . . فنسفوا الميناء . . والمنارة الجميلة التي ترشد السفن . . وقد تحولت قبل ذلك بمدة الى لوحة نادرة الجمال والروعة .

الفصل الثالث عشر

صور صارخة من الحياة الاجتماعية

رغم تخلف الحياة الاجتماعية نسبياً ، فإن الوجود الايطالي زاد الأمور تدهوراً فقد لجأ الايطاليون الى محاولات أساسية لشق وحدة الشعب ولجأوا في ذلك إلى الارهاب والقسوة والتجسس واستمالة العملاء . . ولم يكفوا أبداً عن استخدام أبشع وسائل التخويف ، ومنها عمليات القتل الجماعي ، وتنفيذ الاعدام رمياً بالرصاص أو الشنق في الأسواق العامة ، ومداهمة البيوت في مختلف ساعات الليل والنهار ، بحجة البحث عن المجاهدين أو التفتيش عن الأسلحة ، كل هذه التصرفات وغيرها من ألوان الغطرسة زادت معاناة الناس ، خاصة وأن الاعتقاد السائد عن الوجود التركي في ليبيا لم يكن يُؤخذ على محمل الاستعمار ، أو الغزو الأجنبي ، فالأتراك مسلمون أولاً ، وقبل كل شيء ، والدولة العثمانية توحد تحت رايتها الأقطار العربية والاسلامية ، وهكذا ساد هذا الاعتبار بين الجميع ، فدفع الكثيرون من أبناء البلاد حياتهم ذوداً أو دفاعاً في أي حرب تدخلها الدولة العثمانية ، فوق أي أرض ، أما بالنسبة للايطاليين ، فإنه الغزو ، أو الاحتلال الأجنبي ، يتوجب معه الجهاد والقتال في سبيل الله ، وتوالت الصور والشواهد في كل اتجاه . .

وفي الحقيقة ، فان التفصيلات هنا كثيرة، وذات دلالات رائعة ، وان كانت تصب كلها في معنى رئيسي ، هو بلورة للحالة السائدة التي ذكرتها ، وقد

اضطرت ايطاليا نتيجة لذلك أن تعدل وتغير في أساليبها ، ولكن دون أي مس لجوهر أهدافها في الابادة والاذلال والتخريب ، ومن ثم بدأت ولم تنته عمليات التصنت على الناس في جلسات الشاي ودس العملاء بينهم في المناسبات ، وعلى المقاهي ، وتوسعت ايطاليا في استمالة العملاء ودأبت على تعقب الحركات الوطنية في الداخل والخارج ، والوقوف ضد أي محاولة تجمع ، مهما كان نوعها أو غايتها ، والأمثلة على ذلك كثيرة وواضحة . . فمثلاً :

ـ منعت ايطالياعلى العرب ممارسة الرياضة ، بل وحرمتهم حتى من دخول الملاعب أو مشاهدة المباريات ، وكان رمضان الأسود ، هو الشخص الوحيد الذي رفع صوته مطالباً بتدريب العرب على فنون الرياضة ، وظل على اصراره حتى تمكن من الحصول على اذن لأبناء البلاد بدخول الملاعب كمشاهدين ، وإن ظل الطليان يحددون أعداد المشاهدين ، وفي نفس الوقت واصل رمضان اصراره وتوج دلك بالحصول على تصريح بتشكيل فريق لكرة القدم ، فريق واحد ، ولنوع واحد من الرياضة ، وبعد حصوله على الترخيص أخذ يقاوم المضايقات والمعوقات ، إلى أن تمكن في النهاية ، وعبر جهد ، أن يكون الفريق ، وأن يجعل بعض شباب العائلات المرموقة تدخله ، والمرير أنه حتى في مجال الرياضة ، ورغم ماهو معروف عن الروح الرياضية من تسامح ومرونة ومحبة ، رغم ذلك فقد عمد الايطاليون الى التضييق على هذا الفريق الوطني الوحيد ، ومع أول بوادر تقدم واهتمام بالكرة والرياضة عموماً ، لجأ الايطاليون الى حل الفريق ، ومرة أخرى بدأ رمضان الأسود جهوده ومساعيه إلى أن أعاده ووصلت الطرافة إلى مداها، عندما انتصر الفريق الوطني على فريق ايطالي في المباراة الأولى التي سمح بها الطليان ، وعندئذ أصدر الطليان قراراً بحرمان الفريق من اللعب والتمرينات لمدة ثلاث سنوات ، وبعدها استمروا في عمليات الاعاقة والمنع ، واستمر رمضان في المطالبة برفع الحظر وواظبت شركة أبناء ابراهيم المشيرقي على الدعم والتشجيع .

ـ نفس الأمر تكرر مع محاولة تكوين نقابة للفنانين الوطنيين ، وهنا أردت أن أنفذ الفكرة ولكن بطريق آخر ، ففكرت في تأسيس نادي للموسيقى ، ينضم

تحته الفنانون ، ويكون بديلاً للنقابة ، وقد تجاوب معي الفنانون والموسيقيون ، وقمت باكتراء مقر للنادي بزنقة الوصيف واشتريت الأثاث والضروريات ، في حدود وامكانيات متواضعة جداً ، حيث لم يكن في المقدور ولا المقبول مطالبة المشتركين والمنتسبين ببدل اشتراك ، ففي ذلك حرج لهم ، خاصة وأنهم لم يألفوا تسديد رسوم ، كما اني خشيت أن ينفضوا من حولي ، وقد ساعدني في هذا العمل كامل القاضي ، وهو يتقن العزف على العود ، كما كان أول مطرب يقدم الأغاني الشرقية التي تصلنا مع نسيم مصر ، وقد انضم الينا أيضاً خليل الترزي ، وعلى الحدادية ، وكذلك محمد سليم الذي كان أول مطرب للغناء الليبي (الفزاني) يتمتع بصوت جذاب شجي . ، ونبرات ممتازة تلائم الذوق الليبي ، وقدبذلت جهوداً متواصلة ، كي يبقى النادي ويستمر في أداء دور ولو صغير في الحياة الاجتماعية ، ورغم أنني تحملت المصروفات بمفردي ، وقمت بكافة المسؤوليات داخل النادي ، من ادارة وسكرتارية ، وعمليات تنظيف ، واتصالات بالفنانين ، ومحاولات للتجميع والتعريف ، إلى الآخر . . ورغم ذلك فقد أقفل النادي ، وطبعاً السبب لم يكن ليخفى على أحد . . فإن فكرة النادي جاءت مبكرة وكانت أولى العقبات ، ان العازفين من المحترفين لا يقومون بتدريب الراغبين ولو بمقابل خوفاً من المزاحمة ، وكان من الطبيعي أن أجد نفسي ، بعد وقت ليس بالطويل ، بمفردي ، ولن أصدق أبداً . . ما تناقلته الأقاويل من أن أحد أسباب التعجيل بمصير النادي ، هو عدم السماح للسكارى أو من هم في حالة سكر بالدخول . . كما أني لست في حاجة إلى تأكيد ضآلة الكسب الذي ظل يحصل عليه هؤلاء الفنانون عندما تحين فرص عمل ، ولعل التفسير يوضح بدوره المزيد من سوء الحالة الاجتماعية . . فحتى الافراح والاحتفالات الشعبية، امتدت إليها أيدي المستعمرين . . فصارت لا تقام إلا بإذن منهم . . تصريح كتابي من السلطات الايطالية ، يحدد مكان الاحتفال ، وساعة البدء والنهاية . . وتبعاً لذلك تتم اجراءات أمنية غاية في الصرامة مثلما حدث مع حسن الجزيري الذي اعتقل ليلة زفافه وأخذ الى مركز الشرطة من بين جماعة المنشدين لقصة المولد الشريف ليقضي ليلته في السجن بتهمة التشويش وازعاج سعادة الوالي بضرب الدفوف في الليلة السابقة بالقرب من قصره ، والتدخل المباشر لانهاء الاحتفال

وتفريق الموجودين بعد تفتيش ومضايقة الكثيرين . . وهذا ماكان يدفع الناس للانصراف مبكراً إلى بيوتهم ، خاصة إذا كانت البيوت تقع على مسافة قريبة من مكان الاحتفال .

ـ حتى المظهر الوحيد الذي يمكن حسابه على بصيص الحياة الاجتماعية ، بقي مظهراً كاذباً وغير واقعي . . أعني به مقهى سوق المشير ، الذي افتتحه بالبو للسياح في طرابلس ، ولفسحاته هو أساساً ، وجرت العادة أن يصحبوا اليه الضيوف القادمين من جهات العالم ، خاصة الشخصيات الرسمية الأجنبية ، كي يوهموهم بأن ثمة مظاهر للترفيه والحياة الطبيعية . . ولكن ذلك المقهى مع ذلك ، ظل قشرة زائفة . . أذكر أنه في احدى الليالي ، وبالتحديد في ليلة ١٩٣٦/٥/٨ ، وهي الليلة التي دخلت فيها الجيوش الايطالية العاصمة الحبشية ، أنني كنت وسليمان الصلابي ، قد ذهبنا لتدخين النرجيلة في هذا المقهى . . وصدحت الموسيقى كالعادة ، وبينما الجميع منسجمون في عز الطرب ، إذا بمظاهرة كبيرة تقتحم المقهى . . وفي ضجة وضوضاء صاخبة ، ذهل الجميع وهم يرون حملة تضم آلاف الايطاليين من عسكريين ومدنيين . . وارتفعت علامات الاستفهام في المقهى ، ولم يطل الاستفهام ، فقد جاءت الاجابة محددة ، لقد دخلت القوات الايطالية أديس أبابا . . هنا تبارى الايطاليون في الصخب والهتاف ، وسكت صوت الموسيقى ليحل محله الهتاف للفاشيست والطليان ، والبطولة . . وصعد أحد الايطاليين على خشبة المسرح ، ليلقي كلمة تمجيد ، وأطال الايطالي المديح لأبناء بلده والثناء على بطولتهم وتضحياتهم ، وتحول الخطيب إلى نسخة أخرى تقليداً للدوتشي واستخداماً لحركاته وسكناته ، وألهب حماس كل الايطاليين الموجودين ، وهم الأغلبية الساحقة من رواد المقهى ، ولما لم يذكر شيئاً عن الجنود العرب الليبيين ، الذين شاركوا في المعارك ، انتصب سليمان الصلابي وخاطب الايطالي بنفس الحماس : «فاتك أن تذكر الأبطال الليبيين الذين ذهبوا بالآلاف إلى هناك ودفعوا الثمن حياتهم . . ليس من أجل ليبيا . . ولكن من أجل ايطاليا . . أنساكم الصلف والغرور هذه التضحيات والبطولات الغالية . .» واستمر في خطابية متحمسة رائعة ، وسط ذهول

الجميع ، ولم يهدأ إلا بعد أن صب على رؤوسهم مافي أعماقه . . قد استشهدت بعباراته نفسها ، فلم تفارق ذهني لحظة نطقها . . خاصة وانها تقال في مواجهتهم ، وربما كان النصر نفسه هو الذي أملى عليهم المفاجأة التي حدثت ، فقد تركوا سليمان دون أن يتعرضوا له بشيء .

ـ اضطرد تردي وسوء الأوضاع الاجتماعية في الداخل ، الى حد ميؤوس منه تماماً ، مع بقاء الطليان ، فقد تسلطوا على كافة الأعمال والأنشطة وأصبح دولاب الخدمات بكامله تقريباً في أيديهم ، فيما عدا بعض الأعمال الشاقة مثل حفر المجاري ، أو شق الشوارع ، أو ما شاكلها . . فقد أبقوها للوطنيين ، وتغلغلوا هم في كل شيء آخر . . وليتصور القارىء معي هذا المثل ، وله أن يحكم بعد ذلك على الكثير الآخر . . من وقائع الحياة اليومية ، فسائقو السيارات والعربات عامة كانوا من الايطاليين ، وشوارع طرابلس وميادينها هي محطات وقوفهم وسيرهم ، ومع ذلك فإنهم يرفضون أن يركب معهم أي وطني . . ومهما أبدى هذا الأخير من استعداد لدفع الأجرة مضاعفة ، فإن عملية الرفض تبقى وتتبعها عمليات اهانة متعمدة ، وقاسية تتجاوز المنطق والذوق اسفافاً واستفزازاً وتتعدى الشخص المقصود الى غيره من الذين قد يتصادف مرورهم في المنطقة ، ولم تخل الأمور من مشادات ومعارك حامية نتيجتها دائماً لصالح الطرف الايطالي . . وجاءت النتيجة الحتمية لذلك . . وهي امتناع تلقائي عن أي محاولة احتكاك اجتماعي أو تعايش . . وبالطبع فانني لست في حاجة لمزيد تأكيد ، بأن كلامي هنا ينصب على الأغلبية الساحقة من الشعب وليس على الفئات التي تعاملت وتواطأت . . وهؤلاء معروفون للشعب ، وقد كشف بعضهم وجهه . . ولا أريد هنا أ ن أعددهم بالاسم فيكفي أن التاريخ تولاهم وأسقطهم بعد أن جعل منهم أمثلة ونماذج لما يمكن أن تبتلى به الشعوب من أصحاب النفوس الصغيرة . . المهم . . أن الفواصل والحدود قامت بين الشعب وبين الايطاليين كأقوى وأحدّ ما يمكن أن يتخيله طرف محايد ، فقد احتكر الايطاليون كافة الوظائف الفنية وغير الفنية ، ولم يروا في ذلك غضاضة ، أو يحسبوا لذلك مغبة أو عاقبة ، وجاء الموقف الشعبي ، رداً على ذلك موضوعياً جداً ، ويتلخص في

سلبية مطلقة أو المقاومة بالسلبية كما يسميها القاموس السياسي عادة ، وظل الحال على ذلك طوال فترة التواجد الايطالي ، ولم يستغرب أحد استمراره حتى بعد جلاء العسكريين الايطاليين ، وإذ بقي هذا الحاجز قائماً مع المعمرين ومنعهم الصلف من اقامة جسور أو علاقات ، ويتجلى أصرخ مظهر ودليل معاً في أن الايطاليين جاؤوا وذهبوا دون أن يتركوا ثمة أثراً على الحياة العامة . . وإذا كان العالم يدين الاستعمار . . ويحمل المستعمرين مسؤولية المشاكل والمآسي التي قاستها الشعوب . . فإن الاستعمار الايطالي يتحمل المسؤولية مضاعفة في ذلك وغيره . . ويتميز عن بقية الدول والممارسات الاستعمارية . . بعدد وضروب من الممارسات الاجرامية ضد هذا الشعب الصامد الأصيل . . ولا غرو في ذلك فسياسة الاستيطان التي خطط لها الطليان . . وحاولوا تنفيذها . . استندت على أساس ابادة السكان الأصليين . . أصحاب البلاد . . ومن جهتي . . فلم أستغرب الاجراء الذي اتبعته ايطاليا مع أبناء الشهداء والضحايا . . فقد غيرت أسماءهم إلى أسماء غير اسلامية . . ونقلتهم الى ايطاليا . . ليعيشوا داخل ملاجئها . . في نفس الوقت الذي أخذت تلقنهم تعاليم الدين المسيحي . . ومبادئه . . وتعاملهم كمسيحيين . . بعد قيامها باعداد شهادات ميلاد أخرى لهم . . طمست فيها معالم الهوية . . هوية هؤلاء الأطفال الأبرياء . . بعد أن حرمتهم من آبائهم بالقتل . . وأبعدتهم عن أمهاتهم . . ونفياً لأي شبهة في نزوع أو منحى انساني . . دونت لهم أسماء غريبة عنهم . . وكتبت أمام الدين . . مسيحيون . . والمرير أن ترحيلهم . . وكل ما مثلته هذه النزعة من دلالات . . حاولوا في البداية أن يتخذوا منها مناسبة للدعاية والاعلان . . فأعلنوا انها لمسة الرعاية والاهتمام باليتامى . . وتكلموا عن المستقبل الذي ينتظرهم بعد التعليم في الملاجىء الايطالية . . مع أن الحقيقة أنه لم يكن ثمة تعليم . . وأن هذا العمل كله جاء نتاجاً أملته سياسة الابادة من أجل الاستيطان . . هذه السياسة التي استمرت اجراءات تنفيذها قدماً . . ولم يخفف من غلوائها إلا ظروف خارجة تماماً عن إرادة مخططيها . . فالحربان العالميتان . . والتناقضات بين المستعمرين . . أنفسهم داخل الدول الاستعمارية . . والتي وصلت إلى حد العداء والحرب من أجل النزاع على المستعمرات والأسواق . . كل ذلك هو الذي حال دون الكارثة بعد أن

قام الكفاح الشعبي المستمر . . والمعارك البطولية في الداخل . . وغارات المجاهدين التي لم تنقطع . . وإرادتهم التي لم تعرف استسلاماً ولا هزيمة تحت كل الظروف والمفارقات . . وأيضاً النضال الذي خاضه أبناء الوطن خارج حدود البلاد . . ودأبهم على فضح الاساليب الايطالية . . واظهار الجرائم البشعة امام الرأي العام العالمي . . كل ذلك أطار من أذهان الايطاليين وإلى الأبد . . أحلام النزهة في ليبيا . . وقضى على أمنياتهم في الأرض الموعودة . .

الفصل الرابع عشر

... وشواهد على مزيد من التردّي

على مسافة من طرابلس .. نشط عمل .. وظهرت حركة وجموع من الناس .. فقد وضع حجر الأساس في مطار طرابلس الدولي عام ١٩٣٥ .. واشترك مئات العمال العرب في البناء .. وفكرت وأخي في اقامة متجر لنا هناك .. يبيع للعاملين احتياجاتهم من مأكولات ومشروبات .. وبالفعل استقلينا دراجتين الى موقع العمل .. وعندما وصلنا .. وجدنا في انتظارنا صورة نادرة من التفرقة .. الايطاليون والعرب يقومون بنفس الأعمال .. ومع ذلك فإن للايطاليين مقاصفهم ومطاعمهم التي تفوح منها رائحة المأكولات والمشروبات .. وأدخنة المطويات والمشويات .. ومع ذلك فانها محرمة على العرب .. ولم يطل بحثنا عن تفسير .. عرفنا أن هناك فروقاً هائلة في الأجور .. فأجر العامل العربي لا يتعدى القرشين ورغيف خبز .. أما العامل الايطالي .. فيتقاضى أضعاف ذلك عن نفس العمل .. فضلاً عن فتح المقاصف امامه للمشروبات والمأكولات .. قضينا بعض الوقت مع العمال العرب .. وكانت كفيلة بعدولنا نهائياً عن الفكرة .. فكل طعامهم عبارة عن رغيف الخبز الذي يقدمه الايطاليون .. وبعض التمر الذي يحملونه معهم .. أو يشترونه بدراهم من الباعة الجائلين بنفس موقع العمل .. بالجملة كانت الأمور أسوأ من أي وصف .. والمرارة أبعد من أي مدى .. لقد حاولنا دخول (السباتسو) أي مجمع الخدمات المقام هناك .. والذي يقدم الخدمات للايطاليين .. لكنهم منعونا من

مجرد الدخول . . ولما حاولنا أن نشرح لهم بأننا لا نعمل في الموقع . . وأننا نريد أن نأكل ونشرب على حسابنا . . وأظهرنا لهم ما معنا من نقود . . ورغم ذلك أصروا على منعنا . . ولم يكن ثمة لبس أو غموض في الموقف . . فنحن عرب . . وشاءت الصدفة أن تتعطل احدى الدراجتين في الطريق . . والوقت على وشك المغيب . . ومن بعيد تماوج ضوء ضعيف لمصباح غازي . . وكان الجوع قد بلغ منا مبلغه . . فتوجهنا على أقدامنا نحو مصدر الضوء . . وكان بالفعل لبقالة صغيرة . . الطريف أنها أغلقت بابها قبل أن نصل . . ولكننا استوقفنا صاحبها . . وطلبنا منه فتحها لأننا نحتاج لشراء بعض الحاجيات . . ولما فعل . . اكتشفنا انها شبه خالية حتى من الخبز . . وان كان قد وجد لنا في أحد الأواني المهملة بعض التمر القديم الملوث بالشعث . . ولأنه ليس لجائع من اختيار . فقد اكلناها . . قبل أن نواصل سيرنا . . عودة لدارنا في طرابلس . . وقد خيم علينا طوال الطريق . . صمت حزين . . فقد أكمل البقال الصورة التي رأيناها . . وحكى القصص التي تنطق بمدى المعاناة التي يعانيها زبائنه . . والناس بوجه عام . . وصارحنا بأن اجمالي ربحه اليومي لا يتعدى بضع دراهم . . وأنه يلجأ لتدبير امور أسرته الى زراعة قطعة أرض صغيرة . . والعيش على ما يحصله منها من خضروات وبقول . .

وهناك قصة أخرى سمعتها من أصحابها أنفسهم . . وهي تنطق بدورها بمدى معاناة الناس بحثاً عن وسيلة لكسب القوت . . وكيف أنهم كانوا يرحبون بأية فرصة عمل مهما بلغت قسوة هذا العمل . . أو ضآلة العائد منه . . والقصة مفادها أن جماعة من العمال الليبيين . . اشتركوا في حفر لمسح جيلوجي مع احدى الشركات . . وتواصل العمل عدة أسابيع . . وعند انتهاء العمل سافر المهندس بعد أن أمر مساعديه بالبداية في رفع معدات الحفر استعداداً للرحيل . . وأحس العمال بأنه ليس في امكانهم من القروش القليلة التي يتقاضونها أسبوعياً . . أن يوفروا لأولادهم شيئاً . . بعد أن اضطر الايطاليون نتيجة عزلة المنطقة . . ان يزودوا الجميع بالأكل . . طبعاً مع اختلاف الطعام كماً ونوعاً بالنسبة للايطاليين . . رغم ذلك فقد بدأت المخاوف تجتاح العمال الوطنيين . . خشية أن

ينتهي العمل . ويعودوا بالتالي للبطالة القاسية التي كانوا يعانون منها . . هنا هدى التفكير بعضهم الى خدعة طريفة . . اعتمدت على الذكاء . . فقد قاموا أثناء الليل بتفريغ بعض عبوات البترول في أحد الآبار . . وفي الصباح ظن الايطاليون أنهم وقعوا على كشف بترولي هام . . فأمروا الجميع بالبقاء في أماكنهم . . وعدم الرحيل وقرروا صرف الأجر بالكامل . . وأرسلوا الرسائل والبرقيات والعينات للتحليل الى جهات البحث في روما . . وصبت كل تصرفاتهم في نفس الاتجاه الذي رسمه عمالنا العرب . . ومضى شهران كاملان على هذا الحال . . قبل أن تتكشف الحقيقة . . ويدركوا ان الأمر لم يعد حقيقته السالفة . . وازاء العمل الصعب الذي كان يتواصل من الصباح الباكر . . حتى قرب غروب الشمس . . بحثاً وتنقيباً فان العمال العرب . . كما قالوا لي . . اعتبروا فترة الراحة انتظاراً لنتيجة الاكتشاف . . اعتبروها تعويضاً عادلاً عن الجهد المتواصل . . لقاء أبسط الأجور . . وبالطبع فإن هذا لا يؤثر على حقيقة واضحة . . ذكرها بعض المؤرخين الايطاليين أنفسهم . . وان لم يتناولوها مباشرة وبصفتها . . أعني بها مبدأ السخرة . . الذي مارسه الايطاليون ضد الوطنيين . . وعلى المكشوف . . إذ كانوا يجمعون الناس من الطرقات . . ويقتادونهم الى مواقع العمل في المشروعات الايطالية ، والطرق التي يمهدونها امام مركباتهم وعتادهم . . أو تفريغ العتاد في الميناء . . ويظل المواطنون يعملون تحت تهديد السلاح . . إلى أن يفرغوا أو ينتهي النهار . . ولأن الشيء بالشيء يذكر ، فإن الكثير من خيرات هذه البلاد ، جناها الايطاليون ، ليس فقط عن طريق الاستيلاء على أخصب المزارع والحدائق ، وبدون مقابل ، وتوزيعها على المعمرين الذين أتوا في حالة من الفقر والعوز ، بادية للعيان ، فيتحولوا خلال فترة قصيرة ودون ما عناء ولا جهد الى أثرياء ووجهاء ، ليس هذا فقط ، وإنما أيضاً ذلك الأسلوب الخبيث في النهب والذي أجاده الايطاليون ومحاكمهم العسكرية خاصة ، وهو المصادرة ، أعني مصادرة كل ما يمتلكه المجاهد الذي يقدمونه للمحاكمة ، وتتجاوز المصادرة حدود المعقول ، فتمتد الى العقارات والمنقولات ، وتسري عملية النهب لكل مقتنيات أسرة المجاهد ، وأحياناً عائلته ، من حليّ وملابس ، ومدخرات ، وحيوانات من قطعان الضأن والماشية والجمال وغيرها ، فضلاً عما

كانت تعود به عمليات بيع الأثاث لليهود والمعمرين من مبالغ كبيرة ، وقد أنشأوا بهذه المبالغ عمارة صندوق التوفيرعلى البحر قرب السرايا الحمراء ناهيك عن الشواطىء الليبية المترامية ، والمفتوحة تماماً أمام الأساطيل الايطالية ، تمتعاً بمزايا استراتيجية هامة في البحر الأبيض ، ايجاداً وشحذاً لأملهم في تحويل البحر الى بحيرة ايطالية كما كانوا يحلمون ، وفضلاً عن التسهيلات الكاملة ، التي حصل عليها الاسطول الايطالي ، ومنحها الايطاليون لحلفائهم في موانىء ليبيا ، فان بواخر الصيد الايطالية اتخذت منها أيضاً مراكز لانطلاقها ورسوها والتزود بالمؤن منها ، فضلاً عما أتاحه الوجود الايطالي في ليبيا للايطاليين من مزايا استراتيجية اخرى ، لعل واحداً منها ما وفره لها في غزو الحبشة ، ففضلا عن الرجال المقاتلين ، تمتعت ايطاليا بخطوط امداد وتموين داخل افريقيا ، فوق الارض الليبية ، ثم ما تلا ذلك خلال الحرب العالمية الثانية ، وما شكلته حرب الصحراء انطلاقاً من الأرض الليبية ، من مزايا للايطاليين سواء في مواجهة حلفائهم الالمان أو اعدائهم الحلفاء .

(.. ودأب على تعميم ونشر الظلام ..)

كان التعليم كله تقريباً منحصراً في عهد الأتراك في المدارس (الأميرية) وهي التي تقع مباشرة تحت ادارة السلطات التركية ، ويقوم الوالي بتعيين المدرسين العرب والأتراك لها ، وأحياناً يجيء هؤلاء المعلمون من مختلف أمصار الدولة العثمانية . . أما طلبتها فانهم في معظمهم من أبناء موظفي الدولة ، سواء الأتراك أو العرب أو العاملين في أجهزة الدولة ، وظهر نوع آخر بجانب هذه المدارس ، هو الكتاتيب ، وتجمع هذه الأخيرة أبناء الشعب في معظمهم ، تفتحها وتديرها مبادرات أئمة المساجد والمشايخ من أبناء البلاد . . وتقوم أساساً لتحفيظ القرآن الكريم والقراءة والكتابة والحساب ، واختصت هذه الكتاتيب بمجموعة من التقاليد ، تركزت حول مراحل حفظ أجزاءالكتاب الكريم وتبلور أقصى اطراد لها في صورة الحفلات ومظاهر التكريم التي ينالها عادة كل من ينتهي من حفظ القرآن .

أما التعليم العالي فلم يكن للبلاد حظ أو نصيب منه ، والرغبة فيه تعني الخروج من ليبيا الى تركيا نفسها دائماً وأساساً . . أو إلى بعض ولاياتها في الشام ، وربما مصر . . ودون ذلك الكثير من التكاليف والمعاناة ، حتى لقد ظل الأمر تقريباً مقصوراً على المدارس ، باستثناء الدراسة العسكرية ، والتي كانت تجرى على حساب الدولة التركية نفسها ، ظل الحال على هذا المنوال الى أن كان الغزو الايطالي الذي أنهى بصورة تكاد تكون كاملة المسألة التعليمية ، وحتى عندما اقتضت الضرورة وجود بعض المترجمين وصغار الموظفين من العناصر الوطنية ، لجأ الايطاليون إلى حصر العملية في أضيق نطاق ، وأكثره فجاجة ، فلم يتجاوزوا في تعليم هؤلاء ما يمكن أن يتعدى المهمات المحددة . . ولعل أكثر من ذلك خطورة وأثراً ما عملوه بالنسبة للتعليم العالي ، فالجريمة هنا بدأت أظهر . . إذ أن الذين سافروا إلى نابولي من أبناء البلاد ، بغية الدراسة ، عادوا بعد شهور قليلة ، تعد على أصابع اليد الواحدة . . عادوا يحملون لقب (الدكتوراه) . . ولعل الآخرين الذين فهموا اللعبة ، آثروا البقاء أصلاً . . ومزاولة اهتمامات أكثر فائدة .

ورغم شدة المعاناة ، وفداحة المحنة التي عاشها الشعب ، إلا أن أشواقه ظلت حارة لتعليم أبنائه . . لعدم ترك الباب الى المعرفة والعلوم مفتوحاً ومقصوراً على الغزاة والأجانب واليهود وحدهم ، لقد استشعر الشعب بحسه الفطري أن ذلك هو مكمن الخطر ، خاصة وهو يرى الوظائف والمناصب ، وحتى مقدراته ، ابتداء بأبسط صنوف التعامل ، كلها توكل إلى أيد غريبة ، فضلاً عن خطورة انتشار الأمية ، التي تعني في النهاية العجز عن المراجعة أو التصويب ، فيما يتصل بأخص خصوصيات المواطن العادي ، والتي قد يصبح هذا الموظف أو ذاك هو المنوط بها .

ولكن لا نزيد في التجريد ، يكفي أن نسوق هنا مثالاً حياً ، يفيض طرافة ودلالة في وقت واحد ، ذلك هو نموذج مدرسة العرفان الابتدائية بطرابلس ، التي جاءت وليداً لاصرار الأهالي وترجمة لما سبق أن ذكرت من وعي شعبي ، وقد تبرع الأهالي وتضافروا عبر جهود ذاتية، حتى تحركت ادارة الأوقاف فضمت جهودها

الى مبادرتهم ، وجرى افتتاح المدرسة ببيت بن موسى بزنقة خرم ، وذلك في سنة ١٩٢٠ ، وقد سعى الأهالي فيما بينهم لجمع التلاميذ من أبنائهم ووصل عددنا في اليوم الأول حوالي ٨ ثمانية تلاميذ ، وقادونا إلى المدرسة ، ومازلت أذكر أن الدرس الأول ، وحتى اليوم الأول كله تركز في تعليمنا الوضوء عملياً ، وكيف تتابعنا على اخراج الماء من البئر بأيدينا ، ثم بدأنا في أخـذ الماء من محبس فخار ، وكان مدرسنا بدوره دليلاً آخر ، فهو علي أمين سيالة .

وخلال أيام قليلة . . من افتتاح المدرسة . . توافد الآباء ومعهم ابناؤهم . . وتضاعف عددنا عدة مرات في الأسبوع الواحد . . وأحياناً كـان يفد في اليوم ضعف العدد الذي بدأت به المدرسة . . وربما لخص هذه الأدلة كلها . . دليل جديد . . هو أن البيت رغم اتساعه ومتانة بنيانه . . إلا أنه عجز عن تحمل ضغط الأعداد الكبيرة من التلاميذ . . وعلى الفور جرى تدبير بيت آخر . . قريب من المبنى الأول . . هو بيت بشالة . . ولم يستطع البيت الجديد الوفاء بالغرض . . فانتقلت المدرسة إلى بيت ثالث بسوق الحرارة . . وظلت المدرسة في البيت الأخير حوالي أربع سنوات[١٠] . . تحصلت فيها على الشهادة الابتدائية . . طوال تلك الفترة . . توالت جهود رائعة . . وتضحيات هائلة من أجل ابقاء المدرسة منفساً ومنفذاً للجيل الجديد من أبناء الشعب ، فالمدرسون كانوا يعملون بلا مرتبات في معظم الأحيان وناضل المرحوم اسماعيل كمال للاستمرار بها مفتوحة . . وساعده في ذلك نخبة طيبة من موظفي الأوقاف . . كلهم تواكبت جهودهم مع جهود أولياء الأمور . . غير أن الحرب تواصلت خفية وعلنية . . ضد المدرسة . . بعضها في صورة اعلان عن افتتاح مدارس ايطالية عربية . . والبعض الآخر بطريقة مباشرة . . سافرة . . أذكر انه في صباح أحد الأيام . . زار المدرسة الحاكم الايطالي (فوليي) . . ورغم اسراع الأساتذة في التغطية . . وانتقاء تلميذ يعرف الايطالية . . وتقديمه ليلقي خطبة بالايطالية . . فان بادوليو طلب الاطلاع على مناهج الدراسة . . وامتعض عندما اكتشف أن عدد حصص اللغة الايطالية في

---

(١٠) انظر رقم ٦ من مجموعة الوثائق الملحقة .

جداول الدراسة . . هو حصتان فقط في الأسبوع لكل فصل دراسي . . بينما اللغة العربية هي الأساس . . ورغم أن الأمل راود البعض . . سواء من أولياء الأمور أو الأساتذة أو رجال الأوقاف . . في أن تجيء زيارة (فوليي) بمكسب للمدرسة . . كتقديم اعانة . . أو مساهمة في عملية التمويل . . أو الاعلان عن مشروع لتحسين ظروف المدرسة ومن فيها . . إلى آخر قائمة طويلة تدور حول أهمية الزيارة . . وما يمكن أن يتمخض عنها . . حتى من الناحية الدعائية . . أو كمحاولة للاحتواء من أجل زيادة عدد الحصص الايطالية . . أو ماشابه ذلك . . رغم ذلك كله . . فان بادوليو لم يترك هذا البعض يجري وراء خيط الأمل طويلاً . . ففوجىء الجميع به يمد يده في جيبه فعلاً . . ولكن ليخرج خمسين ليرة ايطالية ويقدمها للطالب الخطيب . . طالباً منه أن يشتري بها حلوى . . وليته اكتفى بذلك . . فقد طلب قائمة بأسماء المدرسين . . وسحب البعض منهم للمدرسة الايطالية . . مع أن الدراسة في هذه الأخيرة كانت بالايطالية . . بالنسبة لمختلف المناهج . . باستثناء بعض الساعات القليلة للغة العربية على مدار الأسبوع كله . . ومرة أخرى برزت آية جديدة للوعي والاصرار . . فقد عوض المدرسون الباقون . . كل ما ترتب على سحب زملائهم من نقص . . وقاموا بالعبء كاملاً . . حتى أن المدرس كان يواصل التدريس طوال ساعات اليوم . . وكثيراً ما لجأوا إلى ضم الفصول لبعضها . . حتى لا يبقى فصل بدون مدرس . . أو يتأثر المنهج الدراسي من جراء نقص المدرسين . . وهكذا سارت الأمور . . في اطار القيم العربية الاسلامية . . حماس يتجاوز الحدود من المدرسين . . تركيزاً لدروس التاريخ العربي . . وحقائق الديـن الاسلامي . . وترسيخاً لقواعد اللغة العربية . . عند التلاميذ . . كانت أغلب الامتحانات شفوية . . تعتمد على الحفظ . . وفي نهاية العام تأتي المدرسة بلجنة تسمى (المميزين) . . وهم أربعة . . ويشترك معهم معلمو المدرسة . . ويتضافر بعض المدرسين في تصعيد واذكاء جو الرهبة . . فيكتبون على السبورة . . يكتبون عليها بالخط الكبير . . «يوم الامتحان . . يكرم المرء أو يهان . . » وبعد الامتحان . . يأتي دور تسليم الشهادات . . والشهادة تبلغ في الطول ما يزيد على النصف متر . . وعليها توقيعات جميع المدرسين . . ولعل هذا التشدد في الامتحان . . هو رد الفعل

الطبيعي . . لما اتبعته ايطاليا مع الطلبة الوطنيين من تساهل الى حد التفريط . . وخاصة في الشهادات العالية . . كما سيجيء . . والمخطط الشرير في ذلك واضح ومكشوف . . فلم يكن الايطاليون يسمحون للوطنيين بدخول مدارسهم إلا لأعداد قليلة جداً . . وفي أضيق نطاق . . وحتى هؤلاء القلة يجري التضييق عليهم . . وتتبعهم حتى يبدو ترك المدرسة . . وكأنه هو القرار الأنسب . . ولو على المستوى النفسي . . وما حدث معي يغنيني عن أي شرح أو استطراد . . فبعد أن حصلت على الشهادة الابتدائية من مدرسة العرفان . . توجهت إلى مدرسة (روما) بشارع ميزران . . واكتتبت بها . . وعند بدء الدراسة . . وجدت أن مجموع التلاميذ الوطنيين في الفصل كله هو ثلاثة غيري . . هم عبد الله نذير وشفيق العرادي . . ورابع آخر نسيت اسمه . . والغريب انه رغم هذه الندرة من العناصر الوطنية . . فقد لاحظت على الفور أن المدرس الايطالي تبرم لمجرد وقوع بصره علينا . . ونحن في زينا العربي . . ولم يستطع السيطرة على مشاعره . . فترك الفصل مباشرة . . ثم عاد بعد قليل . . ووجدنا التفسير . . عندما جاءت البعثة الطبية . . وأجرت الكشف على الفصل . . ثم عزلتنا نحن الأربعة بحجة المرض . . وخرجنا من المدرسة . . فلم يسمحوا لنا بدخول الفصل . . في الوقت الذي سمحوا فيه لليهود بحرية الحركة . . وطبعاً لم يخف ذلك على أولياء أمورنا . . ولا حتى علينا رغم صغر سننا . . ومن جهتي فقد ذهبت إلى الدكتور برطلوطي في عيادته الخاصة . . فوقع الكشف علي . . ثم أعلن أنه ليس ثمة مرض بي على الاطلاق . . ولما طلبت منه أن يعطيني شهادة بذلك . . كتب الشهادة على الفور . . وسلمها لي . . وعدت إلى المدرسة في صباح اليوم التالي أحمل الشهادة . . وهنا ومباشرة . . تعاملوا على المكشوف تماماً . . إذ رفضوا ادخالي بل واتهموا الطبيب بأنه لم يعرف حقيقة مرضي . . وغاب عنهم أنه ايطالي مثلهم . . والطريف . . أو المرير . . إنني أعلنت أمامهم أني سأذهب إلى طبيب آخر أو اثنين أو ثلاثة من الايطاليين . . وأحصل منهم على شهادات طبية أخرى . حتى أدخل المدرسة . . عند ذلك أحالوني إلى مدرسة أخرى هي مدرسة (تومozيو) قرب نادي مشوهي الحرب . . بالمدينة القديمة وقد سبقني إليها الطالب شفيق العرادي . . وكنا في نهاية الاسبوع . . نخرج الى الميدان في طابور

طويل . . سيراً في اتجاه حامل العلم (الايطالي) طبعاً . . وعند الوصول للعلم نرفع يدنا بالتحية الفاشية . . ولما لاحظوا أنني لم أرفع يدي بما فيه الكفاية . . أخذوني الى مكتب مدير المدرسة . . ثم سلموني للممرض الايطالي الذي أدخلني للمستوصف . . حيث اجبرني على شرب كأس من زيت الخروع . . استقر في روعي أنها سم . . وذلك بسبب طريقة الممرض ونظراته التي تتطاير شرراً . . أسرعت إلى البيت . . وأنا أتوقع أن أسقط ميتاً قبل الوصول إليه ، ولبثت وقتاً داخل البيت . . وأنا أنتظر الموت . . ولم يكن صعباً على أحد من الأسرة أو معارفها . . أن يدرك أن بقائي في المدرسة أمر من قبيل العبث الذي لا طائل وراءه . . وهكذا انتهت بي مدرسة العرفان الى خاتمة المطاف مع التعليم . . وبالطبع لم يكن ذلك بالنسبة لي وحدي . . وإنما للكثيرين من أبناء الوطن . . ولقد انتهت مدرسة العرفان نفسها إلى ذات المصير . . فأغلقت أبوابها نتيجة لعدد من العوامل . . فقد عجز بعض أولياء الأمور عن الاستمرار في دفع المعونات لها . . كما خاف آخـرون مغبة الاستمرار في الدفع وهم يدركون معارضة الايطاليين للمدرسة وتضييقهم بها ، وقبل هذا كله فان الايطاليين عملوا بكل الوسائل على تأزيم الأمور في المدرسة . . ثم الدفع بها في الطريق المسدود . . وظل الأمر على هذا المنوال . . حتى كانت سنة ١٩٣٢ . . ففي هذه السنة . . سمحت ايطاليا لبعض العرب بدخول مدرسة واحدة . . وكان هدف ايطاليا هو تخريج عدد من التراجمة لمساعدة المتصرفين بالدواخل . . ومع ندرة عدد العرب في المدرسة كان الايطاليون يلاحقونهم بالتجريح ومحاولات الاهانة . . التي تتجاوز حدود المعقول . . بل حدود الخيال . . فمن يتصور حاكماً عاماً لدولة محتلة . . يدخل مدرسة ليوجه اهانة لتلميذ عربي . . وهذا ما حدث بالتحديد . . فقد زار (بالبو) الحاكم بأمره الايطالي المدرسة . . ودخل أحد الفصول . . ثم تقدم من أحد التلاميذ العرب وهو منصور كعبار . . وسأله عن اسمه . . وعند سماع الاسم . . قال الحاكم بالحرف نحن قتلنا الكثير من أهلك . . فلماذا جئت لتتعلم الايطالية . . ثم اتجه إلى تلميذ آخر . . وسأله نفس السؤال . . ثم سأله : لماذا جئت إلى هنا ؟ . . ورد التلميذ في براءة وببساطة . . انه جاء ليتعلم العلم . . هنا رد (بالبو) على التلميذ بوقاحة غير مألوفة «ماذا تعملون بالعلم . . وأنتم لا

تعرفون اكثر من جمع المال . . وتخزينه في خابية . . ثم ردمه تحت التراب . . »
هكذا أسقط حاكم استعماري . . فسمح لنفسه أن يكيل الاتهامات والاهانات ، ولمن ؟ . . لتلامذة صغار ، ولمجرد كونهم عربا ، ومهما كانت الظروف ، حتى لو كانت ردا على ما تناقله الشعب ، مما حدث في برقة ، فهناك كرر الحاكم الايطالي نفس الصورة . زار مرة احد الملاجىء وأوقف أحد التلاميذ العرب . . وكان صبياً صغيراً اسمه (غيث) استشهد أبوه في أحد معارك الجهاد ضد الايطاليين . . ورحب بالضيف ، فقدم له بالبو بعض النقود وسأله الحاكم الايطالي بالصلف التقليدي ، محاولاً التظرف . . ماذا يريد أن يعمل بالنقود . . فأجابه بأنه يود أن يشتري بندقية ليأخذ ثأر أبيه . . وامتقع وجه الحاكم الايطالي ورفاقه . . وبالطبع لم يبق غيث في المدرسة . . وطرده الايطاليون ، ولم يرحموا طفولته عندما تحول رده الى مؤشر بطولة يتناقله ابناء الشعب في كافة أرجاء ليبيا . . ونظم أحمد رفيق المهدوي قصيدة تحكي قصة غيث . . وبعد كل الاهانات ، وعمليات المضايقة والتجريح ، بقيت هذه القلة متمسكة بمواقفها داخل المدرسة ، مع أنها تعلم حقيقة هدف الايطاليين ، والدور الضئيل الذي ينتظر قيامهم بعد التخرج . .

وفي شارع بالخير ، تواجدت لفترة (مدرسة الاصلاح) . . وقد أسسها حزب الاصلاح الوطني ، اثناء صلح (بني آدم) ، وعندما نقض الايطاليون المعاهدة ، وظهر أنهم استخدموا الصلح كهدنة ، استفادت منها ايطاليا استفادة كاملة ، عندئذ عادت الى أسلوبها ووسائلها القديمة ، فأغلقت الحزب والمدرسة والجريدة الناطقة باسمه واستولت على المطبعة التابعة لها ، وقد ظل اسم عثمان القيزاني مقترناً بها لفترة طويلة سابقة على الاغلاق . . ثم لفترة طويلة لاحقة له .

ولم يكن الحال بأفضل من ذلك بالنسبة للتعليم العالي ، فقد امتنعت هذه المرحلة على العرب . . اللهم إلا لبعض أبناء الشخصيات المقربة منهم ، أوفدوا ، ولكن إلى ايطاليا حتى هؤلاء لم يترك لهم الطليان فرصة حقيقية ، بل لجأوا إلى خداعهم وتوجيههم الوجهة الخاطئة ، حتى لا يستفيدوا فيفيدوا غيرهم . . وهكذا لم يتجاوز أكثر من تأهيل عدد للقيام بالترجمة في المتصرفيات . . أو تبليغ الأوامر إلى المحليين (انديجيني) وهو التعريف للعربي .

وزيادة في المظهرية ، واخفاء للحقائق المرة ، لجأوا إلى لعبة غاية في الدهاء والخبث . . ففتحوا في نابولي مبنى أطلقوا عليه اسم (جامعة) وجعلوا له عنواناً عريضاً ، ولافتة تحمل هذه الكلمات (المعهد الشرقي الايطالي للدراسات الشرقية) . . واكتفى هذا المعهد بمنح شهادات الدكتوراه ، لأي طالب ليبي . . يقوم الطالب بترجمة أي شيء من اللهجة الليبية الى اللغة الايطالية ، وقد صدق أحدهم ، للأسف ، هذه الخدعة ، وعاد إلى الوطن ، وهو لا يرضى عن لقب الدكتور بديلاً ، ولا يرد على محدثه إلا إذا كرر لقب (دكتور) في كل مرة يخاطبه فيها ، بل في كل مقطع من الحديث ، مع أن هذا اللقب العلمي الرفيع له احترامه وتقديره في الأوساط الجامعية ، ولا يمكن أن يكون نتيجة للبقاء أشهراً في نابولي بأي حال من الأحوال ، حتى لو كانت هذه المدة تمت في شكل اقامة كاملة داخل مبنى المعهد ودراسة لمدة ٢٤ ساعة يومياً في طبخ (السبيقيتي) فهذه لا تعادل الشهادة التوجيهية ، كما أكد ذلك الذين اكتشفوا حقيقة وأبعاد هذه اللعبة الايطالية وبينهم طلبة تخرجوا من نفس المعهد وأشفقوا أن يحملوا عنه لقب الدكتوراه مرة واحدة ، ومنهم من له شخصيةطغت على اللقب رغم بقائه مقروناً باسمه .

في النهاية ، وتلخيصاً لما قد يطول الكلام فيه وحوله عن الحالة التعليمية بالبلاد طوال فترة الحكم الايطالي ، فحدث ولا حرج ، أن الاحتلال الايطالي الفاشل أطفأ أي ومضة نور على طريق المعرفة وقتل كل بادرة على المستوى الشعبي للتعليم ، وفي الوقت الذي فتح فيه مدارس في أرجاء البلاد ، فانه حرص على اغلاقها في وجه الشعب وابقائها حكراً على أبناء الايطاليين من عسكريين ومعمرين وأشرك معه اليهود الذين كانوا يقيمون في البلاد قبل الغزو الايطالي . . ويتمتعون بكافة الحقوق التي يتمتع بها الشعب ، حتى لقد اعتبرهم الولاة والحكام الأتراك جزءاً من الشعب دون ما تفرقة أو تمييز ، وعندما جاء الايطاليون اذا بهم يتحولون الى سند واحتياطي للقوات الايطالية ويساعدونهم في عمليات القمع والانتقام ويجاهرون بالشماتة مع وقوع أي هزيمة أو مذبحة لأبناء البلاد ، وفي هذا المضمار ، فلعل الاستعمار الفاشي الايطالي هو الاستعمار الوحيد

الذي شذ عن القاعدة ، فلم يترك لأبناء البلاد فرصة للتعمق في لغته واجادته سواء بالترغيب أو الترهيب ، وهو الوحيد أيضاً الذي حل ورحل ، بعد مكث طال ، دون أن يترك واحداً من أبناء البلاد الأصليين في موقع مهندس أو طبيب أو حتى مساح أو ممرض ، لقد عمل بكامل الجهد كي يعم الظلام فوق المساحة المترامية للبلاد .

(كل اللحم يا دجاج ..)

بل إن مفهوم الشماتة ، يقصر عن وصف ما حدث ، يوم المذبحة الرهيبة التي نفذها الطليان ضد المجاهدين من أبناء البلاد ، عندما صحا الشعب يوم العيد الأكبر ليجد الايطاليين وقد نفذوا أحكام الاعدام في عدد من خيرة الشباب ، وتركوا أجسادهم معلقة في حبال المشانق بميدان السراي الحمراء ، قرب جامع سيدي حمودة ، وفي الوقت الذي استفز فيه هذا المشهد المشاعر الانسانية ، إذا باليهود يصفقون فرحاً وشماتة وتمادياً في التنكر للانسانية حتى أنهم أخذوا يصيحون ويهتفون «كل اللحم يا دجاج . . كيلو اللحم بربع قرش» . . وأسرف اليهود تنكراً للأرض التي عاشوا فوقها، والشعب الذي عايشوه ، فارتفعت اصواتهم بمعان أفدح وأبلغ مجافاة للانسانية ، إذ كان العرب قد امتنعوا عن الذبح في عيد الأضحى السابق حزناً على ما حل بالبلاد من غزو أجنبي ، ولكثرة الدماء التي أريقت من أبناء البلاد الذين سقطوا دفاعاً عن الأرض والعرض ، فلم يخل بيت تقريباً من شهيد ذهب في نضرة الشباب وميعة الصبا ، كما أن تشابك العلاقات الاجتماعية عمم القرابة والنسب مما جعل المشاركة جماعية ، هذا فضلاً عن المعاني التي يحملها عيد الأضحى نفسه ، من الفداء ، المهم أن اليهود ، عندما جاء عيد الأضحى التالي ، ولم ينحر المسلمون الذبائح وانتصبت المشانق في الميدان ، وفوقها أجساد الشهداء ، إذا بهم يصيحون ويصرخون بما معناه : أن الايطاليين قاموا بالذبح نيابة عن العرب ، وزادوا سفاهة فتفوهوا بألفاظ لا تليق ، ولم يكن هذا بالطبع إلا تزلفاً للمستعمرين الذين أغدقوا عليهم الامتيازات وعاملوهم معاملة الايطاليين طوال الفترة السابقة على تضامن الفاشي مع النازية ، وقد انقلبت الأمور رأساً على عقب بعد هذا

التحالف ، فانتقل عداء النازي لليهود إلى الفاشيين ، وبدأ الطليان يتعاملون بأسلوب مختلف مع اليهود . .

(طرائف ومفارقات)

برز العديد من المواقف الضاحكة الساخرة التي تندر بها الشعب وتناقلها رغم المحن والمآسي . . منها :

(علي ومبروكة :)

منذ أن دخل الطليان البلاد وحتى خروجهم منها لم يستخدموا غير اسمين اثنين أطلقوهما على جميع الليبيين دون ما استثناء ، اللهم إلا في الحالات النادرة التي تتوثق فيها العلاقات ، وتدوم سنوات عن قرب من غير انقطاع ، وإلا عادت الأمور إلى الاسمين ، والاسمان هما (علي) و(مبروكة) الأول لكل عربي ، رجلاً كان أو طفلاً أو شيخاً ، يتناقله جميع الطليان ، من رجال ونساء ، في أي مكان ، أما الاسم الثاني فهو (مبروكة) . . ويجري اطلاقه على جميع النساء، والطريف أنهم تمسكوا بالاسمين حتى آخر لحظة ولم يستخدموا غيرهما ، كما أنهم أصروا أيضاً على عدم تعلم أي كلمة عربية مهما كانت درجة شيوع استعمالها بين الناس وسهولة نطقها ، والملفت للنظر في هذا الصدد أيضاً أن الايطاليين الذين كانوا يتكلمون العربية ويعيشون في أجزاء أخرى من الوطن العربي ، هؤلاء الايطاليون أنفسهم عندما جاءوا إلى طرابلس عدلوا فوراً ونهائياً عن نطق أي كلمة عربية أو التحدث بالعربية ، وبصورة تؤكد وجود المؤامرة على عروبة هذا القطر ، وقد وعى الشعب هذه الظواهر وتناقلها وأحالها إلى ضحكة ساخرة خاصة اسميّ (علي) و(مبروكة) . .

(بين الشمال والجنوب ..)

حرصت ايطاليا على نقل الغالبية العظمى من الايطاليين الجنوبيين وهؤلاء كانوا أمثلة صارخة للجلافة وقلة الذوق ، ففضلاً عن أنهم عملوا في أي حرفة

صادفتهم ، مثل اصلاح الأحذية أو بيع الجيلاتي وأبو فروة المشوي أو الخضار ، وبصفة عامة باعة جائلون ، فإنهم كانوا يلجؤون الى المبيت في الحوانيت ، كما أن الشعب لاحظ عليهم الترحيب الشديد والفرح البالغ بالهدايا ، أي هدايا . . وقد تناقل الناس ظاهرة الايطالي (لواجي) مترجم الكاتب العام ، ولقضاء المصالح لدى الكاتب العام ، طالما قبل (لواجي) الدجاج . . الخراف . . المعيز . . الكسكسى . . الرشتة . الحلاوة في الأعياد . . الفاكهة . . البيض . . الخضرة بالجملة . . أي شيء مقبول . . وليس ثمة فرصة أو تحفظ أمام فكرة رد شيء . . أو الاعتذار عن قبول شيء . . وأحياناً كان يتصادف دخول الهدايا في وقت واحد ، وتنطلق من بيته صياح الديكة ، والخراف والمعيز ، أو تتكوم الهدايا امام الباب الخارجي وكأنه سوق جملة للخضار ، وكان يقوم ببيعها . . ويقع بيت المترجم لواجي أمام متجرنا وكنا نُسأل عن مقر بيته من قبل حاملي الهدايا ، وشاهدت في يوم واحد يدخل لبيته ثلاثة أوان (معاجن) من طعام الكسكسى . . وعلى وتيرة (لواجي) سار الايطاليون الآخرون . . ولحفز العرب على تقديم الهدايا ، لم يكونوا يتأخرون في قضاء المصالح والتوسط لاخراج العربي من مأزق ، وقد سايرهم في عمليات الوساطة ، ولكن دون قبول هدايا أو هبات ، العرب من الحاصلين على الألقاب والرتب الايطالية ، وللحقيقة لم يكن يبخل هؤلاء في تخليص مواطنيهم العرب من ورطة ، أو اخراجهم من محنة ، وفي كل الحالات فان المسؤولين الايطاليين كانوا يستجيبون لوساطات أصحاب الألقاب من العرب أو الايطاليين عامة ، ولا أنكر خدمتهم لي في أحرج الظروف . .

(سفينة نوح)

منطقة جوليانا ببنغازي . . ظل أقرب طريق إليها هو القوارب . . فهي داخل خليج . . هذه المنطقة تواجد بها ماريشال شرطة ايطالي . . وفي أحد الأيام نزل هذا المارشال العجوز لمدينة بنغازي . . وعندما أراد العودة لجوليانا . . ولحظة وصوله للشاطىء . . كان المركب قد أقلع . . ونادى الماريشال حتى يعود القارب . . وبالفعل عاد القارب إلى الشاطىء . . وقفز الماريشال بداخله . .

ليتفرس قليلاً في ركابه .. الذين كانوا خليطاً من العرب والأجانب واليهود .. وزمجر الماريشال .. ثم تظرف قائلاً : إنها تشبه سفينة نوح .. فهي تجمع البشر والحيوانات .. وفهم العرب ما عناه الماريشال الايطالي .. فرد عليه حسن عبيدة على الفور قائلاً : لا تنسى يا ماريشال .. أن آخر من ركب السفينة .. كان الحمار ..

انجاز ايطالي :

في لقاء آخر بين ماريشال ايطالي .. وموظف عربي أظنه من عائلة العاشق .. بدأ الماريشال الايطالي يحاول تعداد انجازات ايطاليا في ليبيا .. فقال إنها علمتكم السروال .. والصابون .. ورد عليه الموظف العربي .. بأن أخطر ما عملته ايطاليا أنها نحت «الذيول للشعب» .. ودارت الأيام .. فإذا بكبير المفتشين بوزارة الداخلية الايطالية يأتي لطرابلس في زيارة تفتيشية والتقى المفتش بالماريشال بالزاوية الغربية وسأل الأول الثاني عن نظرة الوطنيين في دولتهم ايطاليا وفيما إذا كانوا مرتاحين لمعاملتها لهم وهنا انتصب الماريشال قائلاً جداً جداً أشد الارتياح خصوصاً من عملية إزالة الذيول من عجزهم .. فأدرك المفتش غباء ماريشاله وأمر بإرجاعه إلى صقلية ..

نبوءة تحققت :

سمعت من علي أمين سيالة .. أنه وجه سؤالاً لشيخه بشير العالم .. وكان السؤال محدداً ومباشراً : هل تخرج ايطاليا من ليبيا ..؟.. وجاء الجواب .. بنعم .. وأكمل العالم «.. نعم .. ولكن سيكون التغيير ببرطيلة (أي قبعة بقبعة)» .. والظريف انه في ذلك الوقت .. لم يكن يلبس القبعة غير الأوروبيين ..

وتأييداً لمثل هذه النبوءات .. فقد شاهدت يوم ٢٢ يناير ١٩٤٣ .. وهو اليوم الذي سبق دخول جيوش الحلفاء لطرابلس .. كنت في ذلك اليوم أحوم حول مزرعتنا بقرجى وعندما بلغت الثكنات .. وجدت عاملاً ايطالياً يقوم بتسوية

سور الثكنة والضباط والجنود يخرجون في السيارات في الطريق لتونس . . فسألت العامل لماذا يعمل والكل راحل . . فرد العامل ببساطة وهو منهمك في العمل بأنهم دفعوا له أجر ثلاثة أشهر مقدماً . . وهي المدة المحددة لعودتهم . . ولم يلبث أن رفع بصره . . ونظر إلى باب الثكنة . . ليجد الايطاليين المدنيين خارجين ومعهم ما خف حمله وغلا ثمنه . . عندئذ نظر إلي قائلاً . . سؤالك في محله . . ثم غسل يديه . . ودخل الثكنة مع غيره ليعود حاملاً آلة كاتبة . . وقد ركب دراجة . . ومعه (السطل) و(الملعقة) . . عندها تذكرت النبوءة الأخرى التي سمعتها قبل ذلك بفترة طويلة من أن الايطالي سيخرج (والملعقة بيده) . .

ماصو .. يا ماصو ..

أثناء تشييد عمارة مبنى الولاية . . جاء المهندسون بعدد من العمال العرب الأقوياء . . لاق الأسافين . . واثناء العمل المضني . . وعلى ايقاع عمليات الدق . . أخذ العمال يرددون في قوة كلمات منظومة . . تقول الكلمات : «ماصو . . ياماصو . . وحلو دقه على راسه . . ياماصو يبني ويعلى . . ياماصو يمشي ويخلي» وماصو . . معناها بالفرنسي المعلم أو الاسطى . . وجملة «وحلو دقه على راسه» . . معناها أعط الايطالي ضربة على الرأس . . أما بقية الكلمات . . فان معناها واضح جداً . . وهو أن الايطاليين مهما بنوا وارتفعوا في البناء . . فإنهم بالقطع ذاهبون وتاركون كل شيء .
نعم شيدوا عمارات وهدموا نفوسا .

.. وأية مساواة !!؟

في ٢٧ من اكتوبر عام ١٩٣٨ . . طلعت علينا جريدة العدل . . في ملحقها رقم ٥٣٠ . . ببلاغ من دولة الحاكم العام . . نشرت الجريدة صورته حرفياً . . وقدمت له :

«صورة البلاغ الذي أذاعه حاكم ليبيا العام . . بعد قرار المجلس الفاشي الأكبر بضم ليبيا الى المملكة الايطالية :

«أيها الايطاليون المملكيون . . ويا أيها الايطاليون المسلمون الليبيون . . قال الزعيم لكم يوم ١٨ مارس سنة ١٩٣٧ من ساحة سرايا طرابلس . . «ان روما ستعلمكم عما قريب بقوانينها . . مبلغ اهتمامها بجعل مستقبلكم من الخير . . كل يوم في مزيد . .» وها أن الزعيم انجز وعده . . فان مجلس الفاشيزم الكبير . . قد أعلن في هذه الليلة أن ولايات ليبيا الأربع أصبحت جزءاً من أراضي الأمة الايطالية . .

ولقد زالت المستعمرة القديمة وقام مقامها قطر ايطاليا التاسع عشر . . أعني ليبيا . . وما حادثة هذا اليوم العظيمة إلا خاتمة سبع وعشرين سنة من أشغال بليغ وأعمال حضارة مثمرة . . قلبت معنى ووجه هذه الديار التي أقامت فيها روما معالم سلطانها المستنير . . تشير إلى شوكتها وبهائها . . مما لم يزل الى يومنا هذا يتلألأ تحت شمس البحر المتوسط . .

يا أيها الايطاليون المملكيون . . ويا أيها الايطاليون المسلمون الليبيون . . افرحوا وابشروا بهذه الحادثة العظيمة . . إذ يتبدى منها دور تاريخ وحضارة جديد . . وتهيئوا باحياء ايمانكم بحماسة وشهامة للقيام بما ستقتضيه ليبيا في الغد . . من سامي المهمات . .

عاش الملك الامبراطور . . عاش الزعيم . .

الحاكم العام

إيتالو بالبو

ورغم أن هذا المنشور . . وقع كالصاعقة على الناس . . وسلخهم من عروبتهم . . وجاء مجسداً خيبة الأمل عند الشعب . . والرعونة عند الطليان . . وأثار ردود فعل اسلامية وعربية هائلة . . رغم ذلك فقد بدت المفارقة الطريفة . . عندما فوجىء الناس بأن الطليان يحسدوننا عليه . . ويحملقون في الوجوه . . العربية التي تكسوها الصدمة . . ويغمرها الضيق . . فإذا بالايطاليين لا يرون ذلك كله . . بل يرون عكسه . . فيبادرون للقول «لا تفرحوا بهذه المساواة . . وكأنهم عموا تماماً عن الواقع اليومي . . الذي يعج بالتفرقة والتمييز . .

والاهانات للمشاعر الوطنية والانسانية . . كأنهم عموا عن ذلك كله . . وصاروا لا يرون غير كلمات المنشور . . التي لا تستحق الحبر الذي كتبت به . . وعليه فقد زادوا في استخدام (أراباتشو) ويعنون بها (الحقير العربي) . . وقد تجاوزت الغطرسة الايطالية . . حدود التصرفات . . إلى الشخصيات والسمات الذاتية . . وقد رأيت بعيني نموذجين لشخصيتين ايطاليتين . . صارتا مضرب الأمثال للسخرية بيننا . . فقد أحالتهما الغطرسة والصلف إلى تحفتين نادرتين . . مع أنهما لم يكونا عسكريين أو فاشيين . .

الأول محاسب . . والثاني ساعاتي . . أما المحاسب . فكان يتخذ مكتباً خاصاً في عمارة الأوقاف بسيدي حمودة . . وتعتمده المحاكم وقتها . . واسمه «مونديني» . . يسير في خط مستقيم لا يحيد عنه لأي سبب . . ويضع نظارة فردية العدسة فوق عينه . . وقد عقص ذراعيه وراء ظهره . . وحمل في احدى يديه عصا . . فإذا اعترض مساره المستقيم . . أي شخص فإنه يستخدم العصا لابعاده . . وطريقة الابعاد تختلف بحسب جنسية الشخص . . فإذا كان ايطالياً فإن الابعاد يأخذ طريقة الاشارة بالعصا أو التنبيه فقط . . أما إذا كا ن الشخص عربياً . فإن الابعاد يتم بضربة العصا . . والطريف أنه بعد الاشارة أو الضربة مباشرة . . يعود كل شيء إلى سابق حاله . . ففي سرعة بالغة . . يعقص (مونديني) يديه خلف ظهره . . وترتفع رأسه إلى أعلى . . ومما يزيد المنظر طرافة وسخرية ذلك(الغليون)الضخم الذي يضعه في فمه . . ويبقيه مشتعلاً طوال سيره في الطريق . . ولعل ثقل هذا الغليو ن هو الذي جعله يتمادى في رفع رأسه لأعلى . . واحكام القبض عليه بأسنانه . . وللمنظار فردي العدسة قصة طريفة أيضاً . . فأثناء تعامل (مونديني) مع المحاكم أخطأ مرة في الحسابات . . وجاء الخطأ صارخاً ومخجلاً . . فإذا به يطلق الرصاص من مسدسه على عينه . . ونقلوه للمستشفى . . وقد نجا من الموت . . وان كلفته الرصاصة عينه . . فوضع العدسة على العين الأخرى . . وقد اشتط مونديني في هذا التصلب . . حتى أثار انتباه الايطاليين أنفسهم . . فقلدوا شخصيته على خشبة المسرح . .

وأثارت بالطبع الضحك والتعليق وان لم يعلنوا أنهم يقلدون (مونديني) . . فان الجميع عرفوها على الفور ونطقوا الاسم الحقيقي لصاحب الشخصية . .

أما النموذج الثاني . ، فهو (كوكلا) وهو ساعاتي ايطالي ، ، كان يعمل في مصر ويجيد العربية ، وعندما طرد من مصر ، جاء إلى طرابلس ومعه أولاده ، وافتتح محلاً لتصليح الساعات في شارع فيكتور عمانويل الثالث ، وعمل معه في المحل اثنان من أولاده ، والطريف أن كوكلا امتنع عن التحدث بالعربية اطلاقاً ، ورفض تصليح ساعات العرب ، مكتفياً بالتعامل مع الايطاليين فقط ، واتخذ لمشيته طابقاً وايقاعاً يشبهان (موندينى) تقريباً ، غير أن كوكلا لم يكن يستخدم العصا ، وإنما اعتاد (رفس) من يعترض مساره ، ثم يستعيد ايقاع المسار في ذات اللحظة ، وعندما كان يستدير (المرفوس) ليتبين الأمر ، يفاجأ بنسخة آلية وسط سحابة من الدخان لرجل قصير القامة ، يضع «الغليون» في فمه ، ويسحب الأنفاس في سرعة وتواصل ، وكأنه لم يفعل شيئاً ، إذ يواصل «كوكلا» سيره في عدم اكتراث ، وقد بدا للجميع أن «كوكلا» يحاول في طرابلس تعويض ما لحقه من اهانات انتهت بطرده من مصر . . وذلك برفض التكلم بالعربية والتعامل مع العرب والرفس . .

وهذه قصة رواها لي شاهد عيان ، مقاتل من البسطاء ، الذين أجبرهم الطليان على الانضواء في صفوفهم ، واستخدموهم في قتال اخوتهم المجاهدين . . الراوي هو المبروك العكاري ، والقصة تتلخص : في أن المبروك وبعض زملائه من أبناء البلاد خاضوا معركة ضارية جنباً إلى جنب مع الطليان ضد المجاهدين ، ودارت المعركة حول بئر تحصن حوله المجاهدون ، واستمرت المعركة منذ الفجر إلى ما قبل الغروب ، وقد اضطر القائد الايطالي للاستعانة بنجدات من الايطاليين والأحباش . . واستبسل المجاهدون في القتال ، حتى نفذت ذخيرتهم ، واستشهدوا جميعاً في مواقعهم حول البئر وتقدم الجنود وسط جثث الشهداء ، وعندما حاول الجنود العرب أن يغترفوا بعض الماء ليشربوا بعد طول ظمأ ، إذا بأحد الضباط الايطاليين يرفع صوته زاجراً وآمراً بعدم الشرب ،

ومصدراً الأمر بالابتعاد عن البئر ، ولم يتحفظ الضابط الايطالي ، فأعلن أن البغال أولى بالشرب من الجنود العرب ، لأن البغال يجري احضارها من ايطاليا ، أما الجنود فإنهم موجودون ومتوفرون . . وبالفعل شربت البغال ، أما الجنود الايطاليون فإن مشروباتهم كانت تنحصر في المياه المعدنية التي تأتي خصيصاً لهم أثناء المعارك ، حتى لا يضطروا لشرب المياه الملوثة التي تحويها الآبار ، حسب اعتقادهم ، ولعل في هذا أبلغ تجسيد للعقلية المتغطرسة المفرطة في الخطأ واللاانسانية التي تمتع بها المستعمرون الفاشيون ، أما وجه الاثارة والاعجاب ، بل ومصدر الفخار والاعتزاز ، أن المعركة التي كلفت الايطاليين عدداً كبيراً من القتلى والجرحى ، واضطرت قائدهم لطلب النجدات والتعزيزات ، فإنها كما يقول المبروك العكاري : لم يزد عدد المحاربين فيها من المجاهدين عن العشرين ، وذلك من واقع الجثث التي تناثرت حول البئر ، حتى لقد فوجىء بذلك القائد الايطالي وكاد أن يكذب عينيه . . لولا أنه في فترة متأخرة من المعركة أدرك قرب نفاذ مؤونة المجاهدين وعتادهم ، فأمر بتطويق المكان حتى لا يدع فرصة للانسحاب أمامهم ، وهو مالم يحاوله هؤلاء المجاهدون الأبطال .

ذاع في أرجاء البلاد ، خبر اقتحام الحلفاء لمقر الخلافة في القسطنطينية ، وأثار هذا الخبر موجات من الأسف والحزن بين عامة الشعب ، سرعان ما ترجمها الشعب إلى فعل ، فتجمع الآلاف في جامع الباشا وانبرى الأئمة والمشايخ يدبجون الخطب النارية . وراحوا يجمعون الاعانات والتوقيعات ، وقد تزايدت الجموع داخل المسجد ، حتى أنني - وكنت طفلاً وقتها - لم أتمكن من الخروج ،

وكدت أموت مختنقاً من شدة الزحام ولولا أن بعض الأيدي امتدت إليّ وانتشلتني لواجهت الموت المؤكد . . وقد خرجت بفردة حذاء واحدة . . وقد قرر حزب الاصلاح آنذاك تنظيم مظاهرة استنكاراً لتدنيس مقر الخلافة الاسلامية وحزناً على سقوط الخلافة . . وبالفعل تجمعت جموع غفيرة قرب باب الحزب بشارع بالخير ، وعندما تحركت المظاهرة وخرجت الى شارع الوادي كان في مقدمة المظاهرة أحد أبناء الشيشكو . . وقد ألهبه الحماس فانشغل بالتصفيق لأحد الخطباء وفي هذه

الأثناء وقع بصره على أحد رجال البوليس المدني ، وهنا وبعفوية ، اتجه الشيشكو ناحية رجل البوليس ، وهو مستمر في التصفيق ، وبنفس الحماس همس لرجل البوليس قائلاً : «ياكولير لا تأخذها بمأخذ الجد . . كله لعب وضحك» وواصل الشيشكو التصفيق والهتاف وكأن شيئاً لم يكن . . وطبعاً لقد مرت المظاهرة بسلام ، فقد تصادف في تلك الآونة قيام صلح بن آدم ، أو الهدنة الحمقاء كما أسميها ويتفق معي حول التسمية الكثيرون . .



الفصل الخامس عشر

الدوران في نفس الحلقة المفرغة

مفارقة طريفة رغم مرارتها . . شكلت أول تجاربنا مع الانجليز . . ففي ٢٣ من يناير ١٩٤٣ . . أول يوم لدخول الجيش الانجليزي لطرابلس ، جرى استدعاء أعيان البلاد المعروفين في الفترة الماضية ، إلى المحكمة الشرعية ، وذلك للاجتماع بالحاكم العام الانجليزي ، وفي داخل قاعة المحكمة ، وانتظاراً لوصول الحاكم العام الجديد ، انبرى أحدهم طالباً من القاضي والمفتي تزكيته ، على أساس أنه المتحدث باسم الشعب عامة ، وزاد بأن طلب في وضوح وبصراحة ، أن يثني عليه الجميع وأن يفوضوه عنهم بالاجماع . . وجاء الحاكم العام بمفاجأة لم ينتظرها أحد ، إذ سرعان ما انهال بالاتهامات على الجميع ، وقال كلاماً مفاده أن شعب طرابلس عبارة عن لصوص وأن الناس قد سرقوا مخازن التموين الايطالية وأن الانجليز ليس لديهم أي تموين للشعب . . وبالطبع بلع المفتي والقاضي لسانيهما فيما يختص بتفويض كبيرنا ، فقد تحول الموضوع إلى تهمة مخلة بالشرف . . ولم يعد ثمة مجال لتزكية أو تقديم ، وقد رد المفتي على الحاكم الانجليزي رداً موضوعياً شافياً . . أفحمه . . وبعد الاجتماع مباشرة ارتفعت أسعار السلع التموينية ارتفاعاً فاحشاً ، وخاب أمل الناس في أن يقدم الانجليز على توفير السلع ، أو مبادرة من شأنها تخفيف الضائقة على الناس ، خاصة وأن المشكلة التموينية تفاقمت بصورة مزمنة أثناء انسحاب الايطاليين ، وقبله بفترة طويلة نسبياً .

المهم . . تواردت الشواهد والأدلة ، كلها تؤكد خيبة الأمل في أي تحسن أو تغيير لصالح الشعب ، وبدا الشبه كاملاً بين الليلة والبارحة حتى أنني دبجت رسالة لعبد الرحمن دقدق . . أحد العناصر الوطنية الموجودة بمصر ، أحكي له وقائع عن معاملة جيش الاحتلال والتصرفات الانجليزية ، وما تشير إليه من معان ومغازي . . وبلغني أن البواخر الانجليزية التي دخلت ميناء طرابلس ، بها بعض البحارة المصريين . . وأن هؤلاء قد نزلوا في بيوت مفروشة ـ مؤقتاً ـ قرب مقهى دحمان . . بالزقاق الكائن أمام المدرسة الايطالية ، فحملت الخطاب اليهم . . مدعياً أنه لقريب لي في القاهرة . . لـم أره أو أسمع عنه منذ ثلاث سنوات . . وهكذا قبلوا حمله معهم إلى الاسكندرية لإلقائه في صندوق البريد من هناك ، ليأخذ طريقه للقاهرة . وكانت المعلومات المتضمنة بالخطاب ، هي أول تقرير يخرج من البلاد عن الحالة السائدة في مطلع أيام الاحتلال الانجليزي ١٩٤٣/٢/٥

ولم نعد نعلق ثمة رجاء على تغيير أو تحسن في الأوضاع على أي مستوى ، وذهبت أطلب تصريحاً بالسفر للخارج . . فقابلوني بمماطلة وتسويف ، فلما أعدت الطلب وأصررت عليه ، لم يسمحوا لي بذلك ، وفي أحد الاجتماعات التي ضمتنا طرحت فكرة القيام بمظاهرة ، وكان معي في الاجتماع بمكتبي الصادق بن زراع ومحمد الكريكش واستاذي محمود شوكت المبروك ، وتطور الاقتراح بالمظاهرة ليشمل تقديم عريضة للحاكم الانجليزي ، وعقب صلاة الجمعة بتاريخ ١٩٤٣/٨/١٣ دخل السيد امحمد المبروك الى جامع السنوسية وشرح للمصلين النية في القيام بمظاهرة تنتهي بتقديم عريضة للسلطات الانجليزية تحمل لهم مطالبنا . . وفي صباح السبت تجمع الشعب أمام المسجد وجاء بعض الضباط الانجليز وتوجهوا بحديثهم إليّ ، طالبين مني أن أسلمهم العريضة التي تحمل مطالبنا وأنه ليس ثمة داع للتظاهر حتى لا يقع تصادم بينهم وبيننا ، وكانت لكنة التهديد واضحة . . فدخلت المسجد ، وعدت لأقول لهم ان الهدف من المظاهرة هو تعزيز العريضة والتأكيد على تمسكنا بما جاء فيها وأن المظاهرة سلمية وستبقى كذلك مادام في تقدير السلطات الاستجابة لها . .

وكنا قد قررنا أثناء وجودنا داخل المسجد تلاوة العريضة على الحاضرين ليكون الجميع على علم بما جاء فيها من مطالب . . وسألنا الناس أن يختاروا ستة لتقديمها للحكومة . . وبالفعل تم اختياري وتفويضي في حمل الوثيقة ، واختير خمسة زملاء آخرين هم : الطاهر باكير ، محمد الزقعار ، محمود شوكت المبروك ، محمد الكريكشي ، الصادق بن زراع . . وقد ضمت هذه العريضة ، بعد مقدمة تفسيرية طويلة ، أحد عشر بنداً . . تتناول الرغبة في عدم اعتبار طرابلس بلاداً ايطالية أو جزءاً من ايطاليا ، ومساعدة الأوقاف الى غير ذلك من مطالب محددة وتفصيلية . .

وما أن خرجت المظاهرة من المسجد حتى تعالت الهتافات الى عنان السماء وتزايدت جموع المنضمين اليها من أبناء الشعب . . وبدت مهولة ومهيبة، ولم يتعرض لها الجيش الانجليزي ، الذي اكتفى بمحاصرة سراي الحكومة ، ولما بدت الأمور تسير في سهولة . . سلمت العريضة إلى أحمد الشارف ، باعتباره أكبر مني سناً ومركزاً وعلماً ، فضلاً عن كونه شاعراً معروفاً ، وعندما اقتربنا من باب السراي نزل الينا ضابط الشؤون العربية ، وهو انجليزي بالطبع وطلب منا اختيار اثنين فقط من بيننا ليصعدوا معه للتفاهم مع الوالي حول الطلبات . . وهنا برز مع أحمد الشارف ، الطاهر باكير . . وقد عمد الحاكم الانجليزي الى الاجابة على الطلبات الثانوية ، مثل السماح بالحج ، فطلب تقديم الطلبات للراغبين في الحج ، ووعد بالاجابة عليها والاذن بالحج لمن يريد ، أما بقية المواد التي سبق ذكرها ، والمطالب الأخرى بتوظيف أبناء العرب ، فقد وعد بدراستها ونشر القرارات والاجراءات في الجريدة ، وانتهت المظاهرة عند الظهر بعد أن اقترح الصادق بن زراع أن يكون يوم ١٣ من شعبان ١٣٦٢هـ الموافق ١٩٤٣/٨/١٤م عيداً قومياً . . وكتبنا محضراً بهذا المعنى بعد عودتنا الى متجرنا ، وقد علمنا بعد ذلك أن العريضة قد أحيلت إلى المتصرفية . . وبالفعل دعتنا المتصرفية للتشاور مع مستشاريها وذهبنا نحن الستة الذين فوضنا الأهالي . . وفي المتصرفية انضم إلينا سابع هو فاضل بن زكرى ، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يظهر فيها فاضل على خشبة المسرح السياسي ، وتم اجتماعنا بالمستشارين يوم الاثنين

١٦/٨/ ١٩٤٣ ، وقد سبق ذلك اجتماع يوم الأحد صباحاً بين الحاكم وأحمد الشارف ومحمود شوكت أفادهم الحاكم خلاله بأنه أحال العريضة إلى المتصرفية ، وطلب ذهاب الباقين إلى هناك في اليوم التالي . . وحدد الساعة الخامسة في المساء من اليوم التالي الاثنين للاجتماع بنا وبالمستشارين معاً . . وفي الموعد المحدد ذهبنا مع المستشارين الى قصر الحاكم الانجليزي (لاش) وهو نفسه بستان (بودلغوسة) الذي كان ملكاً للكونت فولبي الحاكم الايطالي السابق . . وبدأ الحاكم الانجليزي يقرأ البنود التي قدمناها بعريضتنا بنداً بنداً . . ويردّ عليها دون أن يترك لنا فرصة لابداء رأي ، أو مجرد التعقيب على ردوده ، وما أن انتهى من قراء ة المواد حتى انتصب واقفاً بصورة ليس لها غير معنى واحد هو انهاء اللقاء . . ولكنني بادرته قائلاً : بأنه لم يسمع منا شيئاً ، وهنا تقدم مني مستشار الشؤون العربية (كندي شو) وسألني عن اسمي ، فلما أخبرته قال لي ان الردود والحوار مع الكولونيل (مكاي) وليس مع سعادة الوالي . . واستمهلنا الكولونيل مكاي بضعة أيام ، واعداً بأننا سنجد ما نريد على صفحة جريدة (طرابلس الغرب) . . وبعد أسبوع . . وبالتحديد في يوم ٢٢ من نفس الشهر ، قدمت جريدة طرابلس الغرب شرحاً يتفق مع ردود الوالي وتناول الشرح بعض النقاط وأغفل تماماً النقاط الأخرى كعادتهم بعد ذلك . .

بدأ التطبيق الفعلي للمطالب . . فتقدم الناس بطلباتهم للحج ، وقدمت طلبي بدوري ، وجاء دور اجراءات التطعيم وعمليات تحويل العملة وغيرها . . وكانت الاجراءات الصحية غاية في التعقيد ، تستغرق ٢٠ يوماً والحقن الواقية قوية وشديدة الايلام ، ألزمتني الفراش بصفة متواصلة ، وجاء الدور في توزيع جوازات السفر ، فإذا بهم يحجزون جواز سفري وجواز سفر عبد اللطيف دقدق ومنعنا من السفر ، وحاولت دون جدوى أن أعرف السبب في ذلك . . ونفذ صبري فواجهت ضابط الشؤون العربية (كندي شو) . . وأخبرته بأنني سأستقل السيارة يوم السفر مع الحجاج . . وان عليهم أن يقبضوا علي أو يلقوني من السيارة إذا أرادوا منعي . . وبالبرود الانجليزي التقليدي ، رد الضابط الانجليزي بأنهم لا يقبلون معاملتي بالشدة أمام قومي وانني رجل محترم ولكنهم

في صحراء سرت سيعملون على انزالي من السيارة سواء رضيت بذلك أم أبيت . .

والغريب أن الاحساس ببوادر منعي قد لازم بعض الحجاج ، فعندما أردت اتباع التقاليد المعمول بها عند السفر للحج والخاصة باتخاذ وانتقاء رفاق الطريق ، جئت الى اسماعيل فتح الله وأبديت رغبتي في أن نكون معاً طوال مراسم الحج . . فإذا به يتخوف مني لأنني وطني أعمل في السياسة ، ومن المشتبه في أمرهم ، بحسب تعبيره . . واعتذر لي اسماعيل قائلاً : «سامحني . . يستحسن أن تذهب لوحدك» . . ولكن ما أن تحقق منعي من السفر حتى تبارى الحجاج في ابداء تضامنهم معي . . وتكدر الكثيرون ، خاصة وأنهم يذكرون أنني صاحب طلب السماح للحجاج بالسفر . . وشاركت في اعداد وتقديم العريضة ، وأعددت من جانبي رسالة مطولة لبشير السعداوي[11]،ضمنتها معلومات ووقائع للممارسات البريطانية ، والنوايا الانجليزية المبيتة ضد البلاد ، وبصفة خاصة مؤامرة التقسيم ، وذهبت برسالتي الى حسني الطويبي أرجوه أن يحملها معه الى بشير السعداوي في الحجاز . . فقبل على الفور ورحب بالمهمة . . وقبل سفر الحجيج . . وفي الليلة الأخيرة ، فوجئت بمن يطرق بابي . . وفتحت لأجد أمامي شخصاً ملثماً وملفوفاً برداء ثقيل . . سرعان ما دخل الى البيت ، ولما رفع قناعه قال انه جاء متخفياً حتى لا يمنعه الانجليز بدوره من السفر ، وعرض عليّ أن يحمل كل ما كنت أنوي عمله وانجازه في سفري للحجاز . . وقد شكرته وحملته رسالة شفوية لبشير . . وقد أدى الاثنان الأمانة كاملة ، ووصلت الرسالة المكتوبة والشفوية لبشير ورفاقه في الحجاز . . وقد غاب عن ذاكرتي البطل الذي طرق بيتي ليلاً . . وقد أخبرني خالد بوسهمين أنه أثناء الصعود الى الباخرة في ميناء السويس ، صعد إليها عدد كبير من الصحفيين وأخذوا في توجيه الأسئلة عن حالنا بعد التحرير ودخول الانجليز . . وفوجىء الحجاج بشخص غريب يندس بينهم ، وكان هذا الشخص مصرياً سبق له العمل في الادارة العسكرية البريطانية

---

(١١) انظر رقم ٧ من مجموعة الوثائق الملحقة .

بليبيا ، فتولى الرد على أسئلة الصحفيين ، وتوجيه الشكر وكيل المديح للانجليز . . وقال الحاج خالد انهم اكتفوا بمشاهدة هذه المهزلة أو التمثيلية السخيفة . . وان كانوا جميعاً قد تمنوا وجودي حتى أفضح الأمر وأضع النقاط على الحروف وأطرد هذا العميل الانجليزي القبيح . . وكانت السلطات البريطانية العسكرية قد جاءت معها بعدد من المساعدين العرب المرتزقة من أقطار عربية مختلفة ، منهم مصريون وفلسطينيون وسودانيون ولبنانيون . . وكان جانب من هؤلاء موالياً للانجليز الى حد كبير ، ممن يصدق عليهم القول «بأنهم ملكيون أكثر من الملك» . . أو بمعنى آخر انجليز أكثر من الانجليز . . وأذكر من بينهم شوقي (فلسطيني) ومنير وابراهيم (مصريان) . . وهذا الأخير كثير المآدب والعزومات وتوجيه الدعاوى للضباط الانجليز . . وللحقيقة فان هذه الدعاوي والمآدب لم تكن تكلفه شيئاً . . اذ أن مقوماتها من لحوم وأرز وطبيخ وحلويات كلها يأتي بها المدعوون من العرب بناء على طلب (المضيف)نفسه . . ولذلك فإنه كان دائم الحرص على دعوتي ودعوة آخرين . . ومن جهتي فانني كنت أواظب على الحضور قدر المستطاع . . إذ كانت تلك المآدب فرصاً لالتقاط الأخبار والوقوف على نوايا المستعمر . . وعلى كل مائدة يتوارد كم من الأخبار المتنوعة ، بعضها حقيقي والآخر من قبيل الاشاعات ، وظل (منير) هذا مصدراً جيداً لأخبار جمة ، وان كان الكثير منها غير حقيقي ، والسر وراء ه هو حرصه على تقاضي الثمن مني مقابل تجميعها . . غير أن الأمانة تقتضيني الاعتراف ، وعلى الفور ، بأن هناك كثيرين من العرب من مصريين وفلسطينيين وسودانيين . . قدموا خدمات طيبة لهذا الوطن وأظهروا غيرة عربية صادقة وتعاطفاً مع أبناء الشعب العربي الليبي ، وأخص بالذكر الضباط الفلسطينيين الذين أظهروا روحاً عربية عالية . . وقد تعرفت على اثنين منهم . . قدما خدمات طيبة لليبيين ولقضية البلاد عامة . . وهما أحمد الخضرة ويوسف العسلي .

ومن المفارقات التي صادفتها أثناء فترة التقديم للحج ، موقف لا أنساه . فقد أدى توقف الحج أثناء الحرب العالمية الى ضغط شديد على تقديم الطلبات اداء للفريضة . . وفي يوم ٢٥ من سبتمبر استدعتني شركة ميتشل كوتس ، وكان

مقرها بعمارة الأوقاف سيدي حمودة ، ولنا أسفل المقر متجر مغلق . . وتقابلت مع موظف يوناني يعمل بالشركة التي تولت عملية توصيل الحجيج الى جدة . . وبادرني الموظف بقوله انهم يريدون اكتراء متجرنا بصفة مؤقتة . . وذلك لمواجهة زحام وضغط الراغبين في الحج . . وأضاف الموظف ، ظناً منه أنني ايطالي أو ربما يهودي . . أضاف : «وأنت لا يخفى عليك هذا النوع من الخلق . . فهم كالخراف ونحن لا نود أن نجعل مكاتبنا تحت ضغط وزحام هؤلاء . .» وانتصبت واقفاً . . ثائراً . . على هذه الاهانة . . وأخرسته كلماتي : «أنا أحد هذه الخراف . . عربي ومسلم . . وسأنتظرك أمام الباب . . حتى أجعلك تفهم لغة الخراف» . . وارتفع صوتي . . فخرج الموظفون من مكاتبهم وحاولوا تهدئتي . . ولكنني نزلت بالفعل وانتظرت الموظف أسفل العمارة عند الباب . . والطريف أن الموظفين بالشركة . . وكلهم من الأجانب . . تهيّبوا النزول رغم انتهاء مواعيد العمل ، واتصلوا هاتفياً بضابط الشؤون العربية الذي اتصل بدوره بأحمد الفقيه حسن ومصطفى ميزران . . اللذين جاءا إليّ في محاولة لتهدئة ثائرتي . . واصطحباني معهما الى مكتب الرئاسة . . وهناك تم استدعاء الموظف اليوناني ، الذي جاء واعتذر . . ولكنني اشترطت مغادرته البلاد . . وإلا فإنني سأضربه حيثما صادفته . . وحرضوا الفقيه وميزران ليطلبا مني انهاءالموضوع عند هذا الحد . . وكان نقاشهما مركزاً ومشرفاً مثيراً لحماسي .

وقد تواردت أيضاً أنباء عن وصول بعض الايطاليين على متن قوارب إلى البلاد من ايطاليا . . فأولينا هذه الأخبار ما تستحقه من اهتمام . . وعقدنا اجتماعات سريعة أسفرت عن قرار بتنظيم مظاهرة احتجاج . . ولكن القرار فيما يبدو لم يعجب مجموعة ممن يسمون انفسهم علية القوم . . فاجتمعوا بمحل قرب عمار ة جامع السنوسية بدعوى بحث الأمور بعين العقل والروية والاتزان . . فلم نتركهم بدورنا ، وعقدنا اجتماعات بالقرب منهم في بيت امحمد الكريو وأصررنا على المضي قدماً في تنظيم المظاهرة ، وصادف ذلك قبولاً شعبياً وحماساً جارفاً . . فصفق الجمهور وتجمع حول مكبر الصوت الذي كـان قد تم تركيبه من (محلنا) . . واستعدت السلطات بدورها للمواجهة وما يمكن أن يقع من حوادث ،

خاصة وأن (علية القوم) وصفونا بالتهور والطيش . . المهم جاء الصباح لتتزاحم الجموع مشاركة في المظاهرة التي تقدمت الى قصر الحاكم وفي الطريق صادفتنا عربة حنطور (شارطون) . . فصعدت فوقها وارتجلت خطبة قصيرة شرحت فيها أهداف المظاهرة . . فزاد الحماس اشتعالاً بين الجمهور . . ومع وصولنا لقصر الحاكم خرج علينا الضابط الانجليزي (شارطون)وكان من أبرز شخصيات الاحتلال الانجليزي ، وفي يده مكبر صوت . . ولكن الشعب لم يمكنه من الكلام وهتف بسقوط بريطانيا والاستعمار . . وتصادف وجود عبد الحميد عاشور بجوار الضابط الانجليزي . . فسلم له الأخير البوق قائلاً : ان الضوضاء والتجريح والتخريب لا تأتي بنتيجة . . فإذا بعبد الحميد عاشور يرد عليه عبر البوق بأن الشعب منظم وأنه لا يوجد أي مظهر لتخريب أو تجريح . . وان الجميع يحترمون القانون . . وقد وجه كلاماً مباشراً وحاسماً إلى شارطون الذي طلب انتداب ثلاثة لمقابلة الحاكم . . وبالفعل صعد من بيننا ثلاثة ، فاوضوا الحاكم الذي نجح بدهائه الانجليزي في اجهاض المسيرة وتقليص أهدافها اتفاقاً على نقاط اجرائية فقط تقضي بأن تكون أسماء الايطاليين القادمين موجودة بسجلات الاقامة التابعة للبلدية ضماناً لعدم دخول عناصر ايطالية جديدة للبلاد .

وعند الفجر .. دار البحث عن المحظور ..

خلال فترة زمنية قياسية في بساطتها وقصرها . . ضاقت المسافة بين الاستعماريين إلى أن وصلت إلى حد التطابق . . فإذا بالمحتل الانجليزي يمارس نفس تصرفات الايطاليين ، ويتجاوز عن العداء لهم ليبدو منسجماً وكأنه حليف لهم في مواجهة الشعب الذي رزىء بهؤلاء وأولئك . . وكعادتي التي التزمتها سياقاً للوقائع المعاشة . . في حرارتها وصدقها . . أسوق هنا قصتين أو واقعتين تعرضت لهما شخصياً وعشتهما مرارة وغصة ، وان لم أستغرب كثيراً ما صارت إليه الأمور . . فالكل مستعمر . . والكل نتاج حضارة مادية واحدة . . لها نفس القيم والمعطيات . . وقد سبق لهؤلاء وأولئك قبل أن تمزقهم الأطماع وتشتتهم المنافسة على الأسواق والاستغلال سبق لهم أن اتحدوا بل وتوحدت جيوشهم في محاولة

للقضاء على حضارة هذه الأمة وانتزاع شأفة الاسلام من دياره . . ولكن الحديد لا يفلّه غير الحديد . . فقد واجهتهم أمتنا وانتصرت عليهم بنفس أسلحتهم . . اتحدث في مواجهتهم . . وتوحدت جيوشها ضد جيوشهم . . وكان النصر لنا . . وكأنهم لم ينسوا ولن ينسوا لنا ذلك . . رغم مرور القرون . . جاءت ايطاليا بجيوشها تعيث في أرضنا فساداً وقتلاً في حرب ابادة سافرة ضد الشعب المسلم المسالم . . ووفق أبسط الحقوق وأظهرها حق الدفاع عن النفس . . واجه شعبنا أعداء الحياة وكبدهم الخسائر في العتاد والرجال . . ولكنه تكبد أيضاً تضحيات غالية في النفس والنفيس ودفع الثمن غالياً في محاولا ت ازالة الكابوس الايطالي وقدم العرب بصفة عامة أجدى المساعدات للحلفاء وتحملت مدنهم وشعوبهم ويلات حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل ، في سبيل الخلاص من الاحتلال . . احتلال الحلفاء أنفسهم لهم . . صدقنا الوعود الكلامية ودفعنا ثمناً لها من المهج والمقدرات والثروات . . وبغير حساب ولا تحفظ . . وقاتل جنودنا ورجالنا جنباً إلى جنب مع الحلفاء . . ورأى الانجليز بأعينهم عمليات الانتقام البشعة التي نفذها الايطاليون ضد الاطفال والنساء والشيوخ من شعب ليبيا العربي . . ومع ذلك فها هي الموازين تعود أدراجها ويعود الانجليز لتطبيق نفس الأساليب التي اعتادها الأعداء التقليديون لهم ولنا . . ولا أريد أن أطيل . . وقوفاً مع المرارات والمفارقات . . بل يكفيني سرد الواقعتين المحددتين اللتين وعدت بهما كنموذجين . . فالوقائع توالت حولي صارخة في كل اتجاه . . وعبر مختلف ساعات الليل والنهار . . وفي الشكل والمضمون معاً وهاتان القصتان تتناولان أعمق مضمون وأبسط شكل . . في صور قاطعة الدلالة :-

كانت اسرتنا تمتلك مزرعة في قرجي . . عكفت على زراعتها مع اخوتي . . وفي فترة متقدمة من عام ١٩٤٤ تقدم إلينا صديق عزيز هو البشير . . طالباً منا التخلي له عن قسم من المزرعة حتى يقوم بزراعته والتعيش منه . . ونظراً لمواقفه الوطنية . . والعمل المشترك في الميدان السياسي . . فقد أقنعت اخوتي باجابة مطلبه . . وبالفعل بدأ العمل في المزرعة . . وأقام بها . . ولكنه أبدى اهمالاً ملحوظاً امتد بالضرر إلى بقية المزرعة . . مما أدى إلى سوء تفاهم . .

فطلبنا انهاء الصلة في الزراعة حتى لا تنتهي الصداقة أو تتأثر . . ولكن البشير استغل تعاوننا المشترك في العمل السياسي ومعرفته بأماكن تخزيننا للأسلحة ونوعياتها وهي كميات كبيرة من مخلفات الجيش الايطالي خلال اقامته بالمزرعة . . ومن جهات أخرى مختلفة . . استغل هذه المعرفة . . فذهب الى السلطات البريطانية . . وتحت الانفعال والغضب . . أبلغ المسؤولين هناك بأننا نحتفظ بكميات كبيرة من الأسلحة . . وعقب رجوعه من مركز الأمن بقليل . . وصلتنا أخبار الوشاية . . وشاءت الصدفة الحسنة أن كان البشير . . منذ بدء إقامته بالمزرعة قد جرى على نهج طبقه في صرامة . . ويتلخص في عدم الخروج من غرفته بالمزرعة خلال الليل . . واغلاقه الأبواب جيداً . . والالتزام بذلك مهما كانت الظروف . . وقررنا أن نتصرف مستفيدين من صرامة هذا النهج . . فانتظرنا حتى دخل لغرفته وأوصدها خلفه . . وبدأنا العمل في نقل الأسلحة حسب نصيحة أحد أفراد الشرطة الذي أسرع مشكوراً فأبلغنا بالوشاية . . وما ينتظرنا في الغد من عمليات تفتيش . . وجرت عملية نقل الأسلحة إلى مقطع أحجار على الطريق بمزرعة القبطان المجاورة . . وخلال العمل في النقل لم أستطع أن أصرف ذهني عن التفكير فيما يجري . . وهل من الممكن أو المعقول أن يترصد الانجليز أيضاً الشعب بنفس الأساليب الايطالية . . وأن يشنوا حملات التفتيش والتنقيب وافساد الأخضر واليابس . . تقصيا وراء وشاية . . وساءلت نفسي إذا كان شعبنا قد ساعد الانجليز في المعارك واستخدم السلاح إلى جانبهم وفي صفهم ضد عدوهم . . فهل يتصور عاقل أن ينقلب الانجليز فيصادروا الأسلحة التي عاونتهم . . وأن يحاكموا حامليها . . أسئلة وتساؤلات كثيرة . . سيجيب عليها الغد . . عندئذ يمكنني وضع النقاط فوق عديد من الحروف . . المهم لقد استوعب مقطع الحجر كميات الأسلحة والعتاد الكبيرة التي نقلناها اليه . . واختبأت في جوفه تحسباً وحذراً مما قد يأتي به يوم غد . . ربما لا يختلف في قليل أو كثير عن يوم أمس . .

وقد كان . . ففي ساعة مبكرة جداً من صباح اليوم التالي . . ازدحم الطريق الى المزرعة بسيارات البوليس الحربي البريطاني . . وضاقت المزرعة

برجاله وخبرائه . . وجاءوا بأحدث المعدات والأجهزة الخاصة بكشف المواد الصلبة المخبأة في باطن الأرض . . وهي أجهزة تطلق صفارات أو يتغير مؤشرها في حالة تمريرها فوق أرض دفنت بها مواد صلبة . . ووقفت أرقب في حيرة عمليات التفتيش الدقيقة . . وتتداعى تلقائياً الصور والمعاني القديمة التي عايشتها مع الطليان . . وأخذتهم المفاجأة عندما لم يجدوا شيئاً . . وصعب على الانجليز أن يعودوا بخفي حنين . . فداروا في المزرعة جيئة وذهاباً . . لم يتركوا مكاناً إلا ومرروا فوقه أجهزتهم . . وجاءت المحصلة متواضعة فقد جمعوا كميات من المواسير الحديدية . . مما كانوا في حاجة لها . . وسبق لهم طلبها على صفحات الجرايد . . ومع رحيلهم بدأ البشير بدوره يجمع حاجياته استعداداً للرحيل عن المزرعة . .

وتطابقت المواقف والتصرفات جملة وتفصيلاً . . ورحل أيضاً آخر وهم بحسن الظن في المستعمرين الجدد أو التفاؤل بأنهم سينفذون ما قطعوه على أنفسهم من وعود بمنح استقلال . . أو تقديم مساعدة للشعب . . فلولا الشارات والكلمات الانجليزية لما بدا ثمة فارق . . وربما أيقن البسطاء الذين شاهدوا حملة التفتيش عن كثب . . أن هؤلاء هم أفراد القوات الايطالية في حملة تفتيش عادية . . نهارية . . أو صباحية .

القصة الثانية . . وتكمل كافة الرتوش اللازمة . . دليلاً على إطلاق التطابق وانعدام أية فروق ثانوية . . أو حتى تفصيلية . . قفزت الى ذاكرتي . . لتحتل البؤرة منها ولتنهي كل الأسئلة والتساؤلات . . وقد حدثت بعد دخول الجيش الانجليزي بيومين أو ثلاثة لطرابلس . . وتتلخص في أنني جرياً وراء التفاؤل . . والأمل باحتمالات التغيير . . اشتريت (طربوشاً) . . وقررت أن أضعه فوق رأسي حتى أسهل على القوات الانجليزية عملية التمييز بيني كعربي صديق وبين أعدائهم الايطاليين . . وفي أول تجربة أضع فيها الطربوش على رأسي . . وأخرج بدراجتي من المزرعة إلى طرابلس وعند باب قرقارش بالتحديد . . جاءت المفاجأة لي وحدي على الأقل . . فقد استوقفتني القوات

الانجليزية مع غيري من العرب . . وأجرت علينا عمليات تفتيش طويلة ودقيقة . . في الوقت الذي تركت فيه هذه القوات الايطاليين يمرون بسلام ودون أدنى مضايقة . . بل بالعكس . . كانوا يتبادلون التحية وعبارات الود . . ولم تبدر ثمة محاولة لمجرد ايقاف أحد . . أو توجيه استفسار ولو على الماشي . . وهنا شعرت بثقل الطربوش . . وكأنه استحال الى حمل ثقيل . . ينوء تحت ثقله أملي . . بل وسذاجتي . . تمنيت أن أمد يدي فأنتزعه من على رأسي أو أنتزعه مع رأسي . . فألقي بهما تحت قدمي معاً . . ولكنني فضلت اجترار المرارة والصبر أو بمعنى أدق المزيد من الصبر على المحنة الجديدة القديمة . . محنة وطن منكوب . . ومواطن خدعته الحيل والأكاذيب . . فصدقنا أنه يمكن الاستجارة من الرمضاء بالنار . . ظل الطربوش بضع ساعات فوق رأسي مرّت وكأنها سنوات . . تصل في طولها الى نيف وثلاثين سنة أخرى . . هي عهد الوجود الايطالي العسكري فوق أرضنا الطاهرة . . وعندما عدت إلى البيت . . وعلى حدود المزرعة . . نزعت الطربوش . . وعلى قدر ما سمح به الجهد . . قذفت به بعيداً . . فقد تحول الى محك لخيبة أمل . . ومنبه في مواجهة أحلام أو أوهام يقظة . . عريضة للأسف .

وانفتحت عيناي على آخرهما . . لترينا العجب . . أو لعله الطبيعي والمتوقع . . توالت المشاهد تؤكد وجود التعاطف والحب . . ولا أقول التآخي بين الانجليز والايطاليين . . فبدا الأعداء أصدقاء حميمين . . وكأنها سخرية قدر جديدة . . فكأن الانجليز قد جاؤوا لانقاذ الايطاليين والأجانب . . ومحاربتنا . . حتى لقد سمح الانجليز لهؤلاء وأولئك بممارسة كافة الأنشطة . . بما فيها النشاط السياسي والحزبي . . وان جرى في قوالب وأشكال جديدة . . وتحت مسميات مختلفة . . منها النوادي الرياضية . . والهيئات الدينية . والجمعيات التعاونية . . وتنظيمات أخرى مختلفة العناوين . . ولكنها واحدة الاتجاهات والتوجهات . . صريحة الغاية والمخططات . . ولم يقف الانجليز من ذلك ولو موقفاً محايداً . . بل العكس تماماً هو ما حدث ، لقد ساعدوا هذه التنظيمات وقدموا لها الاعانات وحرصوا على مشاركتها المناسبات . . وردت هذه الجمعيات والهيئات والنوادي

الجميل للانجليز على حساب الشعب العربي طبعاً . . وطبعوا بطاقات الدعوة للمسؤولين وأقاموا حفلات التكريم لهم . . وبايجاز لقد تعاونوا تماماً . . ذابت المفاهيم . . وطارت أو ضاعت القيم . . وبدت الحروب . . لافتات الآلاف من ضحايا . . والعداء . . بدت كلها بلا معنى أو مضمون بينهم . . ولم لا ؟ . . فقد اتفقوا جميعاً على أمر ومعنى محددين ، هو أن عدوهما المشترك هو هذا الشعب . . وأن أرضه وحريته هما الهدف المشترك لهما معاً . . وتفانى الايطاليون المدنيون الباقون في طرابلس . . تفانوا تعاوناً وتقرباً للانجليز ، خاصة بعد أن تأكد لهم أن عودة القوات الايطالية صارت من قبيل المستحيلات . . اللهم إلا من خلال الحلفاء أنفسهم ولا أريد أن أقف هنا وقفة لابد أن تطول . . فالمفارقة بدت مذهلة . . وقد وعى الشعب هذه الحقيقة واستخلص العبرة والنتيجة من الظواهر والمشاهد التي تجري أمامه في تيار الحياة اليومية . . فتخلص من حماسه للانجليز والحلفاء وأوقف الوطنيون حركتهم في اتجاه التعاون أو تقديم التسهيلات للانجليز . . أما الأذناب وعملاء الاستعمار ومجيدو الصيد في الماء العكر . . فقد تحركوا بدورهم وعياً بما يجري مجدداً في نفس الأطر القديمة التقليدية .

متفرج من فوق خشبة المسرح

التطابق الكامل في الغايات والأهداف . . بما في ذلك كبيرها وصغيرها وأدق تفاصيلها ، لا يمنع من تباين الوسائل وتمايز الطرق بين الاستعماريين . . وقد سقت من تجاربي ومشاهداتي بعض التفاصيل في الفصل الأول . . قدمت شيئاً لما رأيته ولمسته أثناء زياراتي لتونس ومصر والشام . . وكلها كانت قد رزئت بالاستعمار الفرنسي أو البريطاني . . وقد ألحت عليّ ذاكرتي صورة للقنصلية البريطانية في حلب ، وذلك أثناء طلبي تأشيرة دخول للقدس . . لتمثيل بلادي في مؤتمر ذكرى وعد بلفور المشؤوم ، بتكليف من بشير السعداوي . . وكيف ظلت القنصلية تماطل وتسوّف في منحي التأشيرة دون أن تحسم الأمر رفضاً أو قبولاً . . وبمعنى آخر فإن مفهوم السياسة ممتزجاً بالمرونة هو الذي صبغ التصرفات الانجليزية . . وان لم يتورع الانجليز عن ارتكاب المجازر الدموية العنيفة . .

بمناسبة وبدون مناسبة . . ومع أول بادرة استشعار خطر أو حتى توهم حركة شعبية بين الناس . .

وهكذا أخذت سمات السياسة أو الأسلوب الانجليزي طريقها للشعب في ليبيا . . قبلوا منا العريضة . . وتظاهروا بجدية بحثها ودراستها . . وطوقوا هذا العمل الشعبي . . فأفرغوه من مضمونه ولم ينفذوا منه غير القشور أو المطالب الثانوية جداً . . وجاءت الخطوة الثانية عبر لعبة انجليزية أخرى هي مسألة أو مهزلة المستشارين . . وفي هذه الخطوة أراد الانجليز أن يوهموا الشعب بأنه يشارك في الحكم ويقوم بدور في تسيير دفة الأمور في البلاد . . فعينوا عدداً من المستشارين . . وشاء حظي أ ن أكون واحداً من هؤلاء المستشارين . . وأن أشهد اللعبة الصورية عن قرب . . إذ لولا ذلك فلربما كنت قد ترددت في الحكم على التجربة . . ولكني خضتها من أعماقها . . كما نقول . . فقد بقيت في الاستشارية ثماني جلسات . . مكنتني من اكتشاف سائر أبعاد المهزلة كان المتصرف يدعونا للاجتماع . . ويأتي ومعه الكاتب . . ويتظاهر بأنه يأخذ رأينا . . وتجري المناورات على قدم وساق . . فيظل يلف ويدور حتى النهاية . . ولعل أبسط مظاهر التدليل على صورية اللعبة . . وعدم جدواها أن جدول الأعمال يظل سرياً حتى بدء الجلسة . . ولما طلبت اخطارنا بجدول الأعمال قبل الجلسة ولو بساعات حتى نتمكن من دراسة الموضوعات . . رفضوا طلبي . . كذلك رفضوا طلبي بتسجيل محضر للاجتماع يكون دليلاً أمام الشعب على مواقف ومطالب المستشارين المحسوبين من أبناء الشعب . . بل لقد رفضوا حتى مجرد تدوين رأي كل واحد منا في ايجاز . . ولم يكن هذا الرفض بدون مبرر . . فلقد لعب الانجليز ـ كما قلت ـ نفس لعبة الطليان . . ونفذوا بذكاء وخبث سياسة (فرّق تسد) . . فعملوا على استمالة بعض المستشارين . . والتلويح لهم باغراءات مختلفة . . كلها في الحساب الموضوعي تافهة . . والمثال على ذلك . . أنهم جعلوا مساعد المتصرف عربياً واستمالوه بأمور مظهرية في معظمها . . منها أنهم يجعلونه رئيساً للجلسات في حالة غياب المتصرف . . وهكذا أصبح أقرب إليهم منه إلى أبناء وطنه . . فكان مثلاً إذا جرى عرض أمر من الأمور وتحمست غيرة على

مصالح البلاد . . فانه يفتعل الضحك . . ويعمل على تمييع الأمور . . وقد ظهر واضحاً للجميع أنه يقصد ذلك تماماً . . فقررت فضح اللعبة وكشفها . . فصرت أكرر في الجلسات أن رأينا استشاري . . وأنه لا يعمل له حساب . . ومن ثم فلا داعي لمظهرية هذا العمل . . وخديعة الشعب . . وزدت فتعمدت أن أخرج عن الموضوعات المطروحة وأتطرق إلى الموضوعات الجدية التي تدخل في صميم مصلحة البلاد والناس . . عندها كان لابد مما ليس منه بد . . فعمدت لكشف حقيقة كاتب المتصرف . . فتوقفوا عن استدعائي لحضور الجلسات . . وأحلوا مكاني عجوزاً أطرش بلا حيلة أو دور ولما غاب كاتب المتصرف عن المسرح . . جاؤوا بآخر كردي اشتهر في السابق . . بالولاء لايطاليا . . ثم بالولاء لبريطانيا . . وحاول هذا الآخر ممارسة أسلوب سادته الجدد في المناورة . . فاستدعاني لحضور الجلسات في أول الأمر . . وقد ترددت في الذهاب لقناعتي بأنه ليس ثمة أدنى فائدة من وراء هذه الجلسات . . غير اعطاء الانجليز ما ليس لهم . . واظهارهم في ثياب من الديمقراطية على حساب مصلحة الوطن والمواطن ولكنني بعد تفكير قررت الحضور . . فإذا كان الانجليز حريصين على الاستمرار في اللف والخداع . . فان الواجب يقتضي فضح هذه الأساليب بكافة الوسائل . . وليس ثمة وسيلة أجدى من كشف الأمور وتمزيقها من داخلها . . وذهبت للاجتماع . . وعملت على محاربة العدو بنفس سلاحه . . فلجأت الى الاعتراض والتصدي للمناورات . . ومقاومة الالتفاف بمثله . . ولم يخف على الانجليز حقيقة موقفي منذ الدقائق الأولى من حضوري فأوحوا باستدعائي لعدد قليل من الجلسات . . ثم توقفوا تماماً عن ذلك . . وللحقيقة والتاريخ . فانني لم أقف بمفردي بينهم . . فقد كان يساندني تارة محمد الكريكشي . . واستمر في الاستشارة حتى أيامها الأخيرة . .

لعبة أخرى . . أجاد الانجليز ممارستها . . خلال أعياد المسلمين والأعياد القومية البريطانية . . وهي اقامة الاحتفالات . . واستدعاء العناصر الوطنية . . وقد كانت كثرة الأعياد تجعل مثل هذه الاحتفالات تبدو دورية . . ولهذا قررنا الاستفادة منها لصالح قضايانا الوطنية . . وكنت ومحمد الكريكشي وعبد الرحمن

دقدق ومحمود القلالي ، وعمر مالك وبالقاسم العيساوي ، وعبد العزيز الزقلعي ، وسعد الشريف ، وعمر طلوبة ، ومحمد بن طاهر ، وعلي صدقي عبد القادر ، واخـوتي علي وعبد المجيد ، وجميل المبروك ، والصديق المجراب ، واحمد راسم باكير ، وسالم دريرة ، ومصطفى المبروك ، ومحمود غالب سيالة ، نوزع أنفسنا على الموائد . . ونتصيد المسؤولين الانجليز إليها . . ونبدأ معهم طرح القضايا السياسية . . وكنا نعمد في غالب الأحيان لاستفزازهم . . حتى يصرحوا أو يكشفوا عن الخطوات المقبلة . . أو بالأحرى المؤامرات القادمة ضد البلاد والشعب . . ولكن البرود الانجليزي التقليدي جعل محاولاتنا تبدو بلا كبير قيمة في معظم الأحيان . . وان كنا دائماً نعبر لهم عن حقيقة المشاعر الشعبية تجاه الاحتلال الانجليزي ، وامتعاضنا وتظلمنا من كثير من الاجراءات والممارسات البريطانية . . وعندما يعتذر المسؤول عن تركنا ليجتمع بغيرنا يجد منهم نفس الشكاوى والتظلم والاستنكار . .

ومرة أخرى . . قررت العودة للاسلوب القديم في اقامة الجسور مع العالم الخارجي . . والدعاية والتوعية بالقضية الوطنية . . وابعاد اللعبة الانجليزية ضد استقلال البلاد ووحدتها . . وبالفعل تحققت بصورة واسعة اتصالات بجمعية الدفاع الليبية بدمشق . . وكان رئيسها في ذلك الوقت محمد كامل قدارة . . وكاتب سرها السيد عبد الغني باجقني . . كذلك تعددت الاتصالات بجمعية الدفاع عن طرابلس برقة بتونس . . وبكاتبها العام احمد زارم[١] . . وقد تبادلنا المعلومات والشروح . . وطلبت الجمعية توحيد الجهود . . ورسم الخطط المشتركة . . كما وافتنا الجمعية بالطلب الذي تقدمت به للرئيس الأمريكي روزفلت بتاريخ . . اكتوبر ١٩٤٣ . . ويتركز الطلب على أربعة أمور رئيسية . . وأيضاً الطلب المقدم للوزير الأول البريطاني . . وبه أيضاً نفس المواد الأربع . . وقد جرى تقديمه في نفس التاريخ . . وتميزت هذه الأخيرة بطول المقدمة والخاتمة . . وزادت الجمعية بأن أرسلت لنا وثيقتين لنسختين من الميثاق الوطني

---

(١) انظر رقم ٨ من مجموعة الوثائق الملحقة .

للشعب الطرابلسي البرقاوي . . وحول هذا الميثاق تم الاتفاق بين المهاجرين في الشرق والغرب على السواء . . وقد طلبت الجمعية منا السعي لتقديمه لرئيسي الحكومتين في برقة وطرابلس . . وأن نتبنى ماجاء في الميثاق وكأنه صادر عنا . . وأن نظل على تمسكنا بمواده وبنوده والاصرار على مطالبة السلطات البريطانية بتنفيذه والالتزام به . . وكان الميثاق مكوناً من سبع نقاط . . وقد تبين لي أنه نسخة من ميثاق سبق أن تقدم به الشعب الى السلطات الايطالية في مرحلة سابقة . . فيما عدا مادة واحدة جرى طرحها نهائياً من الميثاق الجديد . . فقد صارت بدون معنى بعد سقوط الاحتلال الايطالي بما قام عليه من دعاوى ضم وسيادة وغيرها . .

والذي لا يفوتني ذكره في هذا الصدد . . ان جمعية الدفاع عن طرابلس برقة بتونس تقدمت الى الصدارة . . نشاطا وحركة . . بعد الاحتلال البريطاني . . وقد واظبت على الكتابة الينا في داخل البلاد وارسال تعليماتها وتوجيهاتها لنا . . وتقدمت الجمعية خطوة هامة في سبيل توثيق الروابط بنا . . فشكلت وفداً من بين أعضائها جاء إلى طرابلس . . على رأسه بن عباس . . كما زارنا كذلك المناضل أحمد زارم . .

والتزاماً بتوسيع دائرة اتصالي بالخارج . . فقد تبادلت الرسائل مع المستر سبيرز الانجليزي المدافع عن القضية الوطنية . . وكذلك بالجامعة العربية والمسؤولين في بعض الأقطار العربية . . والزعماء العرب والأجانب . . والصحف في كافة البلاد . . . وحيثما أمكن ذلك . . سواء في الداخل أو الخارج . . بل وحتى في عدد من البلاد الأجنبية . . وللأسف فإن تجربتنا للاتصال مع برقة صادفتها صعوبات جمة . . فقد تحولت الكلمات عن معانيها . . وصار كل لفظ له منطوق مختلف . . ويتطلب الشروح . . وقطع الطريق على التأويلات . . أو محاولة تفنيدها . . والمرير أن المكاتبات حملت الينا تهديدات بالانفصال . . وبدا شبح الخطر مهولاً مخيفاً . . وعبثاً عمدنا إلى تجربة الاستمالة بمختلف الطرق . . وقبول طلباتهم على قسوتها واجحافها . . وقد تنوعت هذه الاتصالات بالخارج . . فتمت عبر الأشخاص . . والرسائل . . والبرقيات . . وتعددت صور العمل تبعاً

لذلك أيضاً . . فامتد من الاجتماعات . . وتحرير الطلبات . . إلى مسيرات الاحتجاج . . الى المظاهرات . . إلى آخر الصور المعروفة . . وحتى لا تبدو الصورة بالنسبة لاتصالاتنا ببرقة مجافية للحقيقة . . أو ممعنة في الظلام . . فانني أستدرك استثناء جمعية عمر المختار . . ودرنة بصفة عامة . . فقد كانت اتصالاتنا بها مشرقة وايجابية . . وأبدى أعضاؤها شديد الحماس للوحدة الوطنية . . بل وللقومية العربية . . ووعياً كاملاً بضرورة الوحدة العربية وحيويتها . . تكتيلاً لجهود العرب . وتمكيناً لهم من انتزاع حريتهم . . وتحطيم المؤامرات والأطماع الجشعة . . وتصدياً للعبة التجزئة والفرقة بين الصفوف لاضعاف الجميع . . وتسهيل السيطرة على الفرقاء . . ورغم بعد المسافة بيننا وبين جمعية عمر المختار ودرنة . . فان ملاحظاتهم حول تصرفات الاستعمار . . وتجنيده للعملاء والانتهازيين . . بدت غاية في الدقة والشمول . . وكأنها تصف نفس الشخصيات المريضة . . التي نشطت في طرابلس وضربت أمثلة نادرة للانتهازية والتواطؤ . والتضحية بكل القيم والمقدسات من أجل المصالح الذاتية . . حتى لقد بدت مزرية في تصرفاتها . . تثير التقزز فضلاً عن الاشفاق . . ومن بين هؤلاء مجموعة انضوت تحت شعار انتهازي محض . . وهو (الامساك بالعصا من الوسط . .) اذ مرت بالبلاد فترة . . أو لنقل ظرف . . سادت فيه الشكوك في بقاء الانجليز . . وعودة الايطاليين . . هنا تحرك ضعاف النفوس للتفكير ملياً حفاظاً على مراكزهم واتفقوا على حفظ التوازن في علاقتهم بالدولتين . . فلجأ بعضهم للعمل بما يراه كفيلاً للوصول إلى هذا الهدف . . وجرى البعض شوطاً أبعد في هذا المضمار . . فقرروا توحيد جهودهم في شركة المصير . . وقسموا أنفسهم بحيث يتظاهر البعض بتأييد بريطانيا . . وخدمة مصالحها . . واعلان الولاء العلني لها . . بينما يسير البعض الآخر في اتجاه ايطاليا على طول الخط . . مظهراً كل الحب والاخلاص . . على أن يحمي كل فريق ظهر الآخر . . والموالون للانجليز يقومون باخبار سادتهم بأن زملاءهم يتظاهرون بالميل للايطاليين على سبيل الخداع حتى يتحصلوا على معلومات منهم . . ويطلعوا على أسرارهم . . ثم ينقلوها اليهم . . فيقوموا بتوصيلها للانجليز . . والعكس . . حتى اذا ساد أحد الاستعماريين ، بقيت مصالح هؤلاء وهؤلاء مصونة وبقي جشعهم للمناصب

والمكاسب المادية مقفولاً أو يتخذ شكل أجر مقابل خدمات . . طبعاً لا مجال هنا للتعويل على كرامة . . أو تذكير بأخلاق وضمير ودين . . فقد مورست هذه اللعبة الوضيعة . . لكنها والحمد لله بقيت محصورة ضمن فئة طفيلية . . قليلة . . محدودة . . مارست هذا العمل في الخفاء . . متخوفة بل ومرتعدة من رد فعل شعبي بطل . . يمكن أن يعصف بها في لحظات فيما لو اكتشف حقيقة ألاعيبها . . ومناوراتها الدنيئة . . حقيقة لقد ظلت أبدا هذه الشخصيات في تاريخ الشعب . . استثناء طفيفاً . . ولا حكم ولا اعتداد بالاستثناء . . ولكنني أقدمه هنا على سبيل التذكرة . . فان الذكرى تنفع المؤمنين . . وحتى تستفيد أجيال هذا الشعب عبرة وعظة . . لا أكثر ولا أقل . .

وتضاربت الآراء .. رغم وضوح الحقائق

. . توالت الرسائل منا وإلينا ، من داخل البلاد وخارجها . . ورغم وحدة القضايا والمعاني التي كنا نعبر عنها ، غير أن ردود الفعل ازاءها تباينت وتعددت لدرجة تثير الاستغراب . . فالردود التي وردت من مصر كانت تتضمن اصرار الليبيين الكامل على وحدة البلاد وضرورة التصدي لكل المؤامرات والمحاولات التي تستهدف النيل من هذه الوحدةأو السعي لتجزئةالبلاد وتمزيق شعبها الواحد . .ولكن المثير للانتباه أن الدعايةالانجليزيةالمكثفةوالتي أخذت طريقها نحو قطاعات كبيرة من الناس عبر مختلف أجهزة الاعلام .. هذه الدعاية . . رغم كذبها وتجنيها على الحقائق . . إلا أنها فيما يبدو قد لعبت دورها المطلوب في التأثير . . فبدت الرسائل الواردة من الخارج متفائلة بدور الحلفاء وسعيهم لاعطائنا حريتنا كاملة وصون استقلال البلاد . . والأمثلة على ذلك كثيرة . . أسوق واحداً منها هنا . . فبعد دخول الانجليز لطرابلس . . استطعت ـ كما ذكرت من قبل ـ أ ن أوصل رسالة مع البحارة المصريين الى عبد الرحمن دقدق في القاهرة . وقد قلت في رسالتي بالحرف الواحد . . ان الحالة لم تكن حسنة . . وأن فظائع قد وقعت من بعض أوباش الجيش المحتل . . رغم ذلك فقد وصل الرد من عبد الرحمن دقدق . . يعقد الأمل على الحكم الجديد . . ويردد ما ركزت

عليه الدعاية البريطانية . . يقول : «فالعهد الجديد سيكون عهد حرية ورخاء . . أما العهد الأول فقد كان عهد ظلم واستبداد» . . وعلى كل حال لم يكن هذا التفاؤل رغم قيامه على غير أساس . . لم يكن سلبياً . . إذ حرك الى بادرة ايجابية للتوحيد والتجميع . . أنقلها من نص نفس الخطاب : «أخي . . قد أسسنا نادياً ثقافياً في القاهرة . . ووضعنا له قانوناً خاصاً . . وأخذنا تصريحات رسمية بفتحه وجمعنا الاشتراكات من الطلبة . . وكان اعتمادنا على اخواننا التجار الطرابلسيين لكي يساعدونا في فتحه . . ولكن خاب ظننا ولم يتبرع واحد منهم بمليم . . وقد انتخبت أنا رئيساً لهذا النادي . .» . . ومن جهتنا فقد وثقنا أن استمرار المراسلة . . والوقت . . وما يمكن أن يقدم عليه الانجليز من تصرفات وأخطاء . . كلها ستجعلهم في الخارج على نفس قناعتنا في الداخل . . وللحقيقة فإن أبناء الشعب داخل البلاد لم تنطل عليهم الدعاية لوقت طويل . . فسرعان ما تشككوا فيما يسمعون وأعملوا عقلهم بين ما يرونه وما يسمعونه . . من ذلك مثلاً . . أنه بعد دخول الحلفاء تحركنا وعقدنا أول اجتماع بفندق الحصائري . . وقررنا في محاولة لجس النبض أن نرفع مذكرة مطالبين بمساعدة العائلات المتضررة من الغارات الجوية . . وسادت فترة صمت وتفكير . . وضح منها أن الشكوك موجودة ووفيرة . . وأن المذكرة أشبه بوضع (جرس في عنق قط) . . لابد وأن تترتب عليه خدوش واصابات . . وأخيراً تحرك علي رجب . . وكان أصغر الحاضرين سناً وأقدرهم على الكتابة . . فأمسك بالقلم والورق . . وحال انتهائه من الكتابة طاف بها على الحاضرين فوقعوا عليها . . وان كنت لم أدر مصيرها بعد ذلك . . ولا أذكر من حملها إلى السلطات العسكرية البريطانية . . وبالطبع لم يتحرك الانجليز لأية استجابة لهذا المطلب . . ولو من الوجهة الدعائية المظهرية . . التي كانوا يحرصون على ابرازها والتعويل عليها . . كما سبق أن بينت . . ولم تخرج بقية الاجتماعات عن هذا المفهوم . . فقد ظلت شكوكنا في نوايا المستعمر الجديد ترتكز على أصلب أساس من تجاربنا الماضية مع زميله الاستعمار الايطالي . . من هنا فقد تواصلت اجتماعاتنا في سرية . . تارة في بيتي . . وتارة في بيت علي رجب . . وثالثة في بيت محمود العربي المقدود . . وفي كل اجتماع يحرص علي رجب على أن يطلب من الحاضرين القسم على

المصحف بعدم الاباحة بما يدور في هذا الاجتماع . . وبعد أن زاد الاقبال على هذه الاجتماعات وأصبحنا نجتمع في المساجد . . التزمنا نفس الحذر والسرية . . ابتداء من أسلوب الدعوة لهذه الاجتماعات . . حيث كان كل واحد فينا يرشح مجموعة من أصدقائه ومعارفه الموثوق في وطنيتهم . . ويتحمل مسؤولية احضارهم لمكان الاجتماع والتنبيه عليهم بعدم اذاعة شيء مما يدور . . ومع ذلك . . وقبل الشروع في جدول الأعمال يقف علي رجب ويردد الحاضرون وراءه القسم على سرية الاجتماع . . رغم حقيقة واضحة . . وسهلة . . وهي أن هذه الاجتماعات كلها لم تخرج عن دائرة التوعية . . وتبصير الحاضرين بما يدور من خلال الوقائع والممارسات الانجليزية نفسها . . دون ما ثمة محاولة أو نية لاستباق الأمور واصدار أحكام أو بلورة نتائج تتجاوز الحاضر . . إلى المستقبل المنظور . . رغم أن العديد منها كان واضحاً جلياً للعيان . . وأذكر أنه عندما كان يجد جديد هام . . أو تتشكل بوادر أزمة . . أو نتفق على شيء ذي بال . . فاننا نوجه الدعوة مكتوبة وبتوقيع (منيدر) . . وهكذا تتكامل حلقتنا قرب ضريح سيدي منيدر بين القبور . . وطالما تعاون معنا في ذلك رفيق المدرسة مظفر عزت . . ولكنه اختفى من بيننا فجأة ولم يكن هذا بسبب خوف أو خلود للراحة ، بل لعله انضم الى تشكيلة وطنية أخرى أو واجه بعض الظروف الخاصة القاهرة . . وإذا كان امحمد قنابة يظهر فترة . . ويغيب اخرى ، فانه غالباً ماكان ينشط في معظم الوقت . . مع جريدته (المرصاد) التي كانت تدافع عن حقوق الشعب وتتناول القضية من خلال أقلام وطنية شريفة . . كما تعرضت للكثير من صور المضايقات والمصادرة من السلطات البريطانية . . وطالما نشط امحمد قنابة في جمع توقيعات على التظلمات والاحتجاجات واعداد عرايضها التي اشتهرت بالحصير لكبر حجمها وهي تستوعب لخمسمائة توقيع . . تصل هذه العرايض للمسؤول المختص من كل حومة . . وكان العديد من المناضلين يواظبون على الحضور ويواصلون الليل بالنهار عملاً علنياً وخفياً ضد الايطاليين والبريطانيين والمتعاونين معهم من الليبيين . . أذكر من هؤلاء المناضلين صالح عمار بن الطيف النائلي والسيد جميل المبروك وعمر مالك وعبد الرحمن دقدق . . وان تميز كل واحد فيهم بسمات خاصة وأسلوب محدد للعمل . . اذ كان صالح عمار يؤمن

بالعنف . . ولا يعرف لغة غيرها ويقض مضجعه أن ينـام ليلة دون ما عمل ضد الاستعمار وأذنابه . . واشتهر جميل المبروك بالحركة في كل اتجاه . . وبغير ملل يقوده اخلاص كامل للقضية الوطنية وعـلى درايـة كاملة بالشارع أو السوق كما نقول . . وقد برع الآخرون في تدبيج الخطب وكتابة المقالات والمنشورات والصاقها فوق الجدران وتوزيعها على ارجاء متفرقة من طرابلس ضمانة لوصول مضمونها الى جميع الأهالي . وعندما كنا نقرر الاضراب مثلاً . . كانوا ينتشرون في الأسواق توعية وتعبئة للجمهور . . ورغم أن عمر مالك وعبد الرحمن دقدق مثلاً لم يكونا يجيدان أسلوب العنف أو يجيدان استخدام أو رفع العصا . . إلا أن قلمهما عند الحاجة يتحول كصاروخ يلهب المشاعر ولسانهما ينطلق في مقتل دائماً . . وقد استطاع (دقدق) مرة أثناء تحركنا ضد اليهود أن يحقق بلسانه حشداً وعملاً تقصر دون تحقيقه أجهزة متخصصة . وعلى العموم . . فقد برزت خلال فترة قصيرة على أرض الواقع . . ظاهرة التشكيلات الوطنية سواء في الداخل والخارج . . ولعل أبرز وأقوى هذه التشكيلات . . الجيش السنوسي في المهجر . . الذي تأسس بالاسكندرية في اجتماع بمقر فيكتوريا . . وحمل الاجتماع اسم الحي . . وقد تم هذا الاجتماع يوم ٩ من اغسطس ١٩٤٠ . . وقد ضم هذا الجيش بعض المجاهدين القدامى والأسرى الليبيين الذين وقعوا في أيدي القوات البريطانية . . وعند اتخاذ قرار دخول هذا الجيش الحرب بجانب الحلفاء اعترض بعض الوطنيين على دخول الحرب دون قيد أو شرط . . اذ رأوا أن الموضوع ليس مسألة استبدال استعمار بآخر . . أو تغيير وجوه وجنسيات جيوش الاحتلال . . وقد أبدى هذه التحفظات كثيرون . . مثل : الطاهر الزاوي . . عون سوف . . الطاهر المريض . . بالقاسم الباروني . . احمد السويحلي . . وساندهم في هذه التحفظات عبد الرحمن عزام وعدد آخر من الطرابلسيين . . ورغم وجاهة التحفظات . . والفرصة المواتية لاملاء شروطنا على الانجليز . . وهي شروط تتعلق بمصلحة البلاد . . ولا تفيذ الحلفاء شيئاً . . رغم ذلك فان الآراء تضاربت وتفرقت . . وتمسك ادريس السنوسي برأيه في الدخول دونما قيد ولا شرط . . وهنا حانت الفرصة للعبة الاستعمارية التقليدية . . ومارستها بريطانيا على الفور . . فبذرت أول بذرة للفرقة والتجزئة . . أحدثت بريطانيا

الشرخ في الجبهة وتعهدته تعميقاً وتكريساً . . وهكذا دخل الجيش الليبي الحرب مع الحلفاء وقد تجمعت له عناصر وطنية من مختلف أرجاء البلاد وخاض المعارك جنباً إلى جنب مع قوات الحلفاء ضد المحور . . وسجل بطولات وتضحيات اعترف بها الانجليز أنفسهم . أما الايطاليون فقد جاء اعترافهم في صورة ردود فعل انتقامية . . تمثلت في المذابح وقتل الأبرياء من المدنيين العزل داخل البيوت . . وفي الشوارع . . ولمجرد شبهة انضمام قريب أو فرد من الأسرة للجيش الليبي المقاتل مع الحلفاء . . وفي أواخر عام ١٩٤٢ . . وعندما أخذ جيش الحلفاء يتتبع فلول المحور وأوشك القتال أن يكون قد انتهى تماماً . . إذا بالجيش الليبي يتوقف عند العقيلة . . هنا لم يبق ثمة شيء خافياً . . فقد اتضحت تماماً نوايا تقسيم البلاد ومؤامرة التجزئة بدت سافرة . . لا تقبل نقاشاً أو جدلاً . . فالعقيلة هي آخر منطقة برقة . . وجازت حيلة المستعمر الجديد . . وان كانت أداته في اللعبة وتنفيذها غير غريبة عنا . . انها نحن أنفسنا . . وقد أسرعت بالكتابة عدة مرات (لإدريس السنوسي) ألفت نظره لخطورة الأمر . . وبشاعة الفخ الذي يوشك بالاطباق على البلاد . . شرقها وغربها على حد سواء . . وفي كل مرة كنت أطلب منه وألح في طلبي بأن يواصل الجيش السير الى زوارة . . ولم يكن في ذلك أدنى خطر أو مغامرة . . اذ وصلت جيوش الحلفاء إلى أهدافها . . على المحيط . . وبالطبع لم تلق رسائلي أذناً صاغية . . ولم أنتظر أو أتوقع رداً عليها . . ولم أخطىء التقدير . . فصغت الرسائل بحيث يكون ردها عملياً . . وهو رد واحد . . السير بالجيش إلى زوارة . . فجاءت خطاباتي كلها . . عبارة عن نداءات وشروح . . واستحلافات بحق هذا الوطن ومصلحته . . ولم يتملكني اليأس رغم كثرة الشواهد والقرائن في مواجهة أملي . . حتى أنني في أواخر سنة ١٩٤٣ انتهزت فرصة بالنادي الأدبي . . هي القاء محاضرة عامة لمصطفى بعيو . . وعند الانتهاء من المحاضرة . . وقبل أن يهم الناس بالوقوف . . صرخت طالباً من الحاضرين لزوم مقاعدهم لبضع دقائق ... وبالفعل استجاب الجميع لمطلبي . . وأعلنت أنني أقول ما أقول على مسؤوليتي الخاصة . . دون تحميل شيء للحاضرين أو للمحاضر أو للنادي . . واستعرضت الوضع الراهن بالبلاد وعبرت عن مخاوفي كاملة من التجزئة وتفتيت وحدة البلاد ومن ثم السيطرة

عليها بسهولة وتوزيعها بين المستعمرين . . وبينت لهم كيف أن الايطاليين الباقين في البلاد بدأوا في ضم أراض جديدة وأن ايطاليا بدأت تقبل طلبات الايطاليين الراغبين في العودة للبلاد . . وأن بريطانيا قد ترحل وتتركنا من جديد لايطاليا . . وسقت أدلة على ذلك . . من واقع التصرفات البريطانية . . من ذلك مثلاً أن السلطات البريطانية كانت قد بدأت في بيع مراكز منشآت الجيش كالاسمنت والحديد كعتاد حرب خلفه العدو . . وكذلك باعت أدوات والات زراعية كما باعت آلات ومعدات لحفر الآبار الارتوازية للجزائر . . وأما معدات وجرارات الحرث فقد باعتها لمناطق الشرق الأوسط . . وقد خلصت إلى النتيجة . . وهي أن علينا أن نتحرك بإيجابية وسرعة حتى لا يعود الطليان وحتى لا يتسلم الفرنسيون جزءاً من بلادنا . . وزيادة في اثارة حماس الناس . . رويت لهم قصة الموظف اليوناني الذي وصف العرب أمامي بأنهم خراف . . كما ذكرتهم بكلمات القائد البريطاني الذي اتهم الجميع . . وفي مواجهتهم . . بأنهم لصوص . . وأننا نستحق هذه الصفات ان لم نبادر الى الحركة والعمل الجاد . . وبلا خوف . . وقد قدمت اقتراحات بحلول منها :

- انشاء حزب أو كتلة سياسية .
- تكوين نقابات لأصحاب المهن .
- قبول ادريس . . وحدة للكلمة والصف . .

وقد علق على كلامي محمد مسعود فشيكة وحاول آخر الهرب عندما بدأت الكلام فسألته أن يتحرك للأمام إذا أراد . . فتقدم صفين للأمام . . وبقي محملقا حتى النهاية . .

في نفس الوقت . . فان الرسائل والزيارات . . مكنتنا من تكوين شبكة تغطي أرجاء البلاد . . صرنا على اتصال وثيق بعناصر وطنية متحركة ابتداء من جنزور . . ومروراً بالماية . . الزاوية . . صرمان . . صبراتة . . العجيلات . . زوارة . . العزيزية . . سواني بن آدم . . غريان . يفرن . . الرياينة . . جادو . . الرجبان . . نالوت . . سوق الجمعة . . تاجوراء . . القره بوللي . .

قصر خيار . . الخمس . . زليطن . . مصراتة . . بن غشير . . ترهونة . . مسلاتة . . ورفلة . . ومزدة . . وغيرها . . ومن كل تأكد الاستعداد للبذل والتضحية والفهم والتقدير لأبعاد القضية الوطنية . . أما في داخل طرابلس . . فقد اتسعت حلقاتنا وامتدت الى عشرات الشبان والرجال . كلهم يفيضون غيرة وحماساً . . ويتطلعون لمواصلة مسيرة الآباء والأجداد من المجاهدين . .

وخلال أحد اجتماعاتنا . . بلغتنا الأخبار تقول بأن ادريس زار برقة . . وكان ذلك للمرة الأولى بعد الاحتلال عام ١٩٤٤ . . وقد ناقشنا الموضوع على أساس أنه يتصل مباشرة بقضية الوحدة ومخططات تجزئة البلاد . . وبعد أخذ ورد قررنا أن نضع قضية الوحدة فوق كل الاعتبارات الأخرى . . وانتصرت وجهة النظر هذه . . وكلفني المجتمعون بالاتصال بعلي القره مانلي . . والدعوة باسمه لاجتماع عام في النادي . . وبالفعل توجهت إلى بيته وأوضحت له أنني موفد من قبل بعض أعيان البلاد للاتصال به . . وشرحت له موضوع زيارة ادريس لبرقة وأظهرت له المخاوف من ضياع وحدتنا . . وما يستهدف البلاد من مؤامرات قد تجرها إلى هاوية سحيقة . . وأن الحل المطروح الآن . . هو مسايرة الانجليز . . على أساس الاعتراف بادريس واتخاذه طوقاً للنجاة حتى نصل إلى الشاطىء . . وذكرت له المثل الشعبي المعروف في هذا المجال . . فتساءل علي عن دوره في هذا الصدد . . فقلت له اننا نختاره رئيساً لنا . . وأثنيت عليه . . وللحقيقة لقد أظهر طيبة نفس وحبا لخير الوطن والصالح العام . . وليس ثمة شبهة في طموح أو مطمع خاص سواء بالنسبة له أو لابن عمه الطاهر وهذا ما كنت أرمي إليه وهو إبعاد أي شك يتطرق لادريس في مزاحمة آل القره مانلي له في رئاسة الدولة . . وهكذا وقع على المذكور بطاقات الدعوة لاجتماع في نادي الشباب الرياضي . . وكان موقعه في شارع سيدي درغوت . . وجاء في الموعد المحدد . . كما جاء المدعوون . . وبعد النقاش تقرر سفر وفد لبرقة للترحيب بالأمير ودعوته لزيارة طرابلس . . وقد وقع الاختيار عليّ وعلى محمد الكريكشي ومصطفى المبروك . . وقد حصلنا على ترخيص لاجتياز حدود برقة . . واستقلَلْنا السيارة . . وكانت السيارات المستخدمة في ذلك الوقت عبارة عن شاحنات لنقل البضائع . . وذلك

بوضع مقاعد خشبية مستطيلة . . وقد ناءت سيارتنا بحمولتها . . واقتربت مقاعدها غير المريحة إلى حد الالتصاق . . وجرى صفها في مواجهة بعضها بحيث تلتصق الوجوه والأنفاس . . وتستحيل الحركة تحريكاً ليد أو قدم . . ومع وصولنا لبنغازي استقبلتنا جمعية عمر المختار استقبالاً حافلاً وسهلت لنا الطريق حتى وصلنا إلى البيضاء . . وهناك اتصلنا بالمسؤولين وأخبرناهم بوصولنا حتى يدبروا لنا مقابلة ادريس . . وقد علمنا أنهم عرفوا بقدومنا مسبقاً ونحن في بنغازي . .

وفي صباح اليوم التالي . . قابلنا إدريس . . وفي الرواق كان يجلس ابراهيم الشلحي وأمامه طاولة عليها بعض الأسلحة من بينها بندقية . . ظل ابراهيم الشلحي يحركها وهو ينظر إلينا بفضول كنظرة غريب لغريب . . ولا أتجاوز الحقيقة بالقول انها نظرة ريبة وشك وبعد التعبير لادريس عن تحيات شعب طرابلس . . دعوناه لزيارتها فرد بأن ذلك سيكون في فرصة أخرى . . ولما كررنا الدعوة قال : لنترك الأمور تجري في مجراها . . وعندما تطرقنا لموضوع تجزئة البلاد وتفتيت وحدتها وخطر ذلك عندما تنتصب الحدود بين برقة وطرابلس . . كان من جملة ماقاله ان هذا يرجع للشعب وحده . . فهو الذي يقرر مصيره . . «وأما أنا فلم أعمل إلا لمصلحة ليبيا . . ولم أصرح دائماً إلا باسم برقة مقروناً بطرابلس . . فشكرناه وخرجنا . . ثم رجعنا إلى بنغازي . . وهناك أقامت جمعية عمر المختار حفلة تكريمية لنا ، ولكن الذين حضروها من أعضاء الجمعية بدوا قلة قليلة . . حتى أننا استنتجنا أنهم لم يكونوا راغبين فيها . . وقد حضرتها الوجوه المعروفة فقط : بشير المغيربي . . المهدي المطردي . . بن عامر . . مخلوف . . وقد ألقى المغيربي قصيدة أو كلمة بليغة للترحيب . . رددت عليها بكلمة شكر . . ثم ألقى مصطفى المبروك كلمة أيضاً في حدود المتفق عليه . . وفي المساء وبعد العشاء . . في بيت عبد الحميد الذيباني . . ثم قفلنا راجعين بسيارة محملة ببضائع لطرابلس . . وفي هذه المرة كان بالسيارة عدد قليل من الركاب . . وعند البويرات نزلنا لتناول طعام الافطار . . فقد بدأ شهر رمضان . . واتفق أن كان جلوسنا تحت جرار . . وأثناء تسخين الطعام . . وانتظار غروب الشمس . . هممت بالوقوف . . وإذا برأسي يصطدم بالجرار صدمة أحدثت دوياً

كالرصاص . . فنقلت إلى أحد المعسكرات الانجليزية المجاورة حيث لم أجد علاجاً غير (السبرتو) . . وواصلنا السير إلى مصراتة . . فطرابلس . . وفي اليوم التالي انعقد شمل الاجتماع وروينا للجميع ما حدث ببساطة . . وبالنص . . فقد كانت الوقائع والأحـداث بسيطة ليس فيها أي تعقيد . . كما أن المقابلة تحققت في أوجز صورة . . وأقل وقت . . ولم يمر طويل وقت . . فبعد ساعات فقط . . انتشر سيل من الاشاعات المتناقضة والمبالغ فيها والبعيدة عن الحقيقة . فمنها ما يقول أن إدريس طردنا شر طردة . . ومنها ما يقول باننا قبضنا نقوداً من إدريس سنقوم بتوزيعها لتجنيد الأنصار والمؤيدين له . . حتى يساعد ذلك في ضم طرابلس له . . إلى آخر اشاعات وتفاصيل غريبة . . كلها عارية عن الحقيقة تماماً . .

الحركة بين الاقتراح والوثيقة

حتى لا يتسرع القارىء . . فيصدر حكماً متعجلاً على استطرادي في ذكر أخبار الاجتماعات والمجتمعين . . أو يتصور أن زيادة عددهم أو نقصه أمر بلا نتيجة . . مادام ليس ثمة معركة أو عمل وطني مطروح . . أود أن أذكر حقيقة من شأنها أن تعيد أحكامنا على ظاهرة التجمعات والاجتماعات . . إلى موضوعيتها . . فضلاً عن الاعتراف بأهميتها وبما مثلته من تحد لسلطات الاحتلال . . ففي عام ١٩٤٣ نفس العام الذي دخلت فيه القوات البريطانية لطرابلس . . أصدر البريطانيون منشوراً . . وزعوه على الشعب . . وعلقوه في الدوائر الرسمية والميادين . . ينص المنشور الرسمي على اعدام كل من ينظم اجتماعاً . . أو يقود مظاهرة . . ومع أن الناس تناقلوا مضمون هذا المنشور . . كما أن قسوة العقوبة المنصوص عليها فيه . . جعلت المقارنات تتواتر بين العهد الايطالي والانجليزي . وذلك على لسان العامة والخاصة على حد سواء . . ومع ذلك فقد تزايدت التجمعات وانتظمت الاجتماعات بصفة دورية . . وبالتزام ووعي . . ولولا الاثقال على القارىء لأوردت ما تحت يدي من أسماء الذين ارتبطوا معنا في أرجاء البلاد سواء في طرابلس أم في المناطق التي حددتها

سابقاً . . ورغم سرية هذه الاجتماعات فإن اتساع رقعتها . . وتزايد المنضمين إليها . . بقيا يمثلان نقاط ضعف تهدد بسهولة كشفها . . والوصول إليها . . وقد حاولنا حماية هذه العناصر الوطنية الغيورة . . فلجأنا إلى وسيلتين محددتين . . الأولى عن طريق اقتراح لجس النبض . . عن طريق انشاء حزب وطني يفتح الطريق أمام علنية الاجتماعات . . وفي نفس الوقت يوسع مجال حركتنا وينوعها . . أما الوسيلة الثانية . . فقد استفدت من وجودي في قائمة المستشارين فقدمت وثيقة بالمطالب الوطنية . . تطرقت فيها إلى المنشور وإلى موضوع الاجتماعات . . محاولاً تسويغ عقد هذه الاجتماعات . . وفي الشهور الأخيرة من عام ١٩٤٣ سلمت للمتصرف الوثيقة طالباً تسجيلها بنصها في محضر مستشاري المتصرفية . . وقد تطرقت لعدد آخر من المشاكل والمؤامرات التي دبرها الانجليز ضد البلاد . . ولعل نص الوثيقة نفسه يجيب على ما قد يعنّ للقارىء من استفسارات أو تساؤلات . . لذلك فإنني أستسمحه في تقديمها بالنص . . فقد كتبتها تحت عنوان (شعور البلاد) وتنص على ما يلي : «ان القطر الليبي من حدوده الغربية إلى حدوده الشرقية . . أعني من تونس إلى مصر ينتظر بفارغ الصبر تقرير مصيره . .

يعتمد كل القطر على شرف ومبادىء الحلفاء . . ولذلك اشترك فعاياً في كل الميادين . . الأمر الذي أعان على طرد المحور ليس من ليبيا فقط . . بل من كل القارة الافريقية . . ان الشعب الليبي لمستاء من حيث اعتبار بلاده أرض عدو محتلة . . بل يجب أن تعتبر بلاد محررة .

ان انضمام ايطاليا في صف الحلفاء مما يزيد في ريبتنا . . ورجوعنا اليها ثانية . . وهذا ما لا نرضاه بأي حال من الأحوال . . وقد زاد الطين بلة تمسك الحكومة بالايطاليين في كل الدوائر ورفض أبناء العرب . . كدائرة البريد والصيدلة . . وهلم جرا . . وهذا عكس ما صرّح به الولاة .

الارهاب :

بينما ننتظر رفع مظاهر حكم الارهاب . . إذ يخرج علينا منشور جديد . . يقضي بإعدام كل من يعمل اجتماعاً أو يقود مظاهرة . . مع العلم بأن هذا الاجتماع لايكون إلا بهدف التفاهم مع الحكومة أو بين الأهالي . . لتوحيد وجهة النظر والعمل لما فيه صالح البلاد تحت العلم البريطاني . .

الضرائب :

كنا ننتظر الاعفاء منها . . فإذا بالذي كان يدفع مائة ليرة . . صار يدفع ألفا أو أكثر وبما أن البلاد من الناحية الاقتصادية تعاني من أزمة شديدة . . إذا دامت شهوراً أخرى ، فلاشك أن البلاد ستعلن افلاساً عاماً .

المواد التي توزعها الحكومة :

كل ما توزعه الحكومة في خمسة عشر يوماً هو كيلو وستون جراماً من الفول . . أكثر من ربعها غير صالح حتى لاطعام الحيوان . . ومقابل ذلك يضطر المواطن لدفع ٢٧,٣٥ ليرة . . وغير ذلك يدفع ٤ ليرات يومياً مقابل ٢٤٠ جراماً من الخبز . .

وقد يتساءل الناس لماذا فصلت برقة عن طرابلس . . مع العلم بأنها جزء لا يتجزأ من الوطن . . وزد على ذلك الحال عدم الاتجار معها . . وهذا مما زاد في توقيف السوق توقيفاً لا حركة بعده . . إلا بفتح الطريق بينهما . . وإذا كان هذا ستنتعش البلاد . . وتدب فيها روح الحياة . . لأن طرابلس وبرقة كل منهما جزء متمم للآخر .

الموظفون والعمال :

نجد الفرق عظيماً بين الأجور التي تقدم للموظفين والعمال العرب وغيرهم من الايطاليين . . وهذا نراه ماسّاً لكرامتنا بصفتنا أبناء البلاد . . فيجب تسوية ذلك حالاً .

ورغم أن الجيش الانجليزي وقف لحركتنا بالمرصاد . . حتى اضطررنا في كثير من الأحيان إلى عقد اجتماعاتنا . . ورسم خطوط حركتنا في المقابر وأحياناً أخرى في مزرعتنا . . وكانت هذه الجلسات سرية . . وقد واظب على حضورها عدد من الشخصيات الوطنية المتحمسة . . أذكر منها : عبد الرحمن شرف الدين وعبد الرحمن زبيدة وعبد الرحمن دقدق ، ومصطفى المبروك ، وجميل المبروك ، وعمر مالك ، ومحمد الكريكشي ، ومنصور قدارة ، أحمد قنابة ، علي صدقي عبد القادر ، محمد الزقعار ، الصادق بن زراع واخوتي ، وخالد بوسهمين ، واحمد راسم باكير ، والطاهر الشريف ، ومحمد كامل الهوني ، والكثير غيرهم . . وأحياناً كان يحضر معنا ايطاليون . . وقد دار نقاش طويل استغرق عدة جلسات حول تكويننا لحزب (وطني) وكنا نخصص عمال المزرعة لحراسة منافذ المزرعة خشية أن يتسلل إلينا عملاء المستعمرين . . وفي إحدى الجلسات أشار أحد العمال محذراً . . فإذا بنا أمام فارس يقترب من الشجرة التي كنا نستظل أو بالأحرى نتوارى تحتها من عيون رجال السلطة . . ولكننا اكتشفنا أن القادم هو عبد الحميد عاشور . . الذي انضم إلى الاجتماع . . وغالباً ماكانت الاجتماعات تتواصل عدة ساعات . . بحيث تأتينا وجبات الطعام بانتظام . .

وجاء في جريدة الزمان المصرية على لسان مندوبها زكريا لطفي جمعة الذي زار طرابلس في شهر يوليو ١٩٤٨ وتحت عنوان :

((حضرت اجتماعات سرية))

مايلي : «وقد استطعت أن أحضر الاجتماعات السرية التي كان يعقدها الشباب الليبي بمزرعة [١] احد الأعيان هناك وحضر هذا الاجتماع عدد كبير من رؤساء العشائر والشباب وكان من بين الحاضرين رجل ايطالي [٢] يرأس حزباً اشتراكياً في ليبيا وقد تناقش المجتمعون في قضية ليبيا بمناسبة عرضها على هيئة الأمم المتحدة واتخذوا عدة قرارات تمهيداً لانتظار عرض القضية» . .

---

(١) مزرعة ابناء ابراهيم المشيرقي بقرجي .

(٢) آجار فيليتشي ممثل الحزب الاشتراكي في ليبيا .

وفي نفس العدد وهو تحت رقم ٣ بتاريخ ١٩٤٨/٧/٥ نشر بعض أسماء أشخاص اعتدى الشباب على منازلهم للاشاعات التي تحوم حولهم . .

وقد اعتاد الانجليز أن يشددوا قبضتهم ومراقبتهم ومضايقاتهم لنا في عقب كل مظاهرة أو عمل شعبي منظم نقوم به . . ولكن «وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم» فهذه الاجتماعات على سطح بيتي وفي المزرعة . . أتاحت لنا فرصة مريحة وهي الخلاص من وصاية الأحزاب . . أي أحزاب . . وفي هذه الاجتماعات كلها كان يدور البحث والعمل من الألف وحتى الياء . . لصالح الوطن . . والوطن وحده . . وتناقش فيها كلها قضية واحدة . . جملة وتفصيلاً . . هي القضية الوطنية . . وقد سقطت تماماً ودونما تحفظ أو أسف أية دعاوى أو مناورات ومداورات حزبية مما بدا مألوفاً وقتها على سطح اللقاءات والاجتماعات العامة . . وقد أراحني هذا كثيراً . . وبرز سطح بيتي مكاناً مناسباً للقاءات مثمرة جداً . . واتحدنا في مجموعات عمل جادة . . ضمت عون سوف . . عبد الرحمن زبيدة . . منصور قدارة . . بوزيد دهان عبد السلام بوسهمين . . عبد العزيز الزقلعي . . محمود العربي . . بشير بن رمضان . . محمد خليل القماطي . . احمد نبيه المصري . . وجماعة جلسات المزرعة السرية وغيرهم من سوق الجمعة وجنزور وتاجوراءومن الدواخل . . يتعدى العدد تارة الخمسين وتطول المناقشات والاستنتاجات حتى الصباح ولا غضاضة إذا طلب أحدهم وسادة أو لحافاً لينام حيث كنا على السطح في الهواء الطلق . .

وقد تمخض عن الممارسة والتجارب العملية اكتساب العديد منا لصفات وسمات بارزة . . تغلبت عليهم وحملوها عن رضا وقناعة . . خاصة وأنها حصاد جهدهم ونشاطهم . .

يعود تاريخ هذه الاجتماعات أول ما بدأت إلى عام ١٩٤٣ ولهذا فقد طغت بعض الأسماء على ذاكرتي الآن لأنها في الحق أسماء لا تغيب عني ، وقد عايشت معها حركة الوطن بمفارقاتها ومراراتها ، ذكرت منها على سبيل المثال عون سوف ومنصور قدارة وعبد الرحمن زبيدة ، وجميع هؤلاء معروف ومذكور بدور له في

تاريخ الجهاد العربي الليبي خلال عشريات أو عشرينات هذا القرن ، وقد أذكر في الطور الأخير مما نحن بصدده من ذكريات أن عبد الرحمن زبيدة المجاهد الوطني المعروف والذي سلخ أغلب عمره بين المنافي والسجون والمعتقلات الايطالية وأخيراً البريطانية كان قد أمضى مابين ١٩٢٤ و ١٩٤٠ فترة عقوبة سجن مؤبد مخففة عن حكم بالاعدام كانت قد حكمت به عليه المحاكم الايطالية لتهم سياسية ، كما كان قد تعرض منذ الافراج عنه وحتى وفاته بتاريخ غرّة يونية ١٩٤٦ لمداهمات واعتقالات آخرها ما اتهمته به السلطات البريطانية من تحريض على اضطهاد اليهود في طرابلس وقد أمضى عقوبتها سجناً مابين ١٩٤٥/١١/١٥ و ١٩٤٦/٢/١٥ وهي تهمة مصطنعة عرف الناس حقيقتها ومراميها بيسر ، ولعل دور المجاهد عبد الرحمن زبيدة كان في تلك الفترة متميزاً من حيث توجهه العملي ، فقد كفى الجماعة مؤونة مخزون الأسلحة الذي مرّ بنا ذكره ، إذ تصرّف فيه بمعرفته وبما عرف عنه من تكتم لصالح الحركة الوطنية التي كانت تسعى لخلق قاعدة وطنية سليمة في دواخل البلاد تتكىء إليها بإيجابية .

منصور قدارة . . اعتادت السلطات أن تخصه بنصيب وافر من المضايقات وطالما عمدت هذه السلطات إلى إبعاده . . ورغم ذلك فقد قفز بإرادته فوق كل هذه الأساليب وصمد طوال الطريق بل لقد ترتب على الضغوط عليه مزيد من التحدي في أعماقه . . فقطع معنا أبعد الأشواط وخاصة المعامع بجانبنا في علانية وجرأة وصارت له مكانة المضمون في أي عمل وكل عمل جريء . . نقدم عليه . . كما سيرد كذلك صالح عمار الأول . . مثّل بيننا عنصراً متميزاً يقر العمل الفوري . . وان بدا على حساب التخطيط والدراسة المتأنية ويخرج من الاجتماع مشحوناً بقدر من الحماس . . يضعه في أرحب ميادين التنفيذ مباشرة . . ذلك نفسه تقريباً ينسحب على عدد آخر من أفراد مجموعاتنا . . أذكر منهم سليمان دهان وعبد المجيد المشيرقي وسعيد ساسي والسائح فلفل وعمر مالك . . وقد اتبعت السلطات في طرابلس مع هذا الأخير أسلوباً واحداً محدداً من المضايقات . . فكان كلما ظهر في طرابلس . . ألقت السلطات القبض عليه وأعادته على الفور إلى تونس . . أما حجة السلطات في ذلك فإنها حجةاستعمارية مائة في المائة . .

وتتلخص في أن عمر مالك غدامسي[1] .. وغدامس يحتلها الفرنسيون .. ورغم ما نجم عن عمليات الاعتقال والترحيل من معاناة وآلام وأضرار لعمر مالك .. فقد تحمل ذلك كله واعتاد أن يسارع بالعودة في أعقاب الترحيل ويواظب على الاجتماعات والقيام بدور حتى اذا اكتشفت السلطات أمره لجأت إلى أسلوبها التقليدي .. ولم يرحه من هذه المعاناة كلها سوى الصدفة وحدها .. فقد دخل عمر مالك مرة من تونس ليتوجه الى مسقط رأسه في غدامس مباشرة .. ومنها جاء إلى طرابلس وفي هذه المرة بقي دون أن يتعرض له أحد بعد ذلك وواصل نشاطه عنواناً للوطنية ومثالاً للتضحية والاقدام .. ولعلي أكتفي بهذا القدر وإن لم يف بالحق لمجموعات من الوطنيين المخلصين .. تحركوا تحت مختلف الظروف وأقساها .. وضحوا بمصالحهم الذاتية .. وعرضوا حياتهم وذويهم لأخطار لا تخضع لمنطق أو حساب ..

النادي الأدبي

وفي اجتماعاتنا ترجمنا جس النبض لانشاء حزب ، بتقديم طلب لانشاء نادي أدبي .. في حالة موافقة الانجليز عليه .. وعقب نجاحنا في تشكيله نتقدم خطوة بانشاء حزب وطني .. وهذا أمر مضمون وسهل .. فحماس التشكيلات الوطنية واضطراد زيادتها العددية واستعدادها للعمل والحركة .. كلها دلائل نجاح .. وقد تقدمنا بطلب للسلطات الانجليزية نعرب فيه عن الرغبة الشعبية في افتتاح ناد أدبي يكون متنفساً للمواهب الشابة ونافذة تجمع أصحاب الاهتمامات الأدبية من أبناء الشعب عامة .. وكانت صيغة الطلب محبوكة مرتبة الحيثيات .. لا تثير أدنى مبرر للرفض .. وهكذا قبلها الانجليز .. وقمنا بافتتاح النادي .. وذلك في حفلة ضخمة أحدثت أصداء شعبية طيبة .. كما توجنا ذلك بالنجاح في جمع مبالغ كبيرة من المال للنادي ساهمت فيها مختلف الفئات والقطاعات الشعبية .. ودفعنا هذا النجاح الى التقدم للخطوة التالية بثقة .. وفي ثبات .. فطلبنا من الانجليز الترخيص بانشاء حزب .. ومرة أخرى وجد

---

(١) انظر رقم ٩ من مجموعة الوثائق الملحقة .

الانجليز أنفسهم بلا اختيار ازاء التأييد الشعبي الجارف الذي ظهر في افتتاح النادي . . فأعطوا رخصة الحزب . .

نادي الشباب

وقد سرت موجة نشطة بعد ذلك لانشاء النوادي الرياضية . . فقام نادي الشباب برئاسة محمد الكريو . . وكان يعمل معه في هذا النادي أبناء الزنتوتي وعلي المشيرقي ومحمد الزقعار وسالم شرميط والهادي التركي . . وغيرهم . . وفي الحقيقة كان هذا النادي يضم عدداً من الشباب المتحمس المثقف والمتحفز لصالح البلاد وخيرها . .

نادي النهضة

كذلك تواجد نادي النهضة وقد تأسس هذا النادي بايعاز من مجموعة تعشق السيطرة والتسلق على أكتاف الآخرين أو على جماجمهم . . فالمهم بالنسبة لهم أن يظهروا في مواقع رئاسة . . حتى يلفتوا أنظار المستعمرين . . فقد ألفوا أن يكونوا أداته في كل العهود . . ومهما اختلفت جنسيته أو هويته . . وللأسف فقد استطاع هؤلاء التغرير بوجه وطني حتى نصّبوه رئيساً للنادي وهو محمود الخوجة الذي كان حس النوايا والظنون بالناس . . فقبل الرئاسة دون أن يدرك أنه مخلب قط لتوصيل هؤلاء إلى الفرائس والأهداف غير السوية التي يبغونها . . وقد استغلوا منصبه في البلدية . . فورطوه في تشكيل هذا النادي .

وقد عمدت الادارة البريطانية . . وبقية العملاء وأذيال الاستعمار الى تشجيع هذا النادي . . غير أن وعي الجماهير بهذه اللعبة وفضحها لحقيقة الذين يحركونها جعل الناس يبتعدون عنه . . فقلّ عدد المنتسبين اليه حتى من فئة الموظفين . . ولم يستطع النادي التحصل على رياضيين مشهورين . . هنا لعب رئيسه محمود الخوجة لعبة ذكية تمكن فيها من رد السهم إلى مصوبيه . . فضم النادي إلى نادي الشباب . . وقد قدرت العناصر الوطنية لمحمود الخوجة هذا الصنيع الطيب . . فبهذا الاتحاد بين الناديين تكاملت عناصر جيدة لفرق نادي

الشباب وأصبح لليبيا أحسن فريق رياضي . . وشجع ذلك الشباب للتكتل وراء النادي الجديد الذي حمل اسم نادي (الاتحاد) كما أصبح للنادي دخل لابأس به وامتد نشاطه إلى مختلف ميادين العمل الاجتماعي . . حتى وصل الى العمل السياسي . . فاشترك في أغلب المظاهرات الوطنية . . وانصافاً للعاملين المخلصين فإن المذكورين قد بذلوا جهداً كبيراً في الميدان الرياضي لصالح شباب هذه البلاد وذلك يذكرنا بصاحب المبادرة . . ومؤسس النواة الرياضية الأولى منذ عهد الطليان . . رمضان الأسود . . الذي قاسى الكثير مع الفاشيست من أجل انشاء فريق وطني لكرة القدم[١٦] .

نادي الاتحاد :

المهم لقد تحقق ضم نادي النهضة لنادي الشباب عبر مفاجأة وخطة محكمة رسمها محمود الخوجة بحيث استطاع أن يضع مجيدي الصيد في الماء العكر من أعوان الاستعمار . . استطاع أن يضعهم أمام الأمر الواقع . . فلم يلاق أي اعتراض . . ولم تفلح أي محاولة للمقاومة أو الاعتراض . . ففي الوقت الذي وصلهم فيه الخبر . . كان كل شيء قد تم . . وتحول الخبر نفسه إلى حقيقة حية لا يمكن انكارها أو مواجهتها إلا بالاعتراف والاحترام . . خاصة وأن النادي الجديد (الاتحاد) . . اكتسب قوة وشعبية وشارك في العمل السياسي بفعالية ونشاط وهذا يقودنا إلى الحزب السياسي الذي أنشىء أصلاً تحت مفهوم سياسي بحت . . وقد لعبت المفارقات دورها هنا أيضاً . . فمنذ تأسيس الحزب عام ١٩٤٥ بقيت الرخصة في جيب أحمد الفقيه حسن . . ويقوم بأعمال الرئاسة مصطفى ميزران . . وقام بينهما صراع مقنع على الرئاسة . . وقد تبلور وجه الاتفاق بينهما في عدم التأييد أو الموافقة على امارة ادريس السنوسي وذلك رغم معرفتهما معاً بأن كل الطرابلسيين الوطنيين كانوا ينطلقون من موقع آخر في التفكير . . إذ كانت الأطماع الثلاثية تحدق بالبلاد تماماً . . وأقصد بهذه الأطماع بريطانيا وايطاليا

---

(١٦) انظر رقم ١٠ من مجموعة الوثائق الملحقة .

وفرنسا . . فقد اجمعت الأخبار والأدلة المؤكدة على أن لكل طرف من الثلاث هدفاً يتمثل في السيطرةعلى جزء من البلاد . . خاصة وقد عادت ايطاليا لصفوف الحلفاء . . وهنا فكر بعض الطرابلسيين في أن يضعوا أيديهم في يد محمد ادريس السنوسي . . ومن رأي هؤلاء أنّ القبول به يعني رفع أيدي الايطاليين والفرنسيين عن البلاد . . وتفويت هدفهم المشترك في الفوز من البلاد بنصيب . . هذا فضلاً عن ذلك كان يعني بقاء البلاد موحدة وبالتالي يبقى الجوهر سليماً . . في حين أنه يمكن الخلاص من الانجليز بسهولة من خلال الكفاح الشعبي الذي لابد وأن يتواصل . . فليس من المعقول القبول باحلال مستعمر مكان آخر . . بعد آلاف الشهداء وغالي التضحيات . . ولكن الفقيه وميزران شذا عن هذا التفكير رغم منطقيته . . وربما جاء ذلك حباً في المعارضة من أجل المعارضة . . فحب السلطة والرئاسة يأسر أحياناً بعض النفوس . . ويحجب بالتالي عن أصحابها أسس وقواعد المنطق السليم والمعقول . .

وسار العمل في الحزب بدون محاضر إلا في اليسير . . وفي الحقيقةلم يكن الحزب على مستوى المسؤولية . . وظل يدور في حلقة مفرغة من الاجتماعات وتحرير المذكرات . . وانشاء الفروع . . وفي أواخر نوفمبر عام ١٩٤٦ جرت الانتخابات لاختيار رئاسة الحزب فنجح مصطفى ميزران في منصب الرئيس . . وكنت آنذاك في القاهرة . . وكتب لي هذه الأخبار عبد الرحمن دقدق . . وقال : «ان الحزب قرر اجراء الانتخابات سراً . . ولم يدع أصحاب دعاة الامارة . . ولهذا فقد سقط في الانتخابات هو وغالب سيالة ومحمد الزقعار . . ومحمد الكريو . . وانسحب من العضوية أحمد الفقيه حسن . . ثم استقال من الحزب . . وقد كان من بين نياته ضم الحزب للكتلة . . ولعل هذا هو سبب عدم نجاحه في انتخابات الرئاسة . . أما مصطفى فقد استغل هذه الجولة . . للنهاية . . فغير مبادىء الحزب ولوائحه . . ومن ذلك عدم الاعتراف بامارة ادريس . . كما انني قبل سفري للقاهرة كتبت خطاباً وجهته للحزب وضمنته تسع نقاط كلها عتاب على تراخي الحزب في الالتزام بمبادئه والعمل دونها . . بل والتصرف أحياناً ضدها . . واهمال مقرراته . . وقد طلبت في نهاية رسالتي من

رئيس الحزب عقد جلسة عامة ومناقشتي في الملاحظات والاتهامات التي تضمنتها الرسالة . . ولكن لم يهتم أحد بالخطاب . . أو لعله جرت عملية اخفائه . . وقد حمل التاريخ ١٩٤٦/٩/٢٨ رغم هذه الرسالة ، ومعارضتي للرئيس في أغلب الأحيان ورغم تغيبي عن الانتخابات لوجودي بالقاهرة فقد انتخبت عضواً في مجلس الحزب .

وازدهر التزييف والتزوير

بدت بلادنا أما المطامع الايطالية وكأنها ثمرة ناضجة تنتظر مجرد قاطف . . وإذا كان العسكريون الايطاليون قد تصوروا ذلك . . فاعتبروا غزو ليبيا من قبيل النزهة البحرية . . حت أثبت لهم المجاهدون عكس هذا التصور تماماً . . فان المغاميين والمعمرين الايطاليين ظنوا أنهم يستطيعون تحقيق ما عجز عنه العسكريون . . فهذا واحد منهم هو الأميرال فينسي . . الذي ترك البحرية الايطالية واتجه بطموحه وأطماعه إلى أمريكا اللاتينية في البداية . . ثم ما لبث أن قرر المغامرة فوق أرضهم الموعودة (كما أسموا ليبيا في تلك الفترة) . . جاء فينسي إلى طرابلس . . لا ليقتصر على الزراعة . . بل ليخدم الأهداف السياسية الايطالية . . وتسلم الأرض . . وأخذ في جني الثمار . . فالأرض خصبة ومعطاءة . . وأمر أصحابها الحقيقيين لا يهم في شيء . . وبعد نهاية الحرب العالمية . . إذا بفينسي يترأس الحركة الايطالية أو أحد الأحزاب الايطالية الرئيسية الساعية لعودة ايطاليا . . وقد نشط في عمله فألف الهيئات . . وشكل التنظيمات لخدمة هذا الهدف . . وتصادم عدة مرات مع الجبهة الايطالية لتقدم ليبيا المؤيدة لاستقلال البلاد . والتي كان يرأسها تشيبيلي . . وقد عارضه في جريدة (التمبو) الايطالية . . وقد بلغ من تعصب فينسي هذا انه كان دائم الحرص على النزول للشوارع بلباس الفرسان (أي ستيفالي) . . ورغم كل الحقائق والوضوح التام الذي جرت فيه الممارسات الايطالية فيما يختص بنزع الملكيات الزراعية . . وتسليمها للايطاليين . . رغم ذلك فقد جاءت السلطات الانجليزية لتمد يد المساعدة للايطاليين وتعمل على تمكينهم من المزيد من الأراضي

الزراعية . . فملّكت للايطاليين مزارع المغارسة . . وفي سبيل تسهيل قفز الايطاليين على هذه المزارع خلافاً للقوانين لجأت دائرة الأملاك الى ارسال المواثيق والحجج الى ايطالياحيث كانت تجري عمليات تغييرها وتزويرها وتعديل تواريخ ابرام العقود . . وقد أصبح الطليان ملاّكاً للمزارع قبل فوات الأوان القانوني . . وبالطبع فلم تتوقف المفارقة عند هذا الحد بل تعدت مرارتها المنطق . . فلجأت السلطات البريطانية الى التضييق على الوطنيين ومنعهم من الحصول على حقوقهم في المزارع والممتلكات الأخرى . .

ولم تهدأ حركة فينسي هذا إلا بالموت عام ١٩٤٧ . . وقد صاحبه حتى الموت النشاط الايطالي المحموم . . فطبع حزبه خبر وفاته ونعيه على أوراق مثلثة الألوان رمزاً للعلم الايطالي وخروجاً على التقاليد المسيحية بتجليل الأوراق السواد . . وحملوا الجثمان إلى مركز نادي مشوهي الحرب بحجة تمكين الناس من القاء النظرة الأخيرة عليه . . خاصة وأن فينسي عمل رئيساً لهذا النادي . . ووضعت سجلات خاصة بالايطاليين لتدوين أسمائهم بينها خصصت استمارات للعرب . . تسحب بعد توقيعها وتحفظ عندهم . . وجرت حراسة النادي بالحرس البلدي وبولغ في تزيين الجدران بالورق الملون . . وتضاعف نشاط الايطاليين في هذا الاتجاه المتعصب المضاد للوطن . . وبينما أنا في عملي . . جاءني صالح عمار النائلي وكان ضائق الصدر متأثراً مما يجري في نادي مشوهي الحرب . . وتساءل عما إذا كنا نسير إلى الوراء حتى يرتفع العلم الايطالي من جديد فوق مكان في طرابلس . . ثم يخرج به الايطاليون إلى الشوارع . . وسحبني من يدي لأشهد معه بعض الأوراق الملونة معلقة في مكان قريب من المحل . . ولما تملكتني الدهشة . . أخبرني بما يجري في نادي مشوهي الحرب . . وحاولت أن استمهله حتى نعقد اجتماعاً وندفع معه بعناصر أخرى تقوم بالرد ولكنه أصر على التصرف الفوري . . وعبثاً ذهب جهدي في إقناعه بتفتيت المسؤولية وتحميلها لأكثر من فرد حتى إذا وقع عقاب يكون موزعاً وبالتالي ضعيفاً . . لكنه انطلق دون أن يسمع مزيداً من كلامي . . قائلاً : ان الوقت من ذهب . . ولابد من العمل . . وأوصيك خيراً بأطفالي . . واقتحم صالح مركز النادي ومزق الأوراق الملصقة على

الحوائط . . ثم أخذ يفرق الجموع ويتفوه بعبارات مثل : «أهكذا تلعب بكم ايطاليا . .» وبعد أن انفض الجمع ذهب صالح إلى بيته، استعداداً للقاء الشرطة . . ولكنه فكر في أن يذهب من جديد للنادي . . وفي الطريق قابله سليمان دهان . . وبعد تشاور بينهما اقترح سليمان الذهاب (لجريتوركس) عله يضع حداً لهذه التصرفات والاستفزازات الايطالية . . ولكن صالح انطلق مرة أخرى إلى النادي . . ليجد الأعلام الايطالية قد أعيدت إلى أماكنها بأعداد مضاعفة عما كانت عليه . . فبدأ في تمزيقها من جديد . . وهنا تصدى له أحد رجال الحرس البلدي . . ولكن صالح أبعده طالباً أن يكون المتصدي له من بين الايطاليين . . هنا هاج الايطاليون واتصلوا بالشرطة . . فجاء هؤلاء على الفور وعلى رأسهم المتصرف الانجليزي الذي سأل صالح «هل أنت موظف» فأجابه «الحمد لله . . أنني لا أقتات من نقودكم» . . فأخذوه للمركز . . وهناك كان العارف يعمل ضابطاً . . فلاطف صالحاً بقدر المستطاع ثم أدخلوه الى المسؤول بالمركز وهو اليهودي (فرانكشتين) . . وفوق طاولته وجد صالح الاعلام التي سبق له تمزيقها . . وقال اليهودي ان هذه الأعلام مصرح بها . . وعليها طابع البلدية . . وانه صرّح بتعليقها ولصقها . . ورد صالح على الفور : «أنا لست موظفاً بالبلدية . . ولن أتركها ملصقة ولو عليها طابع (جورج) ملك بريطانيا . . هنا ثار اليهودي وتوعد صالحاً بالادانة . . وأمره بالخروج من مكتبه . . وظل صالح بالمركز تحت التحفظ حتى الساعة الخامسة مساء . . ثم قادوه الى الضابط الصهيوني حيث وجده واقفاً مبتسماً ومرحباً وسارع الضابط اليهودي بالاعتذار عما بدر منه في الصباح وأضاف : وأنا خادم لكم . . وأعيش من نقودكم وأرجوكم أن تخطرونا مرة أخرى بأشياء كهذه حتى نتفادى التصادم معكم» . . وهذا يعني أن ثمة أوامر وصلته هي التي أحدثت هذا الانقلاب الكامل في موقفه . . وقد واصل صالح دوره بشجاعة . . فقال : انه حر في تصرفاته وأعماله . . وانه سيعمل دائماً ما يراه صالحاً لبلاده . . دون الرجوع أو استشارة أحد وأنه لن يرى العلم الايطالي مرفوعاً ثانية مهما كلفه ذلك . . ولو ضحّى بحياته . . ثم أطلقوا سراح صالح . . فراح يواصل حملته في تمزيق كل ما يصادفه في الطريق من أعلام وأوراق . . وقد انضم اليه في ذلك سليمان دهان . ، الذي يرجع اليه

الفضل في الاتصال بالمسؤولين حتى أفرج عن صالح . . ثم توالت جموع الشعب تمزق بدورها كل ما يقع في يدها من أعلام ايطالية ملصقة على جدران البيوت وعلى جنبات الشوارع . .

وأذكر أنني دعيت مع غيري الى حفل أقامه الانجليز في احدى المناسبات . . وذلك في فيلا فولبي . . وكان الداعي للحفل الوالي الجديد (مكاي) الذي جاء بعد (لوش) . . وقد جلست الى المائدة مع مصطفى التوغار ومحمود شكري القلالي ومحمد المحجوب وسعد الشريف وعبد المجيد المشيرقي . . وجاء الكولونيل (مِلّر) مدير الأمن فجلس معنا ثم عبد الرحمن القلهود . . وكعادة الانجليز بدأ الكولونيل الكلام عن الجو والمطر وأثره على الناس والحركة . . والتقطت منه الخيط فتكلمت عن أثر الجو على الزراعة أيضا وكيف أن الادارة البريطانية منعت الاتجار ووصول اللحوم والحبوب من بنغازي . . وكيف أن الاكتفاء بمحاصيل طرابلس وهي قليلة أدى الى ارتفاع الأسعار بسبب الندرة . . وذكرت ان ايطاليا أدركت ذلك . . فكانت تجلب القمح والسمن والعسل واللحوم من بنغازي . . ولعل (مِلّر) أراد أن يقف على مقصدي . . فسألني عن سبب عدم مواصلة جلب هذه المواد من بنغازي . . فأجبته بأن الحاكم (لوش) السابق هو الذي أمر بالمنع . . ولما تشكك في صحة كلامي . . أجبته أنني سمعته بنفسي يقول أن برقة حكومة بذاتها وأنه لا يمكن الاتجار معها . . ورويت له تفاصيل من بعض ما دار بيني وبينه . . وكيف أن مستشار الشؤون العربية الميجور (كندي) يقف سدا حائلا من ايصال طلبات الشعب للحاكم . . وكيف أن الطلبات والرسائل التي أقوم بتقديمها للوالي يجري تحويلها من مرتبة الى مرتبة حتى تنتهي (بكندي) حيث يجري اهمالها . . وأن الشعب مستاء أشد الاستياء ومتذمر من السياسة الانجليزية وممارسة الحكومة بطرابلس . . وهنا اعتدل (ملر) في جلسته وواجهني بعبارة تفيد أنني قد أكون المتذمر الوحيد . . وربما كانت هذه أفكاري بمفردي . . وقبل أن أنقل بصري الى زملائي على المائدة . . اذا بهم جميعا ينطقون في حماس تأييدا لي . . وعبر محمود شكري القلالي ومصطفى التوغار عن ذلك بما يؤيد ويتطابق مع كلامي تماما . . وعندما

سألني (مِلَـر) عن حالتنا مع ايطاليا . . قلت ان كل واحد فينا كان مثقلا بـ ٩٩ كيلو . . وجاءت بريطانيا فزادتها الى مائة . . وناء الشعب تماما بأثقاله . . ومن هنا بدأت صداقتي بالكولونيل (مِلَـر) وقد حاولنا الخروج الى دائرة أوسع . . في نشر أفكارنا وملاحظاتنا على الممارسات الانجليزية . . خاصة فيما يتصل بالسكوت على الوعود التي قطعها الحلفاء على أنفسهم أثناء الحرب . . واستمرار البقاء في البلاد . . وقد لجأنا في ذلك الى حيل مختلفة . . أدى بعضها الهدف منه تماما . . من ذلك مثلا توجيه رسالة الى صحيفة طرابلس الغرب . . والرد عليها في باب (لكل سؤال جواب) . . ورغم أن الردود كانت تذهب بعيدا الى حد الدفاع عن البريطانيين في بعض الأحيان . . الا أن تعويلنا على الوعي الشعبي . . وعلى أن هناك العديد من الأسئلة الأساسية لا يملك عليها أحد جوابا . . كل ذلك دفعنا الى طرق هذا الباب . . وأقدم هنا نموذجا لواحد منها نشرته صحيفة (طرابلس الغرب) في الباب المذكور : ـ بتاريخ ١٩٤٦/٨/٢٧ :

المراسل : الهادي المشيرقي ،

السؤال : لقد مضت أكثر من سنتين على انتهاء الحرب . . ولم نزل تحت حكومة عسكرية . . ومن نتائجها أن توقفت الحركة الاقتصادية والأدبية . . كأنما لم تزل هذه البلاد في حالة حرب . . فهل ستدوم هذه الحالة يا ترى ؟ . . .

الجواب :

(١) لم يمض سنتان على انتهاء الحرب . . بل سنة واحدة بالضبط .

(٢) أسباب بقائنا تحت حكومة عسكرية معروفة تماما . . لأنه يلزم وقت للبعثة الرباعية الكبرى للوقوف على رغبات الشعب . . قبل أن يبت في مصير المستعمرات الايطالية .

(٣) قول المرسل بأن الحركة الأدبية قد توقفت . . كلام فارغ . . لقد صرفت الحكومة (٣٨,٧٣٣,٠٠٠) ليرة عسكرية على التعليم في السنة الماضية ولأول مرة حتى قبل الاحتلال الايطالي تعطى دروس عربية تامة في المدارس الحكومية . . وأن العرب في المدارس حائزين على وظائف عليا كمفتش التعليم

والمدارس التي كانت وقفا على الايطاليين . . وقد بلغ عدد وفير من التلاميذ الصفوف التي تؤهلهم الدخول في المدارس الثانوية . . مما حدا بالحكومة الى فتح مدرسة ثانوية في هذا العام . . وكل ذلك حدث أثناء الاحتلال البريطاني . .

(٤) لم نفقه ما يقصد المرسل بقوله «الحالة الاقتصادية قد توقفت» . . إن طرابلس تتمتع بدرجة عالية من درجات الحياة . . لا تشبهها أية حالة في أية دولة أوروبية .

وبنظرة فاحصة أولية تتكشف الثغرات ونقاط الضعف في الرد رغم مظاهر التأييد البادية للحكم الانجليزي . . فقد بقي السؤال عن الحالة الاقتصادية بكل ما لها من أهمية . . بقي بدون أية اجابة تماما . . ولا يفيد شيئا قول الصحيفة بأنها لا تفهم أو لم تفهم المقصود بسؤالي . . فالشعب كله يعرف الحقيقة حول الضائقة الاقتصادية ويعانيها بصفة يومية . . كما أن مبالغة الصحيفة في السطر الاخير يعكس الظلال على كافة المعلومات التي ذكرها الرد . . فمن الذي يمكنه أن يصدق «أن طرابلس تتمتع بدرجة عالية من درجات الحياة لا تشبهها أية حالة في أية دولة أوروبية . .» على أي حال فاننا كنا نحرص على رصد رأي الناس فيما ينشر لنجده دائما في صالح السؤال . . بل ان البعض عبر عن اعتقاد بأن ثمة تنسيق في طرح الأسئلة والأجوبة لتفويت الامر على الرقابة الانجليزية .

اغراب في عمليات التخريب

التاريخ مليء بالاخطاء . . هذه المقولة تصدق حينا على قضايا وأحداث تاريخية أساسية . . كما تنسحب أحيانا على وقائع ثانوية . . وفي هذه وتلك تلعب النوايا الحسنة والسيئة دورها . . ويحضرني هنا مثال . . أسوقه للعبرة والعظة . . وهو يخص التقسيمات والقرى المحيطة بطرابلس . . وما حملته من أسماء ورموز قد تبدو للوهلة الأولى في اطار يتناقض تماما مع الحقيقة الموضوعية والصالح العام . . فقد رزئت البلاد بالاستعمار الغربي . . وأقصد هنا تماما مفهوم (الغربي) . . فقد تسلمت بريطانيا زمام البلاد من ايطاليا . . ومع أن التسليم جاء نتاج حرب عالمية

ضروس . . غير أن بريطانيا احتفظت بالمدنيين الايطاليين وعاملتهم أفضل معاملة . . وقلدتهم المناصب الرئيسية في البلديات والمحاكم والأمن وغيرها من المصالح والأجهزة . . وبـدأ هؤلاء وأولئك وكأنهم أصحاب أهداف واحدة . . يسيرون قدما في تنفيذها . . وتأكدوا من عدم امكانية عودة الادارة الايطالية لحكم البلاد مرة أخرى . . حتى أخذوا يعيثون في البلاد فسادا . . وهذا ماجعل المسؤولين في البلدية يخططون في خبث ووسائلهم في ذلك تتعدد وتتباين . . من ذلك مثلا أن شارع عمر المختار أوسع وأرحب من شارع قرقارش . . الطريق الساحلي العام . . والسبب في ذلك أن الطريق كانت تحفه المزارع يمينا وشمالا يملكها الايطاليون فأباحوا لهم قلع الاشجار وتخطيط الأرض للبناء ، فارتفع سعرها . . ولزيادة الكسب ضيقوا الشارع الرئيسي وخنقوه بالفيلات وحققوا بذلك هدفين : تحطيم ملايين الأشجار من كروم العنب والزيتون واللوز وغير ذلك من الفواكه ، وقبض الايطاليون من جراء ذلك من هنا وهناك مبالغ ضخمة حولوها لبنوك روما . . وها نحن اليوم نصلح ذلك الغش بازالة بعض البيوت لنفسح الطريق ولو قليلا . . وللأسف فان قصار النظر من أبناء البلاد قدموا رشاوى ضخمة لهؤلاء الموظفين الايطاليين . . وتسابقوا على تحطيم الأشجار واقتلاع النخيل . . ودك الأراضي الخصبة وابقائها بوارا . . ووجد الايطاليون فرصتهم فشجعوا هذا الاتجاه الضار . . وللغرابة فقد أطلقوا على هذه التقسيمات أسماء أصحابها . . وسجلوا أسماءهم في ملفات البلدية . . وفوق التقسيمات بصورة توحي بأنهم مجاهدون أو أبطال تاريخيون أدوا الخدمات لهذا الوطن مع أنهم في الحقيقة كانوا أداة المخربين ضد الوطن حتى أن ايطاليا نفسها ابان الاحتلال لم تستطع أن تقدم على هذا التخريب بمثل هذه الصورة المكشوفة والفاضحة . . كما أنها أيضا كانت تطمح للحفاظ على هذه المزارع . . ولم تقتصر الجريمة على هذه الحدود . . فقد امتدت المؤامرة الى عمليات مثل الكهرباء والمياه والطرق والمجاري . . وكلها جاءت في صورة خطأ فادح لا يخفى على المراقب غير المتخصص . . فضلا عن المهندسين والمتخصصين وكأن شعارها (افتح رأسك) . . واذا كانت الأسماء ما تزال في مكانها فوق التقسيمات وعلى القرى . . وما يزال يتردد على ألسنة أبناء الشعب . . اسم زيد . . وعبيد . . فان

الحقيقة التي لا يمكن تجاهلها . . أن هؤلاء في سبيل الحصول على مبالغ بدت وقتها كبيرة . . وظهرت في صورة فرصة . . أو هكذا أظهرها لهم اليهود الذين شاركوهم مناصفة في معظم الأحوال عند قبض الأسعار . . أقول انهم في سبيل مكسب مالي ضحوا بثروات قومية باقية . . وكم تألم الكثيرون من أبناء البلاد المخلصين . . وهم يرون المزارع والقرى التي تمثل الشريان الطبيعي لطرابلس المدينة . . الذي يمدها باحتياجاتها من الخضروات والفاكهة . . بأسهل وأرخص الجهود والتكاليف . . يرونه يتعرض لمؤامرة مكشوفة من الصهاينة . . في الوقت الذي تترامى مساحات هائلة من الأرض والصحراء غير الصالحة للزراعة على نفس المسافات وفي مختلف الاتجاهات . . . كلها تبرز في تحد وسفور . . وكأنها تناشد أصحاب الضمائر والعقول والنوايا الحسنة قبل أي شيء آخر . . تناشدهم أن يتجهوا اليها في عمليات التقسيم للمباني والتخطيطات لمشروعات الطرق والكهرباء وغيرها . . بدلا من المجازر التي استهدفت أخصب وأجمل بساتين ومزارع طرابلس ومناطق بأكملها بدت في خضرتها جنة وارفة . . أدى للصيانة . . فضلا على أن أشجارها تمثل الرئة الحقيقية للتنفس المريح للأحياء الجديدة التي كان من المقدر أن تقوم حولها . .

ولكي لا يحمل الكلام على العمل أو المشروعات على أي محمل يمكن أن يكون لخير البلاد أو مصلحتها . . فانني أبادر الى ذكر أبعاد ما شاهدته بعيني من جناية على الأرض وعلى الزراعة عموما في البلاد . . فحيث يوجد حي (بن عاشور والجرابة وشارع الظل وشارع الرملة ووسعاية بديري وجامع الصقع) . . في هذا الموقع كانت تمتد منطقة (سكرة) أو واحدة من أشهر حدائق الفواكه في ليبيا بأسرها وأعذبها ماء لا تبعد عن جناين (سد مأرب) . . امتازت بغزارة الانتاج من الفاكهة والخضروات . . فضلا عن حلاوته وطعمه وتميزه شكلا وموضوعا عن انتاج غيرها . . هذه المنطقة سألني عنها بشير السعداوي . . عند أول لقاء لي معه في دمشق سنة ١٩٣٤ . . كما ذكرت . . الى هذه المنطقة نفسها . . امتد الجشع فبدأت عمليات الاستيلاء عليها بكافة الطرق . . فعلوا ذلك وكفى بل ان تحويلها الى مبان ومساكن أدمت قلوب الكثيرين . . وترقرقت عيون الوطنيين بالدموع . .

وهم يرون أحلى الأشجار أثمارا تتساقط تحت المعاول . . والأرض الطيبة تشوه والحدائق الغناء تستحيل الى أكوام من التراب والأحجار لترتفع مكانها بيوت ومتاجر . . فتسبب ذلك في اختفاء نوعيات من الفاكهة الحلوة التي جادت بها بساتين ليبيا كما قل الانتاج كمّا وساء كيفا . . واختفى عنب ترهونة القديم ذو المذاق الذي لا يوصف . . والذي كان يجيء الى طرابلس في (الرواني) واختفى دلاع انجيلة الذي لا يكاد أقوى (جمل) أن يحمل منه أكثر من اثنين . . ويتجمع أكثر من رجل لرفع الواحدة منها من على الأرض . . كما أن قطعها لا يتيسر بغير استخدام السيف . . واختفى البطيخ لون المشماش الذي طالما اشتهرت به جنزور وصياد . . والذي كانت رائحته تصل الى مسافة بعيدة . . رائحة ذكية أخاذة فضلا عن طعم يشبه «الفنيليا» ويتميز بنكهة فريدة . . وغير ذلك من الفواكه والمحاصيل الزراعية كالقلعاوي الأصفر والأخضر الأصيل الذي تفوق رائحته عطور فرنسا وطعمه يفوق العسل حلاوة . . أين جناين النرجس والنسرين أين شجيرات الليم المسكي أين أنواع البلح المتعدد الأشكال والأنواع ؟ . .

وقد أسرعت معدلات التخريب حتى نهاية عهدهم . . ولم يعد انتاج البلاد يغطي حاجتها من هذه الأصناف . . والكل يعرف أن شهرة طرابلس في أحد ضروبها . . تركزت على أنها بلاد الزهر والحنة والتمر وأن أغنية شهيرة دارت حول هذا المعنى بالتحديد . . فمن طرابلس خرجت الى اوروبا هذه المحاصيل فضلا عن الكروم . . وقد أقام يهود البلاد أكثر من مئتي مصنع تقطير ، (قطارات) للاستفادة من ثمر وعنب البلاد . . أما العرب فقد ابتعدوا عن هذه الصناعة المحرمة وراحوا يحاولون تقطير الزهر والعطر واستخراج الروائح . .

ولا حاجة بي هنا الى ذكر الموارد الأخرى للبلاد والتي شكلت مجالات للتصدير : مثل الضأن والابل والأصواف . . والشعير . . وزيت الزيتون . . والحلفاء . . وقد قامت مصانع في بريطانيا خصيصا على أساس مواصفات الحلفاء الليبية . . وفي موسم السمان . . برع العرب الليبيون في اصطياده وارساله لأوروبا . . وما زلت أذكر الاعداد المهولة منها التي كانت تصاد حية ثم تجمع في فندق خاص . . اسمه فندق زميط بباب البحر ثم تجري عمليات تعبئته في

أقفاص خاصة . . حيث يجري تصديره الى اوروبا وكذلك صيد الاسفنج . . وقد برع في اصطياده غطاسون عرب ويونانيون وكدحوا في ميدان الجد والاجادة حتى شكلوا من صيد الاسفنج تجارة رائجة . . كما اشتهرت البلاد بتصدير فاكهة (حب العزيز) . . وقشر حوامض الأرنج (الشفشي) كان يجفف ويعبأ بطريقة فنية (بدائية) ويرسل الى بريطانيا لتحويله الى مربى . . التي انقرضت تماما بفعل اخطاء ليس الليبيون مسؤولين عنها . .

وفي الصباح .. تم تحطيم اللوحات

خرج وزير الخارجية الايطالي على العالم بتصريحات . . اعتبرناها مفاجأة بالنسبة لنا هنا في ليبيا على الأقل . . اذ أعلن (بونومي) ان ايطاليا ستعود الى مستعمراتها القديمة خاصة تلك التي كانت لها قبل قيام الحكم (الفاشي) . . ومعنى ذلك ببساطة أن ايطاليا جعلت هذا الاعلان يمتد الى ليبيا . . وهكذا تكهرب الجو وسرت في الشعب حركة غاضبة . . واتجهت الأمور الى الخروج في مظاهرة شعبية احتجاجا على التصريحات الايطالية . . وكان أخي عبد المجيد يومها كعادته في النادي الأدبي ينظم الشباب باسم الكشاف . . وكان البحث عن الدور الذي يمكن أن يقوم به الشباب خلال المظاهرة الشعبية . . واستقر الرأي على الخروج مع المظاهرة والانقضاض على اللافتات التي تحمل أسماء ايطالية للشوارع والميادين . . ثم صبغها وكتابة أسماء عربية بجانبها . . وعندما عاد أخي عبد المجيد الى البيت أخبرني بمضمون ما اتفقوا على تنفيذه . . فأضفت بدوري اقتراحا مفاده تحطيم هذه اللافتات واللوحات الايطالية وأن هذا أفضل من الاقتراح الأول . . ووافق أخي عبد المجيد على اقتراحي . .

وفي الصباح خرج للتنفيذ . . حسب الاتفاق . . وصعد الى حائط بنك روما وحطم لوحة شارع بالبو وكتب في محلها «عمر المختار» . . واستدار الى أخرى بميدان ايطاليا فحطمها وكتب في مكانها ميدان الشهداء . . كل ذلك بواسطة مطرقة وفرشاة في يده . . وسلما حمله في يده الأخرى يضعه على الحوائط

عندما يبدأ في الصعود للتحطيم والكتابة . . ورغم أن الذين اتفقوا معه لم يظهروا في الصورة . . أو يلتزموا بالاتفاق . . الا أن أبناء الشعب لما رؤوا المشهد جرفهم الحماس وحطموا بقية اللافتات في الشوارع الأخرى . . وعلى الفور أسرعت الشرطة بالقبض على عبد المجيد المشيرقي وسالم الشيطان واستدرجوا الأخير واعترف بوجود شخصيات أخرى من وراء تحطيم اللافتات . . وفي مركز الشرطة بسيدي عيسى أعلن أخي عبد المجيد أنه يتحمل مسؤولية ما حدث بمفرده حتى لايحرج بقية زملائه . . واستدعت الشرطةالمدعي العام . لتسجيل اعتراف أخي وأعاد عبد المجيد الاعتراف وزاد فسجله بقلمه . . وعندها طلبوا كفالة مالية للافراج عنه . . لحين تقديمه للمحاكمة . . وقد دفعنا بالفعل الكفالة وعاد معنا الى البيت وبعد أيام جرت المحاكمة ولم يحضر الجلسة إلاّ بعض العمال والموظفين المتعاونين معنا . . وكذلك بعض الأقارب والأصدقاء . . حيث طوقت المحكمة بالجيش للارهاب ، وتحاشى الناس الدخول ظنا منهم أن التجمع واظهار شعور الغضب يزيد في ثقل القضية ضد عبد المجيد . . وجاءت المفاجأة . . صورة حكم بالسجن سنة على عبد المجيد . . أما المفاجأة الثانية فتمت بالقبض الفوري على عبد المجيد واقتياده للسجن . . هنا بدا كل شيء واضحا . . فالسجن أخذ شكل حكم قضائي يستند الى قانون واجراءات . . يعني أن الانجليز خطوا بالأمر الواقع . . خطوة أبعد . . فأرادوا أن يسجنوا أعداءهم بالقانون حتى لا يبقى ثمة احتمال أو أمل في ضغط أو عمل مقابل على أي مستوى . . ومع ذلك فان البعض من ذوي النيات الحسنة ظلوا يأملون في اطلاق سراحه رغم أن بعضهم رأى كيف أن الانجليز منعوا عبد المجيد من حقه القانوني في الدفاع عن نفسه . . وفي صباح اليوم التالي أظهر الأهالي سخطهم واشمئزازهم من التصرف الانجليزي وزاد بعضهم فذهبوا الى المتصرفية حيث قابلهم قدري الكردي وأفهمهم أن الحكم ينص على السجن سنة أو دفع كفالة قدرها ٥٠ ألف ليرة عسكرية يجري صرفها كتعويضات نتيجة تحطيم اللوحات . . وخلال المظاهرة الشعبية وأفهمهم قدري الكردي أن السلطات ستفرج عن عبد المجيد اذا دفع اخوته المبلغ . وعاد هؤلاء الينا ومعهم قدري . . ولما كنا قد سمعنا الحكم بالنص . . فقد عبرنا لهم عن قناعتنا بأن الانجليز لن يطلقوا سراح عبد المجيد

لحرصهم على الظهور بمظهر احترام القوانين والعدالة في تطبيقها دون تمييز . . ولما طال الجدل دون جدوى . . قلنا أن عبد المجيد فعل ما فعل عن تعمد واصرار واننا مستعدون لدخول السجن معه . . تضامنا مع هذا العمل الوطني . . وقد خرج هؤلاء الاصدقاء من عندنا الى جادة عمر المختار . . الى (مقهى زغوان) . . وكان بالمقهى منصور قدارة . . وسالم انديرة . . وعلي بن عثمان . . وابراهيم بورقيبة . . ومصري هو ابراهيم شكر الله . . وكان يعمل بصحيفة طرابلس الغرب . . وقد اقترح قدري الكردي جمع المبلغ من الشعب . . فجاء علي يسألنا عن رأينا في اقتراح جمع المبلغ من الشعب . . ومرة أخرى حاولنا توضيح الأمر بأن نص الحكم صريح وأن مبلغ الضمان المالي أو الكفالة غير وارد . . ومن ثم فان النقود ستذهب دون ما طائل . . هنا عاد علي الى جماعته وأخذته «الحمية» فأعلن أنه سيدفع المبلغ بمفرده . . فشكره الحاضرون . . وبالفعل حرر شيكا بالمبلغ وانتشر الخبر كالبرق في أرجاء المدينة . . ولما وصلني الخبر ذهبت للمقهى حيث وجدت قدري وبيده الشيك . . فبادرني منصور قدارة معلنا أن أحد الحاضرين تبرع بالقيمة بأكملها واعتبرها من الشعب . . وتحمس منصور قدارة فقدم بطريقة خطابية . . شكره للمتبرع الذي أراح الجماعة من اللف على الناس . . » . ومرة أخرى أردت أن أوضح حقيقة الحكم وأن أجعل المتبرع يسترد الشيك قبل فوات الأوان وضياع المبلغ في أيدي الانجليز . . . ولكن بدلا من ادراك الحقيقة واحترامها اذا بقدري يتفوه بكلام فيه تزيّد . . فيتهمنا بالتفريط في شقيقنا ويستعرض نفوذه في عنترية قائلا عن نفسه : أنه من اذا قال فعل وأنه سيدفع المبلغ وسيطلق سراح عبد المجيد على الفور . والذي أردت أن أبينه هنا هو الصور الزائفة التي حاول الانجليز أن يظهروا بها للناس من ادعاءات قانونية واحترام مظهري للقضاء في الوقت الذي ادعى فيه البعض منا للأسف الفهم للحقائق . . فالذي حدث أن الانجليز تسلموا الشيك ولم يفرجوا عن عبد المجيد بل ظل رهين السجن في الوقت الذي جاءنا فيه رسول من الحكومة في محاولة للمساومة ولاقناعنا بكتابة التماس للحكومة وتوقيعه منا جميعا حتى يتفضل الانجليز بالنظر في الالتماس والافراج . . وكان ردنا هذه المرة حادا وصريحا . . فأفهمنا رسول الحكومة أننا خمسة أشقاء وأن غياب أو حتى استشهاد واحد منا أو

اثنين في سبيل الوطن أمر لا يزعجنا . . واننا لن نكتب التماسا أو طلبا للانجليز مهما كلفنا ذلك من تضحيات . . وقد آلمني في ذلك الوقت انني طلبت من أحمد الفقيه حسن زيارة شقيقي في السجن على سبيل التشجيع والتأييد الأدبي فوافق وحصلت له على أربعة تصريحات بالزيارة ولكنه كان ينتحل الأعذار في كل مرة ويتأخر عن الحضور مع أن تصدي عبد المجيد لتحمل المسؤولية بمفرده وابعاد أحمد الفقيه عن التعرض لأية متاعب . . كلها أمور معروفة للجميع . . وللحقيقة فان هذا التصرف آلمني أكثر من عديد من المفارقات التي تعرضت لها في هذه الأثناء . . ومن بينها أن سيارة جيش صدمت شقيقي علي وحملته للمستشفى ثم الى بيتي . . فضلا عن دخول أخي عبد المجيد السجن[1] تحت مادة «التخريب» في القانون . . ولكن ايماني بالله تعالى منحني القوة والصمود في وجه المحنة . . وجعلني أجلس بجوار سرير أخي المصدوم أترقب نذير الخطر الذي حذرني منه الأطباء وهو تفجر الدماء من أذنه . . وقد ظلت عيني معلقة بأذنه وقلبي معلق بالله تعالى حتى انقضت ساعات الخطر دون تفجر الدم . . وان لعبت الوساوس دورها في محاولة صرفي الى نماذج الجحود . . سواء من المستعمر الدخيل الذي ساعده الشعب بالنفس والنفيس . . فاذا به يقلب للشعب ظهر المجن . . ويقتل ويسجن أبناء الشعب . . أو جحود بعض المواطنين . . اخوة الدم والدين . . سامحهم الله . . ومرت الأيام ثقيلة بطيئة . . وفي يوم ٢٣ من فبراير سنة ١٩٤٤ حاولت أن أعمل شيئا . . فحررت برقية لعبد الرحمن عزام طالبا ارسال محام كبير على حسابنا ليكشف زيف قوانين الانجليز . . وتشدقهم بالنزاهة في التطبيق . . وأعلنت في البرقية الاستعداد لتحمل كافة مصروفات وأتعاب المحامي . . وعرف عبد المجيد بخبر البرقية ومضمونها . . فتكدر اذ اعتقد أن الانجليز قد يستغلونها بالزج ببقية الأسرة في السجن . . وطالبنا بالصبر حتى نهاية المدة المحكوم عليه بها كي يخرج ليبدأ النضال من جديد ضد الانجليز . . الذين تنكروا للشعب . .

المهم أنه رغم السجن والمضايقات العديدة التي واجهتها الأسرة ككل ، فان الايطاليين اعتبروا ذلك غير كاف وامتلأت صدورهم حقدا من موقف التأييد

---

(١)- انظر رقم (١١) من الوثائق الملحقة .

الذي أبديناه والتضامن مع عبد المجيد وأخذوا يكنون لنا شرا . . وفي أحد أيام شهر مارس من عام ١٩٤٤ قتل أحدهم واسمه (فينوكيا روتوريد) كلب حراسة لنا . . وذلك أثناء زيارته لمزرعة صهره المجاورة لنا . . ولم نستطع الوصول اليه أو اليها لأن القتل جاء على مسافة ٥٠ مترا داخل المزرعة المجاورة كما كانت الأشجار والأحراش تمثل سياجا فاصلا بين المزرعتين والطريق أو المرير . . هو ما حدث بعد ذلك من مفارقات . . فقد تقدمنا نحن بشكوى للشرطة ولما لم يظهروا أي اهتمام بشكوانا . . حررنا مذكرة مكتوبة حتى نقطع الطريق على أية متاعب قد تتوارد مستقبلا . . وجاء في المذكرة لعل الكلب قد أطلقت عليه النيران في المزرعة المجاورة وكان بمركز الشرطة انجليزي اسمه «توم» ويساعده ايطالي اسمه «كاكيا» وقد نسجا معا مؤامرة غير أخلاقية أو قانونية . . فأرسلوا في استدعاء أخي «علي» بناء على المذكرة المقدمة منا . . وعملوا على أن يتم الاستدعاء في وقت متأخر من النهار . . حتى يسهل عليهم حبسه لليوم التالي . . وقد تكشفت حقيقة العملية عندما وضعوا في يديه القيود الحديدية فأسرعت بتحرير مذكرات شديدة اللهجة للكولونيل «مِلّر» أودعتها بصراحة ما يعتمل في النفس من التصرفات الانجليزية اللامنطقية حيال شعب صدّق وعودهم . . وقد ضمنتها عددا من التصرفات الانجليزية غير اللائقة . . تتجاوز قضية أخي علي . . مثل : «ان ترك الحرية في جميع الدوائر لبقايا الفاشيست . . قلب الحقائق . . وصارت تلك البقايا بما لها من نفوذ واسع تطبق وتقيم قوانين الاستعباد الغابر بكل معانيها . . وتنسب ذلك للبوليس البريطاني . . وقد وقع هذا الاسبوع أمر من الغرابة بمكان . . وهو أن فندق «اكولا دورو» بشارع بيامونتي رقم ٦٩ نزل به أحد أعيان ليبيا قادماً من برقة وهو رجب جعودة . . فرحبوا به في أول الأمر لما كان عليه من مظاهر الأناقة والوجاهة . . ولكنه عندما قدم أوراقه الشخصية التي دلت على أنه عربي أمروه في الحال بمغادرة الفندق . . فعارض في ذلك . . ولكنه اضطر في النهاية لمغادرة المحل . . ولا شك أن هذا العمل الشنيع يعد ضربة في الصميم لكرامتنا نحن العرب يا سعادة الكولونيل ان الشعب الليبي يثق بما تقوله الديمقراطيات ويؤمن بأنه قول الحق وينتظر العمل . . وذلك بضرب المسيئين على أيديهم ضربا موجعا . . حتى يكون ذلك عبرة لغيرهم . .

وفي مرة أخرى اندفعت للكتابة الى مِلّـر هذا (مدير البوليس) . . وقد تأكد لي أنه لا سبيل لحل أو علاج ولو بالأسلوب التقليدي القاصر على المسكنات . . فقبل مضي أقل من شهرين من واقعة أخي علي . . وطرد رجب جعودة . . حدثت واقعة أخرى غاية في الدلالة والصداقة أيضا «ألفت نظركم . . لما كان في المباريات المدرسية التي أقيمت بالملاعب يوم الأحد ٢١ من مايو حيث بدأ الماجور (ستيلجريد) متحيزا ومشجعا لأبناء الطليان دون العرب . . مما أدى الى ضجر وتذمر المعلمين . . واستياء الشعب . . ولا غرابة في ذلك حيث قيل أن مدير المعارف ايطالي النشأة حتى انه رفع العلم الايطالي فوق الرؤوس يوم المباريات . . وكان الطلبة ينشدون الأناشيد الرومانية الفاشية . . ولهذا تقدم المعلمون بعدة احتجاجات وكذلك رابطتهم . . كما تقدم الشعب باحتجاجاته الى الوالي عن طريق المتصرفية من بينها احتجاج من أخي عبد المجيد موقع من حوالي خمسين مواطنا[١] . أكتب لكم هذا مع العلم أن حركة كبيرة كهذه لا بد أن تكون قد وصلتكم . .

وبخصوص أخي علي فقد أطلق سراحه في اليوم التالي نتيجة لمذكرتي لـمِلّر . . فقد أشر عليها بما يفيد اطلاق سراحه فورا على كفالته الشخصية . . وجاءه المدعي العام مشترطا عليه عدم المطالبة بشيء . . أو الرجوع على السلطات بأي حق أمام المحاكم . . وقد آثرت عدم التطرق لهذا العمل التعسفي خاصة وانه يتصل بشقيقي الأكبر . . ولعل الشرطة أرادت التزام الحذر . . فقد علمنا فيما بعد أنه صدر حكم على أخي علي في قضيته تحت رقم ٥١٣ لعام ١٩٤٥ . . ويقضي الحكم بحبسه شهرا ونصفا مع ايقاف التنفيذ . . وقصة القضية عبارة عن قلب للحقائق في موضوع كلب الحراسة . . وأحالوها الى تعدي حيوان على مزارع الغير . . فجعلوا من دخول الكلب قضية تعدى حيوان على الزراعة . . مع أن الكلب لا يتلف المزروعات ولا يأكلها كما هو معروف للجميع . . فضلا عن كونهم قد قتلوه . .

---

(١) - انظر رقم(١٢) من مجموعة الوثائق الملحقة .

التشابه بين الليلة والبارحة وصل حد التطابق . . فالتصرفات الاستعمارية على المستوى العام . . سرعان ما زحفت متسارعة الى التفصيلات الخاصة . . على ساحة الشوارع . . فما كاد يتم الافراج عن أخي علي . . حتى فوجئت بأمر أدهشني . . فقد لاحظت أنني مراقب وأن حركتي بين البيت والعمل وساعات بقائي هنا وهناك موكول أمرها لعدد من الأشخاص يتناوبون العمل ويتبعون في ذلك نظاما ملحوظا . . ولم تطل الأيام بهم صبرا . . فقد بدا أنهم يتعجلون نهاية معروفة لمهمتهم . . اذ قللوا من الحذر . . وصارت خطواتهم خلفي أقرب . . ثم انتقلوا الى المبادأة بالتحرش . . ورغم أن الظاهرة تكشفت صارخة ولاحظها المتصلون بي من الأصدقاء والأقارب . . رغم ذلك فقد رأيت أن أتلمس طريقا الى نتيجة رسمية أو اقرار رسمي بها . . فكتبت الى مدير الشرطة الكولونيل مِلَبر وأنا على ثقة أنه في حالة عدم الرد فانني أكون قد وصلت الى نفس النتيجة الرسمية . . وهي الاعتراف . . واذا ردت السلطات فان ردها لا بد وأن يحتوي على «فلتة» تحدد لي ما أود استيضاحه . . خاصة وأن هذا ما حدث في مرة سابقة عندما جاءت عبارة غاية في الدلالة . . ولعلي أورد هذه وتلك في سياق واحد موجز عبر رسالتي لـمِلَر . . والتي ضمنتها الواقعة . . رغبة في استفزازه من أجل الرد . . وقد عددت في السطور ما لحق بي وباخوتي منذ دخول الحلفاء . . وبدون سبب . . من عراقيل ومضايقات أدت لتوقيف حرياتنا وأعمالنا منذ رفض طلبي بالتصريح لي بالسفر لمصر . . الى رفض خروجي للحج مع أبناء وطني . . الى احتجاز طرود بأجهزة راديو لنا ومصادرتها بقرار من حارس أموال الاعداء . . ورفض منحي الحقوق المترتبة على انتخابي عضوا في الشركة العربية للسيارات . . اسوة ببقية أعضاء الشركة . . رغم فوزي بأغلبية مطلقة في الأصوات . . وكذلك عدم السماح لابن عمي علي المكي المشيرقي بمد نشاطه التجاري والزراعي لفزان مع الأمين البيزنطي ورجوعه خاسرا بدون ذنب اقترفه غير كونه من الأسرة ، وقد صارحه والي فزان الكولونيل سرازاك بأسباب المنع . . وكذلك رفض إعطاء تصريح لأخي للتجول بالسيارة . . مع أن حاجته اليها ضرورية لبعد المسافة بين البيت والعمل . . فضلا عن كونه رئيسا للكشاف . . ويفرض عليه ذلك الانتقال برفقة رئيس النادي الأدبي في محاولة الحصول على

تصريح للتجول بالسيارة لقضاء مصالح النادي والكشاف معا .. خاصة وأنه يسكن خارج المدينة وعمله بالكشاف يتطلب الدأب حتى ساعة متأخرة من الليل ... وانتظرت ردا .. وان كنت لم أعلق كبير أمل على ذلك .. فالوقائع صادقة ودقيقة .. وليس ثمة جدل أو شبهة تشكيك فيها .. وان كنت التزمت الحذر .. وفضلت عدم اعطاء الفرصة للمراقبين كي يحققوا ما يعملون من أجله .. ولجأت في تفويت هذه الفرص .. الى أساليب وتصرفات خاصة .. فمثلا في أثناء سجن أخي عبد المجيد .. جاءني أحد السجانين ذات صباح وسلمني رسالة من أخي تفيض بروح معنوية عالية وتحث على اذكاء شرارة التضحية والاستمرار في النضال ضد المستعمر .. وان أشارت الرسالة الى انه ينام مع اللصوص .. وأنه يحظر عليهم اغلاق شبابيك الزنزانات أثناء الليل رغم شدة البرودة دون أن يصرفوا له غير بطانيتين خفيفتين. .واحدةيفترشها. .والثانية يلتحف بها .. مما يعرضه للارتعاش والقلق طول الليل من شدة البرد .. وقد صرفت النظر نهائيا عن الشكوى أو المحاولة مع الانجليز .. وذهبت الى مساعد المتصرف .. وهو من أصل كردي ووجدت معه ابراهيم شكر الله .. وكانا مشغولين بتقليب صفحات كتاب .. ورويت لهما ما يعانيه أخي .. فلم يبد عليهما اهتمام بالأمر .. فثرت قائلا : «مثلي كمن يحكي حكايته لحمارته .. لمن تشكى يا هادي واحد عقاب كردي والثاني حُطام مصري» .. وهممت خارجا .. فأمسكوا بي في محاولة لترضيتي .. فشتمتهم أكثر .. وخرجت وقد عزمت على ألّا ألجأ الى هذا الطريق بدوره .. وذهبت لفوري الى بيت طبيب ايطالي له صلة بالعمل في السجن .. وقابلت خليلته وأوضحت لها قصة أخي فتأثرت لذلك وودعتها مطمئنا وفعلا في المساء أخذ أخي عبد المجيد الى العيادة الداخلية التابعة للسجن .. حيث تتوفر ظروف أفضل ..

وفد .. خلف الفرقة والصراع

خطا التساهل أو الغزل البريطاني للايطاليين خطوات جديدة صارخة .. فسمحت السلطات البريطانية لهم بممارسة كافة الأنشطة .. وأطلقت لهم حرية

الحركة الى أقصاها . . وربما بدا هنا أن هذا الأقصى لا يمكن أن يطول العمل السياسي ولكن الذي حدث أن بريطانيا سمحت للايطاليين بممارسة العمل السياسي . . وكان هذا يعني وعلى الفور موقفا علنا ومباشرا ضد الشعب . . وتحيزا وانحيازا للايطاليين . . وبالتالي فلا بد أن يتحرك الجميع للمواجهة . . وهكذا انهالت الاحتجاجات في البداية على السلطات البريطانية . . ولما لم تجد الاحتجاجات أخذت بوادر الحركة تسري في محيط وتجمعات الأهالي . . وبالفعل تحقق أول اجتماع عند الحاكم العسكري (بلاكلي) وقتها . . وكان ذلك في سبتمبر ١٩٤٦ . . ودار النقاش في مقر الحاكم العسكري وتواصل دون أن ينتهي الى قناعة لدى الناس . . وهكذا خرج الجمع لعقد اجتماع فيما بينهم بمكتبة الأوقاف . . اذ رفض محمود منتصر ومجموعة من زملائه الذهاب لمقر الحزب . . وفي هذا الاجتماع قرر الحاضرون تشكيل مجموعة منهم تمثل كل الاتجاهات والتيارات . . مهمتها الابراق نيابة عن الشعب الى الجهات الدولية التي تبحث أوضاع المستعمرات . . محيطة هذه الجهات الدولية بوجهة نظر الشعب في الأمور التي تجري بالبلاد . . والممارسات البريطانية . . وقد قام مصطفى المبروك بتلاوة أسماء هذه المجموعة وكان من بين الذين تم اختيارهم فيها : أحمد الفقيه حسن . . مصطفى ميزران . . محمود المنتصر . . محمود أبو الاسعاد . . وقد أضيف للقائمة فيما بعد اسم سالم المنتصر الذي لم يكن موجودا في هذه الاجتماعات . . وعقدت هذه المجموعة اجتماعها في مدرسة الفنون والصنائع . . وقد ترتب على مواصلة الاحتجاجات ضد التصرفات البريطانية تشكيل جبهة ضموا لهم اليهودي حبيب زاكينو . . وكان يرأس الماكابي الصهيوني . . وتمت الاجتماعات التأسيسية ومناقشات صياغة دستور الجبهة . . في مدرسة الفنون والصنائع التي يرأس مجلس ادارتها مصطفى ميزران . .

وحل دور انتخاب رئيس للجبهة . . وتم تسمية سالم منتصر . . عند ذلك انسحب مصطفى ميزران وأحمد الفقيه حسن من الجبهة . . وعمل ميزران على التخلص من وجود الجبهة داخل المدرسة . . فلجأ الى تخزين الكاكاوية في نفس مكان الاجتماعات . . وقد جاء بكميات كبيرة منها من المزرعة الخاصة

بالمدرسة . . وعندما جاء أعضاء الجبهة فوجئوا بالمكان مشغولا . . فخرجوا يبحثون عن مكان آخر للاجتماعات . . وقد عملت الجبهة باستمرارية ونشاط . . وقامت بتشكيل وفد في يناير ١٩٤٧ للتعاون والتقارب مع الجبهة البرقاوية وخطت الجبهة خطوة عملية فعمدت الى تنظيم اجتماع ضم بعض أعضاء من الأحزاب والهيئات وشخصيات من المستقلين . . ودار النقاش في هذا الاجتماع حول تشكيل وارسال وفد متفق عليه من كل الأحزاب . . وجرى تكوين لجنة من ثلاثة أو أربعة أشخاص ليتصلوا بالهيئات المختلفة لتوحيد الصفوف وارسال الوفد المشترك . . وأذكر من بين أعضاء هذه اللجنة فاضل الأمير والطاهر أحمد الشريف . . وقد نجحت هذه اللجنة في التمهيد لاجتماع بين الحزب الوطني والجبهة . . اتفق فيه على تسمية الوفد (بوفد طرابلس) . . كما تركوا للشعب فرصة اختيار أعضائه من بين مرشحي الأحزاب . . وذلك خلال اجتماع عام بسينما الحمراء . . وقامت اللجنة بالاتصال بحزب الاستقلال لابلاغه ما تم الاتفاق عليه . . . لكن الحزب رفض التجاوب . . مخافة ألا يصل مرشحوه الى عضوية الوفد . . كما اتصلت اللجنة بالكتلة الوطنية التي لم يضيع أعضاؤها وقتا فأعلنوا على الفور شعارهم «نحن سائرون . . وبرقة اذا خالفتنا نأتي بها بحد السيف» . .

أما الحزب الوطني والجبهة . . فقد بادرا الى عقد اجتماع لمجلس ادارة كل منها على انفراد استعدادا لتنفيذ الاتفاق وتشكيل الوفد . . ولكن عند اجتماع مجلس ادارة الحزب الوطني . . أعلن أنه ليس ثمة ضرورة للوفد . . وأنه على الحزب أن يسير بمفرده على الطريق . . وقد كان . . فعندما شكلت الجبهة الوفد . . قامت الأحزاب ومنها الحزب الوطني والكتلة بتسفيه الوفد . . ومحاربته بأسلحة الأنانية . . والقصة معروفة . . فقد لاحقوه ببرقيات تتنصل منه وتزعم عدم تمثيله لأحد . . فسافر الوفد لبرقة . . بعد تحديد موعد . . وكنت عائدا من رحلة الى مصر . . فقابلت أعضاء الجبهة في الطريق . . ووقفنا بجانب السيارات التي كنا نستقلها . . وقد تحادثت في البداية مع المفتي . . ولكن محمد الميت وعبد الرحمن القلهود طلبا سماع اقتراحاتي . . فلخصت لهم الوضع من خلال وجهة

نظري وما أستند عليه من معلومات عن مجريات الأمور في مصر وبرقة معا . .
وقد وضعت أمامهم التخوفات والتحفظات التي قد تترتب على مواقف البعض من الجبهة هنا وهناك . . وللحقيقة فقد أعلن البعض فور انتهائي من الكلام . . أن الأفضل هو العودة . . وعلى أي حال فقد واصلوا رحلتهم الى بنغازي . . وهناك وجدوا عدة برقيات تنتظرهم من طرابلس . . وتتلخص هذه البرقيات في أن الجبهة تمثل نفسها فقط . . وبالطبع كان وراء هذه البرقيات ومحركوها هم رؤساء الأحزاب والهيئات التي كانت تسيّر أمورها وفق ارادة شخص رئيسها . . فهو المتسلط على قراراتها والمتصرف في شؤونها . . وان لم يخالجني شك ـ رغم ذلك ـ أو ريب في وطنية رؤساء الهيئات الوطنية . . وأن الكثيرين من أفرادها أكثر اخلاصا من أغلب أعضاء الجبهة . . وزاد الحزب الوطني فطبع منشوراً بنفس المعنى الذي جاء في البرقيات . . وبدون تاريخ . . وفي يوم الثامن من ديسمبر عام ١٩٤٧ صدرت جريدة «طرابلس» وبها منشور الحزب بسحب الثقة من الجبهة . . واتخذ المنشور صيغة جافة وكان لذلك بالضرورة أثره على مفاوضات ولقاءات الجبهة على الجانب الآخر . . فقد اعتبرت الجبهة البرقاوية بدورها هذا الهجوم فرصة وسلاحا للمماحكة والمساجلات البيزنطية . . وأثر سحب الثقة والملاحقة بالبرقيات والرسائل والمنشورات والاعلانات في الصحف . . أثر ذلك كله بدوره على مواقف الجبهة . . وتصرفاتها . . فبدت ضعيفة . . وفي محاولتها أن تحقق شيئا . . أي شيء اضطرت للتغاضي عن أخطاء واهانات . . تعمدت الجبهة البرقاوية توجيهها . . لاذعة ومباشرة وخالية من أبسط عناصر المجاملة . .
وقد جاء ذلك حتى من العناصر التي اشتهرت بالذوق والكياسة داخل الجبهة البرقاوية . . والأمثلة على ذلك كثيرة . . ولكنني أتغاضى عنها لهدف لا أحسبه يخفى على القارىء الكريم . . وان كانت الجبهة البرقاوية للحقيقة والتاريخ قد أدانت نفسها بنفسها . . وحكمت على مستقبلها ومصيرها . . عندما توجهت للانفصال وعمدت للسعي اليه ومحاولة تكريسه . . فبالرغم من قبول جبهة طرابلس للتعنت والقبول بالأمير والامارة على علاتها . . ووفق شروط جبهة برقة . . ورغم تغاضي جبهة طرابلس عن العديد من الاهانات والتصرفات غير اللائقة رغم ذلك كله . . فان الفرقة بين الأحزاب في طرابلس والتراشق

بالاتهامات وتمايز وتضارب الرؤساء . . كل ذلك أدى الى اضعاف وفد الجبهة . . وقد لازم التعنت جبهة برقة الى النهاية . . فودعت وفد الجبهة بكلمات لاذعة ومقالات جارحة فوق أعمدة الصحف لا يمكن هضمها حتى داخل معدة الحمام . . كما يقول المثل . . ولأن لكل قاعدة استثناء . . فان أعضاء جمعية عمر المختار . . بذلوا طيّب الجهد وعملوا الكثير لتلطيف الجو واقناع جبهة برقة بمد يدها لوفد طرابلس . . ولو على سبيل المجاملة . . وهم وان لم يفلحوا في ذلك . . الا أن أعضاء الجمعية اتصفوا بالاخلاص والحماس لوحدة الوطن والانتماء العربي الواعي والغيرة الاسلامية الحقيقية . . وظلت أشواقهم للوحدة تتجاوز حدود الوطن تطلعا لوحدة الوطن الكبير . . ورغم الاختلافات والانشقاقات بين الجبهة والأحزاب والهيئات الأخرى . . فان الجبهة بدت أكثر تنظيما وأكثر انضباطا في ادارتها من سواها . . ولعل ذلك يرجع لاسناد ادارتها الى عبد الرحمن القلهود . . وكان نائبا الرئيس سالم المنتصر هما عون سوف والطاهر المريض والغريب انه في خضم الخلاف والخصام مع الجبهة . . ظهرت الأمور وكأنما قد نسيت الأخطار الحقيقية التي أدت لتكتيل الجميع ومولد الجبهة . .

وبعد فشل الوفد مع جبهة برقة وحال وصوله الى طرابلس عقد اجتماع عام بمسرح الحمراء بطرابلس وشرح سكرتير الجبهة عبد الرحمن القلهود باسهاب ما وصلت اليه المجادلات ولا أقول المحادثات وحمّل جبهة برقة مسؤولية انقطاعها وما يترتب عليه من تمزيق للوطن .

وعند انتهاء السكرتير من القاء البيان صعد على المسرح شيخ علامة كبير وألقى كلمة تفسيرية بليغة عن ماضي الأمير المنتظر . . وكان هذا الشيخ قد تابع احداث الجهاد والصلح مع ايطاليا وساهم في انشاء الجمهورية الليبية وكان على رأس الوفود التي شكلت للاتصال بالأمير في دور الجهاد ، ومن جملة ما قاله اذا كنتم في حاجة الى الانجليز فلا لزوم لاتخاذ وسيط أو وسيلة فها هو (بلاكلي) (الحاكم العسكري) بالقرب منا وأشار الى مقره . .

ومع أن هذه الاخطار قاتلة وماثلة أمام العيان . . فهذه بريطانيا تقف بجانب عدوتها امتثالا لمصالح بريطانيا . . والعكس صحيح أيضا . . فها هي

ايطاليا تفعل نفس الشيء . . أما الموقف البريطاني فقد استند على جملة من الأسباب منها :

* محاولة استمالة الحكومات الايطالية المتعاقبة . . للوقوف في وجه الشيوعية المنتشرة انتشارا كبيرا في ايطاليا .

* تأمين المصالح البريطانية في البحر الأبيض المتوسط . . ومحاولة السيطرة عليه بحسب الاستراتيجية البريطانية التقليدية في تلك الحقبة .

* حرص بريطانيا على ترضية طائفة من الايطاليين الذين خانوا حكومتهم وحلفاءهم الألمان . . واستسلموا للحلفاء .

هذه الأسباب . . وغيرها . . جعلت بريطانيا تغض الطرف عن عمليات العودة المنظمة وغير القانونية والتي بدأها الايطاليون بأعداد كبيرة الى ليبيا . . وضربت السلطات الانجليزية عُرضَ الحائط بالاحتجاجات الشعبية بل ذهبت لأبعد من ذلك فمنحت هؤلاء الايطاليين امتيازات وحقوقا لم تكن لهم حتى في عهد الادارة الايطالية نفسها . . ولجأت بريطانيا للمبادرة باستيفاء اجراءات التمليك بغير حق أو سند من قانون حيث ذلك يتطلب ايفاء شروط المغارسة ووفاء القروض . . كل هذا لم يتم . . كما لعبت نفسها دورا نشطا وغريبا في ترويج الاشاعات وتلفيق الأخبار عن قرب عودة ايطاليا والحكم الايطالي للبلاد مما أدى بالحزب الوطني الذي بلغ السنة من العمر أن يتحرك في الاتجاه المضاد . . وعندما تزايدت الأخبار وتحددت في قوالب وصيغ مثيرة . . منها تقسيم البلاد . . بتسليم فزان لفرنسا . . وبرقة لبريطانيا . . وعودة ايطاليا لطرابلس . . تحقيق ما لابد منه . . فحدث الاجتماع السابق ذكره مع الحاكم العسكري البريطاني ثم في مكتبة الأوقاف . . وهنا أورد واقعة لها دلالتها تأكيدا لوجوب تناسي الخلافات والطموحات الشخصية . . والواقعة بعضها من داخل اجتماع مكتبة الأوقاف . . فقد اقترح أحد الحاضرين وهو صالح عمار النائلي الانضمام للحزب الوطني اذا كان المجتمعون يريدون العمل للمصالح العام حقيقة . . وردّ المفتي عليه بفورية وحزم : «لماذا تريدني أن أنضوي تحت ابطك» واتبع المفتي كلامه بالحركة . .

فأشار بيده الى تحت ابطه بعصبية . . فأجابه صاحب الاقتراح بأن المسألة لا علاقة لها بانضواء أحد تحت ابط الثاني وأن المسألة في جوهرها تتعلق بتوحيد الكلمة وجمع الشمل . . وان هذا يتناقض مع المحاولة الجارية لتأسيس هيئة سياسية أخرى . . وذلك في الوقت الذي نرى فيه جيراننا واخوتنا في مصر يشكون مر الشكوى من كثرة الأحزاب وخلافاتها وصراعها . . وجرى الأحزاب المصرية وراء محاولات لكشف بعضها مشغولة عن القضية الوطنية الأساسية ولعل من المناسب هنا أن أتطرق للنتيجة الغريبة التي تفرعت عن هذا الاجتماع . . فبدلا من أن ينتهي المجتمعون الى نتيجة تعزز ما قصدوا اليه والوصول للهدف الذي جاء الاجتماع نفسه من أجله . . وهو اعداد وثيقة بالمطالب الشعبية وابداء الملاحظات حول السلبيات التي تكشفت عن اجتماعهم بالحاكم العسكري الانجليزي بدلا من ذلك خرج المجتمعون ببيان في الاتجاه الآخر البعيد عن الهدف الحقيقي . . البيان يعلن تأسيس ما أسموه (الجبهة الوطنية المتحدة) . . وانشغلوا في اختيار رئيس وهيئة ادارية وسكرتارية ومقر وغير ذلك وربما كان ذلك هو نفس ما يخطط له ويبغيه المستعمرون . . وأبلغ دليل ما ترتب عليه من انشقاقات وخلافات وعمليات تهجمات واتهامات ودفاعات كلها في داخل المعسكر الوطني وبين أبناء الوطن . . أما الآخرون فقد مضوا قدما وخلا لهم الميدان كاملا . . للسير في تنفيذ مخططاتهم من اجراءات تمليك للايطاليين ما ليس من حقهم الى غير ذلك من الممارسات والخطايا التي لم يكونوا ليقدموا عليها لو أن الأمور سارت في الاتجاه الصحيح . . وواكبت الحركة الاجتماع بالحاكم العام في نفس الاتجاه . . هكذا فهمت الأمور . . ولكن الحماس للجبهة . . واندفاع البعض للتشكيل والترشيح لم يكن يسمح بمعارضة آنية . . أو أن تكون لهذه المعارضة جدوى اذا ما استطاعت أن تبرز فوق سطح التيار للحظات . . وقد بينت ذلك كله في أول مناسبة سنحت . . سواء داخل طرابلس أو في لقائي مع وفد الجبهة في طريقه لبرقة . . ومنطقية ما أبديته من ملاحظات وآراء . . هي التي دفعت بعض أعضاء الوفد للتعبير عن تفضيلهم العودة عن مواصلة السير الى اجتماعات كانت نتائجها معروفة مقدما كما سبق أن بينت .

الفصل السادس عشر

محاولات على طريق التنظيم

اذا كانت الجبهة الوطنية المتحدة قد مثلت انحرافا في مسار الخط الوطني الصاعد . . وترتب على قيامها ـ عمليا ـ نتائج متناقضة مع ما استهدفته نظريا (على الورق) . . فان الجبهة لم تبق بمفردها في الميدان . . اذ تفجرت الأرض والآفاق عن أحزاب وهيئات . . في كل حدب وصوب . . بعضها نبيل المقاصد والتوجهات . . يحاول أن يحقق شيئا . . أي شيء . . ولو كان ذلك الشيء هو فضح أنانية وقصر نظر آخرين ممن يتصدون للقضايا العامة . . والبعض الآخر يرفع شعارات متقدمة . . تتقد اخلاصا ونبلا . . مثل المطالبة بالوحدة الفدرالية مع مصر مثلا . . وللحقيقة أيضا فان بعض هذه التنظيمات لم يكن يزيد عدد أعضائها على عدد أصابع اليد الواحدة . . وان استطاع الجهد والنشاط المكثف أن يجعلهم يبدون كثرة وقوة . . على الرغم من قلة عددهم . . المهم أن ساحة البلاد ضاقت بعدد كبير من التنظيمات . . من الضرورة هنا أن نوجزها في بضعة سطور حتى يتمكن القارىء من تكوين فكرة عامة عنها . . وبالتالي بلورة صورة واضحة المعالم عن حقائق الحياة السياسية السائدة بالبلاد في تلك الفترة :

(الكشّاف)

تأسس الكشاف العربي حال دخول جيوش الحلفاء للبلاد واتخذ في البداية مقرا مؤقتا له النادي الأدبي . . ولكنه سرعان ما انتقل الى مقر آخر بالمعرض . .

وذلك حفاظا على استقلاليته وحرية حركته . . اذ أدت الظروف السائدة بالبلاد الى غلبة النزعة السياسية على اهتماماته وتوجهات أعضائه . . وذلك اتساقا مع القواعد التي قام عليها والأهداف التي حكمت عملية انشائه . . وهي في جوهرها العمل على تكتيل وتجميع الشباب الوطني وتوحيد الجهود الشبابية لخير الوطن والشعب . . وقد قام أخي عبد المجيد المشيرقي بالدور الفعال في هذا التنظيم . . محاولا أن يجعل للسواعد والعقول العربية الليبية الأثر البارز في مسيرة البلاد على كافة المستويات . ومن المتعاونين مع عبد المجيد ابراهيم المشيرقي في التأسيس ، فؤاد الكعبازي وحماد الأمير وحسونة جبارة ومحمد نيسامو (سينما) وعلي التوناللي .

(حزب الاتحاد المصري الطرابلسي)

تشكل هذا الحزب عام ١٩٤٦ . . وقد قام بتأسيسه علي بن رجب ، ويوسف علي المشيرقي . . وأبرز أهدافه هي الدعوة لقيام اتحاد بين ليبيا ومصر . . على أساس فيدرالي . . وقد أصدر الحزب جريدة له باسم (لواء الحرية) . . كما ضمّن برنامجه في منشور جرى توزيعه على الناس . . كما نشرته صحيفته الناطقة بلسانه . . ويتلخص ميثاق هذا الحزب . . كما أعلنه في حينه . . في عدة نقاط أهمها :

(أ) ـ اتحاد طرابلس مع مصر وانضواؤها تحت تاجها على أساس السيادة المشتركة والأخوة المتبادلة . . ووحدة الدفاع والسياسة الخارجية . . وأن تتمتع طرابلس بسلطة تشريعية وادارية مستقلة .

(ب) ـ اعتبار طرابلس وبرقة وفزان قطرا واحدا لا يقبل تجزئة ولا تقسيما . . كما توحي بذلك جميع الحقائق والاعتبارات التاريخية والجغرافية والعمرانية .

(جـ) ـ مقاومة كل فكرة أو مجهود يراد منه فصل جزء من أجزاء القطر عن جسم الأمة . .

وقد توّج الحزب بيانه بعبارات بليغة تقول :

«فالى ذوي الايمان الصادق . . والوجدان السليم . . والعقل الراجح . . ومن يرجون العز والرفاهية والسعادة لأنفسهم ومواطنيهم وشعوب العالم العربي يتجه حزب الاتحاد المصري الطرابلسي بهذه الدعوة راجيا من الجميع أن يقدروا أهمية هذا الاتحاد . . وأن يعلنوا تعلقهم بالتاج المصري الكريم وأن يوجه كل من تلقى هذه الدعوة الصالحة أهله وجيرانه وجميع أفراد أسرته الى التعلق بذلك الاتحاد الذي سيجلب لبلادنا ان شاء الله كل عز ويسر ورخاء . . كما تعاهدت بذلك مصر الشقيقة نفسها .

وليعلم كل مواطن أن له كامل الحرية والحق في التعبير عما تنطوي عليه نفسه من مقاصد شريفة وآمال صالحة . . نحو مستقبل بلاده . .

ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم . .»

وقد تشكلت هيئة تنفيذية للحزب . . نشطت في التعبئة الشعبية لتأييد برنامج الحزب والدعاية له . . ببذل جهده وتوجهه . . وهذا يساهم بماله وتأييده . .

ووجه الحزب رسائل في أرجاء البلاد بهذه المعاني آخذا على عاتقه - بحسب نص هذه الرسائل - مسؤولية العمل «جاهدا مخلصا لتحرير هذا الوطن وتخليص أهله من براثن الاستعمار والضيم . . وتأمين حقوقهم ومصالحهم . . وتحقيق استقلالهم الذاتي . . واتحادهم مع أشقائهم أبناء وادي النيل الأعزاء» . . وقد كان لهذا الحزب في شخص رئيسه . . اتصالات بالخارج مع الأقطار العربية كما كان له فضل السبق برفع شعار الوحدة العربية وتجسيدها في ميثاقه واسمه . ولم يرق هذا المبدأ للانجليز فلجأ الى ابعاد يوسف علي المشيرقي عن طرابلس لأكثر من سنة .

(جمعية عمر المختار .. برقة)

أول هيئة سياسية وطنية ليبية . . بالمعنى الحقيقي . . تتأسس بالخارج بعد هزيمة ايطاليا . . وقد التزمت نظاما اداريا نموذجيا . . وتميزت بوعي واخلاص

ضمنا لها الصمود أمام كل التيارات الانفصالية والاستعمارية التي أحاطت بها . . كما وقفت شامخة أمام النعرات القبائلية ، وانتشرت فروعها في أرجاء برقة . . وقد كان أول من أطلق هذا الاسم هو أسعد بن عمران . . وجاء في البداية علما على جماعة من الجيش السنوسي . . أما الجمعية فقد رأسها مصطفى بن عامر . . وقد أقرت هذه الجمعية قانونها الأساسي بتاريخ ١٤ محرم ١٣٦١هـ الموافق ٣١ من يناير ١٩٤٢م . . ووافقت عليه الجمعية المركزية ببنغازي . . عبر عدة جلسات جاء آخرها في أبريل عام ١٩٤٤م . . بعد اجراء بعض التعديلات . . وقد تألفت الجمعية في القاهرة باسم جمعية عمر المختار الرياضية للشباب الليبي في سبيل تحرير ليبيا من الاستعمار الايطالي . . وتقرر أن يكون مركزها الرئيسي بمدينة بنغازي . . وتفرع نشاطها الى المجالات غير السياسية من ثقافية ورياضية وخيرية وقد حوى القانون الأساسي للجمعية برنامجا حافلا في هذه المجالات يتجاوز برامج محو الأمية وانشاء النوادي الرياضية في أرجاء البلاد . . واقامة الاتحادات والفرق الرياضية الى توثيق الروابط بين الشباب الليبي . . ويضم مجلس ادارة الجمعية عشرة . . يجري انتخابهم بواسطة الجمعية العمومية .

وللحقيقة فقد جاء القانون الأساسي دقيقا وواضحا . . بحيث ضمن للجمعية نظاما لفت نظر الجميع . . دقة والتزاما . . ودعم ذلك وأبرزه النضوج العقلي لقيادات الجمعية والذي أثمر مواقف طيبة . . فرضت احترامها على الجميع . . ومضت الجمعية في خط صاعد دفاعا عن وحدة البلاد وحماية للمبادىء والغايات الوطنية . . على طريق استقلال الارادة الشعبية والتخلص من كل ألوان التبعية والسيطرة الأجنبية وقد تجلت مواقف تاريخية تستحق التسجيل للجمعية . . سبق أن أشرت اليها عند الكلام على الوفد الطرابلسي لمقابلة ادريس ووفد الجبهة الوطنية المتحدة الذي سافر من طرابلس للاجتماع بوفد جبهة برقة . .

(رابطة الشباب)

تشكلت هذه الرابطة ببنغازي . . وبدت في توجهاتها واهتماماتها وكأنها تناقض جمعية عمر المختار تماما . . فهي انفصالية . . وقد عبرت عن ذلك في

المواقف التي سنحت لها . . يديرها عبد ربه الفناي بوحْيٍ من عمر الكيخيا .

(الجبهة البرقاوية)

وهي انفصالية تماما وان اتخذت اللف والدوران أسلوبا لها . . الا أنها في المحصلة النهائية . . كانت تعبر عن تزمت وتعصب . . وتكرسهما معا خدمة للانفصال . . وربما جاء أبلغ دليل على ذلك . . موقفها مع وفد جبهة طرابلس وتعمد توجيه الاهانات التي تمتد من الوفد المفاوض الى أبناء الشعب في طرابلس كما حرصت هذه الجبهة على اعلان نزعات انفصالية صارخة .

(الرابطة الليبية)

نشأت بمصراتة وكونها مجموعة تتقد حماسا ونشاطا واخلاصا لقضايا الوطن . . وهذه المجموعة هي نفسها التي تدير فرع الحزب الوطني في مصراتة . . وقد انطلق أعضاؤها في تكوين الرابطة من منطلق هو أن الحزب قد حدد نشاطهم وقيد حرية حركتهم في وقت يستشعرون فيه الحاجة الماسة على مستوى الوطن للعمل والمثابرة . . وكان يدير هذه الرابطة مصطفى محمود بادي .

(نادي العمال)

تأسس في عام ١٩٤٤ . . وهو ناد رياضي . . عمل فيه بنشاط فؤاد الكعبازي والرمالي . .

(حزب العمال)

ظهر عام ١٩٤٥ . . وقد ترأسه بشير بن حمزة . . يرافقه محمد عبد العزيز . . ولم يظهر لهما ثالث . .

(حزب الأحرار)

قام عام ١٩٤٦ ويتكون من صادق بن زراع وهو رئيسه ويتولى أعمال السكرتارية على دربيكة وتكرر مشهد ظهورهما معا في شوارع المدينة . . مما أثار

التعليقات الضاحكة . . فقد كان أحدهما عملاقا يحمل عصى والآخر قصيرا يحمل محفظة ولا أذكر لهما ثالثا في عضويته . .

(الكتلة الوطنية الحرة)

وفي آخر مايو عام ١٩٤٦ تحمست مجموعة من أفراد قلائل كانوا في مجملهم شديدي الغيرة والحماس على مصالح الوطن . . وكونوا فيما بينهم الكتلة . . ومنذ اللحظة الأولى سلكوا طريقا متطرفا . . وأعني بالتطرف هنا . . اعتماد الأسلوب القاسي والصريح في التجريح والكشف عن نقاط الضعف والتردد وادانة المساومات وقد صبت نار هذا الأسلوب على رؤوس الخونة والمتآمرين من أبناء البلاد . . وفضحت الأجانب الذين يخططون لهم من وراء ستار . . وقد ضمت هذه الكتلة أسماء مثل : علي الفقيه حسن ، ومحمد المبروك ، ومحمد قنابة ، ومحمد فرنكة ، والعيساوي محمد البوسيفي . . وقد ضم منشور لها عدداً آخر من الأسماء من بينهم بشير بن حمزة ويوسف علي المشيرقي وعلي بن رجب . .

وقد هاجمت الشرطة مركز الكتلة في احدى الأمسيات . . وكان بعض أفرادها يبيت في مقرها وقد ضبطت الشرطة بعض الأسلحة . . كما راج أنهم حاولوا استخدامها عند مداهمة الشرطة لهم . . وقد قبضت الشرطة عليهم وأودعتهم السجن . . وبعد التحقيق القوا القبض أيضا على رئيسها علي الفقيه حسن وأودعوه السجن رغم مرضه . . وفي صبيحة اليوم التالي . . تشكلت مظاهرة متحمسة . . وأراد المتظاهرون اقتحام قصر الحكومة فأطلق الضابط عبد السلام النار فأصاب الطفل جمعة أحمد الترهوني ومات في الحال . . ولجأت السلطات للقبض على المزيد من الأفراد وقد ازدادت وطأة المرض على رئيس الكتلة . . ولم ترحمه السلطات الحاكمة الغاشمة . . الا بعد أن تحصلت منه على تعهد بعدم العودة للأعمال الوطنية .

(النادي العربي)

ناد رياضي أدبي . . قام بمنطقة سوق الجمعة . . وقد بدأ نشاطه محدودا فلم يدخل في خبرتي كناد مشارك أو صاحب دور في المعامع الوطنية . . وان

ساهم أعضاؤه بنشاط بالغ في الحقل الوطني . . طبعا ليس بصفتهم أعضاء لهذا النادي فقد اشتهر رجال منطقة سوق الجمعة بحماسهم الوطني ومبادراتهم النضالية . . فتواجدوا في مختلف الحركات الشعبية التحريرية . .

(حزب الاستقلال)

تأسس هذا الحزب في أعقاب فصل جماعة من الجبهة الوطنية المتحدة . . وذلك في أواخر عام ١٩٤٨ وأوائل عام ١٩٤٩ . . وقد أحاطت الشكوك والشبهات بنواياه وأهدافه . . كما أن انضمام جماعة أخرى له معروفة بالاهتمامات المالية . . كل ذلك ألقى الظلال على مصادر تمويله . . وحامت الظنون حوله في هذا الصدد . . وقد أرسل وفد الى مصر وآخر للأمم المتحدة . . ولمزيد من الايضاح . . فان أحد مؤسسي هذا الحزب . . كان في الجبهة الوطنية . . وفي يوم تقديم مذكرة باسم كل الأحزاب للجنة الاستفتاء طلب منه التوقيع على المذكرة . . وكان ذلك يقتضيه الذهاب لمقر نادي الاتحاد الرياضي حيث تجري عملية التوقيع . . ولكنه حاول الهرب من اضافة اسمه الى المذكرة . . ولجأ في هروبه الى المداورة . . فأعلن أن المذكرة هي التي يجب أن تتحرك اليه وليس هو الذي يتحرك اليها . . وهنا فان الأعضاء المعنيين بالمذكرة أصروا على تفويت فرصة الهرب عليه . . فأتوا اليه بالمذكرة . . فوقعها وأوغر ذلك التهرب صدور مجموعة قليلة من الوطنيين تعمل في صفوف الجبهة . . فاتخذت قرارا بفصله في أول فرصة سنحت .

(حزب الشعب)

لا أذكر أسماء قيادته أو قاعدته . . كل ما يمكن أن أسوقه بصدده ما نشرته عنه جريدة الصاعقة السرية . . فقد ذكرت الجريدة أن هذا الحزب يضم بعض الليبيين . . وعددت أسماءهم . . كما اتهمته بأن (ماركيزي) هو الممول الحقيقي له وفيما عدا هذه الصحيفة الثورية لم أعثر على شيء يمكن أن يؤيد أو ينفي هذه المعلومات . .

وللتاريخ فانه في هذه الفترة التي تعددت فيها الأحزاب وكثرت تشكيلاتها وأسماؤها بقيت القاعدة الشعبية سليمة بعيدة عن المنافسات الحزبية والصراعات وتميزت القاعدة بايجابية وفعالية . . اذ كانت عندما يجد الجد وتتأتى فرص الصدام والمواجهة مع العدو يخرج أبناء الشعب الى الساحة . . فتهدد الاضرابات . . ويحمى وطيس التصدي الشعبي دونما أي اعتبار لاسم الحزب الذي دعا اليها أو صاحب المبادرة فيها . . وغالبا ما كانت تقع التضحيات من جانب الشعب فيتقبلها عن رضا وطيب خاطر . . بل ويتحول الفداء الى حوافز جديدة لمزيد من التحدي والمواجهة مع العدو الحقيقي . .

. . ورب ضارة نافعة . . كما يقول المثل . . فالحذر وفر لي فرصا . . وأتاح لي تكريس الوقت والجهد للاتصال بالخارج . . فنشطت في الكتابة وتلقي التوجيهات من الجمعيات الوطنية العاملة في الشام ومصر وتونس . . كما كتبت لكثير من الشخصيات ألقي الأضواء على المعاملات التي يلقاها المواطنون من سلطات الاحتلال وادارته في الخارج والداخل . . تسجيلا للبشاعة واللاانسانية . . والمطامع . . وقدمت ما يجري لي ولاخوتي نموذجا لا يقبل ردا بأنه حماس أو مبالغة وكمثال واقعي . . فقد كتبت لسليمان دهان في ديسمبر ١٩٤٥ :

الاستاذ سليمان دهان المحترم :

لا ضير أن نبقى في الاعتقال أو في البيت بحكم الظروف القاهرة . . والأمم الغاشمة ويا للأسف أن يهدأ الشعب لمجرد اعتقال بعض أفراد لا يمتازون عن غيرهم في شيء . . سوى قليل من الاقدام .

لقد مرت ببلادنا هذه الأيام عدة فرص ومناسبات . . كان من الواجب على كل فرد أن يتقدم للحكومة بمقترحات ولفت أنظارها حتى لا يقال أن البلاد قد سكنت وطأطأت رأسها بمجرد قيامها بارهاب (مع العلم أنها لم تستعمل السلاح الذي حمله الجنود الا في مناسبات لا تعنينا ولا تهمنا) . .

صديقي . . لا أقصد بهذا الافراج عنا . . أو تنظيم مظاهرات او احتجاجات لا . . لا . . بل نطلب حقوقنا المشروعة المغتصبة منا . . ولو أدى ذلك لالحاق عائلاتنا بنا . . انني أفضل الموت على الحياة . . على أن يكون ذلك بيد الغير . . حتى لا يقال انتحر . . فنتهم بالجبن . . » . . ووقعت تحت عنوان (سجين البيت) . . وهو ما حدث بالقوة ووفق أوامر صريحة من المخابرات المركزية . . والقصة تتلخص في ما يلي :

«مرت الأيام ثقيلة . . وقد وضعت نصب عيني حقيقة رددتها مع اخوتي . . ان الخلاص من المعاناة الذاتية أصبح طريقه المزيد من العمل العام . . واذا كان القانون الطبيعي يقول في بساطة : إن «ما لا ينمو . . يضمحل» . . فانه يتوجب وعلى الفور تكثيف النشاط العام ولو في أشكاله وأنماطه المعهودة من تنظيم المجموعات وزيادة حملات التوعية والانتشار بين قطاعات أعرض . . وتنشيط الاتصال بالجمعيات الوطنية في الخارج الى غير ذلك» .

وجاء شهر نوفمبر من عام ١٩٤٥ . . وأقبلت الذكرى المشؤومة لوعد بلفور وزير الخارجية الانجليزي . . بانشاء وطن لليهود في فلسطين وكانت الحركة الصهيونية قد قطعت شوطا طويلا في ارتكاب الجرائم والمذابح ضد الشعب العربي الفلسطيني . .

وتفجرت براكين الغضب . . ثورة عارمة اجتاحت طرابلس . . تواصلت أربعة أيام متوالية . . نفّس فيها الشعب عن غضبه المكبوت . . ضد التصرفات الانجليزية واليهودية المتواطئة دائما مع المستعمر . . وتطورت الأمور فامتدت لعمليات قتل وتعذيب وتدمير . . وفي اليوم الخامس تقدم أحدهم متطوعا الى السلطات البريطانية بقائمة أسماء ادعى مسؤوليتهم عما حدث وتدبيرهم له والغريب هنا أمران :

الاول : ان الادارة العسكرية الانجليزية تركت الأمور على أعنتها أربعة أيام متواصلة . . دون أن تظهر ثمة وجود أو مظهرتدخل حتى استفحل الأمر . . حتى لم يعد خافيا على أحد . . أن للانجليز مأربا أو هدفا خفيا وراء ذلك . .

الثاني : ان ذلك الذي تقدم للانجليز بالقائمة في اليوم الخامس . . حرص على أن يضمنها جميع العاملين في الحقل الوطني . . من أعضاء الهيئات والتنظيمات العاملة في السر والعلن . . ولم يستثن عنصرا واحدا متحركا . . وقد بدا الهدف واضحا فهو يريد أن يبقى هو وشرذمته فقط ويخلو لهم الميدان تماما . .

وهكذا شملتني القائمة أنا وأخي معا وأثناء عملي بمتجري أقبلت سيارة عسكرية . . نزل منها ضابط وأربعة جنود يحملون المدافع الرشاشة . . ومع أنني كنت مستغرقا تماما في العمل . . أقوم بعد النقود داخل الصندوق الحديدي . . إلا أنهم أحاطوا بي وقد وجهوا الرشاشات نحوي . . وعندما هممت بمد يدي الى جيب السروال لاخراج مفتاح الصندوق الحديدي . . أمروني برفع يدي الى أعلى وقاموا بتفتيشي ظنا منهم أنني أحمل مسدسا . . ولما لم يجدوا غير المفتاح أمروني بالخروج . . كان المقهى المقابل لمحلنا مملوءا بالناس . . والشارع ازدحم للاستطلاع عما تحمله السيارة العسكرية ومشاهدة ما يجري . . فأمروني بالاستلقاء في قلب السيارة وداروا دورة سريعة ثم انطلقوا في طريقهم للبحث عن أخي علي . . الذي لم يكن موجودا . . حيث بحثوا عنه . . فعادوا مسرعين الى مركز المخابرات السرية بطريق الظهرة بشارع الأندلس رقم (٤) وبدأوا في اجراءات الاستجواب . . ولما تبينت ما يرمون اليه . . قلت لهم : انني أخشى على بيتي وأهلي . . لأن جيراني من اليهود . . وقد سبق لهم أن قفزوا من السطوح لداخل حجرة الصابون وأعلنت أنني أحملهم مسؤولية ما قد يصيب أطفالي وزوجتي من عمليات انتقامية . . هنا تداول رجال المخابرات الحديث فيما بينهم . . واقتادوني في نفس السيارة الى موقع البيت . . ولما تأكدوا فعلا أن الجيران من اليهود نزلوا سطوح بيتي . . أدخلوني البيت وأمروني بعدم مغادرته . . وقد بقيت رهين البيت بصفة متواصلة لمدة شهر ونصف تقريبا . . بينما بقي أخي علي بمعتقل قرقارش نفس المدة . . مع عدد من الرفاق الذين شملتهم القائمة . . وأذكر أن عيد الأضحى حان أثناء هذه الاقامة الجبرية . . فكتبت الى أحد الأصدقاء الذين لم يشملهم الاعتقال . . أطلب منه المجيء اليّ لشراء أضحية العيد . . وانتظرت منه الرد أو المجيء . . ولكنه لم يفعل . . وقد تمكنت رغم شدة الرقابة من توصيل

رسائل الى علي صدقي عبد القادر ، وسليمان دهان وآخرين . . أطالبهم بمواصلة العمل من أجل الوطن والعروبة . . وفي يوم ٢١ من ديسمبر بدأ الافراج عن المعتقلين في أفواج . . وبالطبع فقد كان بين المقبوض عليهم أحمد راسم باكير وعبد الرحمن دقدق . . وسالم شرميط ومصطفى حسن بك . . وقد بقي الكريو وأخي علي وأبناء الفقيه حسن . . وعبد الرحمن زبيدة ومحمد خليل وعمر مالك وكذلك مصطفى ميزران بقوا مدة بعد بدء عملية الافراج . . وقد حشرت المخابرات الانجليزية بين الوطنيين المقبوض عليهم . . أحد العناصر الموالية لها . . مشهور بالولاء لايطاليا ايضا . . وقد تساءل كثيرون عن سبب اعتقال هذا الشخص بالذات . . خاصة وأنه لم يبد أية حركة أو يتفوه بلفظ يفيد الاحتجاج أو التبرم مما يجري فوق ساحة البلاد . .[1] . .

واتضح موقف الانجليز المحابي لليهود والمناوىء للعرب في سنة ١٩٤٨ عندما كانت المعارك بين العرب واليهود على الساحة الفلسطينية . . وفي شهر يوليو بالتحديد تشكلت لجنة في طرابلس باسم (لجنة اعانة فلسطين) . . وصارت وفود المتطوعين الجزائريين والتونسيين تصل تباعا الى طرابلس . . وكلما أحضرت اللجنة سيارات لنقل المتطوعين الليبيين الى فلسطين كانت الأسبقية تعطى لمتطوعي الجزائر وتونس بحجة عدم وجود مأوى لهم . . وقد أدى هذا التأخير في نقل المتطوعين الى وقوع احتكاك بين المتطوعين عامة واليهود . . ومع أن عدد ضحايا هذه الثورة لم يتجاوز ٢٠ فردا من اليهود . . إلا أن السلطات البريطانية اتخذت اجراءات مشددة ضد المواطنين . . كما أمرت بترحيل المتطوعين الجزائريين والتونسيين . . وفي الطريق غير الانجليز اتجاه سيارات المتطوعين الى تونس . . وقاموا بتسليمهم الى السلطات الفرنسية . .

---

(١) ـ وكان من بين المعتقلين مصطفى حسن بك وبعد الإفراج عنه تسلل ليلا الى بيت بصّاص الدولتين الذي حشرته السلطات العسكرية بالمعتقل معهم وألقى على بيته قنبلة فارتعد الواشي خوفا وبكى واشتكى الى السفير الايطالي وعملا بالتوصيات لدى السفير أوفده في مأمورية ثانية لمستعمرة أخرى كانت تحت التصفية ، ١٣ من الوثائق الملحقة .

استطاع الحس الشعبي أن يكوّن الحكم الصحيح والسريع على الوجود الانجليزي في البلاد . . وأن يتخذ منه بالتالي الموقف الطبيعي . . فملأت المنشورات السريّة الشوارع وتوالى الاعلان عن تشكيلات وتنظيمات سرية . . لعل في أسمائها أبلغ دليل على الرؤية الشعبية الصادقة . . مثل : (لجنة التحرير القومي)[1] . . وهو تنظيم سري . . بدأت منشوراته تظهر فوق الجدران منذ عام ١٩٤٧ . . ومثل هذه التنظيمات السرية . . حتى وان صدق الافتراض أن وراءها قلة من المتطرفين أو المتحمسين . . بل حتى لو سرنا في هذا الافتراض الى منتهاه . . فقلنا ان وراءها شخصا واحدا . . فان ذلك لا يقلل من الحقيقة شيئا . . والحقيقة هنا تتصل بالنتيجة او الأثر الذي يترتب على مثل هذه التنظيمات . . فهي ذات أثر كبير على الحاكم . . تقض مضجعه وتثير الاضطراب في حركته وتصرفاته . . كما أنها ترفع معنويات الشعب . . وقد تطورت هذه الظواهر وخطت من تعليق المنشورات الى اصدار الجرائد السرية بصفة دورية . . وبانتظام . . فصدرت (الكفاح) و(الصاعقة) و(النفير) وغيرها من الأسماء . . ولعل أبلغ دليل على شدة الحماس المحرك لهذه الصحف أن الكفاح كانت تكتب باليد وتتعدد النسخ باستخدام الورق الأزرق (الكربون) وبها أبواب ثابتة . . وتتبع تبويبا . . وتعبر عن وطنية متطرفة . . وقد ظهرت (الكفاح) في صيف ١٩٤٨ وهو نفس العام الذي ظهرت فيه أيضا (الصاعقة) . . وهذه كانت تطبع على آلة (سيلوسيكل) . . وقد تكشفت قصة الكفاح عن نهاية غير متوقعة . . وبعض المفارقات . . اذ كان يشرف على طبعها وتوزيعها سليمان دهان وصالح عمار النائلي . . وقد بلغ من حماس صالح عمار أنه كان يدور بها أثناء الليل تحت سمع وبصر الحرس الليلي المنتشر في كل مكان . . ويظل صالح يترقب الفرص حتى يودعها تحت أعتاب الأبواب في الفنادق وأماكن التجمع مثل المقاهي والنوادي والمصالح . . وفي احدى الليالي كان منهمكا في وضع بعض الاعداد تحت باب

---

(١) انظر رقم (١٤) من الوثائق الملحقة .

مقهى الساهوكي الموجود حاليا بشارع عمر المختار . . وعندما هم بالوقوف . . وجد الحارس واقفا على رأسه وأذهلته المفاجأة فلم يستطع الاجابة عن سؤال الحارس حول ما كان يفعله . . وهكذا أصرّ الحارس على اقتياده لمركز الشرطة بالسوق . . وسار صالح مع الحارس حتى وصلا الى فندق طرابلس الغرب . . وعندها رجاه صالح أن يمكنه من الاتصال هاتفيا بسليمان العروصي رئيس الحرس الليبي . . وقد كان له ما أراد وقد أمر سليمان الحارس بترك صالح . . وللحقيقة والتاريخ . . أجد لزاماً عليّ أن أنوه هنا بمساعدات سليمان العروصي للوطنيين وقبوله عن رضا وحماس اخفاء كل شيء ممنوع ومساعدة كل من يلتجيء اليه . . طبعا في حدود امكانياته . . كما أن بيته كان مفتوحا لمبيت وايواء من تضطره الظروف لسبب أو آخر . .

وقد انتظمت الكفاح في الظهور . . والوصول لأعداد متزايدة من أبناء الشعب . . وكانت تقابل بالاهتمام الشديد وكانت موضوعاتها مثار التعليقات والتداول في المجتمعات والسهرات . . فقد ارتكزت في صدورها على الرد على الاهداف الاستعمارية . . وكشف المؤامرات المبيتة للبلاد . . وتوجيه الناس الى التصرف المناسب عبر النوعية والتوضيح . . والطريف أن سليمان دهان أحد الاثنين اللذين أصدراها . . تفوه بحسن نية كاشفا عن سرها . . أثناء حديث له مع صديق عربي موظف لدى الادارة البريطانية . . وقد أخبر هذا الأخير رئيسه الانجليزي في ذلك الحين . . وقد أسرع سليمان دهان باخبار زميله صالح عمار بما حدث منه حول افشاء السر . . وحذره من الاستمرار في اصدارها لأن مهاجمة السلطات البريطانية لصالح عمار صارت متوقعة في أي وقت . . وأن خطه هو دليل الاتهام ضده . .

وأسوق هنا اعلانا صدر عن هيئة التحرير القومي (هيئة تعمل في الخفاء) . . يبين مدى ما أصاب المستعمر الانجليزي من انزعاج نتيجة لهذه المنشورات والملصقات . . فضلا عن الصحف السرية طبعا . . صدر الاعلان يوم الخميس ١٨ من ديسمبر ١٩٤٧ . . وهو مكتوب بخط اليد ويحكى واقعة غنية عن

التعليق . . يقول الاعلان حرفياً : «لقد نشرت هيئة التحرير القومى مناشير عديدة فيها يتعلق بهؤلاء الزعماء الخونة وعن تصريحاتهم وأعمالهم . . ونشرت في محلات عديدة . . وعلقت على جدران المساجد . . ولكن مع الأسف حيث يوجد في هذا القطر أناس لا قيمة لهم ولا احساس عندهم نحو هذا الوطن المقدس . . اذ علق منشور رقم ٩٨ على باب جامع النخلي . . وجعلنا أناسا يراقبون جميع المناشير علما بمن يتعدى عليها . . واذا بشخصين وقفا يقرآن المنشور . . فما يشعران الا ورجلين من البوليس السري . . وهما محمد . . والثاني هو أحمد . . فألقيا القبض على هذين البريئين . . وقاداهما الى المركز . . وفي الحال انطلق ذلك المراقب الى الهيئة . . وأعلمنا بجميع ما وقع لهذين المسكينين ظلما وعدوانا . . مع أنهما ليست لهما أية علاقة باهيئة ولا بالمناشير . .

فعليه

يكون معلوما لهؤلاء الجواسيس أن يكفوا عن تعدياتهم على الناس . . وعملهم على رفع المناشير لأسيادهم . . والا فسنهاجمهم يوماً من الأيام . . والتوقيع : لجنة التحرير القومي بطرابلس الغرب .

واذا كانت الكفاح قد رفعت شعارات بأنها جريدة الجهاد والنضال . . في سبيل الحرية والعدالة والديمقراطية . . فان الصاعقة وصفت نفسها وفق عددها الثاني بأنها (الشعلة التي تفضح الدسائس الاستعمارية) . . وتوجهت لقرائها : «الى الذين اصطفتهم ادارة جريدة الصاعقة . . وأرسلت اليهم كميات كبيرة من أعدادها ترجوهم نشرها وتوزيعها على المواطنين ليعلم الخاص والعام سر الدسائس الاستعمارية التي تحاك في طي الخفاء ضد بلادنا . . وهذه هي المساعدة الأدبية والمادية التي نرجوها من المواطنين . «ويجري تذييل كل عدد بالتنبيه لانتظار العدد القادم . . وقد جاء تأريخ العدد الثاني بعد الأول بخمسة أيام فقط . . وقد تضمن العدد الأول مقالا للتوعية بالمخططات الاستعمارية بعد مقدمة حماسية تقول : «نعم انها الصاعقة التي ستنقض على رؤوس الخونة والسماسرة ووكلاء الاستعمار . . وستكون جحيما ونارا تحرق هذه الحشرات الفتاكة . . التي تنفث سمومها في هيكل هذه الأمة . . ليس لنا ما نقدم به هذه . . الا قولنا انها قذى

في عيون الايطاليين وأنصارهم وأعوانهم . . » وبعد المقدمة تتوجه مقالة التوعية الى دعاة الهزيمة وأنصار الاستعمار وسماسرة الايطاليين ووكلائهم من مواطنين الذين باعوا أنفسهم ودينهم للشيطان مقابل دراهم معدودة . . نرفع هذه الحقيقة ليعلموا أن أعمالهم العدوانية ما هي الا حفر لقبور يطمرون أنفسهم فيها . . وأشواكا يزرعونها للأجيال القادمة . . ويتكلم المقال عن مؤامرة واسعة النطاق لافناء العنصر العربي وابادته واحلال أبناء روما محله . . فليس لايطاليا أي فكرة اصلاحية . . كما تزعم . . بل هدفها القضاء على هذه الأمة . . اذا قدر لها أن تعود لهذه الديار . . ويستطرد المقال في كشف أهداف حكومة دي جاسبيري الايطالية تدليلا على المخطط الايطالي . . وتنقل نصا من بيان هذه الحكومة . . يقول النص : « . . من الحقائق المسلم بها أن ايطاليا . . ستبلغ الخمسين مليونا . . ولضمان هذه الزيادة لا بد من احياء الأراضي البور في جنوب ايطاليا . . والهجرة الواسعة الى المستعمرات السابقة» . . وينتهي العدد الأول بالتحذير التالي :«وعليه . . فالشباب الليبي . . الذي هو عماد الحركة الوطنية وعصبها الحيوي . . ينذر المواطنين العرب الذين باعوا دينهم لأبالسة ايطاليين . . ويعلمهم بأنه سيشن عليهم حربا شعواء لا هوادة فيها . . وأنه سيحاسبهم الحساب العسير على هذه الطامة الكبرى . . والخيانة العظمى . . وسينتقم من هذه الطغمة من الأوباش المنافقين . . وأن ايطاليا لن تعود لهذه البلاد وفيها عرق ينبض بالحياة» . .

أما العدد الثاني . . فانه يربط في مقالته الافتتاحية بين ايطاليا الفاشية . . وايطاليا الحزب الديمقراطي المسيحي . . فيما يختص بالنوايا والأهداف الاستعمارية تجاه الوطن . . الى أن يقول :«وما مطلب ايطاليا بالوصاية على مستعمراتها السابقة . . الا مظهرا لروح موسوليني التي تقمصت اجسام قادة ايطاليا . . بل احياء للنزعة الاستعمارية في نفس كل ايطالي والتي خلقت الدوتشي واضرابه من انصار الفاشية» . . وهنا يضاف باب جديد بعنوان (هل تعلم) يصب في نفس الموضوع تقريبا . . «ان أحلام دعاة ايطاليا . . قد انتشرت كما تنتشر أوراق الأشجار أمام عواصف الخريف . . ان ممول ما يسمونه بحزب الشعب المزعوم هو

المحامي «مركيزي» . . ان المحامي مركيزي يستغل جماعة كبيرة من ذوي الألقاب البارزة للتجسس وجلب المعلومات . . ان فلان . . و . . و . . و . . من أكبر دعاة ايطاليا وسماسرتها» . .

واني اذ أود التنويه هنا مباشرة باستمرار التزامي بعدم ذكر أسماء الذين أساءوا . . فحكم التاريخ والشعب عليهم فيه الكفاية . . أسماء كاملة ومعروفة قدمتها صحيفة الصاعقة التي والت نشر أسماء . . وكشف عمليات تواطىء . . وتحت عناوين مثيرة . . من ذلك ما نبه اليه العدد الثاني في نهايته طالبا من المواطنين انتظار أخبار الفضيحة الكبرى في العدد القادم . . وسأكتفي بهذا القدر . . ولن أتطرق لتفاصيل هذه القضية . . أو ما أسمته الصاعقة بالفضيحة الكبرى .

على أي حال . . لقد توالى معا . . وفي وقت واحد . . ظهور المنشورات والصحف السرية . . وأدى نشاط الادارة الانجليزية في تمزيقها من فوق الجدران أو مصادرتها ومراقبتها واستجواب المواطنين . . أدى ذلك كله الى انتشار الكلام عن هذه الظاهرة . . وتناول مضمونها . . ومناقشة القضايا التي تطرحها . . بل والتي لا تطرحها . . حتى عملية استجواب المواطنين الذين يقرأون المنشورات أو يتحصلون على الصحف السرية . . كل ذلك خلق مادة دسمة . . أوجدت أوضاعا تبلورت في محصلتها النهائية في قناعة شعبية كاملة وراسخة بأنه لا فرق بين الاستعمار . . سواء جاء في صورة الحلفاء أو في شكل الفاشيست . . فالعداء للشعوب . . والتآمر على أمانيها وحقوقها . . في الحرية والاستقلال تجمع وتوحد بين الاستعمار . . وهؤلاء وأولئك مستعدون لممارسة نفس أساليب القتل والتعذيب والقهر . . وصولا لتحقيق مصالحهم وغاياتهم في التسلط على الشعوب . . ونهب مقدراتها وثرواتها . .

ان المنشورات والصحف السرية قامت بدور هام وأساسي في الاتجاهين معا . . في توعية الشعب بأبعاد ما يحاك ضده من مؤامرات استعمارية . . وفضح عملائه من أبناء الوطن الذين تنكروا له وخانوا قضيته . . والاتجاه الثاني في

ارهاب الاستعمار . . وسحب دسائسه الى دائرة الضوء تحت بصر الشعب وسمعه . .

السخرية .. أعلى مراحل المرارة

المفارقات . . مع تفاوتها سخرية . . ومرارة . . وأحيانا هولاً . . لاتكاد تخلو منها حياة . . فضلا عن حياة شعب رزىء بمستعمرين أجانب يختلفون عنه في العادات والتقاليد والدين . . والقيم . . الى آخر جملة أسس وركائز من شأنها أن تفرز المفارقات الضاحكة الى حد البكاء . . أو المبكية الى درجة تستحيل معها الى نكتة . . وهنا مفارقة . . رغم خفتها الا أن دلالتها واضحة . . فمع استيلاء الايطاليين على أخصب المزارع والحدائق . . ومع وفرة الانتاج وسهولة حصولهم على أجود الفواكه والمنتجات . . بدأوا يقيمون أعيادا واحتفالات لها مسميات عديدة . . منها عيد العنب الذي اختاروا مكانا له الزاوية الغربية . . وصاروا يحشدون له برنامجا حافلا من الزينات . . فالبنات يرتدين اللباس البلدي الايطالي ويقفن فوق عربات الحنطور (الكرطون) . . والرجال والنساء يتعاونون جميعا في تقديم ألوان من الفنون الشعبية الايطالية . . ورغم هزيمة ايطاليا وقدوم الانجليز لم تتوقف هذه الاحتفالات والأعياد . . بل على العكس شجعهم الانجليز عليها . . وفي أحد هذه الأعياد دعا الايطاليون الوالي الانجليزي لحضور الاحتفالات . . وراج في الزاوية أن الوالي قبل الدعوة وأنه سيحضر الاحتفال . . عند ذلك قرر العرب أن يتحركوا وأن يضعوا أمامه صورة للمظالم الحادة التي يعيشونها . . وذهب وفد يمثل العرب لمقابلة متصرف الزاوية . . وهناك أعربوا له عن ضرورة ترتيب لقاء مع الوالي . . وأجرى المتصرف مكالمات هاتفية فأبدى الوالي رغبته في أن يعرف مسبقا الموضوعات التي يريد العرب أن يتكلموا فيها . . وذكر العرب الموضوعات وركزوا فيها على موضوع اللباس وما يتصل به من عدم توفر الأقمشة وارتفاع أسعارها . . وبالفعل جرى تحديد الموعد وساعة اللقاء . . وجاء الوالي الانجليزي لحضور الاحتفالات . . وبدأ . . وعلى المكشوف منحازا للايطاليين مثنيا على انتاجهم ونشاطهم . . متناسيا ومغفلا أنهم يضعون أيديهم على أجود الأراضي وأخصب الحدائق وأنهم انتقوا ذلك لأنفسهم وطردوا منها أصحابها

الشرعيين عنوة . . وبمنطق القوة المسلحة . . واستمع العرب لما يدور في اللقاء . . دون أن يصدموا . . فقد أطنب الوالي الانجليزي في الثناء على الايطاليين والاستهانة بشأن العرب وجهودهم . . ولم يتبق مجالا لغير السخرية . . فلما سأل العرب عن طلباتهم لم يجدوا ثمة ضرورة لشكوى أو حتى حمل الأمور على محمل الجد . . فوقف البعض قائلا ان لهم شكوى بخصوص الملبس . . وهكذا وصلت المهزلة ذروتها عندما رد الوالي مشيرا للملابس النظيفة الجديدة التي يرتديها العرب الحاضرون . . وأضاف بأن رفع السترة من على عجزه لتبدو ثلاث رقعات في بنطلونه . . وبالطبع ضج الجميع بالضحك سخرية . . فقد تعمد الوالي ارتداء سترة قديمة خصيصا كي يرد على العرب . . في الوقت الذي ارتدى فيه العرب كل ما في حوزتهم من ملابس جديدة نظيفة . . كي يقابلوا بها الوالي . . ولكن العرب لم يغلقوا المناسبة . . فقد ذكروا الوالي بمذكرة سبق وأن قدمها المستشارون للسلطات الانجليزية . . وقد اشتملت هذه المذكرة على ألوان من الممارسات الايطالية الخاطئة وقد اشتركت في اعدادها عندما كنت واحدا من هؤلاء المستشارين . . وقد قمنا بتقديمها آنذاك للمتصرف الذي كان من المفروض أن يرفعها بدوره للوالي . . وأسوق هنا المذكرة . . دونما تعقيب أو تعليق فهي بحد ذاتها صورة واضحة وتفصيلية للحال السائد في البلاد . . تقول المذكرة :

«بما أن البلاد أصبحت في أزمة اقتصادية سيئة . . لا يستطيع الشعب تحملها بحال . . وذلك من جراء توقيف العمل وعدم وجود البضائع . . والزام الأهالي بدفع الرسوم والضرائب على الأموال المنقولة وغير المنقولة وعلى العائلات وعلى الأوساخ . . والزراعة . . والأشجار . . والحيوان . . وغير ذلك بنسب لم تراع فيها مقدرة الشعب وامكان تأديتها . . ولم تتفق وحالة الأفراد الاقتصادية بأي وجه من الوجوه . . فنتقدم للحكومة البريطانية بما هو آت :

١ ـ استشارة الهيئة الاستشارية في جميع المسائل التي تخص المسلمين .

٢ ـ ان الموظف المتوسط الذي تتكون عائلته من ٤ أفراد . . تلزمه هذه الضرورات : بيت لسكناه وايجاره ٣٠٠ فرنك شهريا . . وانارة ٢٠٠ فرنك

شهريا . . ومقابل مياه ٦٠ فرنك شهريا وخبز من الحكومة (بالتسعيرة) بـ ٤٨٠ فرنك . . وخبز من السوق الحرة بـ ٧٥٠ فرنك . . ومواد تموينية ضرورية من الحكومة بـ ٣٢٠ فرنك . . ومواد من السوق . . من خضروات وغيرها بمبلغ ١٢٠٠ فرنك . . ومستلزمات طبخ بـ ٤٠٠ فرنك . . ولحوم بـ ٣٠٠ فرنك . . ومصروفات نثرية قدرها ١٠٠٠ فرنك على الأقل شهريا . . وبذلك يصبح مجموع الحد الأدنى المطلوب . . وفاء للضروزات هو خمسة آلاف فرنك شهريا . . مع أن راتب الموظف هو ثلاثة آلاف فرنك فقط . .

٣ ـ أما العامل . . فانه وفي أضيق الحدود المتصورة . . يلزمه دار ايجارها ٣٠٠ فرنك . . وخبز من المسعر بـ ٤٨٠ فرنك . . ومن السوق بـ ٧٥٠ فرنك . . ومواد تموينية من الحكومة تصل الى ٣٢٠ فرنك . . ومواد تموينية من السوق بـ ٦٠٠ فرنك وبذلك يصبح المجموع هو ٢٤٥٠ فرنكا . . هذا مع التزام أقصى قيود التقيد . . مع العلم أن أجره اليومي هو ٦٠ فرنكا فقط .

٤ ـ بقال متوسط الحال . . تتكون عائلته من ٤ أشخاص . . يعتبر الأب عاطلا لعدم وجود البضائع . . وان تاجر في شيء مما تسمح به الحكومة . . فان العائد أساسا لا يكاد يسد رمقه فضلا عن أسرته .

٥ ـ أسعار الكهرباء والماء والغاز . . مرتفعة جدا . . ولا تتفق أو تتناسب مع الحالة الحاضرة . . وبما أنها من ضرورات الحياة . . لذا فاننا نطالب بتخفيض أثمانها خصوصا وقد صار تخفيض أسعار الكهرباء للفلاحين .

٦ ـ لفقدان المواد الأولية . . والمشاريع العمومية . . فقد أصبح السكان عاطلين بدون عمل . . لذلك نلفت نظر الحكومة الى ضرورة ايجاد مشروعات لتشغيل العاطلين وتوريد المواد الأولية لأصحاب الحرف العاطلة كالنجارين والبنائين والزواقين والنساجين . . وغيرهم . .

٧ ـ ان تكرار دفع المكس (الضرائب) على الحيوان بتعدد الأسواق . . كان أحد أسباب ارتفاع سعر اللحوم . . من هنا فان الأفضل هو علاج هذا التعدد ومنعه بحيث يجري دفع الضريبة مرة واحدة . . كما كان متبعا في السابق .

٨ ـ بما أن الحالة الاقتصادية متعسرة جدا . . والبلدية متشددة في توقيع الجزاءات تشددا كبيرا . . كما أن الجزاء الذي كان عشرين فرنكا . . صار اليوم الحد الأدنى لأقل جزاء هو خمسمائة فرنك . . فنطلب تعديله نظرا للحالة الحاضرة . . وعدم استطاعة الناس الدفع بهذه الصورة المبالغة . . كما أن ضريبة التنظيفات (جمع القمامة) زيدت زيادة فاضحة . . لذا نرجو النظر أيضا في تعديلها .

٩ ـ بما أن ضريبة الحيوان تدفع بنسبة كبيرة على الرأس . . وكان الثمن ، في عام ١٩٤٣ مرتفعا . . وقد قدرت بالتالي على هذا الأساس . . أما الآن فقد انخفض سعر الحيوان بنسبة ٥٠٪ أو أكثر . . ومع ذلك بقيت الضريبة على حالها . . ومن ثم توجب تعديلها .

١٠ ـ نظرا لكساد التجارة . . فقد تحول التجار الى شبه عاطلين . . لذلك نطالب الحكومة بالتدخل لانعاش السوق . . وذلك بالسماح بحرية التجارة مع برقة . . لأن كلا الاقليمين لا يستغني عن الآخر . . وكذلك مع البلاد المجاورة . .

١١ ـ ان أزمة اللباس قد عمت جميع الطبقات . . فنرجو توزيع الأقمشة المخزونة عند بعض التجار على المستهلكين الحقيقيين . . وفق نظام البطاقات . . على وجه السرعة . . ضمانا لتكافؤ الفرص . . خاصة وأن حالة الأهالي لا تسمح بالانتظار . .

١٢ ـ بما أن لنا شبابا لا بأس بثقافته . . والبعض منه موظفون مغمورون . . والبعض الآخر مستعد لخدمة بلاده . . ولذلك نرجو العمل على تدريبهم استعدادا للمستقبل والحاقهم بدوائر الدولة . . وانصاف الفريق الأول . . كما اننا نتمنى اعادة الموظفين الذين فصلوا بدون سبب من دائرة البريد والمحاكم المدنية وشركات السيارات وغيرها . .

١٣ ـ ان زيادة سعر السكر والشاي . . جاءت زيادة مرتفعة كما أن كمية السكر ليست . . كافية لتغطية احتياجات الشعب الضرورية . . خاصة الأطفال . . لذلك نرجو تخفيض ثمنه وزيادة كمياته . .

والى سعادتكم . . يتوجه جميع المستشارين بمتصرفية طرابلس الغرب بهذا التقرير راجين منكم دراسته وقبوله . . وفي الختام نقدم لكم فائق الاحترام» . . والتاريخ هو ١٢ من مارس ١٩٤٤م . . والتوقيع جميع المستشارين الوطنيين الموجودين في هيئة المتصرفية في ذلك الوقت . .

وان كان ثمة ما يشار اليه أن مشكلة اللباس قد احتلت مكانها تحت رقم ١١ . . رغم انها فعلا شكلت مشكلة حادة . . فقد تهدد الناس عدم توفّر قماش يسترهم . . وللحقيقة . . وكما سبق ان ذكرت . . فإن السلطات الانجليزية تعمدت دائما عدم علاج المشاكل الحقيقية بصورة جادة . . فلم تكن (نكتة) لباس الوالي الانجليزي من قبيل الاستظراف أو الدعاية . . ولكنها لخّصت أسلوبا انجليزيا متبعا في علاج ومواجهة المشاكل . . وأترك للقارىء العودة الى المذكرة واستخلاص العديد من الحقائق الكامنة بين سطورها . . خاصة تلك التي سقناها عمدا بين السطور . . وأنبه هنا الى أخطرها سياسيا وهو ما تعمدته السلطات الانجليزية وحرصت عليه كسياسة ثابتة . . أعني موضوع اغلاق الحدود مع برقة ومنع التجارة بينها وبين طرابلس . . كتمهيد عملي ضروري لتكريس مؤامرة الانفصال . . وربما كان من تحصيل الحاصل أن الوقفة مع هذه النقطة استدعت منا الحيطة والحذر حتى يستشعر الانجليز وعينا بأبعاد المؤامرة . . فاذا كانوا هم قد عمدوا لتنفيذ المؤامرة من موقع عملي . . وتقويتها كما لو كانت اجراء شكليا . . فاننا بدورنا أدخلناها في قالب ضرورة يفرضها واقع كساد تجاري راهن وطالبنا من نفس الموقع وعبر صيغة هادئة . . وبما يؤكد وعينا واستشعارنا لخطر لم نعمد لمواجهتهم به مباشرة . .

على أي حال . . فان المذكرة وان لم تكن قد خرجت الى حيز التنفيذ . . الا أنها قد وثقت وجرت دراستها في مختلف المستويات الادارية . . وربما بدا هذا التأكيد لوحدة البلاد . . عبر هذه الوثائق والمذكرات بلا ضرورة . . ولكنه على مستوى الوقائع والتفاصيل اليومية . . كان هو ضمانة الوقوف في وجه هذه المخططات وفضحها أولا بأول .

وقد ترددت أخبار التدهور الاقتصادي الذي تعيشه البلاد ووصولها الى مشارف المجاعة الحقيقية في جميع أرجاء الوطن العربي وأخذت الصحف العربية تتابع أخبار الجفاف وانحباس المطر عن الأرض فسارع الأشقاء الى تقديم ما يستطيعونه من عون . . ومن ذلك السفينة المصرية (الأميرة فوزية) التي جاءت تحمل شحنة من القمح والأرز . . ولكن السلطات الانجليزية رفضت استقبالها في البداية . . فحاولت السفينة أن تفرغ حمولتها في تونس . . فمنعها الفرنسيون . . فاضطر الانجليز الى السماح لها بتفريغ حمولتها في ميناء طرابلس . . بعد أن احتجوا في المرة الأولى بعدم وجود رصيف بميناء طرابلس .

الفصل السابع عشر

هل استفاد الانجليز من أخطاء الايطاليين في ليبيا ...؟

وثائق طريفة .. تحمل بعض بوادر الاجابة على هذا السؤال .. وبصورة تختلف نسبيا عن الحقيقة العامة والمؤكدة في هذا المجال .. فوقائع التاريخ عامة .. في مختلف حقب الزمان وبقع المكان .. تشير الى قضية واحدة هي حماقة الاستعمار وعدم افادته من دروس التاريخ .. وأنه لذلك يكرر أخطاءه دوما ويتردى في نفس المشاكل بالتالي مع الشعوب المستعمرة .. ورغم فداحة الثمن وعظم الخسائر التي يتكبدها فانه على استعداد لتكرار نفس تجاربه .. ورغم الدهاء الانجليزي التقليدي ورغم الحربين العالميتين وملايين الضحايا وشبح الاستعمار كظاهرة تسببت أساسا في الحربين وجرت على الجميع المصائب .. رغم ذلك كله .. ومع شدة وضوحه .. فان بريطانيا ما كادت تستقر في البلاد حتى تحلب ريقها طمعا في وراثة ايطاليا وشمرت عن ساعدها في محاولات .. وان جاءت ماكرة .. للسيطرة والتسلط .. الا أنها مكشوفة بكل معاني الكلمة .. حتى وان أدى الدهاء الى اختلاف عن سابقتها في بعض التفاصيل .. وأعني بها التفاصيل بما تكتسبه أحيانا من أهمية أو بما تصير اليه أحيانا أخرى من انعدام قيمة .. وهي هنا وهناك ليست عديمة الأثر على الخطوط الأساسية العامة .. عند الوقوف أمام حكم أو في منظور تقييم .. وأكتفي بهذا القدر توضيحا لما أتناوله هنا من تفصيلات .. فقد حل الانجليز محل الطليان شكلا ومضمونا .. عرفناهم من خلال الجيوش العسكرية ورأيناهم يحملون نفس المدافع والأسلحة ..

ويلجؤون الى نفس الممارسات . . بل ويقعون أحيانا في أخطاء فاضحة لا تمت الى ذكاء أو منطق بصلة . . وكثير منها يصل الى أوسع القواعد الشعبية ولم تبد ثمة حاجة لتعليق عليه أو شرح . . فمثلا رغم الخسائر الفادحة التي تكبدتها بريطانيا في الحرب خاصة في مراحلها الأولى . . ورغم المواجهة الساخنة بالمدافع والأسلحة الثقيلة والخفيفة والطائرات مع الجيش الايطالي . . فان رعايا ايطاليا في ليبيا لاقوا معاملة طيبة من القوات الانجليزية . . وأبادر هنا الى توضيح ضروري . . فالمسألة ليست معيارا حضاريا أبدا . . والا لعومل العرب بنفس المعيار ولاستحقوا من الرعاية ما يزيد ولو قليلا عما لقيه الطليان وذلك تعويضا عن سني التنكيل والعسف التي لاقوها أو ردا على ما بذلوه في سبيل انتصار الحلفاء ، والانجليز من بينهم . . لكن الأمور تختلف . . وقيم الحضارة لا ترد هنا . . وأسوق هنا نموذجا صارخا للأخطاء . . وشدة دلالاتها ، ومركبات وثيقتي هنا أربعة شهود من أبناء البلاد هم :

- عبد الكريم بن صالح .
- عبد الله بن محمد صبري .
- عبد السلام بن محمد .
- عبد الله فضل .

هؤلاء المذكورون أعلاه . . ألقى عليهم القبض في ١٩٤٥/١/١٥ . . وحكمت عليهم المحكمة العسكرية بالسجن لمدة ثلاثة شهور . . وفي ١٥ أبريل . . وعند الافراج عنهم أرجعتهم الحكومة العسكرية الى الحدود التونسية . . والأسماء وبقية السطور التالية لها هي نقل حرفي عن الكاتب بالمحكمة العسكرية . . وقد أرادها الانجليز أسرارا في ملفات المحاكم العسكرية . . لكنها ظلت تتسرب . . أربعة ليبيين جاءوا الى بلادهم من حدود تونس . . فحوكموا وسجنوا وأعيدوا في الوقت الذي يدخل فيه للبلاد . . وبصفة يومية مئات الطليان من أفاقين ولصوص . . وجانحين . . تحت سمع وبصر الانجليز . . ودونما حاجة لأوراق أو جوازات سفر . . ويتحركون في حرية

ويعيشون ويعملون في أمان وبثقة في أن السلطات العسكرية الانجليزية تحميهم وتوفر لهم متطلبات الحماية . . فضلا عن الحياة .

أما التفصيلة الأخرى التي تجسد ما عمدت اليه منذ بداية كلامي . . هو أن الدهاء الانجليزي نجح في اشاعة جو زائف من الترقب والانتظار . . لعل ظروفاً أخرى عالمية ساعدت على تكريسه وتثبيته . . وخلال هذا الجو تحرك الانجليز . . وتجاوبت أصداء حركتهم في ظاهرة اعتمدها الشعب وهي تدوين المذكرات بالمطالب والملاحظات وتسليمها ثم الترقب والانتظار لتتم الاستجابة للنزر اليسير من المطالب ويسري الايهام بأنه في الامكان زيادة الاستجابة لنعود الى المذكرات . . ويعود الانتظار والترقب . . وهكذا تنحسر الحركة الشعبية . . وتكاد تنحصر في اطار هذه الحلقة المفرغة . . ومع أنني سقت نصا لاحدى هذه المذكرات أيام مهزلة المستشارين . . فانني أعود هنا الى قصة مذكرة طريفة . . أخرجت البرود الانجليزي التقليدي عن مساره المعروف . . ففي ديسمبر من عام ١٩٤٤ . . بدأ مدير وزارة الدعاية البريطانية المستر (رلمان) ومدير الشؤون العربية الكولونيل (اندرسون) في زيارة للشرق الأوسط . . وجاء الاثنان الى طرابلس . . فأردنا أن نوصل اليهما مطالبنا . . ونقف منهما على أبعاد تطورات القضية الوطنية . . وهكذا طلبنا من الحكومة باسم النادي الأدبي . . أن تسمح لنا بتنظيم حفل تكريم للمسؤولين البريطانيين . . لكن الحكومة رفضت طلبنا . . فلجأت الى استعمال الحيلة . . فقمنا بتحرير الدعوة لهما لحفل التكريم . . وتوجهنا لمكتب الاستعلامات الذي قبلها منا وتحدد الموعد . . وجاء قبل وصول الوزير بعدة أسابيع . . مما فتح أمامنا المجال لتنظيم مظاهرة . . وفي أثناء مسيرة المظاهرة . . وقفت وألقيت خطبة . . أفصحت فيها عن مضمون مذكرة كنا قد أعددناها لتسليمها للوالي (بلاكلي) . . والخطبة تدور حول اصرار الشعب على الاستقلال التام غير المنقوص . . وعدم القبول بما دونه من صيغ ومناورات هي في نهايتها تحايل لتقليص المضمون الحقيقي للمطالب الشعبية . . وبالفعل توجهنا الى مقر الوالي بالعريضة التي تطالب بالاستقلال الناجز الذي لا تشوبه شائبة . . والموقعون على العريضة هم منصور قدارة . . وأستاذي أحمد الفقيه حسن . .

ومحمد بانون . . وقد ساهمت هذه العريضة في ذيوع صيتهم . . وحققت لهم شعبية كبيرة . . وهذا ما دفعهم لمحاولة تتويج هذا العمل بعمل آخر . . فدبجوا عريضة أخرى لتقديمها لوزير الدعاية البريطاني أثناء تلبيته دعوة التكريم . . وعلى عكس العريضة السابقة . . جاءت العريضة الجديدة مغرقة في تفصيلات جانبية . . كلها عبارة عن اتهامات للسلطات البريطانية بالرشوة وقضاء حاجات الأجانب عن طريق النساء . . فضلاً عن السرقات والاختلاسات . . وبالاجمال اتهامات صارخة وبأسلوب مباشر يخرج عن منطق اللياقة ومتطلبات الذوق خاصة في هذه المناسبة . . وفيما يبدو أن أحد الموقعين وهو محمد بانون قد وقعها دون قراءة . . ولما سمع بفحواها أسرع يطلب شطب توقيعه . . ولكنني كنت ـ التزاما بوحدة المواقف والأهداف ـ قد رفضت تسليمه المذكرة ليشطب اسمه . . خاصة وأن زملاءه لجأوا الى صياغتها ودونما أخذ رأي أو تشاور مع الآخرين . . وحان موعد الحفل . . فاقترح منصور قدارة حلا رآه وسطا . . ويقضي بجمع أكبر عدد من التوقيعات وذلك حتى تتوزع المسؤولية ويصعب على الانجليز ممارسة الانتقام ردا على هذه العريضة . . ومرة أخرى طرحت المذكرة واضطررت أن أقف أمام أحد المكاتب في الحفل . . وأن أنادي الموجودين واحدا . . واحدا . . كي يوقعوا . . وبالفعل نجحت في جمع توقيعات كثيرة . . رغم عدم موافقتي على تفاصيلها ومباشرتها . . والطريف أن أحد المشايخ المتحفظين كان موجودا بالحفل . . وعندما رآني أنادي وأشير للآخرين . . ظن أن العملية وراءها مكاسب . . وأننا نود أن نسبقه . . فجاء طائعاً مختاراً إلى المكتب التي أقف بجانبه فقدمتها اليه طالبا منه التوقيع . . فطلب أن يقرأها . . فلما بينت له أنها طويلة . . قال لا بأس . . وأخذها في يده . . وبعد قراءة بضعة سطور قليلة أعادها وهرب دون توقيع وآثر أن يترك الحفل كله متجها الى بيته حتى لا تواجهه لحظة التسليم وهو حاضر . . وعندما حان موعد التسليم . . حاولت الكثير مع البعض . . فطلبت منهم أن يقدموها للوزير فرفضوا الواحد بعد الآخر . . وقد زدت وأعربت للبعض أن أخي عبد المجيد في السجن وانني لا أود اللحاق به لظروف عائلية . . ولكن الاعتذارات توالت . . فقدمتها بنفسي له . . وبعد حين جاءنا الرد . . وهو كما قلت خروج عن البرود الانجليزي تماما . . اذ اتهمنا الوزير بالجنون وقلة

الذوق . . وأننا تعمدنا أن نجرحه في نفس حفل التكريم الذي أقمناه له . . فضلا عما سببه سخف الخطاب من احراج شخصي له أمام الآخرين . . والغريب . . جاء في صورة مفارقة فادحة أخرى أيضا . . فقد ظل محمد بانون متأثرا من تقديم هذه العريضة . . ومن رفض طلبه في تسلّمها كي يشطب اسمه . . وبدا متبرما غاضبا . . وقد وافاه الأجل قبل مضي أسبوع واحد من هذه الواقعة . . فتألمت لمنعي ايّاه من شطب توقيعه من فوق العريضة وندمت أشد الندم . . غفر الله لي وله .

وغير هذه الوثيقة وتلك . . هنالك عشرات الوثائق التاريخية الهامة التي تفضح تماما الحقبة الانجليزية بكاملها وتلحقها صنوا مطابقا للحقبة الايطالية . . وهي في معظمها وثائق صادرة عن الانجليز أنفسهم . . وأذكر انني ركزت الجهد فترة من الزمن على قانون البلديات الذي أصدره الانجليز . . فقد جاء هذا القانون جملة وتفصيلا لصالح الايطاليين ودائما وقد كان تحيزه للجالية الايطالية صارخا الى حد الاستفزاز . . فاندفعت للكتابة والشرح لكل الجهات في الداخل والخارج . . كتبت لبرقة . . ايطاليا نفسها . . سبيرز . . هيئة الأمم . . المحكمة الدولية . . اللجنة السياسية . . جامعة الدول العربية . . الاتحاد السوفييتي . . دول أمريكا اللاتينية . . الأحزاب في الداخل والخارج . . الصحف المحلية والعالمية . . وللمسؤولين في المستعمرات الايطالية في شرق افريقيا . . أسألهم ان كانت لديهم صيغ مماثلة لهذا النمط من الجور والعسف تحمل أرقاما وبنودا . . ويطلق عليها اسم (قانون) . . وتساؤلاتي لهم في الحقيقة لم تكن بالطبع تبحث عن اجابة . . بل انني هدفت منها محاولة التنبيه الى تكامل الشبه بين الأساليب الاستعمارية . . ازالة لوهم التفرقة أو التمايز بين استعمار وآخر . . كما كتبت أيضا لمؤتمر وزراء الخارجية . . ومؤتمر الصلح أو السلام . . ولجنة الاستفتاء . . وبونومي الايطالي . . وسفرسا . . وبيفن . . وزير الخارجية البريطاني . . وغيرهم . . وقد أرسلت مع رسائلي نسخة مطبوعة وأحيانا مترجمة من قانون البلديات . . وما يزخر به من تبجح الاقلية الايطالية وسفورها فوق سطح الامتيازات . . وحقوقها التي لا يقابلها أي واجب . . وكذلك أرسلت منشورات

بقوائم المرشحين الايطاليين وأذنابهم من العرب . . وبينت الثغرات المتعمدة والنصوص الصريحة التي يحمي فيها القانون الأقلية بصورة مباشرة . . ويجني فيها مباشرة أيضا على حقوق الأغلبية من أبناء البلاد الأصليين . . حتى عملية الحصر والتعداد جرت صورية . . وغير واقعية . . وبدراية واذن السلطات . . ففي الوقت الذي نزحت فيه أعداد كبيرة من المدنيين الايطاليين الى بلادها الأصلية في فترات متفرقة من الحرب . . خاصة في البداية . . فان هذه الأعداد تم ادراجها بكاملها في كشوف التعداد . . ودخلت قوائم التصويت في انتخابات البلدية . . ولما لم تكن موجودة فان قوائمها أضيفت بالكامل لصالح المرشحين الأجانب . . وضمنت للعناصر المشبوهة من الأفاقين والدجالين . . ضمنت لهم مكانا في البلدية . . يمثل الأغلبية وجعلتهم يتصرفون بدون حذر ولا كياسة حتى أنهم قرروا اعادة الأسماء الايطالية للشوارع والميادين في طرابلس . . وحصلوا على قرار من مجلس البلدية بذلك . . ولكن عميد البلدية الطاهر القره مانلي اتصل برئيس الحكومة محمود المنتصر كي يتدخل لمنع هذا التحدي الصارخ الذي يمكن أن يتمخض عن أحداث دموية لا يمكن حساب مداها . . عندما يفاجأ الشعب الذي ينتظر الاستقلال والخلاص من كافة الأشكال الاستعمارية والوجود العسكري . . أقول عندما يفاجأ الناس بعودة الشبح الايطالي فوق الشوارع والميادين يذكرهم ويتحداهم في أعز تضحياتهم . . فميدان الشهداء مثلا . . اتخذ المجلس البلدي قرارا باعادته الى التسمية الأولى ميدان ايطاليا . . ويعني ذلك ما يعنيه . . من معنى استبدال التسمية النبيلة لأغلى بذل وأكرم عطاء للشهداء بمن سفحوا الدماء وقتلوا النساء والأطفال وعلقوا مشانق الشباب في نفس الميدان . . في ليلة العيد الأكبر . . والمرير أن رئيس الوزراء رجا جوستي الايطالي ـ عبر الهاتف ١ وكان هذا الايطالي قائدا للمجلس البلدي أن يؤجل تنفيذ هذا القرار . . وبهذا حفظت البلاد شكليا ماء وجهها .

وقد تكون المجلس من أربعة أعضاء ايطاليين واثنين يهود وأربعة عرب موالين لايطاليا واثنين عرب معينين من طرف الادارة العسكرية البريطانية .

وأود هنا أن أتوقف عند نموذج أخير . . مثال عائلي . . عن أفراد أسرة بأكملها ساهموا بنشاط ودور . . وعرفهم الكثيرون من أبناء الشعب . . وقدر لهم مواقفهم ونشاطهم . . وكنا نتقارب أحيانا ونختلف أحيانا أخرى . . ولكن التزاما بالموضوعية وانصافا للحقيقة . . والحقيقة وحدها أسجل موقفا متميزا لآل الفقيه حسن ومصطفى ميزران . . موقف صلب ضد الاستعمار وأذنابه . . وقد اعتذر آل الفقيه بنفس الوضوح والاصرار عن التوقيع مع أي اتجاه وجاء رفضهم قاطعا لتنصيب ادريس . . وحتى في هذا الصدد أعادوا الاعلان عن موقفهم المبدئي وهو عدم الرضا أو التأييد الا في حالة واحدة . . أن تتم المسألة بواسطة الشعب . . ووفق ارادته . . سواء عن طريق الانتخاب أو المبايعة . . المهم أن تتوافر صورة المشورة في اطار شعبي حقيقي يكون الشعب هو صاحبه ومؤيده . . ومتبنيه . . على أن ذكرى لموقف أسرة الفقيه حسن لا يعني أنها وقفت وحيدة في هذا التصور . . ولكن للحقيقة والتاريخ . . فان عديدا من شخصيات بارزة أخرى أعلنت رأيها في صراحة . . وهنا أطرح جانبا من رسالة تلقيتها وصاحبها معروف على أوسع نطاق . . وفيها الكثير جدا من الدلالات التي أترك للقارىء مجال الرأي والحكم فيها . . أما الجزء الذي أسقطته منها فهو لا يعدو تحية شخصية وعبارات عن التعارف والصداقة وطلب بأن أمده بمعلومات عن القضية ومساراتها من الداخل . . لأن صاحب الرسالة كان في ذلك الوقت موجودا بالقاهرة . .

وأقدم هذه الرسالة ليس فقط كوثيقة تاريخية دامغة . . بل وكنموذج لمتانة السبك ومنطقية الرأي وجمال الأسلوب . . وهو ما كان يميّز شخصية صاحبها في كافة أعماله التاريخية . . جاء في الرسالة :

«أخي . . لعلك سمعت أن اخوانك في مصر شكلوا لجنة منذ سنة ١٩٤٠ . . وفي الحقيقة أن هذه اللجنة كانت تعمل سرا منذ عام ١٩٢٤ . . ولكنها لم يمكنها الاعلان عن نفسها الا سنة ١٩٤٠م . .

وقد بذلت هذه اللجنة قصارى جهدها في التفاهم مع السيد ادريس . . ومن انضم اليه ليكون العمل مشتركا . . وليكون أقوى . . وبعد التجارب

الطويلة اخترنا قاعدة لهذا العمل المشترك وهي العمل لانقاذ الوطن أولا . . وترك البحث في نوع الحكم ورئاسته . . فاذا ما وفقنا كان للشعب كامل الحرية في اختيار نوع الحكم ومن يتولى رياسته . . وذلك لأننا أقلية في مصر لا نملك هذا الحق . . وأختار أنصار السيد ادريس أنهم لا يتفقون معنا على شيء الا بعد الاعتراف له بالامارة . . ووقف كل من الفريقين عند رأيه .

أما رأيي في امارة السيد ادريس . . فهي امارة اما مزيفة واما باطلة . . اما أنها مزيفة فلأنها أول ما أنشئت كانت منحة من الطليان بمقتضى معاهدة أمليت عليه شروطها وقام بتنفيذها بكل دقة . . ومن شروطها ما استند اليه في طرد السيد أحمد واخوانه بعد أن فشلوا في هجومهم على مصر ولم يمكنهم من البقاء في برقة حتى مات أكثرهم جوعا في صحراء سرت . . ولا أظن أخي يجهل حكاية (البركندة) واسأل عنها ان شئت . . ولم يكن له في هذه المعاهدة الا ١٢٠ ألف فرنك يتقاضاها في كل شهر . . من الخزانة الايطالية موزعة على نساء العائلة السنوسية ورجالها كما جاء في نص المعاهدة . . كما لم يكن له في انتمائه للانجليز الآن الا ما يتقاضاه من خزانتهم . . وتفصيل ما ذكرته في كتاب أمين سعيد (الاستعمار الايطالي) . . وستجدون فيه أن هذه الامارة كانت على جالو وأوجلة والكفرة والجغبوب . . ومقرها في اجدابيا . .

ولا شك أن امارة يمنحها عدو الوطن فهي مزيفة وهي باطلة أيضا لأنها ليست من الشعب وهي من أخص حقوقه التي لا يملكها غيره .

وقد طرأ على هذه الامارة دور آخر وهو ما قام به الطرابلسيون في سنة ١٩٢٢ ، من ارسال وثيقة بيعة له ، والطرابلسيون لهم كل العذر في هذه البيعة . . وقد حتمها عليهم ما كانوا فيه من ظروف سيئة أوجدهم فيها ادريس السنوسي بعدم اعلان الحرب على الطليان وفاء بمعاهدة سرت . . وان الرجل الذي يحمله وفاؤه للطليان على طرد أحمد الشريف من برقة حتى مات أكثر أنصاره جوعا لا يتورع أن يمنع الطرابلسيين من المرور ببرقة الى مصر اذا غلبوا على أمرهم . على أن بيعة الطرابلسيين كان أساسها العمل لمصلحة الوطن وقد تعهد

بالعمل لمصلحة الوطن في رده على كتاب البيعة . . ولكن لم يعمل شيئا . . ومنذ وصله كتاب البيعة ذهب الى مصر ولم يف بشيء مما وعد . . وقد نقض هذه البيعة عقدة عقدة . . وشرطا شرطا . . وبقي في مصر يتمتع فيها بما لذّ وطاب . . فتركه الوفاء بما عاهد عليه نقض للبيعة لا محالة . . وقد دل الرجل في جميع أدوار حياته على ضعف في الارادة وتفريط في الأمور وخمول يشبه خمول سكان القبور . . فحمل الأمة على بيعته ثانية حمل للأمة على الانتحار . . وارتماء في أحضان الانجليز . . فاذا ما أزيح كابوس الانجليز وملك الشعب ارادته . . ورأى في جو من الاختيار أن يجمع كلمته عليه في نطاق من الشروط والرقابة التي لا تتدخل فيها أصابع الانجليز . . فله ذلك . . كما أن له غير ذلك اذا أراد . .

ولعلي أثبت لأخي شيئا من الحقيقة التي تختلف فيها آراء الشعب الطرابلسي . . بجعله على بينة من الأمر . . ان أراد أن يشرفني بصلته . . وأود ألا أحرم من صداقتك . . وأنا في انتظاري لرأيك وسلامي عليك ورحمة الله . .

نأسف جدا لما ذهب اليه بعض مواطنينا من اختيار الوصاية الانجليزية ويحزننا أن يكتب في جريدة طرابلس أن عرائض كتبت من جهات مختلفة تؤيد هذا الرأي ومن العار على الطرابلسيين والفضيحة التي تحط من الكرامة والشرف أن تثبت هذه الفكرة . . وتجد أنصارا في ظروف كل الشعوب العربية تدعو لها الوحدة . . وتناضل عن القضية الطرابلسية بكل قواها . . ويا فضيحة الأبد وخيبة الأمل . . اذا سمعت بذلك جامعة الدول العربية . . وعما قريب تطلب الاستفتاء في طرابلس ويبرز الانجليز وثائقهم . . بأن شعبا عربيا مسلما اختارهم أوصياء عليه . . ولا ينسى أخي العزيز أن مساعي الانجليز في الوصاية أساسها تصريح السيد ادريس في جريدة برقة بأنه يريد أن تتفق أمته مع دولة قوية في البحر والبر والجو . .

فهل أخي الهادي . . من أمة هذا الرجل الذي يختار الانجليز على الدول العربية . . معاذ الله . . أرجو أن ترنوا الرجال بأعمالهم . . فمن شهد له التاريخ ووجدته في ميادين الشرف ما يقنع الناس بتقديمه فذلك هو المقدم . . «ومن بطأ

به عمله لم يسرع به نسبه» . . أخي . . الأمر جد . . وأنتم في ميدان جهاد وهو صورة من ميادين الهاني وجنزور وسواني بني آدم . . واذا كان آباؤنا واخواننا سقطوا هناك مضرجين بدمائهم . . فلن نتكلف نحن الا الثبات والاتفاق . . وان اختيار الوصاية الانجليزية سيكون وصمة عار في جبين أمتنا . . وضربة قاضية على جهادها . . فاسعوا في اصلاح هذا الخلل . . وادعوا الى سبيل الوطن بالحكمة والموعظة الحسنة . . ولن تعدموا أنصاراً والله ولي العاملين .

أرجو من أخي بيانا عن الوضع القائم في طرابلس . . وعن الرأي الذي تدافع عنه . . ولا يفوتني أن ألفت نظركم الى ما كتب في (عمر المختار) فانها حقائق لا يرقى اليها الشك . . سلامي الى الأستاذ أحمد الفقيه حسن . . والأستاذ أحمد قنابة شاعرنا العظيم وجميع الاخوان . . الامضاء : الطاهر الزاوي . . والتاريخ ١٠ من أبريل ١٩٤٦ . . »[١] .

هنا . . وبعيدا عن منطقة الالتزام بعدم التعقيب . . أود أن أستمهل القارىء قليلا . . خاصة فيما يتصل بموضوع مثل الوصاية الانجليزية . . وبيعة ادريس . . فالطاهر الزاوي كتب رسالته من القاهرة . . وعبّر أو عقّب على ما وصل اليه من أخبار هناك . . فاذا اعتبرنا عوامل انسانية أخرى مثل المبالغة والجري وراء الاستطراد والتهويل أحيانا . . أمكننا أن نقبل بمبدأ التريث في الحكم . . أو تشكيل وبلورة الرأي . . وسترد معلومات وتفاصيل أخرى في نفس هذه الموضوعات . . تستوجب هذا التأني . . اذا توخينا ما نصبو اليه سويا . . وهو الوصول الى الحقيقة عبر وقائعها ومكوناتها الأصلية . . من الأحداث وعللها ومعلولاتها . .

وقد اختلفت مع أستاذي الطاهر الزاوي مع كوننا متفقين في الغاية وهي استقلال ليبيا ووحدتها ، الا أن الخلاف كان حول الوسائل والطرق الى أهدافنا ،

---

(١) ـ انظر رقم ١٤ مكرر من الوثائق الملحقة .

كنت أرى «أنه لا يوجد في طرابلس شخص يقبله الجميع ، والادهى والأمر أن البعض يود تتويج نفسه اعتبارا من اليوم» .

بل لقد أضفت في نفسي الرد أنه «إذا نظرتم الى الماضي القريب وماكتبتهُ في جريدة العرب بباريس . . وقد وصلكم ذلك ، يظهر لكم أن نظرتي اليوم للقضية لم تكن كذلك منذ سنتين فقط ، وقد ضمنت الخاتمة قولي : «إنني سأحاول الوصول الى مصر واللقاء بكم علماً بأن محاولاتي الماضية كلها باءت بالفشل» وقد كان ردي يحمل تاريخ ١٩٤٦/٥/٢ .

بين حلّين .. تأرجح مصير البلاد ..

في سبتمبر سنة ١٩٤٦ . . عقد مؤتمر السلام أو الصلح بباريس . . وكان هذا المؤتمر منبثقا عن هيئة الأمم المتحدة . . وهنا بدأت اتصالاتي بمندوبي عديد من الدول . . أذكر منهم ، مندوب كوبا ، ومندوب البرازيل . . والهند . . والصين . . ومصر . . والعراق . . وايطاليا . . واللجنة الأممية . . واذاعة الشرق الأدنى . . ورئيس اللجنة السياسية الاقليمية الايطالية . . ووكيل الخارجية الايطالية . . وقد زودتهم جميعا بمعلومات وافية عن قضيتنا . . وواصلت الاتصال عبر خطابات متوالية . . ومكاتبات . . وبالطبع فقد ركزت على الاتصال بمندوبي الأقطار العربية . . وخاصة فاضل الجمالي مندوب العراق . . وجاء تركيزي بصفة أخص على مندوب الوفد المصري عامة . . وكان يرأسه واصف غالي . . وعندما زرت مصر سنة ١٩٤٦ . . رافقني علي نور الدين العنيزي الذي كان موظفا بالجامعة العربية في زيارة لواصف غالي في قصره بالقاهرة حتى أتحسس وقع مكاتباتي والوثائق والمعلومات التي أرسلتها له . . وما أن عرفته بنفسي حتى بدأ يشكرني ويثني على نشاطي واهتمامي بقضية حيوية تخدم شمال افريقيا كله . . وزاد مؤكدا بأن الوثائق التي أرسلتها له ولباقي الأعضاء قد خدمت القضية خدمة بالغة . . وأنه لم يتصل به أحد غيري . . كما نفى أيضا أن يكون قد حدث أي اتصال آخر من غيري بأي مندوب عربي أو أجنبي . . وأن كل المعلومات المتاحة عن القضية الليبية مصدرها الهادي المشيرقي . . وأنه لولاي لما

توافرت أية معلومات خاصة وأن الامكانيات محدودة جدا بالنسبة للوفود العربية . . وضرب لذلك مثلا بأن وفد مصر بأكمله ليست في حوزته آلة كاتبة عربية . . ولما ذكرت له أن الكتلة الوطنية طبعت منشورا موجها الى المؤتمر . . وانها قامت بارساله الى باريس . . نفى علمه به . . وفسره بأن أعضاء المكتب بالمؤتمر . . موالون لايطاليا ومتعاطفون معها . . ولهذا لعلهم لم يهتموا بتمكين الأعضاء من الاطلاع على منشور الكتلة . . وبالغ واصف غالي في تشجيعي . . الى حد قوله أن الجميع من عرب وأجانب لا يعرفون غيري ممثلا للشعب الليبي . . سواء في ذلك الهيئات أو الأحزاب . . أو التنظيمات الشعبية الأخرى . . وباسم أبناء الوطن قدمت له الشكر على جهوده لصالح قضيتنا الوطنية . .

وقد وصلتني من واصف غالي باشا رسالة بتاريخ ١٩٤٦/١٠/١١ . يثني فيها على نشاطي وجهودي في خدمة قضية وطني . . وكان قد كتب قبل ذلك على صفحات جريدة الأهرام الصادرة بتاريخ ١٩٤٦/١٠/١٥ منوها بنشاطي . . وسعة اتصالاتي خدمة وسعيا لاستقلال ليبيا .

وفي نفس الوقت الذي كان مؤتمر الصلح يعقد جلساته بباريس . . اجتمع وزراء خارجية الدول الأربع الكبرى . . روسيا . . بريطانيا . . فرنسا . . الولايات المتحدة . . بلندن . . للنظر في مصير المستعمرات الايطالية . . وقد أصدروا بيانا مشتركا بتاريخ ١٩٤٦/٩/٢٣ وفيه أجلوا البت في موضوع المستعمرات لمدة سنة كاملة . . كما أنهم طالبوا بسماع آراء بلاد أخرى مما يعنيها الأمر . . وقد نشرت الصحف هذه الأخبار . . وجاء في جريدة طرابلس الغرب بتاريخ ٧ من ذي القعدة ١٣٦٥ الموافق ٢ من اكتوبر ١٩٤٦م (الأربعاء) ما يلي تحت عنوان : موجز عن موقف الدول تجاه مصير ليبيا :

«قرر مؤتمر السلام في احدى جلساته الأخيرة تأجيل مسألة البت في مصير المستعمرات الايطالية لمدة سنة بعد مناقشات طويلة جرت في جلسات المؤتمر عبرت خلالها مختلف الدول عن آرائها تجاه مشكلة المستعمرات الايطالية» .

ورغبة في تنوير قرائنا عن آراء بعض الدول تجاه مصير ليبيا . . أحببنا أن نذكر موجزا عنها فيما يلي : أظهرت بريطانيا عطفها نحو سكان ليبيا بما جاء في خطاب وكيل خارجيتها المستر جلادوين جيب بمؤتمر الصلح حيث قال :«ان بريطانيا تقدر رغبة سكان ليبيا العرب في التمتع بالحكم الذاتي . . وأكد المستر جيب رغبة بريطانيا في عدم وقوع ليبيا من جديد في أحضان الاستعمار . . فقال في نهاية خطابه :«ان الذين فقدوا حياتهم في صحارى افريقيا لا يسمحون بأن تتكرر الحوادث التي اضطرتهم الى مثل هذه التضحية . . » . . وأما فرنسا فكانت تميل الى إناطة الوصاية بايطاليا على ليبيا وغيرها من مستعمراتها السابقة وقد أعرب عن ذلك في مؤتمر السلام وزيرها فيما وراء البحار المسيو (موتيه) حيث قال :«ان فرنسا كانت تود أن تنال ايطاليا الوصاية على مستعمراتها السابقة . . ولكن المؤتمر قرر عكس ذلك . . » وقد طالبت فرنسا أيضا بتعديل حدودها مع ليبيا . أما الصين . . فقد طالبت باعلان استقلال ليبيا في الحال . . أو وضعها تحت وصاية دقيقة محدودة . . تتولاها هيئة الأمم المتحدة . . على أن تتمتع ليبيا قريبا باستقلالها . . وقد أيدت دول كثيرة في مؤتمر الصلح اقتراح الصين هذا . . ولم تقطع روسيا بأي عهد على نفسها فيما يتعلق بمصير ليبيا في مجلس الصلح هذه المرة . . أما أمريكا فقد كانت من أنصار استقلال ليبيا . . اذ أيد مندوبها المستر (دن) بكل صراحة اقتراح المندوب الصيني بشأن استقلال ليبيا أو وضعها تحت الوصاية لمدة معينة . . وقال : ان الولايات المتحدة تؤيد استقلال ليبيا في أسرع وقت ممكن .

وقد طالبت كل من مصر والعراق بمنح ليبيا الاستقلال حالا أو وضعها تحت وصاية دولة من دول الجامعة العربية .

وهناك آراء أخرى لبعض الدول الصغيرة فيما يتعلق بمصير ليبيا .

الا أننا اذا ما درسنا الآراء المختلفة التي أوردناها للدول آنفا . . نستطيع أن نستنتج منها أن مصير ليبيا يتأرجح بين حلين رئيسيين :

الاستقلال مباشرة . . أو الاستقلال بعد وصاية دولية لمدة قصيرة . . ويظهر أنه من المؤكد أن نظام الوصاية لليبيا لا يكون لدولة معينة . . بل لمجموعة من الدول التي ستؤلف لجنة خاصة . . يعهد اليها بادارة البلاد . . والسير بها في طريق الاستقلال .

وعلى ضوء هذا كله يستطيع الشعب الليبي أن ينتظر باطمئنان وأمل مستقبل بلاده . . رئيس التحرير . .

وعلينا هنا . . أن نراعي أن صحيفة طرابلس الغرب تتبع الادارة البريطانية حتى يعي القارىء ما جاء في «الموجز» السابق . . كما أن المحرر سها عن الكلمة التي ألقاها مندوب الهند . . وقد كانت أفضل كلمة ترد على مندوب ايطاليا . . هنا أود أن أشير الى ظاهرتين تتعلق بالمؤتمر :

١ - البيان أو المذكرة المستفيضة التي قدمتها الكتلة الوطنية الحرة بطرابلس . . والتي أرسلتها الى المؤتمر . . والى عبد الرحمن عزام الامين العام لجامعة الدول العربية . . وقد شرحت المذكرة تطورات القضية الليبية . . منذ الحكم العثماني حتى نهاية الاحتلال الايطالي للبلاد . . والممارسات الايطالية ضد الشعب الليبي وحقوقه . . الى أن تقول المذكرة : «فبناء على ما ذكر في هذا التقرير . . فان ايطاليا كان هدفها الوحيد الذي ترمي اليه في الديار الليبية هو ابادة الشعب العربي بأكمله . . وأن يحل محله شعب ايطالي . . ولكن نحمد الله الذي خيب آمال ايطاليا وذلك بخروجها وطردها من هذه البلاد الليبية . . وبمناسبة بسط قضية ليبيا العادلة أمام مؤتمر الصلح الموقر المزمع عقده في باريس يوم ٢٩ يوليو الجاري من عام ١٩٤٦ . . تتقدم اليكم . . يا حضرات الأعضاء . . الكتلة الوطنية الحرة بالمطالب القومية الليبية معبرة عن رأي الشعب الليبي . . وتلك المطالب والرغبات تتلخص فيما يلي :

١ - الاعتراف باستقلال ليبيا التام الذي لا تشوبه شائبة .

٢ ـ الاعتراف بالوحدة الليبية . . كما كانت في عهد الامبراطورية العثمانية . . بحدودها الطبيعية .

٣ ـ انضمامها الى جامعة الدول العربية . . واعتبارها دولة عربية مستقلة . . وركنا من العروبة .

٤ ـ ترك الحرية التامة للشعب الليبي في اختيار شكل الحكومة الليبية الدستورية التي يريد انشاءها .

ان هذا الميثاق المحتوي على أربع مواد خليق بأن يطبق على شعب كريم . . برهن للعالم أجمع أنه جدير بالاستقلال التام . .

وانتهت المذكرة بخاتمة طويلة لا مجال لذكرها . . وبتاريخ ١٦ من يوليو ١٩٤٦ .

٢ ـ الظاهرة الثانية . . تركزت حول جهود ايطاليا في تلك الفترة . . وقد جسدتها قصة المدعو (جالمبرتي) الذي وصل من ايطاليا الى طرابلس عام ١٩٤٧ وقد أوفدته لطرابلس الوزارة الافريقية الاستعمارية الايطالية . . وسمحت له الادارة البريطانية بدخول البلاد . . وذلك بدعوى النظر في مصالح الرعايا الايطاليين . . وقد أبدى نشاطا كبيرا . . وحقق اتصالات واسعة بالفاشيين الايطاليين والمعمرين والخونة من العرب وقدامى الجنود الليبيين . . واتخذ له مقرا ثابتا بميدان الشهداء بعمارة سينما الحمراء . . كما كانت له علاقة بوزير ايطاليا المفوض في بيروت . . وقد اتصلت به عدة شخصيات من اللاهثين وراء مصالحهم والذين يبيعون ذممهم وضمائرهم مقابل النقود . . من أي مصدر . . وبأي مقابل حتى لو كان هذا المقابل الوطن نفسه . . أعرف مجموعة منهم بالاسم والرقم . . أقصد رقم المبلغ الذي قبضوه من (غالمبرتي) . . ولكنني أعفّ هنا عن تلطيخ الورق . . وقد وزع هذا الايطالي ملايين الليرات على هؤلاء الخونة . . وعندما خرج مشروع بيفن ـ سفورزا . . أو المؤامرة المشتركة بين وزير خارجية بريطانيا . . ووزير خارجية ايطاليا . . عندما خرج هذا المشروع . . ضاعف صاحبنا من توزيع مبالغه على أصحاب النفوس المريضة . . وبغير تحفظ أو

حساب . . وقد بلغ من خوفه من العناصر الوطنية . . وانتقام الشعب . . أنه صار يخشى المبيت في مقره . . وهنا تدخل أحد المريدين فتطوع بحمله كل مساء الى بيته بالغيران ليبيت هناك . . وقد نصب له بعض الوطنيين كمينا . . غير أنه أفلت منه بفضل هذا العميل العربي . . وقد هوجم مكتب (غالمبرتي) في مظاهرات الاحتجاج على مشروع بيفن ـ سفورزا . . الذي يعمل على عودة ايطاليا الى ليبيا . . ولولا تدخل الشرطة لحمايته لفتكت به الجماهير . . وانتهى الامر بانتحار (غالمبرتي) بالغاز . . بعد أن اشترى مزرعة لزوجته بتونس وقيل تفسيرا لانتحاره . . أنه وزع النقود بدون ايصالات . . ولما حاول استردادها أنكر البعض قبضها . .

كما كان الأسقف فاكينيتي قد افتتح سينما صيفية أسماها سيمس بشارع ميزران . . وفي حفل الافتتاح تعمد الأسقف القاء كلمة سياسية جملة وتفصيلا . . وكلها حضّ وتحريض على العمل لعودة ايطاليا . . وفي الليلة التالية . . عقدنا اجتماعا على سطح بيت محمود العربي (الذي كان دائب العمل لخدمة القضية) . . وفي الاجتماع قررنا تنظيم مظاهرة في الصباح . . وأذعنا الخبر في الأسواق والحارات ليلا . . وعكفنا على كتابة احتجاج . . صاغه عبد الرازق البشتي . . وفي الصباح اجتمع الشعب في جامع السنوسية كعادته . . وقبل الخروج للشارع . . جاء للجامع مدير الشؤون السياسية وغيره من المسؤولين الانجليز . . وطلبوا منا أن ننفض . . ووعدوا بدراسة الموضوع . . فقام عبد الرزاق البشتي وارتجل ما كتبه في الليل وساقه في أسلوب بليغ وحماس . . وبعدها وعدنا رسول الحاكم بأنه سيضع حدا للمشكلة . . وبذل البشتي جهدا خارقا في تفريق المجتمعين . . ولم أستطع التدخل خاصة وأنني الذي قدمته للمجتمعين خلال الليل . . وعند الاجتماع بالمسجد ولكن لم أهضم هذا الموقف المسالم من مستسلم ، ومع أول مناسبة أثرت الموضوع من جديد مما جعل الفاكينيتي يعتكف بكنيسته ستة أشهر كما سيأتي ذكره فيما بعد .

وهنا ترد مجموعة من «الوقائع المريرة التي كأنها تآلبت لتزيد من آلامنا وبالتالي من قسوة الظروف التي كنا قد عانينا منها الكثير . . ففي أعقاب

المصادمات مع القوات البريطانية كنا نجد العديد من الجرحى في صفوفنا . . وتستولي علينا الحيرة بالنسبة لهؤلاء الجرحى . . لأن جميع الاطباء الموجودين بالبلاد من الايطاليين . . والذهاب اليهم بجرحانا يفتح أبواب المزيد من المفارقات والمشاكل . . وهكذا لم أجد حلا لذلك سوى الكتابة للمؤتمر الثامن عشر للأطباء العرب الذي عقد بحلب في شهر أغسطس ١٩٤٦ رجوتهم أن يرسلوا لنا بعض الأطباء العرب . . وقد أحال المؤتمر طلبي للجامعة العربية . . ونشرت جريدة (برقة الجديدة) الصادرة في ١٩٤٦/١١/٣ الموضوع ولما لم يتحقق مطلبنا واصلت الكتابة للجامعة العربية وللجهات والسلطات العربية التي توسمت فيها الاختصاص . . ولعل الحاحي هو الذي جعل الجامعة تصدر منشورا برقم ١٣٨ بتاريخ ١٩٤٩/٨/٦ تعلن فيه الجامعة أنها تلقت مذكرات من عدة جهات بصدد حاجة ليبيا لأطباء عرب . . ومع ذلك أيضا فقد طال انتظارنا دونما نتيجة .

الخسارة وفق أبسط الحسابات

من الطبيعي أن يكون للوجود الاستعماري انعكاسات على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية أيضا . . وبالنسبة للأخيرة فان الاستعمار يعمل جاهدا دائما على أن يشق له طريقا بأي ثمن . . فهو لكي يشرخ الصفوف . . يلزمه شرخ النفوس وتشويهها وتحويلها الى مسوخ ودمى بين أكبر عدد ممكن . . وهؤلاء يطفون على سطح الحياة الاجتماعية أثناء التواجد الاستعماري ويبقون على سطحها طالما بقي للاستعمار وجود أو أثر أو دور . . يلهثون تقليدا وزيفا ورياء . . وتعاملا مع المستعمر وبمعنى أصح ومباشر . . تحقيقا لمطامعه وأغراضه بأي شكل وبأي ثمن . . والثمن دائما على حساب أبناء وطنهم ونيلا من تاريخ وكفاح شعبهم . . من هنا فان الاستعمار كوجود تترتب عليه عملية استقطاب جادة وحادة معا . . فتتوالد المقاومة . . بما تبلوره من شخصيات صلبة . . واعية . . متماسكة . . ترفع المبادىء والقيم الى مستوى أعلى من الحياة فتضحي بالحياة في سبيل الحرية والوطن . . فضلا عن التضحية بمختلف المصالح والعوارض المادية الأخرى .

كما تتوالد العمالة أيضا . . تتشكل كظاهرة عبر مجموعة أو بضعة أفراد من الانتهازيين ضيّقي الأفق . . مختلّي الشخصية . . عديمي القيم والمثل . . يزين لهم خيالهم المريض العمالة للمستعمر . . فيندفعون على طريقه مضحين بالأساس . . من أجل الفرعي والثابت من أجل المتغير والآجل في سبيل العاجل وبالدائم في سبيل المؤقت وبالجوهر من أجل العرض . . وهكذا تبدو الخسارة بكافة الحسابات والمقاييس . .

ولا أريد هنا أن أطيل تعميما أو تجريدا . . فأسرع بالنقلة الى الواقع العملي . . لأنبه بداية الى أن رصيدنا من هذه الشراذم على مستوى الوطن . . وبحمد الله كان ضئيلا . . فقد تعامل البعض مع الطليان والانجليز ولكنهم بقوا قلة . . ندرة مكشوفة للجميع . . ولا تلقى أي احترام خارج دائرتها الضيقة . . وقد عرف الناس تعويضا عن هذه العناصر التي اخترقها المستعمرون . . عرفوا عناصر جسدت ما هو أبعد من المقاومة . . جسدت التحدي كما صمد آخرون للمغريات والمحاولات الاستعمارية . . وأنقل هنا نموذجا لهؤلاء . . وأولئك . . يقرب هذه المعاني والاشارات السابقة . . وذلك في أضيق وأسرع اطار . . فالمجال هنا يمكن أن يتسع لمجلد كامل . . خاصة وأنني عايشت الفريقين وعبر أصدق وأقوى محك عملي عبر التجربة وحدها والتي اتسعت بوثقتها دائما لتفرز نتائج يقينية أطمئن اليها . . وترتكز طمأنينتي الى أوسع قواعد الرأي العام . . فالشعوب هي التي تصنع التاريخ لأنها هي في النهاية التي تصدر الأحكام .

(النموذج الأول شخصية من الجنوب الحبيب . . من فزان . . حيث القاعدة سليمة سوية . . تتمسك بالقيم العربية الاسلامية الحقيقية وتعيش أسمى مثل الحياة واقعا يوميا . . فيكفي تدليلا على أصالتهم في الجنوب . . أن أي طرابلسي أو عربي أو حتى أجنبي يقيم في طرابلس . . كان اذا ما أراد أن يسلم ماله أو تجارته أو بيته أو عرضه لمن يحفظه . . فانه يختار لذلك جنوبيا . . واحدا من أبناء الجنوب . . قاعدة عامة . . أو قل عرفا يحترمه ويعرفه الجميع . . منظومة رائعة تشرف الانسانية قاطبة . . بلورها ابن الجنوب مواقف ايجابية لصالح الخير

والحق والجمال . . اذا عاهد أوفى . . واذا قال صدق . . واذا قال عمل أيضا . .
باختصار جاءت فرنسا الى الجنوب . . دخلها جيش ديجول الفرنسي رمزا للحلفاء . . وحاول بداهة أن يمارس الدور التقليدي للوجود الاستعماري الغريب . . بدأ في محاولة ترويض قاسية اعتمد فيها الفرنسيون الترغيب والتعذيب أيضا واستمات الاستعمار الفرنسي في محاولاته . . بحث عن نقاط الضعف لينفذ منها . . ومع ذلك فقد عز عليه أن يجد أو يستميل غير ندرة قليلة عمد لدفعها للمقدمة . . بعد تضليلها . . وخلط الحقائق عليها . . وللحقيقة فقد حاول غيري معي اسداء النصح لهذه الشرذمة . . والسعي وراء احراجها من حظيرة الفرنسيين . . والغريب أن فرنسا عمدت الى أسلوب مكشوف في تجنيدها لهم . . فكانت لا تتركهم بمفردهم بل تحرص دائما على أن يصحبهم مبعوث فرنسي أو مرافق أو مستشار من الجزائر . . يحضر هذا المستشار كل حركاتهم وسكناتهم واتصالاتهم . . ولعل الطريف أيضا أو المرير أنه في الحالات الاستثنائية التي يغيب فيها المستشار أو المرافق ونختلي بهم ونبدأ في الشرح والتفسير وفضح أبعاد اللعبة الاستعمارية . . والمؤامرة الخطيرة التي تستهدف تمزيق الوطن . . كنا نقضي أكثر من ساعة في الكلام . . وهم يحملقون صامتين أو يتشاغلون مع حبات المسبحة . . وقد تعددت اللقاءات مع احدى هذه الشخصيات . . في شارع بالخير بالتحديد . . حيث كان ينزل . . وقد جاء مبرر التركيز على الاتصال به . . نتيجة لأن فرنسا تبت خطتها على الدفع بهذه الشخصية لتنفيذ ما تطمح اليه من مؤامرة على وحدة البلاد . . أما ما أسفرت عنه لقاءاتنا به . . فقد تلخص في عبارة واحدة . . وحيدة نطقها . . وكررها ولم يقل غيرها . . وهي عبارة : «يكون خير ان شاء الله» . . وبسرعة حلت هذه العبارة مكان اسمه الحقيقي فأطلقنا عليه بالاجماع وبدون اتفاق بيننا اسم يكون خير ان شاء الله . . وان بقيت ثمة تكملة للقصة . . فهي أن فرنسا علمت باتصالاتنا به . . فسحبته وألقت شباكها على شخص جديد وكأن الاسم الجديد له قد أزعجها . . خاصة وأنه ينتهي بالخير . . وفرنسا تدرك أن ما تخطط له ليس من الخير في شيء . . بل على النقيض . . ولعلّها كانت صادقة في حدسها . . اذ حدث أن استمر اللقاء في البيت الذي ينزل به في شارع بالخير . . وقد جمعتنا مرة فرصة لقاء على انفراد فتحدث بلباقة

مذهلة وكشف لي عن وعي كامل بما يضمره الاستعمار للبلاد من شرور ترتكز على جملة أسس أقواها وأولها تفتيت وحدة البلاد . . وقد استدعته فرنسا للجنوب[١] . وعندما حان موعد الاستفتاء جاءت بغيره ولم يبق هذا الثاني طويلا . . وفي النهاية أتت فرنسا بأحمد سيف النصر بعد أن توسمت امكانية تأثير عامل السن عليه . . فقد كان متقدما في العمر . . وجهدت فرنسا في احاطته بمظاهر زائفة . . والادعاء بأنها مستلزمات الولاة . . ولكنه رفض حتى هذا الشكل البراق وأصر على مواصلة أسلوب حياته العادي والبسيط . . فتهرب من الرسميات ووصف الوجوه الفرنسية المحيطة به بأنها «وجوه كفرة» . . وحدث أن أخذته فرنسا مرة الى تونس في طائرة خاصة لعلاج عينيه هناك . . وعند نزوله من الطائرة أصر على حمل جوال صغير . . وضع به حاجياته . . ولما أطل برأسه من باب الطائرة عزفت الموسيقى تحية له . . فما كان منه الا أن تراجع للخلف حتى انتهى العزف . . وتباعدت الفرقة الموسيقية . . وبالجملة فقد امتد رفضه للشكل متمثلا في الهالة التي حاولت أن تخدعه بها فرنسا . . الى المضمون نفسه . . وبوضوح وصراحة . . فعندما استدعته لجنة التحقيق لمناقشته والحصول على افادته . . قال انهم في فزان يودون وصاية دولة مسلمة . . واذا تعذر ذلك فنحن نود وصاية الجامعة العربية . . فقيل له واذا تعذر ذلك أيضا . . ففهم المقصود فأعلنها مباشرة . . اذا كان لا مفر من كافر . . ها هي فرنسا موجودة ، وعندما توفى أحمد[٢] سيف النصر رحمه الله . . تولى خلفه شقيقه عمر سيف النصر . . وهو مثقف ثقافة فطرية دينية وعالم بمجريات الأمور وأبعاد اللعبة الاستعمارية . . سواء منها الجوانب المعلنة أو تلك المستترة خلف الكواليس . . وقد اتسم الوالي (عمر) بالصراحة مع أصدقائه . . والمعرفة لما يجري داخل القصور والدواوين . . ظل يتحدث بلغة البدو . . واتصف بأنه واقعي جدا أيضا . . فلم يدّع القدرة على الاصلاح أو امكانية السير فيه تحت الظروف الموجودة . . فالاستعمار في رأيه عدو

---

(١) ـ وهو محمد صوفو .
(٢) ـ وعندما سئل سيف النصر من قبل لجنة التحقيق عن علاقته بالسنوسية رد قائلا : إنّ كل قطرة من دم تجري في عروقي حتماً سنوسية .

أي اصلاح وليس عداؤه سلبيا ولكنه عداء فعّال . . فهو يعمل جاهدا من أجل منع أي اصلاح مهما بدا تافها أو هينا . . في مقابل هذا النموذج يأتي أبو العصا وله اسم شهرة آخر يعرف به أكثر . . أكتفى به دونا عن صاحبه الحقيقي الذي تحرك بنشاط مدعيا الوطنية في الظاهر . . ولكن المصلحة الذاتية هي التي حكمت حركته من البداية وحتى النهاية . . وجد له زميلا يحمل نفس الاسم الحقيقي . . ويؤكد كلامه بضرب الأرض بالعصا . . وراح الاثنان يدعوان ويزكيان ملكية أو امارة (ادريس) للبلاد . . وتحت ستار هذه الدعوة تحولا الى منشار حاد «طالع ياكل . . نازل ياكل . . » كما نقول بالعامية . . أما ذاتية الحركة ومصلحيتها . . فقد تمثلت في نقل البضائع من برقة الى طرابلس في قدومه والعودة من طرابلس الى برقة ببضائع . . وجمع الأرباح مضاعفة لأن السلع المتاجر فيها هي من النوعيات غير المسموح بها في معظم الحالات . . فاذا عرفنا أن التجارة او الحدود بين برقة وطرابلس كانت مغلقة في وجه التجـارة ، فانها بالنسبة له مفتوحة . . فضلا عن حاسته التجارية النفاذة . . فالبضائع المنقولة لبرقة هي غالبا من تلك المهربة من تونس والمنقولة الى طرابلس . . هي أيضا تلك التي تتسرب من مصر . . وهكذا . . تجارة على المكشوف . . تحت ستار السياسة . . فالتوصية جاهزة لكل البوابات المقفولة . . وطبعا فان الأرباح الطائلة أغرته بالتمادي في تأييد ادريس . . فصار يذكره (بالسيد الأمير) في خشوع واجلال . . بل وأخذ يشبهه بعمر بن الخطاب في العدل والنزاهة و . . .

وعن الحلفاء ... جاءت المتناقضات ..

اذا كانت الحرب العالمية الثانية ونتائجها قد هزت الكرة الأرضية . . وما عليها بعنف . . فان حساسية الأوضاع في بعض مناطق الكرة جعلت الاهتزازات أعنف والأصداء أقوى وأشد . . وواحدة من هذه المناطق الحساسة ليبيا . . حيث شهدت صحراؤنا أعنف المعارك . . ودفع الشعب أغلى التضحيات التي امتدت من الأرواح والدماء . . الى كل شيء آخر فوق أرضنا . . ومع ذلك كله قبلنا راضين . . ما دامت نهاية الظلام والظلم معروفة . . وقويت أرصدة

الأمل في النفوس فعدونا هو عدو الانسانية قاطبة وهزيمته تعني انتصار الحياة وانتصار وخلاص الوطن . .

ولكن أحيانا تبدو أسهل التصورات . . هي أعقدها على الاطلاق . . فمنذ عام ١٩٤٣ ومع نهاية الحرب العالمية الثانية فوق أرضنا . . اذا بنا ندخل دوامة جديدة عاتية . . فقد أصبح مصير قضيتنا معلقا بقرارات هيئة الامم المتحدة . . والحلفاء . . وعن الحلفاء صدرت المتناقضات الغريبة بشأن مستقبل ليبيا والمستعمرات عامة . . وهكذا ظللنا طوال خمس سنوات . . هي الفترة الممتدة من ١٩٤٣ الى ١٩٤٨ تتجاذبنا الآمال والاحباطات ويتوزعنا التفاؤل واليأس . . وتتجاذبنا هذه الاطراف أحيانا بصفة يومية وأحيانا بصفة أسبوعية أو شهرية . . تبعا للتصريحات والبيانات الصادرة عن الدول الكبرى والأنباء الواردة من المحافل الدولية . . ورغم تناقض البيانات والتصريحات والأخبار . . الا أنها كانت غزيرة ووفيرة لحد يثير الاستغراب . . أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

ـ في اكتوبر ١٩٤٤ . . فوجىء الجميع بحكومة روزفلت تعلن اعتراف الولايات المتحدة بالحكومة الايطالية . . وفي نفس الوقت الذي لم يكن روزفلت يعترف فيه بحكومة فرنسا حليفته . .

ـ اختص الحلفاء ايطاليا ، وهي عدوتهم ، بمعاملة طيبة . . تفوق كثيرا معاملتهم لدول صديقة . . وحليفة لهم . .

ـ أعلن مسؤول بوزارة الخارجية البريطانية ـ بكل بساطة ـ أن الممتلكات الايطالية لن تعود الى ايطاليا (وقد نشرت ذلك مفصلا مجلة الثقافة العدد ٣٠٣ الصادر بتاريخ ١٧ من اكتوبر ١٩٤٤) .

ـ صرحت الدوائر الديبلوماسية بالعاصمة الامريكية (واشنطن) . . أنه من المعتقد في مؤتمر السلم النهائي . . أن يجري ترك أغلب المستعمرات لايطاليا . .

ـ صرحّ ايدن (وزير الخارجية البريطاني) يوم ٣ من اكتوبر ١٩٤٣ : أن الحكومة البريطانية تعارض استرجاع ايطاليا لمستعمراتها . .

- زار المستر (تشرشل) رئيس الوزراء البريطاني . . روما في شهر أغسطس من نفس العام . . ووجه كلمة للشعب الايطالي تفيض عطفا ورعاية كما أذيع عنه أنه من دعاة الرفق بايطاليا .

- أعاد ايدن في سنة ١٩٤٤ ما سبق أن أعلنه في عام ١٩٤٣ عند وجوده بالقاهرة وهو أن ايطاليا لن تعود لبرقة . . وسكت عن طرابلس . .

- الحلفاء يزودون ايطاليا بالسلاح بحجة الدفاع عن الحريات . . وأخذت ايطاليا في جمع فلول جيشها المهزوم . . بدعوى القتال ضد حليفتها ألمانيا .

- في مؤتمر الأقطاب الثلاثة المعقود ببوتسدام . . أعلن الثلاثة الكبار أن مصير المستعمرات الايطالية سيبث فيه عند تقرير خطة الصلح مع وزراء خارجية الدول الخمس الكبرى . . وقد تردد في هذا المؤتمر نفسه الكلام عن المادة ٧٧ من ميثاق سان فرانسيسكو وهذه المادة خاصة بالوصاية الجماعية .

- في ٨ من مارس ١٩٤٥ خرج نائب بريطاني يطالب بوضع اليد على المستعمرات الايطالية بالبحر الابيض المتوسط ويبين أهمية هذه المستعمرات من الوجهة العسكرية لبريطانيا .

- في يوم ١٩٤٥/١/١١ صرح مسؤول ايطالي بقرب اذاعة بيان صادر عن الحلفاء باعتبار ايطاليا دولة حليفة .

- في ١٩٤٥/٥/٣١ أذاعت وكالات الأنباء ان حكومة (لندن) لا يمكنها أن تقول رأيها في مصير المستعمرات الايطالية .

- أثناء انعقاد اجتماع وزراء الخارجية الكبار بلندن في ١٩٤٥/٩/١٢ . . تقرر التمهل في نظر ومناقشة قضية المستعمرات .

- صرح وزير الخارجية الفرنسي في نفس الاجتماع السابق أن ايطاليا ستفقد كل مستعمراتها ما عدا طرابلس . . .

- قبل التصريح السابق بيومين اثنين فقط . . وفي نفس مؤتمر وزراء الخارجية الكبار أعلن مسؤول بريطاني أن موضوع المستعمرات لن يناقش في المؤتمر .

ـ عاد تشرشل من الولايات المتحدة ليعلن أنه تم وضع خطط للنهوض بايطاليا اقتصاديا وسياسيا وفي أقرب فرصة . . كما عادت فرنسا للتصريح على لسان أحد مسؤوليها بأن ايطاليا ستفقد جميع مستعمراتها .

ـ خرجت الصحف في يوم ١٩٤٧/٤/٢٤ تحمل خبرا بارزا مفاده أن وزير خارجية ايطاليا اجتمع بسفرائه في لندن وباريس وواشنطن وتباحثوا معا بصدد المستعمرات الايطالية وطريقة ادارة ايطاليا لهذه المستعمرات مستقبلا .

ـ أعلنت أمريكا عن ضرورة مساعدة ايطاليا خصوصا في موضوع استرجاع المستعمرات التي استولت عليها قبل الفاشيست .

ـ في أبريل ١٩٤٧ تمثلت مفاجأة غير متوقعة عندما رفع (دي جاسبري) صوته معلنا لمندوب وكالة (يونايتد برس) . . أن في مقدور ايطاليا أن تدير مستعمراتها بنفسها مع منح الأهالي حرية أكثر . . والتبرؤ من العهد الفاشيستي البائد . .

ـ حتى في داخل البلاد . . خرجت جريدة (الشعب) بتاريخ ٢٥ من ديسمبر ١٩٤٨ تنقل على لسان رئيس الديوان الأميري ، وهو رئيس وفد برقة لاجتماع هيئة الأمم في باريس[١] ، عبارة لها مغزاها الخطير . . اذ يقول صاحبنا وهو انفصالي مكشوف : «انه يرحب بالوصاية البريطانية وأن رئيس الوفد البريطاني أخبره بأن بريطانيا لا تقبل الوصاية على عموم ليبيا . . لأن طرابلس ستكون تحت وصاية ايطاليا وهذا بحسب كلام رئيس الوفد البريطاني . . وقد أفاضت صحيفة الشعب في شرح ذلك بتاريخ ١٩٤٨/١٢/٢٥ .

واذا كنت قد أطلت في هذه النقطة بعض الشيء محرصا على اظهار جو البلبلة السائد على أوسع نطاق . . خاصة وقد تشابكت عدة ظواهر أخرى . .

---

(١) ـ اجتمعت هيئة الأمم بباريس للنظر في المستعمرات وتقدمت ليبيا بثلاثة وفود وفد السعداوي عن طرابلس . ووفد عمر الكيخيا عن برقة ووفد ثالث عن فزان .
نشرت جريدة الشعب بتاريخ ١٩٤٨/١٢/٢٥ ملخصا عما دار بين الكواليس وعلى خشبة المسرح .

تكثيفا لهذا الجو القاتم فمثلا . . وبعد نهاية الحرب ومع مطلع عام ١٩٤٦ اذا باذاعة روما تعود لبث برامجها العربية عبر عدد من عملائها القدامى ويجري الحديث على المكشوف وكأن شيئا أو تغييرا لم يحدث في الموقف . . وتنساب من ثم آيات المديح والثناء القديمة على الادارة الايطالية وتدور المقارنات تفضيلا لايطاليا في حكم ليبيا عن غيرها . . ويصل التردي إلى حضيض الهاوية فينهال المديح لايطاليا . . والشكر لها على مساعدتها لليبيا وللشعب الليبي (هكذا . .) . . وقد طالت فترات البث الاذاعي واستغلها المذيع الليبي المارق . . ليخاطب أخاه ودونما خجل أو حياء . . فيزيف التاريخ ومعه أبسط الحقائق والوقائع . . ادعاء بأن ايطاليا أصلح لنا وأنفع من بريطانيا ويتمادى هذا المارق فيسجل لايطاليا مزايا وحسنات لا يمكن لايطاليا أن تدعيها لنفسها . . هذا فضلا عن السخرية من طالبي الاستقلال والمجاهدين على طريقه والشهداء في سبيله . . في محاولة محمومة للايهام بأن ليبيا لا تملك مقومات الاستقلال ولا تتوافر فيها شروطه وأنه لا يمكنها الوقوف على قدميها بدون مساعدة ايطاليا ومساندتها . . والأبشع من ذلك أن التردي وصل الى منتهاه عندما حاول هذا المارق التشكيك في امكانية المحافظة على الاستقلال . . زاعما أننا لا نمتلك القدرة على حمايته . . ومروجا بأنه ليس لنا من السلاح الا فوهات النخيل وليس لنا من الدبابات غير الابل . . الى غير ذلك من دعاوى ومزاعم لم يكن لها من هدف غير خدمة الاستعمار الايطالي واثارة البلبلة والشكوك بين النفوس .

كما نشطت جريدة صوت افريقيا والتي كان يديرها بروساسكا وزير المستعمرات الايطالي . . نشطت في نشر مقالات طويلة بالمعنى السابق . . وبتوقيع عدد آخر من العملاء كما تزايد تردد قطاع آخر من ضعاف النفوس على روما تحت حجج مختلفة ولكنها مفضوحة أيضا وكانوا يعودون محملين بمبالغ طائلة من النقود وبالبضائع . . وليس من قبيل المصادفة أن يعود في هذه الظروف بالذات للبلاد العملاء العرب المنسحبون مع الجيوش الايطالية وفي مقدمتهم مذيعو (صوت عرب روما) . .

على أي حال . . لقد جاءت المفارقات المرة من كل حدب وصوب من داخل أروقة الأمم المتحدة نفسها ومن خارجها على قدم المساواة :

- في ١٩٤٨/١٢/٢٥ . . عقدت احدى جلسات هيئة الأمم المتحدة بباريس . . وذهب الوفد الليبي برئاسة السعداوي . . فاذا بالوفد يجد الجو غير مناسب لاثارة القضية . . لأن بحثها في الظروف السائدة آنذاك بباريس معناه تجزئة البلاد نهائيا . . حيث تجري المناورات لتقديم قضية برقة وفزان وتأجيل قضية طرابلس لمدة عام . والمسبب في هذا هو مناورات وفد برقة برئاسة رئيس الديوان الاميري .

- وفي اليوم التالي مباشرة . . نقل مراسل صحيفة (نيويورك تايمز) بباريس أن فرنسا تعمل على عدم انتشار عدوى التحرر في الشرق . . ولذلك فهي في سبيل اعادة ليبيا الى السيطرة الايطالية لتقف سدا في وجه الدعاوى التحررية . . وكان بالفعل قد بدأ الغزل في هذا الاتجاه قبل ذلك بأيام قليلة . . ومباشرة . . فقد أذاع راديو روما بياناً لسفورزا وزير الخارجية الايطالي يوم ١٩٤٨/١٢/٢٣ يزعم فيه بأن ايطاليا بذلت الكثير في سبيل رفع مستوى مستعمراتها وأن حكومته على استعداد لاعطاء مواقع استراتيجية في هذه المستعمرات للحلفاء الغربيين . . وقبل ذلك بيوم واحد فقط . . وفي نفس الاتجاه الغزلي . . نشرت جريدة (التايمز) مقالا افتتاحيا تدعي فيه أن ايطاليا أولى بالوصاية على ليبيا . . حيث دلت التجارب في الماضي أنها أقدر على تعمير الصحارى من غيرها .

وجاءت الصورة الأخطر . . في الساعة الثانية ظهرا من يوم السبت ٢٣ من يناير ١٩٤٩ . . عندما أذاعت محطة روما نتائج انتخابات المجلس البلدي بطرابلس . . وعقبت الاذاعة أن الفائزين هم ثلاثة من الايطاليين ويهوديان وستة من العرب الموالين لايطاليا . . وفي نفس التعقيب أن هيئة الحزب الديمقراطي المسيحي بروما . . قد أبرقت للهيئة التمثيلية الايطالية بطرابلس تهنئها بهذا الفوز الساحق لصالح ايطاليا . . وأرجعت الفضل في ذلك لمجهود الهيئة التمثيلية وتخطيطها . . وقد كان ذلك في مجمله صحيحا اذ لم يعبأ العرب بهذه

الانتخابات . . رغم تنبيهي لهم وكتاباتي المتعددة عن أهمية هذه الانتخابات وضرورة استعدادنا لها والدفع بعناصر وطنية للترشيح وقد جاء الخبر وما وراءه تأكيدا لأقوال سفورزا في مجلس الشيوخ الايطالي ومزاعمه بأن ايطاليا قادرة على كسب أي انتخاب أو استفتاء يجري في ليبيا . .

وبجانب ما نقلته عن السخاء الايطالي في بذل الأموال وتوزيعها . . وتحريك العملاء . . فان الجهود الايطالية ذهبت الى مرام أبعد . . ففي مستهل عام ١٩٤٦ اتسع نطاق التسلل الايطالي الى ليبيا وبدأت أفواج من الايطاليين تتوافد الى البلاد بطرق غير شرعية تحت سمع وبصر السلطة العسكرية البريطانية المتواطئة ولم يقف هذا التواطؤ أيضا عند حد . . اذ عززته اجراءات وتشريعات متنوعة منها :

- اطلاق حرية التجارة لبرقة . . وتقييدها بالنسبة لطرابلس .
- تغيير العملة بطرابلس حيث سحبت الليرة الايطالية واستبدلت بعملة عسكرية هي (المال) وأما ببرقة فقد أطلق الانجليز حرية التعامل بالعملة المصرية .
- السماح للوفود الايطالية بالتوجه لمؤتمري وزراء الخارجية المعقود بلندن في سبتمبر ١٩٤٥ ثم بباريس في أبريل ١٩٤٦ للنظر في مصير المستعمرات واعطاء الوفود الايطالية الفرص للتعبير عن مطالبها باعادة ايطاليا الى المستعمرات القديمة . . والسابقة على العهد الفاشي . وبالطبع فالمقصود هنا هو ليبيا .

- وفد برقة في لندن وتوجيهه للتركيز على مهمة واحدة هي استقلال برقة . . والمفهوم من هذا طبيعي بعد ذلك . . وهو أن تبقى طرابلس لايطاليا . . وقد كشفت السفارة الايطالية في لندن هذه الأوراق عندما أعلنت يوم ١٩٤٧/١٠/٣١ نواياها وأطماعها في العودة لمستعمراتها القديمة .

- افتتاح سينما (سيمس) بشارع ميزران والقاء الأسقف فاكينتي كلمة ترتكز على عودة ايطاليا لحكم البلاد . . وقد ساهم الشباب الايطالي في معظم هذه الأعمال .

وأود أن أنبه الى أن ما قدمته هنا هو قليل من كثير والنتاج الطبيعي لهذا الركام الهائل من المتناقضات هو الحيرة والارتباك اللذان عما على أوسع نطاق . . ولفا الجميع فكنا نبني موقفا اثر تصريح أو خبر . . ثم يتغير الاتجاه الدولي فنسرع نحن في محاولة لمواجهة الوضع الجديد . . وهكذا . . فمثلا اذا صدر بيان عن عدم عودة المستعمرات لايطاليا . . دفعنا شعارات الاستقلال التام الناجز . . وعندما يتذبذب الوضع الدولي . . وتعود موجة التعاطف مع ايطاليا . . نضطر الى البحث عن صيغة نواجه بها الموقف الدولي المتغير . . كأن تتحول الى طلب وحماية الجامعة العربية أو الهيئة الأممية . . أو حتى وصاية بريطانيا . . كما طلبنا وصاية مصر . . وتارة نعلن تمسكنا بالمادة ٧٧ التي يتمسك بها الاتحاد السوفييتي . . ولكن . . وتسجيلا لحقيقة أوضح من أن يطولها بحث أو نقاش . . انه في كل الحالات . . ودائما . . لم نطرح قضية وحدة ليبيا لقول أو نظر . . وكل طلباتنا من استقلال أو وصاية تشمل ليبيا بحدودها الطبيعية . . وقد امتدت هذه البلبلة بنسبة تفوقنا . . الى الجالية الايطالية . . فكنا نقرأ على وجوه أبناء هذه الجالية في الصباح . . ما استجد من أخبار أو تصريحات في الليل . . وخضع سلوكهم تماما لهذه المتناقضات . . حتى انه كان اذا صدر تصريح يستبعد عودة حكومتهم يسرعون الى زيارتي في نفس اليوم وبأعداد كبيرة . . فرادى . . وجماعات . . واذا حدث العكس . . وجاء ما يفيد احتمال عودة ايطاليا . . تباعدوا وبدأوا العمل والنشاط في الخفاء . . وعلى نفس الوتيرة تجري سياسة الأسعار . . فترتفع أسعار العقارات والمزارع . . وتهبط وفقا لاحتمالات عودة ايطاليا من عدمها . . وتصل نسبة الارتفاع والانخفاض الى ٣٠٪ من اجمالي الأسعار وهي نسبة عالية جدا وقياسية اذا اعتبرنا سرعة تغيرها الذي لم يكن يصل الى ٢٤ ساعة في بعض الحالات . .

وهذه التقلبات المتوالية على المستوى الدولي . . بالنسبة لقضية البلاد الجوهرية . . استوجبت منا فضلا عن اليقظة الكاملة . . العمل النشط والسريع بالدرجة التي تتناسب مع التغييرات . . وهكذا كنا نجد أنفسنا مشتبكين . . وفي وقت واحد تقريبا . . في ارسال الاحتجاجات وتدبيج الشروح وابلاغ الشكر والتقدير للمتعاطفين معنا من وفود الدول . . وتنظيم المظاهرات وتوقيت المسيرات

وشرح خفايا وألغاز التقلبات . . وتدبير الردود وعمليات الانتقام في مواجهة الخونة والمتآمرين . . وقد دام العمل بمثل هذا الالحاح والتواصل على امتداد عشر سنوات كاملة . . واظبنا فيها على الالتقاء ببعضنا . . والاجتماع بصفة يومية . . وأحيانا كانت الأمور تستدعي الاجتماع أكثر من مرة خلال اليوم الواحد . . والعودة في نهاية النهار أو الليل لتدارس نتائج حركتنا . . أو اتصالاتنا . . وتغيير وتعديل خططنا وفق تطورات الأمور على أرض الواقع . . وحسب مواقف السلطة في المواجهة . . فاذا لجأت السلطة الى الارهاب معنا . . فاننا نحدد ردود فعلنا . . أما العنصر الفعال بيننا في أغلب أعمال الارهاب فكان صالح عمار بالطيف النائلي الذي كان يبعد المتطوعين عن الاجتماعات التي يمكن أن تتمخض عن استجابة فورية والقيام بعمليات ارهابية . . وكان التقليد المتبع أن أكون بعيدا عن اجتماعات المتطوعين . . وكثيرا ما عمل صالح مع آخرين لا يعرف الكثيرين منهم . . وكلهم حماس وتفان .

وسرت ظاهرة العمل والحركة بين التنظيمات والأحزاب والأفـراد . . والصبغة العامة للنشاط في ذلك الوقت . . انه كان ارتجاليا . . فلم يكن يجري وفق أي تخطيط أو برنامج . . بل يجيء دائما كرد فعل مباشر . . وأحيانا عشوائي على الاحداث . . الى حد أن فروع الأحزاب كانت تتصرف أحيانا دون أي تعليمات أو توجيهات من قياداتها وهذا يؤدي أحيانا الى بروز تصرفات متناقضة وردود فعل متضاربة في داخل الحزب الواحد . . كما تسابقت كل جماعة لاطلاق ما بدا لها من أسماء . . وان عملت جميعا في الحقل الوطني . . وحصرت جل اهتمامها في القضية الأساسية . . سواء في ذلك الأندية الرياضية أو الجمعيات الأدبية والدينية . . ولعل الشعار المشترك بين الجميع مع تفاوت طبيعي في النوايا والأهداف . . هو شعار الاستقلال . . والانضمام للجامعة العربية .

وأوشكت نيران الفتنة على الاشتعال

رغم تبادل الرسائل والمكاتبات . . والاطالة في الشروح والتدليلات على صفحات الورق . . رغم ذلك فان اللقاء يبدو أحيانا محتما . . أو السبيل الأوحد

لحسم الأمور وبلورة النتائج . . خاصة اذا ما توافرت نوايا الزيغ والمماطلة واسقاط بديهيات منطقية . . هكذا رأيت لزاما عليّ أن أتحرك الى برقة . . حيث لم تعد الرسائل أنسب الطرق لمواجهة ما يدور هنا . . وهناك من لغط غير صحي يعكس بوادر خطورته على مستقبل البلاد . . وينذر بالسقوط في وهده مؤامرة جديدة . . قد تكون أخطر المؤامرات الاستعمارية ضد الوطن . . ولعلها أخطر من الوجود الاستعماري نفسه . . فهذا الوجود يتكفل به أبناء الشعب من أقصى الشرق الى أقصى الغرب . . ولكن مؤامرة التفتيت وتجزئة الوطن الواحد . . يمكن أن يترتب عليها أخطر الاحتمالات وأبعدها عن دائرة المعقول والمقصور . . انها نار الفتنة الكبرى توشك أن تستعر . . والعمل على اطفائها في المهد والوقوف في طريق اشتعالها ومقاومة مشعليها هي ألح وأبسط الواجبات معا . . وهذا الكلام ينصب على ما كان يدور في برقة . . وبجانب ما كان يوجع القلب . . كان أيضا بها اشراقة الأمل والتفاؤل . . وأعني جمعية عمر المختار . . وعديدا من الشخصيات الوطنية الغيورة الواعية . . والى هؤلاء قررت السفر . . لعلنا نضع يدنا معا في حركة موفقة . . تنقل أنصار الوحدة الى مواقع أكثر تقدما . . وفي عام ١٩٤٥ و١٩٤٦ تعددت زياراتي لبرقة . . والقبول بكل ما تحفل به من مفارقات ومرارات . . واللقاء بشخصيات لا تهدف الى غير إضاعة الوقت . . في مماحكات واستفزازات . . ولكن ليس ثمة أهمية لجهد . . أو معاناة . . في سبيل تقريب وجهات النظر والوصول الى تكتيل تيار قوي في صف وحدة البلاد . . مواجهة لما يحاك في الظلام من شرور . . في مقر جمعية عمر المختار . . قابلت نفس التشجيع والمؤازرة . . والاستعداد للدفاع عن الوحدة . . والعمل دأبا من أجل اسقاط المؤامرة والتصدي لها . . كما اجتمعت بأعضاء جمعية تحمل اسم رابطة الشباب وكانت هذه الجمعية تصدر جريدة باسم صوت الشعب . . واجتمعت أيضا برئيس جريدة (الاستقلال) والصحيفتان تتبعان قيادة الانفصال . . وقابلني مرة واحدة عمر الكيخيا وفي المرات الأخرى اعتذر عن مقابلتي وأنا على باب بيته وتوالت اتصالاتي بعوض زاقوب وكان يصدر أو يرأس تحرير جريدة واجتمعت كثيرا بعبد ربه الغناي وكذلك منير البعباع وهذا الأخير كان رئيس مصلحة التموين (وبحسن نية وتشجيعا على اتصالاتي ببرقة) كان يعرض عليّ تصاريح نقل

بضائع . . خاصة البهارات . . ولكنني كنت أرفضها شاكرا على أساس أن زياراتي هي من أجل القضية الوطنية . . ويجب أن تبقى خالصة للقضية . . مجردة عن أي أهداف أخرى مهما كانت . . ومهما بدت الأرباح ضخمة وسهلة . . كما هي الحال بالنسبة للبهارات . . وقد استمرت زيارتي لبرقة عدة أيام . . وقمت بشرح ما يدور في طرابلس لمن قابلتهم . . وبينت للجميع . . من مختلف الاتجاهات ما يسود طرابلس من اصرار على تفويت واسقاط المؤامرة التي تستهدف الوحدة . . ومواجهتها بكل القوة . . ومهما كانت الصعوبات والتضحيات . . وقسوة الظروف . . وأخيرا عدت الى طرابلس بقناعة وحنين لتجديد محاولاتي السابقة للسفر الى مصر . . وتكثيف الاتصالات مع الزعامات الموجودة بها . . . وبينها ادريس الذي كان مقيما بها بدوره . . وكنت قد طلبت السماح لي بالسفر للخارج من السلطات في طرابلس . . وأعدت الطلب دون جدوى . . حتى طلب السفر للحج قوبل بالرفض . . ولم أتلق أي تفسير أو مبرر لهذا الرفض . . وهكذا تيقنت أن طلبي الجديد لا بد وأن يقابل نفس المصير . . فأنا لم أغير موقفي من السلطة . . ولا السلطة بالتالي يمكن أن تعدل موقفها مني . . وفي طريقة أخرى أو حيلة أخرى للسفر . . دار تفكيري وتفكير الاخوة حولي . . وهدانا التفكير الى الحصول على تأشيرة للسفر الى مصر . . من هنا كتبت رسالة لحسن الفقيه . . وجهتها للأمير مبديا رغبتي في السفر لمصر . . ورد عليّ الفقيه بأنه أوصل الرسالة للأمير وأنه من المستحسن حضوري لبرقة . . ومنها أحصل على تأشيرة وجواز سفر . . وقد حدث . . فسافرت الى برقة وهناك استخرجوا لي رخصة كمرافق للحيوانات المصدرة لمصر . . وجعلوا اسمي في الرخصة الهادي بن ابراهيم فقط . . دون اضافة بقية الاسم . . حتى لا يقع التعرف عليّ ومضايقتي من السلطات . . وكان بنفس الرخصة ١٣ بغلا . . ورغم ما عرفت من صعوبة الطريق . . فانني فرحت بالرخصة . . لما كنت أنتظر تحقيقه هناك من لقاءات . . واجابة على التساؤلات . . ووضع النقاط فوق الحروف لكثير من القضايا والموضوعات . . وكان معي مبلغ محدود من النقود . . فلما رأيت مدى تواضع الرحلة . . تركت مبلغا لدى أحدهم وطلبت منه تحوله باسمي الى القاهرة . . عن طريق البنك العربي واتجهت في الطريق الشاق الى مصر . .

وعند وصولي لدرنة استقبلني السيد عبد الهادي ستيتة وبوخطوة ومفتاح بزيو وغيرهم من الرفاق والأصدقاء . . وقد أعلمتهم بغايتي . . فسعوا لتدبير الأمور . . وتصادف في تلك الليلة نفسها . . ليلة وصولي أن أزمع بعض تجار درنة الانتقال الى كبوتشو في سيارة قديمة جدا متهالكة الى حد أنها لم تكن تسير لمسافة تزيد على كيلومترين متواصلين . . وقد جرى التندر على السيارة طيلة الطريق . . وعرفت أنهم ينوون تركها في الصحراء لحين عودتهم من مصر . . فإذا وجدوها عادوا بها . . والا فانهم لن يأسفوا في حالة عدم وجودها . . وسيدركون أن عمال (الربش) قد رفعوها حرصا على نظافة الصحراء . . وفي كبوتشو يوجد قطار يتوجه للاسكندرية . . وذلك بمعدل ثابت هو مرة واحدة أسبوعيا . . والطريف أنه عند وصولي جرى تغيير برنامج الرحلة . . فاذا بفترة الانتظار في كبوتشو تطول الى خمسة أيام . . وفيها تسلمت الحكومة المصرية سكة الحديد . . وهو خط حربي مده الانجليز خصيصا لنقل المؤن لقواتهم . . كان الوقت آنذاك خريفا . . أو بالتحديد أواخر الخريف . . أو نهاية شهر نوفمبر ١٩٤٦ حيث يشتد البرد في الصحراء مع حلول الليل . . ولم يكن معي أي غطاء . . وفي بيت من القش يستخدمه صاحبه كمقهى للشاي والقهوة . . جلسنا فيه . . ولم يغب عن بالي طوال الجلسة مشكلة المبيت . . خاصة وأن التعب نال من قوتي أعظم قسط . . واعتبرته من قبيل حسن الحظ . . عندما عرفت أن لصاحب المقهى عدة أكواخ مجاورة يستعملها في مبيت الحيوانات . . والناس . . وبمعنى أدق الحيوانات وأصحابها . . وحمدت الله على أن الرخصة التي في جيبي تؤكد أنني راعي غنم . . وبالفعل أسرعت من شدة التعب لألقي بنفسي في واحد من هذه الأكواخ . . لم يشغلني بحث عن رفاقي في الكوخ . . فالتعب لم يمهلني حتى لابدال ثيابي أو التفكير في فتح حقيبتي . . وبعد قسط من النوم . . بدأت أتكشف رفاقي في الكوخ . . اذ وقعت يدي على جسم بجانبي . . سرعان ما تبين لي أنه خروف . . كما صدرت أصوات أخرى تؤكد وجود فصائل أخرى . . أرقى من الغنم من ذوات الأربع . . هنا نهضت فزعا . . فمرور واحدة أو واحد من أصحاب هذه الأوزان الثقيلة يعني النهاية . . وتسببت محاولاتي في طردها . . ليقظة عدد من الموجودين . . بدأوا بدورهم في مساعدتي

على طرد البقر الموجود داخل الكوخ معنا . . وقد ظللت بعدها يقظا وقلقا . . فالكوخ بدون باب . . ومن ثم فان عودة المطرودين ممكنة في أي وقت . . والموت رغم أنه حق على الجميع . . الا أن حوافر البقر تضيف اليه قسوة ورهبة . . ولكن سبحان من قدر كل شيء حق قدره . . فقد اشتد البرد داخل الكوخ القشي . . حتى جعلني آسف على طردي زملائي من ذوات الأربع . . ممن أتاحت أنفاسهم قدرا من الدفء . . هو الذي مكنني بلا شك، من الاسترسال في النوم طوال الفترة السابقة على استيقاظي . . فلعل الله سبحانه وتعالى . . رحمة بي قد أرسل هذه الماشية لتبيت بجانبي . . فتتيح لي فرصة حيوية للنوم العميق . . ولسعني البرد . . فلجأت لمحاولة فتح احدى حقائبي في محاولة للبحث عن شيء . . أي شيء . . من الملابس . . وفي أثناء المحاولة استيقظ أحد النائمين بجوار الحقيبة . . وكان ملفوفا بالغطاء في صورة لا يكاد يظهر منه شيء . . استيقظ فجأة مذعورا . . فاضطررت لاشعال عود ثقاب . . هنا انتصب الرجل قائما . . وقرب وجهه من وجهي . . وسألني من أكون . . فذكرت له اسمي . . فاذا به يمد يده لي مصافحا ومرحبا . . وعرفني بنفسه . . عمر أبوخطوة . . وابنه يتردد على طرابلس أثناء الحرب . . ويتعامل معنا . . وينزل ضيفا علينا . . ذكرني بذلك كله . . وأسرع بتقديم عباءة ثقيلة يفترشها . . وساعدني في تحويلها الى فراش وغطاء لي . . ومرة أخرى استطعت أن أنام . . وفي الصباح دعاني لتناول الافطار معه . . وكان مكرونة بالصلصة على طريقة نابولي . . وقد أكلت بشهية غريبة . . ربما تسبب فيها شدة البرد وعدم تناولي لأي عشاء قبلها . . وجاء موعد الغذاء فقدمت أنا المكرونة . . وأيضا في العشاء . . وفي صباح اليوم التالي نفس الشيء . . المهم صار الأكل مكرونة في مكرونة طوال هذه المدة الطويلة . . وقد دفعني الضيق للشكوى لضابط الجمرك عبد الحميد زنوبة الذي ضحك ودعاني للغذاء في بيته . . حيث تناولنا وجبة شهية من الأرز . . سعدت بها كثيرا . . هذا بالنسبة للأكل . . أما المشرب فكان أمره أعجب . . فطوال الأيام الخمسة كان يجري تقديمه لنا في صفيحة . . وقد صبغت الحمرة لونه تماما . . وقد فسرت ذلك في البداية بأنه نتيجة صدأ الصفيحة . . ولكني في احدى الجولات بالقرب من الكوخ وجدت غدير ماء حمراء . . والناس تتهافت عليها جنبا الى جنب مع

الغنم . . وهذا الأخير أحسن حظا فهو يتعمق الى قلب الغدير في وقت يكتفي فيه الناس بالشرب من على حافته . . وملء الأوعية من تحت أرجل الغنم . . ولما لم أصدق عيني . . سألت الرجل الذي يملأ الأوعية . . فأكد أن ما يملؤه هو لشرب الناس . . وعندما عدت الى مقهى (الفندق) الذي أقيم به سألت صاحبه من أين يأتي لنا بالماء . . فأكد لي أنها من نفس المكان الذي رأيته . . وكأنه أدرك ما يجول بخاطري أو مدى (القرف) الذي اعتراني . . فلجأ الى تثبيته . . فخاطبني بالأسلوب المباشر . . أنت تشرب من نفس المكان منذ وصولك . . وحتى تغادرنا بأمان الله . . . » وندمت على سؤالي . . وعلى سماعي للاجابة المباشرة . . فقد تداعت له أمعائي . . ومع صباح اليوم الخامس . . بدأنا نرهف السمع لصوت القطار ونراقب عبر الجو شارته التقليدية من الدخان الكثيف . . وأخيرا بدت سحبه في السماء وعلت صفارته فأسرعنا لحقائبنا نرفعها من أماكنها التقليدية بالفندق .

تلك الأيام في كبوتسو

حفلت الأيام الخمسة في (كبوتسو) ـ على شدة ركودها ـ بتجارب ولمسات انسانية . . تصلح مادة لقلم أديب . . تطوي صفحات كتاب . . ففيها عايشت أناسا يعيشون البداوة والبساطة . . سلوكهم وتصرفاتهم تتسم بالتلقائية . . أو هي الفطرة في نقاوتها وصفائها . . أحلامهم صغيرة . . محدودة كمحدودية واقعهم . . الكلمة المجاملة تهزهم . . وتأسرهم . . والتحية العابرة تسعدهم . . حركتهم وأيضا نظراتهم تجعل الغريب العابر مثلي يؤمن أنهم هم الغرباء . . ويعزز سلوكهم هذا الانطباع . . جاء القطار ليجدنا متراصين في انتظاره . . وفوجئنا بأحد المحصلين الذين يبيعون التذاكر يطلب منا الابتعاد عن المحطة . . ورضخنا لطلبه . . وهنا اقترب منه أحد اخواننا البرقاويين . . ودار الهمس بينهما . . وبعد وقت طويل حان موعد تحرك القطار . . هنا جاء رسولنا وطلب منا أن ندخل عربة فارغة من تلك المخصصة للحيوانات وأن نتسرب اليها واحدا واحدا . . وفي هدوء وبسرية تامة . . ولم يكن ثمة اختيار أمامنا . . من

جديد . . فجلسنا على روث ومخلفات البهائم . . وعندما اكتمل عددنا داخل العربة جرى اقفالها علينا . . ولم يعد ثمة صلة بيننا وبين العالم الفسيح الممتد حولنا . . غير الصوت . . صوت واحد انحصر في عملية احتكاك عجلات القطار بالقضبان . . ايقاع رتيب . . يثير في النفس مشاعر الوحشة . . أو قل الغربة والوحدة . . ويفتح الباب أمام عملية تداعي للمعاني . . لا بد أن تنسج على نفس المنوال فتتوارد أشرطة الأزمات والمحن . . على مستوى الفرد . . فالأسرة . . فالوطن . . فالانسانية . . واذا وقع طارىء خارجي . . أو مؤثر جديد فانها تتوقف لتعود عبر تفاصيل أخرى . . أخيرا خفّت حدة احتكاك عجلات القطار بالقضبان . . وتغير الايقاع ليتوقف الشريط الذهني مفسحا المجال لاستنتاج طبيعي . . لقد اقتربت الرحلة من نهاية . . قد لا تكون نهاية الرحلة . . ولكنها لاشك نهايةمرحلة . . وبالفعل اختفى الصوت تماما وحلت محله محاولة لفتح الباب . . ولاح لأعيننا فانوس خافت الضوء . . وسحب منا الأوراق ثم قام بعدنا . . وبعد استفسار سريع عن متاعبنا ذهب الرجل . . لتعود أبواب العربة الى اللقاء في صوت صاخب . . ليبدأ الايقاع التقليدي في حياء . . ثم يطرد حتى يصل الى حده . . وأخيرا فهمت سر حشرنا في عربة الحيوان . . فعندما اقترب القطار من الاسكندرية . . وجاء الدور على تغيير موظفي القطار . . بدأ المحصل يصرف لنا تذاكر بالمسافة الباقية فقط . . محتفظا لنفسه وزملائه بالفروق . . وهي محترمة . . وقد فعل حامل الفانوس نفس الشيء . . مع الذين كانوا يحملون بضائع محظور دخولها . . أو تستحق تحصيل جمارك عليها . . فقد تقاضى منهم رشاوى . .

وجاءت المفارقة الأخرى طريفة . . عندما وصلت الاسكندرية لأتوجه الى فندق معروف هو (سيسيل) . . وطلبوا مني الأوراق الشخصية . . فأخرجت الترخيص فاذا بعيني موظف الفندق تدور بحثا عن الثلاثة عشر بغلا . . المثبتة بنفس الرخصة . . وأخفت تقاطيعه بوادر ابتسامة دهشة وهو يذكرني بأن ثمة خطأ . . ولكنني نفيت أن يكون هناك أي خطأ . . وزدت فطلبت علفا للبغال على سبيل الفكاهة . . ولم ينقذني من المأزق الا رخصة السيارة . . فقد اكتفوا

بتسجيلها . . ودخلت لآخذ قسطا يسيرا من الراحة قبل أن أواصل رحلتي للقاهرة . واستقرت عيناي طويلا . . ولست أدري لذلك سببا . . على يد موظف الاستقبال بالفندق وهي تخط التاريخ بأرقام بدت لي بارزة وضخمة ومقصودة أيضا ١٩٤٦/١٢/٢ . . أجريت بعض الاتصالات العاجلة بشخصيات ليبية تعيش في الاسكندرية . . وأراحني أنني وجدتهم جميعا في شوق لسماع أخبار الوطن وانهم يتابعون ما يجري فيه وكأنهم ما يزالون في قلبه . . ولم لا . . وكل واحد فيهم له أكثر من عزيز في مكان ما فيه . . وهم جميعا وان تعددت وجهات نظرهم فيما يجري أو ما ينتظر جريانه من أحداث لا يلبثون أن يعبروا عن أمنيتهم المشروعة في أن يهيء الله للوطن الخير . . وأن يحقق من الاختيارات المطروحة أفضلها لصالح ليبيا الحبيبة . . وكان من الممكن أن تطول وقفتي عند الاسكندرية ولقاءاتي ومناقشاتي مع الأخوة . . لولا أنني كنت أتعجل لقاء . . تصورته أساسيا . . وعلى جانب كبير من الأهمية والخطورة . . أعني اللقاء مع ادريس . . خاصة وانني كنت أحمل له أنباء وحقائق . . هنا لا يفوتني أن أؤكد وجهة نظري . . التي صدرت عنها تصرفاتي . . ازاء قضية امارة ادريس بالتحديد . . وقد بنيت وجهة نظري على اجتهاد ارتكز على أساس استقراء الواقع والوقائع معا . . وانتهى الى استنتاج واضح . . رسخ في قناعتي . . يتلخص في أن ادريس والانجليز يعتبران أفضل من الانجليز والطليان . . هذا ما تمخض عنه اجتهادي واستنتاجي . . وقد كرسه الانجليز في تصريحات رسمية وتلميحات عديدة . . وقد كررت هذا الاستنتاج أمام الجميع في طرابلس وفي غيرها ووافقني عليه الكثيرون . . المهم أنني وصلت القاهرة لأكتشف عدم وصول النقود التي تركتها في برقة . . بتوصية لتحويلها إليّ . . فعمدت للاتصال بالأمير حتى أحقق الهدف الذي جئت من أجله . . ذهبت اليه في مكتب السنوسية . . حيث قابلني (جريتوريكس) مدير مكتب السنوسي . . وأخبرته أنني جئت خصيصا من طرابلس لمقابلة محمد ادريس المهدي السنوسي . . ولعل اسم طرابلس قد دلّه على قصدي من المقابلة . . فطلب مني أن أعود في الغد . . وعدت ليحدد لي صباح اليوم التالي . . وعندما ذهبت في الصباح لم أجد الأمير . . وانتظرت دون جدوى . . فطلب مني أن أحضر في مساء اليوم التالي . . وتكررت المواعيد على

امتداد أسبوع كامل ولأنني اعتبرت اللقاء أمرا مفروغا منه . . ولا بد أن يتم . . فانني لم أعدل عن رغبتي أمام هذا التسويف . . وأخيرا عرفت أن (جريتوريكس) كان يتعمد ذلك تماما . . فاذا كان ادريس يصل للمكتب صباحا فانه يطلب مني العودة في المساء . . والعكس . . هنا أدركت أن سبيلي الوحيد للاتصال . . هو بيته في الزمالك . . بشارع أحمد حشمت . . وذهبت الى جزيرة الشاهي بحديقة الحيوان وتناولت غدائي ثم اتصلت هاتفيا ببيت ادريس . فرد عليّ ابراهيم الشلحي . . وشرحت له ما قابلته منذ أسبوع من (جريتوريكس) . . فاعتذر لي . . وطلب مني الحضور ولو في الحال . . فخرجت مباشرة الى بيت الأمير . . وقد طال لقائي به . . حيث قدمت له مستندات تحمل الأدلة والبيانات على أن برقة لن تستطيع أن تحافظ على استقلالها . . وأن تفرض لها كيانا فيها لو انفصلت عن بقية البلاد وأن مآلها الحتمى في هذه الحالة هو الاعتماد على الاستعمار . . والرضوخ له . . ومن ثم السقوط فريسة سهلة بين أنياب المستعمرين . . وقد تصفح ابراهيم الشلحي هذه الأوراق في احدى غرف البيت بحضوري . . ثم تكررت لقاءاتي بالادريس ومارست حرية مطلقة في المناقشة والتفنيد والتعليق . . وقبل سفري بيومين ذهبت الى بيت الأمير . . ومعي مذكرة تبلور محصلة ما تمخض عن الاجتماعات واللقاءات . . وقد طلب مني أن أقرأها . . فقرأتها الى أن وصلت الى عبارة تقول : «ان الشعب الليبي لا يرضى بتجزئة بلاده الى امارات كشرق الأردن» . . وكان الاستعمار في ذلك الوقت قد جعل من شرق الأردن مملكة ونصب عليها الملك عبد الله . . وعلق الادريس قائلا : «ولا نقبل ملكيتها الحالية» . . المهم خرجت من عنده الى الجامعة العربية . . ومعي نسخة من نفس المذكرة لتقديمها للجامعة . . وعندما ناولتها لعبد الرحمن عزام طلب مني قراءتها أولا . . وبعد الانتهاء من تلاوتها تنهد عزام . . وفاه ليبي يعمل بالجامعة بجملة تفيد أنه لا جدوى من المذكرة وأنها تعتبر منتهية بنهاية عملية التسليم والتسلم . . وسألني عزام اذا كنت سمعت . . فسكت . . وآثرت الصمت . . فزاد الليبي بأن المرض استفحل ولم يعد يجدي معه علاج . . وعندما اطّلع على المذكرة أبو القاسم الباروني والطاهر الزاوي . . قالا جملة لم أستطع أن أنساها . . فقد جعلتني أفكر

طويلا ومجددا في جوهر اجتهادي . . والنتائج التي توصلت اليها . . اذ قالا معا لي : «من أجل أوقية عسل . . أكلت قنطار حطب» . . وأن المذكرة يجب أن تكون بلهجة أخرى . . كما تكررت جلساتنا بالنادي الثقافي الطرابلسي أثناء اقامتي بالقاهرة . . وكان النادي يضم نخبة من المتحمسين . . الرافضين لامارة السنوسي . . وأشدهم تحمسا في هذا الاتجاه محمود البشتي رئيس النادي . . (١) وان انقلب رأسا على عقب بعد ذلك . . وكثيرا ما امتدت الجلسات في النادي الثقافي لساعات . . يحتدم فيها النقاش . . الجميع في جهة وأنا بمفردي في جهة . . هم يرفضون الملكية وامارة ادريس وأنا أكرر لهم بين الحين والآخر «امسك في الطوق حتى يطلعك من الغرق» . . وأعيد التصورات والاستنتاجات التي يمليها الواقع . . ومع مواصلة الجلسات بدأ البعض يصمت . . ويبدي تفهما لوجهة نظري . . وأذكر سكرتير النادي مختار ساسي دبان الذي بدا رقيقا ومجاملا . . وقد لازمت طوال اقامتي بالقاهرة منصور قدارة (٢) وفي أغلب الأوقات أعضاء اللجنة الطرابلسية : الطاهر الزاوي وأبا القاسم الباروني ومحمود البشتي . . ورغم الاختلافات التي وصلت لحد التناقض بيني وبينهم . . فقد التزمنا جميعا . . بالمبدأ الذي يقول أن الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية . . بقينا اخوة متحابين نحترم بعضنا البعض . . ونتزاور . . وكما عبروا بأنفسهم أمام بعضهم قدروا لي نبل دوافعي وهي الحرص على وحدة البلاد وعدم تجزئتها الى ثلاثة أجزاء تحكمها بريطانيا وايطاليا وفرنسا . . كما تواتر في ذلك الوقت . . وقد طالت اقامتي بالقاهرة أضعاف ما كنت أقدر . . وزاد الطين بلة عدم وصول النقود من برقة . . اذ لم يرسلها من استأمنته عليها . . وبعد محاولات واتصالات (٣) وصلتني النقود فرددت العزومات والدعوات بمثلها . . ثم أخذت طريقي للاسكندرية في رحلة العودة وقد استقر في خلدي أن الرحلة جاءت موفقة على المستويات الثلاثة :ـ

---

(١) ـ انظر رقم ١٥ من مجموعة الوثائق الملحقة .

(٢) ـ انظر رقم ١٦ من مجموعة الوثائق الملحقة .

(٣) ـ من طرف الطاهر بن سالم ورحومة بن يعقوب .

* بالنسبة لادريس . . وعبر جلسات طويلة قضيتها معه . . وبمفردنا في معظم الأحيان بينت له بما يريح ضميري خطورة لعبة الانفصال . . وما يمكن أن تجره على برقة قبل طرابلس من مخاطر . . وتصورت أنني ذللت كثيرا من الصعاب التي حاول أن يسندها عبر تطرف الآخرين ممن كانوا متواجدين في النادي الثقافي .

* بالنسبة للاخوة الأصدقاء في النادي الثقافي . . فقد وضحت لهم صورا من داخل البلاد واحتمالات للموقف مما تمليه الممارسات في الداخل . . وكذلك فانه رغم جدة الخلافات . . فقد انتهيت الى تحييد البعض وتخفيف التعصب على الأقل . . وهي هنا محاولة على طريق الوصول للرأي الصواب . . ولست أدعي هنا أنه رأيي . . ولكن الجدل الذي دار في النادي أتاح للأخوة استشراف منطق سماع وجهة النظر الأخرى . . وتدبر الرأي المقابل على مرارته ورغم ثقله . .

* بالنسبة لي شخصيا . . فقد أتيحت لي فرصة الاستماع لوجهات النظر . . وتفاصيل . . منها من الوجاهة والصواب ما يسمح لي باعادة النظر في أحكامي . على ضوء جديد . . ان الحوار دائما طريق لصهر الحقيقة وانضاج الحكم السليم على طريقها . .

جاءخروجي الى الاسكندريةفي يوم ٥من يناير١٩٤٧ومنها الى مرسى مطروح وهناك انتظرت مدة قبل أن أجد سيارة عمال مكشوفة في طريقها للسلوم . . كان البرد قارسا ينفذ الى العظام . . فضلا على ما تحمله من أدوات بناء . . لم أستطع تجنب تحميلها على أجزاء جسمي . . وفي الطريق تجمد أنفي فلم أعد أحس به . . وعند منتصف الليل وصلنا الى السلوم وهناك قضيت أقسى ليلة في حياتي كلها . . وفي اليوم التالي حملتني سيارة لنقل الحجارة . . الى داخل الحدود الليبية . . ولم تصادفني اجراءات أو متاعب جمركية . . ولم يسألني حد عن جواز سفر أو غيره . . بدت الحدود لي بدون مبرر أو معنى . . ولا حتى وجود . . وعند وصولي لآخر نقطة فوق الجبل . . استوقفني بعض الجنود السودانيين . . ودفعت لهم نصف جنيه . . أليس في هذا كله أكثر من اثبات على

وحدة وطن كبير . . جنود سودانيون على الحدود بين مصر وليبيا . . ابتسمت وصافحتهم وكأنهم عرفوا ما يجول بخاطري . . فردوا تحية الاسلام . . ولوحت لي أيديهم حتى غاب بعضنا عن نظر البعض .

واذا كانت الأيام قد تسارعت تطوي صفحات هذه الرحلة وغيرها . . فان ذكرياتها ظلت تعاودني . . وتتداعى في مناسباتها . . فمثلا رئيس النادي الذي رفض آنذاك باصرار وعناد النظام الملكي بصفة عامة . . وملكية ادريس بصفة خاصة . . سرعان ما تنكر لذلك كله . . بل انقلب الى النقيض . . فتحمس لادريس الى حد تزوير الانتخابات بطرابلس لصالح عملاء النظام . . ونال على ذلك مكافأة . . هي تقلد مركز رئيس المجلس التنفيذي . . ومرة أخرى . . وعبر مركزه تفنن في اهانة الناس وتعطيل مصالح الشعب استرضاء للنظام . . وتحول في النهاية الى بهلوان يثير السخرية والامتعاض . . أثناء حفلات زفاف الملك على (عالية) . .

كذلك تداعت الذكريات . . وأنا أسمع عن عودة شخص آخر كان يتقلد منصبا حساسا في الجامعة العربية ويعارض أيضا وبشدة فكرة امارة ادريس . . ويجاهر بذلك . . ومع ذلك فقد سارع عند عودته بتقديم فروض الولاء . . وهذا أقل ما يمكن أن يقال . . الى غير ذلك من تصرفات بعض أعضاء اللجنة الطرابلسية بمصر . . ممن جاءوا الى طرابلس فتهافتوا على المناصب والمصالح وسلكوا طريق التزلف والتقرب للنظام بأي ثمن . . ومن ثم دخلوا مجلس النواب أو المجلس التشريعي . . كما عاد آخرون ليظلوا على التزامهم بالشعب فانضموا للأحزاب الوطنية وعملوا بشرف في خدمة البلاد . . سواء في التعليم أو غيره . . والمعروف أن اللجنة الطرابلسية كان يساندها عزام . . كضمانة لتصحيح مسار هيئة التحرير اذا ما انحرفت الأخيرة عن مسارها . .

ومما جاء في هذه المذكرة التي وجهتها الى ادريس : (ان الشعب يريد منكم أن تُسمعوا صوته وشكواه الى كل الدول . . وألا تكتفوا بالتوجه الى الانجليز الذين لا يسمعون الا صوت القنابل . . خاصة وقد سبق أن صرحوا لنا بأنهم

مؤقتون وأن وجودهم هو للمحافظة على الأمن ، وأنّه لـيس في امكانهم أن يعملوا أو يغيروا شيئا إلا بعد مراجعة الدول الأخرى ، فالطبيعي ان تجري الاتصالات بهم جميعا ، والا تخصوا أحدهم بذلك . . حيث جرمنا هذا التخصيص عطف الدول الأخرى التي ظنت بنا الظنون ، وخصوصاً واننا لم نقف يوما موقف المظلوم المغتصبة حقوقه ، ان ايطاليا جادة للرجوع الى ليبيا ككل ولطرابلس كجزء ، وهي تجد مساندة ملموسة في ذلك من فرنسا ، ورغم أن بريطانيا تود الهيمنة على كل ليبيا وهي بين يديها ، واذا تعذر عليها ذلك فانها ستقدم طرابلس الى ايطاليا وتحتفظ ببرقة لأن استقلال أي جزء من الشمال الافريقي يجعل المستعمر في موقف حرج ، ان الظروف الحرجة والوضع الغريب الذي نحن فيه والفرص المتاحة أمامنا . . كل هذا دفعني لتحرير هذا . . وذلك بدافع الاخلاص لبلادي . . وكما تعلمون فإن شعبنا طموح ولا يقنع بامارة كإمارة شرق الأردن والله معنا . .)

القاهرة في ١٩٤٧/١/١

الهادي المشيرقي

نشاط محموم .. في اتجاه خاطىء

في الطريق . . وأثناء عودتي من مصر . . بين برقة وطرابلس . . وبينما أنا في انتظار سيارة باحدى محطات السيارات . . اذا بوفد هيئة الجبهة الوطنية في مواجهتي . . كان أفراده يغيرون السيارات بدورهم في طريقهم لبرقة . . وبعد أن تصافحنا ورويت لهم نتائج رحلتي لمصر . . ومقابلاتي مع ادريس والمناقشات التي دارت في النادي الثقافي الطرابلسي . . حكوا لي بدورهم عن حقيقة مهمتهم وذهابهم لمفاوضة وفد برقة وأعضاء المؤتمر الوطني فيها . . وقد سبق للميت وأبي الاسعاد والقلهود أن استمعوا مني الى نتائج مفصلة عن الاتصالات في برقة والبرقيات التي سبقتهم . . وعن التيارات الطافية على السطح هناك . . وكيف أن أصحاب المصالح الذاتية من قصار النظر هم الذين . . للأسف . . يحتلون أبرز الأماكن في الصورة . . ومرة أخرى ذكرتهم بما سبق أن حكيته لهم وتمنيت لهم التوفيق وان كنت قد أعربت لهم عن يقيني بأنهم سيعودون بلا

نتيجة . . وأن نجاحهم في مهمتهم محل شك كبير . . وقد كان . . اذ عادوا بدون نتيجة . . ولم يحققوا أي قدر من النجاح . . والسبب طبعا يرجع الى نفس العناصر التي ذكرتها من الأنانيين محدودي التصور والرؤية . . الذين نشطوا رغم قلتهم . . حتى كادوا يبعثون اليأس في نفوس أصحاب الرأي الآخر . . من المخلصين الذين يهمهم مستقبل الوطن . . ووحدته . . مهما بدا من تأثير على مصالحهم أو أوضاعهم . .

وقد طغى نشاط الانفصاليين وتحصن حول وسائل الإعلام وراح يعلن عن نفسه في صفاقة وسفور . . فمثلاً نشر إدريس في جريدة برقة الجديدة في عددها الصادر في ١٧ من شوال ١٣٦٥ هـ العدد ٧٨٨ ما يلي :

منشور عام الى شعب برقة الكريم . .

بسم الله الرحمن الرحيم ،
أبناء وطني الأعزاء . .

ان الوطن في حاجة الى تماسك أعضائه . . وشدة اتحادهم . . وتضامنهم . . وأن كل مشكلة داخلية تحدث بين القبائل أو الجماعات من شأنها أن تثير نزاعا مربكا . . تؤخر الأعمال والاتجاهات الوطنية . . وتضعف من مجهود الشعب المتحد .

وقد سبق لي أن وجهت نداء الى شعبي الكريم طلبت فيه أن يترك اثارة المشاكل في خصوص الثارات والأراضي والمنازعات المختلفة ريثما يحين الوقت الذي يمكن فيه النظر في هذه المشاكل . .

وقد وصلتني عدة عرائض تشير الى أن بعض المواطنين يثيرون هذه المشاكل من جديد ويعملون على أخذ حقهم بأنفسهم . . أو اشغال الادارة بدون ما هو أهم منه للوطن . . وانني أدعو شعبي لنبذ الشقاق والتمسك بالاتحاد والاتفاق . . ودفن المشاكل والمنازعات حتى تصلوا الى حكومتكم الوطنية التي ترى في جو

صاف مـا يصلـح ذات البين بينكم . . ويرفع من شأنكم . .

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا . .

محمد ادريس المهدي السنوسي

وبالرغم مما في البيان من خطابية . . فان مفاهيم (شعبي) و(الوطن) . . والدعوة للاتحاد وغيرها . . كلها تعني برقة فقط . . ومن ثم تكرس أخطر ركائز الانفصال وتجعلها تمر وكأنها أشياء طبيعية ليست محل نظر أو خلاف . . ورغم أنني كنت أعرف أنها مقصودة ومتعمدة فقد أمسكت بالقلم وسطرت رسالة عاجلة لرئيس تحرير صحيفة برقة الجديدة :

ـ مؤرخة في ٢٥ من أغسطس ١٩٤٦ ، جاء فيها :

جريدة برقة الجديدة الغراء . . بنغازي .

بعد التحية . .

«انني تعجبت كل العجب من العنوان الذي اتخذتموه لهذا المنشور . . حيث كتبتم (منشور عام لشعب برقة الكريم) . . لقد ساءنا هذا التخصيص . . وقد كان من الواجب أن تقولوا ليبيا فهي الجامعة لكل الأجزاء والأقاليم . . .

ألم تكن لنا جبهة وحزب وكتلة وقبائل ومذاهب . . وكل منا يتمنى أن يرتفع على حساب غيره . . ؟» .

وقد تواردت مماحكات على نفس النسق على صفحات نفس الجريدةكل تغذي الاتجاهات الانفصالية ، التي تحاول التذكير والاشارة على الدوام بأن قلة اتصالات الناس وخاصة منهم المثقفين في طرابلس بإدريس إنما كان رغبة عامة من الناس كلهم في الشق الغربي من الوطن عن الحياة في ظل كيان موحد مع الشق الشرقي ، وتلك مغالطة ، ومن ذلك ما كان يجري تأكيده من قبل تلك الصحيفة حين كانت تضرب على نغمة كانت تجد وقعها لدى ادريس مؤداها أن طرابلس ترغب في إقامة كيان منفـرد ، واذا كنا نتجاوز إدريس وغيره في سبيل وحدة البلاد فقد كانت لنا محاولات فردية وجماعية في سبيل تقريب وجهات النظر ؛

منها أن وفداً غير رسمي ضم كلا من محمد الكريكشي ومصطفى المبروك وكاتب هذه السطور قام بزيارة إدريس في محاولة للم الشمل وقد شرحنا له الموقف شرحاً دقيقاً وقد كان ذلك في غرة رمضان ١٣٦٣ الموافق ٢٠ من أغسطس ١٩٤٤ وان كانت مرامينا على الدوام العمل للوحدة والائتلاف ولم تكن للفرقة والاختلاف ، فإن قنوات الدعوة أو الدعاية كانت تجر بإدريس الى طرق مسدودة تقف حائلاً بينه وبين الوحدة ، على أنه رغم كل شيء فإن الوطن هو الأبقى وصالحه هو الذي يستحق الجهد والعناء مهما تضاعف الجهد واشتد العناء ، ووفق حسابات الوطن تسقط هذه التفاصيل وتتضاءل ، وفي أواخر أو أوائل يناير من سنة ١٩٤٧ قررت العودة إلى برقة من جديد أحمل الدعوة لجمعية عمر المختار لزيارة طرابلس والتحاور مع أشقائهم من بني الوطن الواحد . . وقد أجريت الاتصال كالعادة بعيداً عن أعضاء الجمعية . . وخلال يومين اتخذت قرار العودة ولكنهم أصروا على بقائي وراء فرصة لمقابلة ابراهيم الأسطى عمر في البيضاء . . حيث تجري الاستعدادات لافتتاح معرض للحيوانات . . وبالتالي تتاح فرص للقاء مع أعضاء جمعية عمر المختار فرع (درنة) . . وهكذا انتقلنا للبيضاء في سيارة تضم كل من المهدي المطردي وبشير المغيربي وحسين الفقيه وعلي الزاهي والأخير مصري اخواني حديثه جذاب . . وفي الطريق مررنا بأحد المراعي واختاروا من بين الضأن خروفا ووضعوه معنا بالسيارة وعند وصولنا بلدة مسّة نزلنا وافترسنا الخروف (الذي كنت أظن أنه قد اختاروه لأجل العرض) وبعد أكلة دسمة ثقيلة واصلنا السير حتى البيضاء . . نزلنا في الساعات الأولى من الصباح . . فطرقنا باب أحد المطاعم وقضينا باقي الليلة ممتدين على أخشاب الموائد . . وفي مواجهة المعرض وحوله أقيمت خيام عديدة لتظل الزوار والمدعوين والأخيرون أغلبهم من العائلة السنوسية . . وأثناء جلوسنا قام متصرف البيضاء وألقى كلمة كلها ازجاء المديح والثناء على ادريس . . ثم هتف في نهايتها وبأعلى صوته مرددا ويعيش أمير برقة . . لم أستطع رفع عيني عن هذا المتصرف طوال القائه كلمته . . فقد كنت أذكر له موقفا مزريا يعرفه ولا شك جميع الموجودين . . فقد حمل هذا المتصرف رأس المجاهد البطل الشهيد (الفضيل عمر) وسلمه للايطاليين . . ومن غير حاجة لزيادة في التفاصيل . . فان وصوله لمنصب المتصرف يضع علامات استفهام

عريضة على أصدقائه والذين وضعوه في منصبه . . دار رأسي وأحسست بالغثيان يتملكني والمرارة تصعد لحلقي . . وهببت واقفا كمن لدغته عقرب . . بدا لي الانسحاب موقفا سلبيا . . اذ كيف يقف مثل هذا الشخص على رأس ملأ . . أي ملأ من أبناء الشعب . . وهو الذي امتهنت يداه دماء رأس غال شريف . . وبينما كنت أستعد لصراع حاد بين الرد على المتصرف وبيان الخلل الذي يجسده مجرد السماح له بالكلام . . فضلا عن الدفع به الى مناصب كبيرة . . بينما أنا كذلك اذ انساب شعار التجزئة . . وتردد الهتاف المضاد لوحدة الوطن «يحيا أمير برقة» ووجدت نفسي أصرخ في حدة هاتفا «بل ليبيا» يحيا أمير ليبيا . . وسكت المتصرف . . وردد الجميع الهتاف ورائي . . واستحسن أنصار الوحدة تلك البادرة ووصفوها بأنها طيبة . . وسكت فلم أذكر شيئا عما كانت تهدر به أعماقي لحظة الدخول الى الهتاف من ثورة . . وضيق . . وبعد انتهاء الحفل . . أصر أعضاء جمعية عمر المختار فـرع درنة على أخذي معهم بالقوة وسحبوني بأوثق خيوط المحبة والود الى السيارة الذاهبة لدرنة . . وركب معنا عدد كبير من أعضاء الجمعية . . وقضيت ثلاثة أيام وسط مجموعة لم تقل عن الأربعين . . حضرنا معا العزومات . . وتحركنا معا الى الحدائق والجنان . . وجلسنا معا نتناقش ونتباحث . . وحدة الرأي حول وحدة الوطن وضرورتها . . وثقّت مشاعر الود وأضفت على الحركة بهجة وصفاء . . وافترقنا كأقوى ما تكون الصداقة . . حتى لكأننا أفراد أسرة واحدة . . وفي طريق عودتي لطرابلس توقفت في اجدابيا للحصول على التصريح للمرور . . وجاء وقوفي في مركز الشرطة . . وبالصدفة في مواجهة باب من القضبان الحديدية . . خلفه أسلحة أفراد البوليس . . وفجئت بواحد من رجال البوليس يتقدم مني باتهام هو أنني أعدّ الأسلحة الموجودة داخل القسم خلف الباب . . وحاولت عبثا أن أشرح له أن ليس ثمة حاجة بي لعد السلاح أو حتى مجرد التطلع اليه . . ولو من قبيل الفضول . . وأمسك بي وأوقفني في أحد زوايا القسم . . وبعد قليل وصل محمود بوقويطين الذي كان مديرا للشرطة . . وحيّاني . . فأخبرته بأنني(موقوف) في القسم وسردت له القصة . . وأشرت الى الجندي الذي أوقفني . . وانتهى الموضوع أو التوقيف . . دون أن يطلب محمود من النفر الاعتذار . . مجرد الاعتذار .

وهذه المشاكسة تذكرني بغيرها . . وقعت لي قبل سنة وهي :

وقفنا بهذا المركز للتفتيش على محتويات الحقائب ومراقبة وثائق المرور . . وكانت معي خلية نحل . . فتشكك الضابط في أمر الخلية وأراد فتحها بكل بساطة . . كأن بها عصافير ، فتدخل أحد الجنود وحسم الأمر وسلمت لي الخلية مقفولة على ما تحتويه من النحل .

على مستوى النضال .. تجسد الاستقبال

نداء تردد عبر موجات الأثير . . ومن الخارج . . أحدث أثره في الداخل . . وبقوة وفي صورة طبيعية . . ذلك أن القضية الوطنية كانت هي الشاغل الأساسي والوحيد لبؤر الاهتمام العام والخاص أيضا . . فعند مفترق الطرق وقف الوطن . . وكتّل المخلصون جهودهم . . في نفس الوقت الذي تكتل فيه أصحاب المطامع والأهداف الخاصة من أفراد الجاليات الأجنبية والمعمرين الايطاليين وعملاء الاستعمار من أبناء البلاد . . وقد حفز هؤلاء وأولئك على المثابرة والعمل نشاط مكثف بذله المستعمرون القدامى والجدد . . تآمراً على اضاعة الطريق الصحيح من تحت أقدام الشعب . . وهكذا شكلت مرحلة (مفترق الطرق) . . أو تقرير المصير . . شكلت فرصة عمل أمام الجميع . . من وطنيين وأعداء للوطن أيضا . . من هنا جاء المضمون قويا للنداء الذي أذاعه عبد الرحمن عزام من اذاعة القاهرة . . باسم الجامعة العربية . . في أحد أيام شهر مارس عام ١٩٤٧ . . ونشرته جريدة طرابلس بعددها الصادر في ٢٨ من مارس . . من نفس السنة . . أما ملخص هذا النداء . . فانه ينحصر في التوجه للشعب العربي الليبي باعلان عن تشكيل (هيئة التحرير) التي ضمت بين أعضائها بشير السعداوي . . الطاهر المريض . . محمود منتصر . . منصور قدارة . . جواد بن زكرى . . وأحمد السويحلي . . وقد خصصت الجامعة العربية لهيئة التحرير رصيدا يمكنها من الحركة والعمل . . وبالفعل بدأت نشاطها بفتح مركز لها بالقاهرة . . وساعدتها في ذلك الجامعة العربية ممثلة في عزام . . وقد تكثف نشاط هيئة التحرير فوق الطريق . . استعدادا للمعركة المنتظرة في (ليك سيكس) حيث أروقة وفروع هيئة الأمم المتفرقة . .

أما نشاطنا في الداخل فقد أخذ صورا مكثفة وحركية مواكبة لهذا الحدث الذي مثل جرعة تفاؤل . . وعزز الأمل في الانتصار على المؤامرات . . والسير بالوطن قدما على طريق تحقيق الاستقلال وانتزاع مقدراته وأمور مصيره من أيدي الطامعين . . خاصة وقد جاء نداء عزام مشفوعا بأخبار عن وصول أعضاء الهيئة . . وحتى يكون استقبال السعداوي على مستوى نضاله وجهاده . . قمت بنشاط مكثف في الدعاية ولاذاعة خبر وصوله في أرجاء البلاد . . قامت شركتنا برفع لوحة بلغ طولها ستة أمتار . . كتبنا فوقها : «عوداً حميداً . . وعهداً جديداً . . ايها الزعيم بشير بك السعداوي» [1] وطبعنا خمسة آلاف منشور تحمل التحية لهيئة التحرير وزعيمها بشير والجامعة العربية . . ورغم ان الادارة العسكرية منعتنا من لصقها على الجدران . . فاننا قمنا بتوزيعها باليد . . وحققنا انتشارا واسعا في المناطق السكنية المختلفة . . وفي عديد من الأماكن . . بحيث أبطلنا محاولات الادارة في المنع أو الاحتواء . . أما الأثر المترتب على المنشورات فانه يتلخص في تعبئة الحماس . . وتحريك الأشواق لاستقبال الزعيم والقادمين معه . . وفي مقدمتهم شاب أسمر معمم لم يتوارد ذكر اسمه بين القادمين . . ولكنه استطاع أن يشد الانتباه اليه بواسطة بلاغة خطابية وصوت قوي هادر . . حتى لقد تحول هذا الطالب الشاب الى رمز لهيئة التحرير يتوقد وطنية وغيرة . . تحمل خطبه الجديدة والمتجددة دائما . . ولكنها تبدأ دائما وتستمر وتنتهي بعبارة أو شعار واحد . . هو «لبيك وطني . . لبيك» . . هذه الجذوة من الحماس والنشاط حملت اسم علي مصطفى المصراتي الأديب والكاتب المعروف اليوم . . وشاركه في تعبئة حماس الجمهور محمد ميلاد مبارك الذي كان يرتجل وينظم القصائد في الاجتماعات الشعبية وخلال المناسبات الوطنية . . وفي نفس الوقت ومع وصول الهيئة . . برز اسم آخر . . لم تذكر القوائم اسمه كعضو في الهيئة . . ورغم ذلك تحول الى ما يشبه العمود الفقري القوي للهيئة . . جاء من تونس الخضراء انه احمد زارم الرحيبي . . الرجل الذي عمل منذ فترة مبكرة من شبابه لأجل الوطن . . وعاش محروما منه ومحرما عليه دخوله . . ورغم ضآلة الامكانات وغياب ضروريات

---

(١) انظر رقم (١٧) من الوثائق الملحقة .

الحياة . . الا أنه ضرب المثل في البذل والعطاء . . فكان يلف أرجاء تونس الشقيقة التقاء بالمجاهدين للتوعية ولرفع الروح المعنوية . . يقضي نهاره متنقلا بين المجاهدين والهيآت ودور الصحف . . وراء القضية الوطنية . . وفي الليل يعكف على الكتابة . . لقد عاش زارم مثل السعداوي وشنيب ومحمد توفيق الغرياني وطاهر الزاوي على الكفاف . . وعندما عاد بقي زارم على دأبه عملا في هيئة التحرير ثم في المؤتمر الوطني العام حتى آخر يوم للمؤتمر . . دونما ثمة معاش ولو رمزيا يوفر له أبسط مستلزمات الحياة . . ومع حل المؤتمر . . جرى ابعاد أحمد زارم الى الخارج . . وهكذا فان وصول أعضاء الهيئة دفع الى مسرح العمل الوطني في الداخل دماء جديدة جاهدت طويلا في الماضي .

ورغم طول المدة نسبيا قبل وصول أعضاء هيئة التحرير لطرابلس . . فقد مرّت عشرة أشهر حفلت بألوان من الأنشطة الوطنية . . والاجتماعية . . والمؤتمرات الشعبية . . أقضت مضاجع السلطات بما حققته من تأييد شعبي كاسح تمثل في اتساع مطرد لقاعدة شعبية عريضة اندفعت تغذّي وتثري النشاط العام . . وتتبنى قضايا الوطن وتحولها الى شغلها الشاغل . . وفي يناير من عام ١٩٤٨وصلت هيئة التحرير من القاهرة . . قبل وصول لجنة الاستفتاء التي تمخضت عنها المناقشات والاقتراحات في اجتماعات هيئة الأمم المتحدة . . ومن البديهي قيام صور التعاون الوثيق بين مجموعاتنا الوطنية وبين الهيئة على الفور . . وقد اعتمدت علينا الهيئة في عديد من الأمور تجاوزت حدود التوعية الشعبية وتكتيل جماهير الشعب الى جانبها ففي اتصالات الهيئة بلجنة الاستفتاء استطعت من جانبي توفير قليل من الوثائق العامة . . ظللت أجمعها فترة التواجد الايطالي بالبلاد . . وقد راعيت فيها أنها تغطي جرائم وممارسات الايطاليين الوحشية ضد الشعب . . وما اقترفوه فيها من مذابح ضد العزل والأبرياء من أبناء الشعب . . وعبر وثـائق وصور لا يتطرق اليها أدنى شك . . وقد طلبها مني المستشار فؤاد شكري وقمت بتسليمها الى الطاهر المريض . . وذلك خلال ساعات من طلبها . . عندمـا أعربوا عن دورها في تعزيز مذكرتهم للجنة الاستفتاء الأممية . . والطريف ان هذه الوثائق صادفها مصير غريب فقد باءت محاولاتي لاستعادتها

بالفشل . . ومن جهتي فقد بذلت الجهد الذي يرضي ضميري الوطني سواء في تجميعها أو محاولة استردادها اذ عندما أعيتني الحيلة في التذكير بأنها جزء من تاريخ هذا الشعب . . عمدت للكتابة وبصفة رسمية لهيئة التحرير ومواصلة الكتابة . . والالحاح في الطلب . . وكل ما حصلت عليه . . نتيجة هذه الكتابة والالحاح هو اعتذار كتابي أيضا بضياع هذه الوثائق . . وضاعف من مرارتي أنني لم أتحفظ في جمع وتسليم كل ماوصلت اليه يدي . . فقد جرفني الحماس حتى جعلني أتفرغ لعملية التجميع والتسليم . . أما التواريخ التي سلمتها فيها . . فقد جاءت بتواريخ ١٩٤٨/٣/٧ . . ١٩٤٨/٣/١٠ . . ٣/١٢ . . ٣/١٨ . . ولعل عدم تحفظي في ارسال وتوفير كل ما طالته يدي جعل الطاهر المريض يخبرني فيه بأن سلم الوثائق والمستندات للدكتور فؤاد لاثباتها في مذكرة الهيئة للجنة الأممية والخطاب مؤرخ في ٨ من نوفمبر من عام ١٩٤٨ ولكنني لم أستطع اخفاء صدمتي عندما جاءني الرد على خطاباتي في النهاية يخبرني بضياع الوثائق . . كل الوثائق . . وان حمل الاعتذار توقيع منصور قدارة . . فبالنسبة لي كانت أكبر خسارة . . ولعل مستشار الهيئة محمد فؤاد شكري احتفظ بها بقصد ادراجها في كتابه المزمع طبعه ، ثم بعد الاستقلال زودته بكل ما طلب من وثائق وايضاحات لضمها لكتابه وقد وافته المنية قبل طبعه . .

وعملت هيئة التحرير على «تنظيم الجهود وتوحيدها . . واستكمال سبل الكفاح في سبيل القضية الليبية في الداخل والخارج متوخية في ذلك الغاية القومية وحدها . . ومصلحة البلاد العليا . . باذلة ما في وسعها من جهد لابعاد العقبات الفردية والحزبية عن سير القضية . . كي يصبح الشعب الليبي كله كتلة واحدة تعمل على تحقيق أمانيها . . وهي الوحـدة الطبيعية والاستقلال التام الناجز . . وقد تألفت الهيئة برعاية جامعة الدول العربية واستمدت منها العون الأدبي والمادي .

ومنذ تأسيسها قامت بدعاية واسعة النطاق . . مغذية الرأي العام العالمي والعربي بالمعلومات والحقائق عن القضية الليبية . . فنالت بهذا ثقة الشعب الليبي في الداخل وتقدير الأوساط الدولية في الخارج .

وفي سنة ١٩٤٨ استطاعت أن تظهر امام لجنة التحقيق الرباعية بمظهر رائع من الوحدة القومية . . اذ انها تقدمت الى هذه اللجنة بمذكرة موحدة المعاني باسم كل الأحزاب والهيئات الوطنية في طرابلس الغرب . . مما كان له جميل الأثر لدى الرأي العام واللجنة» . .

هذه الفقرة السابقة . . تمثل نصا صادرا عن خوارج هيئة تحرير ليبيا المؤسسين . . وهو يكتسب كامل الأهمية في شرح وبيان أهداف ومرامي الهيئة . . وان جاء هذا النص كمقدمة لبيان طويل ساقه بعض الأعضاء استهلالا لمذكرة عن (بيان أسباب الخلاف بين هيئة التحرير وبشير السعداوي) . . وكما جاء في عنوان المذكرة نفسها وليس هنا مجال التعرض لهذا الخلاف . . ولكنني سأقصر الكلام عن أجزاء وجوانب من نشاط هذه الهيئة . . التي ضمت جميع الأحزاب . . ونيط بها في مرحلة من الكفاح الوطني عبء تعهد القضية الوطنية كاملا . . وحملت المسؤوليه في فترة حساسة من تاريخ البلاد . . وسأحاول ما مكنتني الوثائق والمستندات . . أن أسوق صور النشاط حتى أقدم الموقف الموضوعي الذي يرضي ضميري أمام القارىء . . خاصة فيما يتصل بنقطة الخلاف بين الهيئة وبين بشير السعداوي مستندا في المذكرة الطويلة الصادرة عن بعض أعضاء الهيئة واللجنة الطرابلسية في القاهرة وقتها . . ولحسن حظي فان المذكرة كاملة تحت يدي احتفظت بها منذ صدورها في شهر رجب ١٣٦٥ الموافق مايو ١٩٥٠م . . والآن لأعود الى صور سريعة كما وعدت ولا ضير من البدء بهذه الوثيقة المؤرخة بعد المذكرة بثلاثة أشهر والتي تؤكد استمرارية الهيئة في العمل رغم مزاعم الخلاف مع أبرز أعضائها ومؤسسيها بشير السعداوي . . والوثيقة صادرة عن الهيئة نفسها وتنقل جوانب من نشاطها ومبادئها . . اذ تذكر :

عقد في مقر هيئة تحرير ليبيا في القاهرة . . مؤتمر ليبي الحاقا بالمؤتمر الذي عقد في الاسكندرية في لوكاندة سمربالاس . . وقد حضر هذا المؤتمر ممثل عن الليبيين في سوريا ولبنان الأستاذ بكري قدورة . . وأعضاء هيئة تحرير ليبيا بكاملهم . . وبعض الوطنيين المقيمين في القاهرة والاسكندرية . . واتخذ المؤتمر القرارات التالية :

١ ـ التمسك بتنفيذ قرار هيئة الأمم المتحدة بتحقيق الوحدة الكاملة والاستقلال والتزام الطرق الديمقراطية في تنفيذه .

٢ ـ تبني الجامعة العربية للقضية الليبية في جميع الميادين الداخلية والدولية .

٣ ـ الطلب الى الجامعة العربية ودولها التدخل لدى الهيئات المختصة للسماح لليبيين المقيمين خارج ليبيا بالعودة الى بلادهم دون قيد أو شرط . . وذلك لممارسة حقهم الطبيعي في تولي شؤون بلادهم . .

وتنتهي الوثيقة ذاتها بخبر له مدلولاته أيضا . . ترجمة للوحدة والأخوة العربية . . والاهتمام العام بالقضية الليبية . . يقول الخبر : «وقد أقام الأمير محمد عبد الكريم الخطابي . . مأدبة عشاء تكريماً للأستاذ بكري قدورة رئيس كشاف سوريا ومندوب الليبيين في سوريا ولبنان ولأعضاء هيئة تحرير ليبيا . . وقد حضر هذه المأدبة سمو الأمير عبد الكريم الخطابي . . وبعض زعماء شمال افريقيا المقيمين في القاهرة . . ودار الحديث بينهم حول القضية الليبية وتطوراتها الاخيرة . .

* * *

وللحقيقة . . فقد بقيت هيئة تحرير ليبيا على يقظتها . . ضد مناورات ومؤامرات المتعصبين من المعمرين الايطاليين وأذنابهم من العملاء . . وقد عمدت الهيئة الى نفس الأسلوب الذي يجيدون فهمه . . بعد أن تأكد أنه هو الأسلوب الوحيد الذي يستجيبون له بحكم طبيعة هؤلاء المتعصبين الفاشية . . وهو أسلوب الانذار الواضح الذي يضع الأمور في صرامة وحسم . . ومن ذلك مثلا ما جاء في بيان أصدرته الهيئة . . متوجهة فيه مباشرة . . هكذا :

الى الايطاليين بطرابلس الغرب . .

لقد قرر الشعب الليبي مواصلة جهوده للحصول على حريته واستقلاله . . ولا تستطيع أية قوة أو سياسة أن تقف في طريق حصوله على حقه الطبيعي المقدس وان أية مناورة أو محاولة مضادة لحقوق هذا الشعب المشروعة . . سيكون مصيرها الفشل . .

نود من الايطاليين الذين يرغبون في العيش معنا في جـو تسوده المحبة والتعاون المشترك . . أن يساهموا معنا في هذه الظروف العصيبة . . ويقفوا الى جانبنا للوصول الى الهدف المنشود . .

* * *

عمدت الهيئة في مجال التوعية والاعلام . . الى اصدار نشرة أسبوعية . . بدأتها اعتبارا من ١٢ من صفر ١٣٦٨ الموافق ١٧ من ديسمبر ١٩٤٨م . . وجعلت مصدرها قسم النشر . . وقد تجاوزت النشرة تقليد الموعد الثابت . . فصدرت حيثما دعت الأحداث والتطورات الوطنية . . فمثلا صدر العدد الثاني منها . . بعد الأول بثلاثة أيام فقط . . والنشرة قصيرة تقع في ورقة (فولسكاب) واحدة . . وتتضمن بين أربعة أو خمسة أخبار . . على أن دور النشرة . . كما يبدو من صورة العدد الأول لم يقتصر على نشر الأخبار . . والا لما ذكرت عامل التوعية ودورها فيه . . فقد تجاوزت النشرة الدور الاعلامي . . وتضمنت العديد من فقرات التوعية . . وساقتها لأبناء الشعب في قوالب صحفية تشبه تماما ما يجري حديثا . . ففي العدد الثالث منها الصادر في ٢٥ من صفر ١٣٦٨ الموافق ٢٦ من ديسمبر ١٩٤٨م . . نقرأ هذه الفقرة :

طرابلس -

علّق ليبي مسؤول على اجتماع وهو الذي عقد أخيرا بين وزير خارجية فرنسا ووزير خارجية ايطاليا . . فقال : «ان خوف فرنسا على ما تسميه بامبراطوريتها فيما وراء البحار قد أفقدها توازنها . . وأنساها المبادىء الانسانية القويمة التي نادت بها الثورة الفرنسية الكبرى . . والتي حطمت قيود العبودية ووطدت أركان الديمقراطية في ربوع العالم المتمدن . .

وان الخوف قد سيطر على فرنسا وأنساها كل شيء . . حتى وعودها لليبيين أنفسهم أيام محنة فرنسا عندما طغى عليها سيل النازية . . واغتنمت ايطاليا الظرف فهاجمتها وطعنتها من الخلف سنة ١٩٤٠ . .

اننا نراها اليوم تحاول كما يقول مراسل (النيويورك تايمز) الباريزي بأن تجعل من وجود ايطاليا في برقة سدا منيعا يحول دون انتشار الدعاية وتسربها من الشرق الى المغرب العربي . . لأن فرنسا لا تثق في حسن نوايا البريطانيين . . ولهذا نرى وزير خارجية فرنسا يؤكد من جديد عطف حكومته على مساعي ايطاليا . . وفات الوزير الجليل أن ليبيا ليست سلعة تباع وتشترى . . ان بها شعبا كمل نضجه السياسي . . واشتد وعيه القومي . . ولن يسمح لنفسه بأن يعود لحياة الرق . . ولو فني نصفه الباقي . . وليثق المسيو (شومان) أن وعوده لن تتحقق . . وفي ليبيا عرق واحد ينبض بالحياة» .

كما أن للتعليق الواعي . . طالما صاحب الخبر . . وفق توقيت مناسب . . وعند الحد المطلوب . . وبتركيز لا يترك مجالاً للملل . . بنفس القدر الذي لا يترك فيه فرصة للخبر لاحداث بلبلة . . أو التأثير في حقيقة . . فمثلا :

روما ـ

جاء في راديو روما أن الكونت (سفورزا) وزير خارجية ايطاليا . . صرّح بأن ايطاليا قد عملت على رفع مستوى سكان مستعمراتها السابقة . . كما أن حكومته على استعداد لان تعطي مواقع استراتيجية للدول المحتلة لصالح ايطاليا نفسها (كذا) . . يظهر أن السنيور يتجاهل الفتك والمذابح العامة . . وسياسة الابادة والافناء وسلب الأموال . . وانتزاع الأراضي من أصحابها واعطائها للمشردين الايطاليين . . الذي قامت به حكومات ايطاليا في عهديها الديمقراطي والفاشيستي . . اننا نتحدى الكونت اسفورزا أن يبين لنا ما أسدته حكومته لهذه البلاد . . ألا يكفيه خجلا أن حكومة متمدنة جاءت لهذه البلاد لغرض تمدينها (كما تدعي) . . وتبقى فيها ثلاثين عاما ولم تترك لأهلها أي أثر الا الجهل والحرمان والدموع والآلام . .

ان الوزير الحاتمي اذا أراد أن يقدم مواقع استراتيجية (لصالح ايطاليا نفسها) على حد تعبيره . . أي لمن يتولى الدفاع عن ايطاليا . . فعليه أن يمنح هذه

القواعد من أرض بلاده لأنها هي المحتاجة للدفاع عنها . . أما ليبيا فهي لليبيين ولهم وحدهم الحق المطلق في اعطاء القواعد الاستراتيجية في بلادهم لمن شاءوا . .

أما بقية أعمال هيئة تحرير ليبيا . . واشتباكها في خضم القضية الوطنية . . فانني أتركه لحينه . . ورودا مع تطورات الأحداث والوقائع نفسها . . تجنبا للتكرار . . والتزاما بوضع الحقائق في سياقها الطبيعي والسليم . .

•

الماء في خزّان السيّارة

اذا كان عهد الادارة العسكرية البريطانية . . امتدادا حقيقيا وطبيعيا للاستعمار الايطالي . . فان ذلك انسحب على كل شيء . . حتى على الزراعة . . فقد استمر الانجليز في تطبيق القوانين والمعاملات الايطالبة الجائرة . . وزادوا غصة المرارة بمحاباة المعمرين الايطاليين . . والتفرقة الواضحة لصالح الايطاليين عامة . . وهكذا استمرت الزراعة ومقدراتها في أيدي الايطاليين وتابعيهم وأعوانهم وهم قلة عربية . . بعد أن تم سحب أخصب الأراضي من أصحابها الأصليين . . واستمرت المؤسسات والتنظيمات الايطالية تؤدي وظيفتها . . كانت هناك الجمعية الزراعية ويرأسها ايطالي . . وبها عدد ضئيل من العرب . . كما كان هناك اتحاد المزارعين وعلى رأسه عضو منتدب ايطالي طبعا . . وقبل هذه وذاك . . صندوق التوفير الذي جرى جمع رأسماله من حصيلة ممتلكات المجاهدين المنزوعة أو المصادرة . . هذا الصندوق المفترض فيه أن يقدم القروض للمزارعين . . وذلك بحسب ما تقول لوائحه ولكن الواقع أن القروض اقتصرت على المعمرين الايطاليين وأذنابهم من عملاء ايطاليا ولم تكد تتجاوزهم الى أي عربي مهما بذل من جهد . . فلم يزد عدد المستفيدين بها من العرب . . عن عدد أصابع اليد الواحدة . . كل هذا حافظ عليه الانجليز . . وزادوا في ترسيخه . . فسلموا المزيد من المزارع وقدموا للايطاليين الكثير من الامتيازات . . ضربا بالقوانين واللوائح عرض الحائط فسهلوا للمعمرين فرص التحايل على تسديد

الديون . . وذلك بالسماح لهم بدفعها في ايطاليا . . ان صح الدفع . . دون أي اعتبار لشروط المغارسة ونتائجها . . كما أباحوا لهم امتلاك المزارع من غير مراعاة للعقود ونصوصها . . أو حتى للقوانين في كلياتها . . المهم أن نشاط المزارعين الايطاليين تركز على الاتحاد والجمعية . . فراحوا يجددون في الديكورات . . ويتوسعون في المخازن . . ويفتتحون الفروع لبيع الآلات والبذور والسماد ولشراء المحاصيل . . طبعا كانت هيئة التحرير ما تزال في طور التكوين . . وجاءت الخطوة الأولى في صورة اشتراكي في اتحاد المزارعين . . ولكنني على الفور اكتشفت أنني أمام المستحيل . . فنسبة ٩٠٪ من أسهم الاتحاد في أيدي الايطاليين . . وسيطرتهم على الاتحاد مطلقة . . بحبث تتعذر حتى عملية المزاحمة فضلا عن الزحف . . اذ أن مجرد دخولي للاتحاد كان يقتضي اذنا مسبقا . . وهكذا قررت تركيز جهودي على الجمعية . . ورغم الصعوبات . . غير أن الزحف تم . . والسيطرة تحققت . . وتحققها يشبه المعجزة . . حصاد الخطة نفذتها حرفيا . . اذ بدأت كل صباح أقف أمام مركز الاتحاد الفاخر لأوقف كل داخل لمتاجر الاتحاد الزراعي . . وأبدأ كلامي معه وفق صيغة محددة تلقيتها من بشير السعداوي . . تبدأ هذه الصيغة بالبسملة والتوحيد والصلاة على نبي الاسلام . . ثم أسرد له نوايا الايطاليين . . وكيف أنهم ينوون اتخاذ الجمعية واتحاد المزارعين قنطرة للعبور منها الى البلاد مرة أخرى . . والسيطرة على الزراعة والمزارعين عن هذا الطريق . . وقد وفقني الله سبحانه وتعالى في هذه المهمة . . فلم أكن أفرغ من كلامي حتى تتسارع الأيدي للجيوب تجهز لمبلغ الاشتراك في عضوية الجمعية . . ودفعني هذا النجاح الى مضاعفة الجهد . . فصار كل من يدخل المتاجر يخرج وفي يده شهادة الانتساب . . وعند عودته لقبيلته ينقل ما سمعه مني . . فتتعاقب وفود القبائل لتسجيل الاسماء في قوائم الانتساب . . وسهل الأمور أن رسوم الانتساب كانت زهيدة . . وبدا الأمل ممكنا . . فأسرعت بتكثيف العمل وانتقلت بنشاطي الى سوق الخضروات العمومي في الساعات المبكرة من الصباح . . وكنت عند الضحى ألزم مكاني أمام مقر اتحاد المزارعين ومخزنه . . وقد عاونني في ذلك مجموعة من الوطنيين المخلصين . . أخص بالذكر اثنين منهم اعتبرا المهمة رسالة وطنية . . فعملا باخلاص . . وتفانيا في بذل

الجهد . . هذان الشابان هما مصباح قباج من النوفليين . . وصالح بن لطيف الورشفاني من العزيزية . . الأول تميز بالحيوية والنشاط واجادة الدعاية الذكية . . والثاني انفرد بالفتوة وبصوته الجهوري المؤثر . . وبهذا الحماس اختفى التردد . . وتقاطرت الافواج على الانتساب . . وفشلت جهود التشكيك ومحاولاتي التعويق والتثبيط وحصلت على توقيعات العدد اللازم لطلب عقد اجتماع عام لحل مجلس الادارة وانتخاب مجلس جديد . . ولأن الأغلبية صارت للعرب فان عملية التصويت أسفرت عن نجاح أغلبية عربية في المجلس الجديد . . وعندما وجد الايطاليون وعملاؤهم اسمي بين الناجحين أدركوا على الفور المغزى وعرفوا أن باب رئاسة الجمعية صار مفتوحا أمامي . . ومن هنا سارعوا الى التسويف . . والمناورات المكشوفة للحيلولة دون انتخاب الرئيس . . ونجحوا في ذلك عدة مرات . . فتأجل انتخاب الرئيس . . فتجمعنا أمام مكتب الضابط الزراعي وشكونا له . . فتوجه الضابط الى مدير الاتحاد (جوستي) والعضو المنتدب (ماریاني) . . وأخذ الضابط يلومهما على التغاضي والتساهل اللذين تسببا في وصول الأمور الى هذا الحد . . ونصحهما بالعمل على استمالة جزء من الأعضاء العرب الى جانبهما . . فأفهماه انهما حاولا ذلك وأن هذا هو سر التأجيل . . مرة اثر اخرى . . واضطر الضابط الى تحديد يوم الانتخاب مكرها . . وأصبحت رئيسا للجمعية . . رغم محاولات الايطاليين واغراءاتهم واغداقهم الكرم على البعض وجاء بشير السعداوي على رأس وفد للجمعية للتهنئة بالمجلس الوطني الجديد . . وتهنئتي برئاستها . . واثرها انحسر نشاط الايطاليين . .

وعندما جاءت لجنة التحقيق الرباعية . . ووجدتني على رأس الجمعية . . اذا بأعضاء اللجنة يدورون في حلقة مفرغة من الأسئلة العقيمة . . وطلب بيانات تقليدية . . كان يمكنهم الحصول عليها مكتوبة وبصورة أسهل وهم في مكاتبهم في أمريكا . . فليس الهدف . . ولا يمكن أن يكون . . مجرد الحصول على بيانات عن المزارع والمزارعين والمحصول والهكتارات الصالحة للزراعة والآفات والكوارث الطبيعية . . والجفاف . . أو حصر نسبة المياه الفصلية . . الى آخر الموضوعات المشابهة . . وقد نشرت جريدة طرابلس بتاريخ ١٥من ابريل ١٩٤٨ خبرا عن لجنة

التحقيق الرباعية أوجزته فيما يستحقه من قصير الجمل . . اذ قالت الصحيفة تحت عنوان لجنة التحقيق الرباعية . . ما نصه :«علمنا أن لجنة التحقيق الرباعية قد استمعت يوم الاثنين الماضي الى جمعية المزارعين . . وقد مثل الجمعية رئيسها السيد الهادي المشيرقي . . ونائبه ماركيتي . . » . . ولو سعت الصحيفة لمعرفة تفاصيل ما جرى بيني وبين اللجنة الرباعية فتمكنت من نقل صورة واضحة للمواطنين حول انحياز هذه اللجنة وابتعادها عن الحياد والايجابية فيما يتصل بمهمتها . . أما نشاط الجمعية في عهدها الجديد . . فقد اتجه لتحقيق العدالة في التعامل وانصاف المواطنين . . وتمكينهم من حقوقهم في التسهيلات الزراعية والمستلزمات الأخرى كما تقدمت الجمعية الى السلطات بمكاتبات تطالب بالاصلاحات وتحدد المشاكل وأساليب وطرق العلاج . . وأقامت الجمعية [١] علاقات طيبة بالمزارعين وطبعت النشرات والكتب الارشادية ووزعتها عليهم . . ولم يكف الايطاليون والانجليز عن محاولات التعويق . . وخلق المشاكل والصعوبات أمام المجلس الجديد . . حتى كان يوم ٣ من مايو من نفس العام ١٩٤٨ . . اذ جاء موعد انعقاد مؤتمر الزيتون لحوض البحر الأبيض المتوسط واختيرت الجزائر مكانا للمؤتمر . . ومن جهتي فلم أهتم في البداية بمشاركة الجمعية الزراعية فيه . . فلم تكن مرت غير أسابيع قليلة على انتخابات الجمعية . . وما صاحبها من ارهاق ومجهود وتكاليف باهظة تحملتها في معظمها من جيبي الخاص . . وتمثلت في الدعاية ودفع الرسوم للانتساب لأعداد من المزارعين الوطنيين حفزا لهم على المشاركة في الانتخابات . . هذا فضلا عن أن حضور المؤتمر سيكلفنا المزيد من نفقات . . قد نحتاجها للقضية الأهم والأخطر . . قضية الوطن . . ولكنني اكتشفت أمرا . . كان لا بد معه من اعادة تقدير الموقف . . فقد شكل الايطاليون وفدا منهم عن طريق الاتحاد الزراعي . . وصار المفترض أن يحضر هذا الوفد الايطالي ممثلا لليبيا . . ولهذا ما له من معان ودلالات . . وهكذا أسرعت الى مدير الزراعة أطلب التصريح لي بالسفر . . فقد سبق أن منعتني السلطات العسكرية من ذلك . . ولم يسمح لي مدير الزراعة

---

(١) ـ أنظر رقم ١٨ من الوثائق الملحقة .

الا بعد أن أكدت له أنني مسافر على حسابي الخاص . . وركبت سيارة المحاسب مازوكو . . وهو صديق للعرب . . وكان حضوري للمؤتمر مفاجأة أثارت الايطاليين وجعلتهم يتصرفون بدون منطق أو روية . . فلجأ احدهم المسمى «لاتانسي» الى وضع الماء في خزان البنزين لسيارتنا حتى يمنعنا من مواصلة التنقل مع المؤتمر . . وفي طريقي الى الجزائر توقفت في تونس حيث قابلت الوطني الغيور عمر مالك الذي يدرس في جامع الزيتونة وقتها . . ومع ذلك فلم ينس أو يقصر في واجبه الوطني . . وحضر الاجتماع بعض الاخوة الجزائريين الذين سلموني شفرة . . تمكنني من الاجتماع بمصالي الحاج رئيس حزب الشعب . . وعندما انتهى مؤتمر الزيتون . . استخدمت الشفرة فتمكنت رغم المصفحات الفرنسية المحاصرة للبيت . . أن أدخل على الحاج مصالي . . رجل في منتصف العمر . . كثيف شعر اللحية والرأس يتكلم العربية والفرنسية . . دار حديثنا عن الشمال الافريقي . . ثم عن فلسطين . . وكانت المعارك على أشدها مع العصابات الصهيونية . . وقد كان له رأي ما زلت أذكره . . فقد أبلغته بدخول الجيوش العربية لفلسطين . . هنا امتقع وجهه . . وضرب كفا بكف وقال ما نصه : «ضاعت فلسطين . . كان يجب على العرب مدّ الفلسطينيين بالسلاح والمتطوعين ـ لا الدخول رسميا . . لأن العرب محكومون لا حاكمون ـ وزمام أمرهم بيد غيرهم . . وفي طريق العودة . . كنا نجد الرجال . . زرافات . . ووحدانا . . كلهم يسيرون في اتجاه واحد . . وكثيرا ما توقفنا لنسألهم عن وجهتهم . . والاجابة في كل المرات واحدة : «الى فلسطين» . . رجال من الجزائر . . وتونس . . وعندما وصلت الى طرابلس . . وكنت عضوا في لجنة اعداد المجاهدين وارسالهم لمصر . . وجدت بعض هؤلاء الذين قابلتهم في الطريق . . وأثناء توقفنا في طريق العودة بتونس . . عاودت الاجتماع بعمر مالك والاخوة الجزائريين . . ولما عرفوا بخبر اجتماعي بمصالي الحاج أقاموا حفلة تكريم حضرها العديد من الوطنيين العرب . . واستمعوا الى ما دار في الاجتماع وقد قدمت مذكرة لكل الأحزاب بليبيا والجامعة العربية وجماعة تونس عن حقيقة الأوضاع في الجزائر . .

الفصل الثامن عشر

هذه الحفر تحت أشجار الزيتون

فجأة ومن جديد . . قفز اسم كريه . . على صفحة الأحاديث اليومية للناس . . سواء العرب والايطاليون . . رغم أن الموت والأحداث نفسها كانت قد تحركت بهذا الاسم لزوايا النسيان . . مؤقتا على الأقل . . اما الاسم فهو السفاح الايطالي (غراتسياني) . . وأما المناسبة فقد جاءت مع بدء جلسات محاكمة مجرمي الحروب . . والذين ارتكبوا المذابح ضد الانسانية . . وبالتحديد ففي ٢٠ من يوليو ١٩٤٧ عقدت محكمة العدل الدولية جلسة للنظر في جرائم (غراتسياني) . . وقد كتبت للمحكمة على الفور في نفس التاريخ . . كما عمدت الى بعض وثائق في حوزتي . . فأرفقتها برسالتي . . ولحسن حظي فقد وصلت رسالتي والوثائق في وقت مناسب(١) . ولكن . . ورغم الممارسات الوحشية لهذا السفاح . . فان الايطاليين الموجودين في ليبيا تحركوا في نشاط مكثف . . ودونما حساب لحياء أو وازع اخلاقي ليحولوا دون تقديمه الى المحاكمة . . وليجمعوا توقيعات من هنا وهناك اعتمادا على الايطاليين . . وعلى المرتزقة الذين عملوا في خدمة هذا السفاح . . ومع عظم الدهشة التي تملكتني ازاء هذه

---

(١) ـ وقد حررت رسالة لامبراطور الحبشة طالبا منه أن يضع ثقله معنا لدى محكمة العدل الدولية وقد تسلمت منه ومن المحكمة إشعاراً بالوصول ونشرت جريدة طرابلس الغرب سير القضية ودعم حكومة الحبشة لقضيتنا لدى تلك المحكمة ومتابعتها بجد .

الوقاحة التي تفوق أي وصف . . فانني نجحت مرة أخرى في تعميم نداء مطبوع لايقاف الحملة الايطالية الهادفة لوقف المحاكمة . . وعلى أثر هذا النداء قامت هيئة تحرير ليبيا باصدار منشور تاريخي في هذا الصدد . . سجلت فيه على الايطاليين . . وفي قليل من السطور . . وقد صدر هذا المنشور بتاريخ ٣١ من اكتوبر عام ١٩٤٨ . . موجها الى الشعب بأسره .

وكانت السلطات الايطالية قد اتبعت عادة ثابتة . . هي تصوير المجاهدين أثناء عمليات الاعدام . . وحرصا من هذه السلطات على عدم تسرب هذه الصور الى العرب . . أو حتى الايطاليين المدنيين . . لجأت الى فرض رقابة مشددة وتخصيص ضابط من حرس الجيش ليرافق عملية التصوير في مختلف مراحلها . . حتى ينتهي الى تسلّم الصور بالكامل . . فيسلمها بدوره للقيادة . . وبالطبع فان مثل هذه الصور هي بحد ذاتها أقطع الأدلة ادانة للعدو . . وكشفا عن وحشيته وجرائمه . . وهكذا تحركت في محاولة للحصول على بعضها . . وقد وضع القدر في طريقي بشير حسن حلاوة الذي كان يعمل مساعدا للمصور الايطالي (براقوني) . . وخاطر بشير فسلمني بعض هذه الصور . . كلها جاءت غاية في البشاعة والدلالة أيضا . . وعلى الفور قمت بارسال جانب منها الى لجنة الدفاع عن طرابلس برقة بدمشق[1] . . وأذكر أن بعضها كانت لمجموعات من المجاهدين جرى اعدامهم بمزرعة التلمساني والحصائري بقرجي . . وفيها استخدم الايطاليون جذوع الأشجار وأغصانها كمشانق . . ولأن الأشجار . . أشجار الزيتون ليست بأطول من قامة الانسان . . فقد حفر الايطاليون أسفلها حتى يتمكنوا من تعليق المجاهدين دون أن تصل أقدامهم للأرض . . وقد رأيت بعيني رأسي هذه الحفر . . فيما بعد . . ورغم مرور زمن طويل على تلك الأحداث المؤلمة . .

---

(١) ـ أرسلتها الى القاهرة، لعبد العزيز محجوب عن طريق بديعة مصابني حيث كانت مع فرقتها تحيي حفلاتها بطرابلس .

وقد قامت هيئة التحرير بنشر هذه الصور وطبعها وتعميمها في أروقة هيئة الأمم المتحدة أثناء مناقشة القضية الليبية . . في اجتماعات هيئة الأمم بليك سيكس .

وللتاريخ فان نشاط الجاليات الايطالية في ليبيا دار في اتجاهين متناقضين تماما . . فالعقلاء الذين نظروا لأبعد من تحت أقدامهم ووعوا ما يدور على امتداد ساحة الوطن . . بين الشعب . . وقفوا الى جانب استقلال البلاد ووحدتها . . وشكلوا تنظيمات وكتبوا مقالات في الصحف الايطالية والمحلية يعلنون هذا الموقف . . ويرسونه على أقوى الضمانات لصالح الايطاليين أنفسهم . . اما الآخرون فقد اشتطوا في التطرف . . ولم يروا بديلا لعودة ايطاليا لحكم ليبيا . . وهم لم يقفوا أسرى هذه الأماني والطموحات . . بل تحركوا في استماتة واصرار . . فنشروا الشائعات وعلى أوسع نطاق . . حتى أن مظاهر عديدة للحركة اليومية دارت مع هذه الاشاعات . . أحيانا وجودا وعدما . . وأحيانا أخرى تفاعلا وتأثيرا . . فمثلا أسعار العقارات والاراضي . . صارت مؤشرا دقيقاً يحدد مدى رواج هذه الشائعات . . فاذا تردد أن ايطاليا في طريق العودة لليبيا . . فان الاسعار ترتفع . . بحكم تمسك الايطاليين بمزارعهم وعقاراتهم . . وعندما يخمد صدى هذه الاشاعات تعود الأسعار للهبوط . . ويعرض هؤلاء للبيع بعض مقتنياتهم . . وهكذا الحال في ظواهر حياتية أخرى . . وقد عمد هؤلاء الايطاليون المتعصبون أكثر من مرة الى حماقات فطبعوا منشورات للحزب العربي الموالي لهم في مطبعة يملكها (ديمايو) وهو ايطالي . . والمنشورات تؤيد من بعيد عودة الايطاليين . . ولم يملك الشباب الوطني غير اللجوء في بعض الأحيان الى أساليب تتناسب وضراوة المؤامرة على الوطن . . فمثلا لاسكات هذه المطبعة التي تعمل في الظلام . . جاء الشباب لمحاولة حرقها في ليلة ٢٢ من أبريل من عام ١٩٤٨م . . كما عمد هؤلاء الايطاليون المتعصبون الى تكوين تنظيمات هي في جملتها فاشية . . فمثلا شهدت ليبيا في أحرج فترات وقوفها عند مفترق الطرق . . هذه التنظيمات الايطالية الفاشية :

* الشياطين السود . . وهو تنظيم يعمل تحت ستار رياضي . . **هو التدريب واللعب** بالدراجات النارية . . ويشرف عليه ويديره **فاشيون متطرفون** .

* مشوهو الحرب . . ويرأسه ايطالي متعصب هو جلمبرتي ويضم بين أعضائه عساكر وصف ضباط من العرب المرتزقة .

* اتحاد الكاثوليك ويرأسه الاميرال فينسي . . وهو من فلول حزب سياسي جرى تكوينه خارج ايطاليا .

* يوفينتوس . . ويعمل بدوره تحت ستار رياضي .

* وأخيرا نادي **ايطاليا** . . ورئيسه (فينكيارو) ويديره (براديرا) ويتخذ هذا النادي **مظهرا** رياضيا موسيقيا . . ويجيد التخفي وان كان في حقيقته يتبنى **فكرا وبرامج تتناقض** والأهداف الوطنية ويمثل أكبر تجمع أو تنظيم ايطالي فوق أرض ليبيا . . **وقد احتل** عمارة بأكملها هي التي ضمت للتسجيل العقاري بعد ذلك . . نفس **المبنى الضخم** بجوار فندق السودان بطرابلس . . وكان لهذا التنظيم مسرح **وكباريه** كبير . . وقد انفضح تخطيط وأهداف هذا النادي . . **تماما عند وفاة غراتسـياني** . . **فقد** أرسل هذا النادي كميات كبيرة من أكاليل الزهور . . **وانتدب وفدين** للمشاركة **في** تشييع الجنازة بايطاليا . . بين أعضائه رئيس **النادي نفسه** . . وخرأ أعضاء النادي خلف جثمان (غراتسياني) في صورة منظمة . . **تضعهم في مكانهم** الحقيقي كجزء من النظام الايطالي الرسمي فوق تراب البلاد . . **وقد نظموا** مسيرة لم تشهدها ايطاليا حدادا على (غراتسياني) . . **أطلقوا عليها في ايطاليا** (مسيرة المعمرين) . . ودفنوا (غراتسياني) في المكان الذي **اختاروه** . . **وزادوا فعملوا على** تخليده برموز ومسميات كثيرة . . تضيف اليه **بطولات زائفة** . . وانتصارات أشد زيفا . . كما لجأوا الى تأليف الكتب عنه . . **واطرائه في كافة المناسبات** والمحافل . . كشخصية وطنية ايطالية من **الطراز الأول** . . **مسقطين من الحسابات** كل المبادىء والقيم الانسانية التي تدفع بغراتسياني الى **الصفوف الأولى . . في قوائم اعداء الانسانية من السفاحين والقتلة وسفاكي الدماء** .

وقد عرف الشعب أيضا تنظيمات ايطالية بدت بعيدة عن السياسة .. أيضا .. أو حاولت هي أن تبدو كذلك .. حتى بحكم مسمياتها ونشاطاتها .. فمثلا الاتحاد الزراعي الذي يرأسه (جوستي) كان من بين منتسبيه أيضا انطوني ، لاتنسى ، مارياني ، فيسكاردي ، سطوكازا .. وقد عمد هذا الاتحاد الى أسلوب احتكاري .. فاحتكر كل مواد التموين .. مما لا يتصل بالزراعة بصلة .. وحقق لأعضائه أرباحا مهولة .. وقد عمد لمد وتأييد الأحزاب السياسية الاستعمارية الايطالية بالعون المادي والأدبي .. وكثيرا ما اصطدم بالتنظيمات المستنيرة التي تؤيد حرية واستقلال البلاد .. خاصة الجمعية السياسية لترقي ليبيا .. وقد عمدت هذه الأخيرة الى نشر فضائح الاتحاد المالية .. وكيف أنه يوزع نسبة ١٠٪ فقط من أرباحه الطائلة على أعضائه .. وفي الوقت الذي يتبرع فيه بنسبة ٩٠٪ منها للأحزاب الاستعمارية والفاشية في ليبيا .. تلك الأحزاب التي تنادي بالعودة لحكم ليبيا .. هذا بجانب مسرح وسينما سيمس .. حيث يستعمل كمدرج لجلوس مستمعي محاضرات المعمرين الاستعماريين .. وكثيرا ما ارتفع صوت الأسقف فاكينيتي عبر مكبر الصوت .. متوعدا الليبيين .. ومهددا الايطاليين الانفصاليين كما كان يسميهم .. وهم الايطاليون الذين يؤيدون الاستقلال لليبيا ويقفون بجانب مصالحهم الذاتية في نفس الوقت .. وقد وصلت استفزازات الأسقف فاكينيتي حدا لا يمكن السكوت عليه .. خاصة وأنه اعتقد خطأ ان تجاهلنا له هو من قبيل الخوف منـــه أو الاعتبار لشأنه .. وقد قمنا بالشكوى للحاكم العام الانجليزي .. فرد علينا ببرود انجليزي أكثر من تقليدي .. وتلخص رده في أنه يمكننا الرد عليه عبر مكبر صوت أضخم .. فما كان من أحدنا الا أن كتب رسالة بدون توقيع سلمها لأحد أعوان الحاكم .. والرسالة تؤكد أننا سنـرد على الأسقف بالرصاص .. وليس بمكبر الصوت .. كما تهكم الحاكم .. وترتب على هذه الرسالة أن بقي الأسقف في الكنيسة أكثر من ستة أشهر لم يبارحها .. وانقطع صوته نهائيا من مسرح سيمس .

* * *

نادي (ماكابي) العالمي بلندن فرع طرابلس .

هذا نادي صهيوني له فرع بطرابلس من العهد الايطالي وكان رئيسه (زرد) واخمدته ايطاليا قبل الحرب وعند دخول الحلفاء لليبيا بدأ نشاطه من جديد تحت رئاسة (زاكينو حبيب)[1] .

ان هذه المشاعر والخواطر التي راودتني طوال الطريق . . فوجئت بها مجسدة بصورة مادية وعامة في طرابلس . . فالذي حدث أن أعضاء وفد الجبهة عادوا من برقة كما توقعت لهم تماما بخفي حنين . . وأدى ذلك الى خفوت الحماس للامارة والأمير وبدأت الجبهة بدورها تصمت ازاء هذا الموضوع . . وران ما هو أكثر من الصمت . . اذ أخذت ارهاصات الرفض تتوالى . . وسرعان ما انعكس ذلك دعما وتقوية لما يدور في أعماقي . . لولا جملة بوادر . . جاءت بما يشبه الصدمة الكهربائية . . فهزت كياني كله . . وتمثلت في تصرفات الايطاليين الموجودين بطرابلس الذين يقض مضاجعهم شبح الوحدة . . فهي في نظرهم الأمل في العودة لطرابلس . . وهكذا شكلوا جميعا مؤشرا حساسا لما يدور . . اذا بدت الوحدة محتملة . . فانهم يعبرون عن الحزن والضيق والتوتر . . واذا بعد احتمالها . . ظهرت عليهم امارات السعادة والنشوة . . وتثاقلت أقدامهم وأنفاسهم في شتى الأماكن والمحافل . . وهناك قول مأثور يتلخص في أنه عندما تختلط الأمور . . ويصعب التمييز . . فان أسلم طريق للوصول الى حل أو قرار صحيح هو مراقبة العدو واكتشاف مواقفه وتحركاته والتزام ما يقابلها ويناقضها . . وهكذا فان شماتة الايطاليين وانزعاجهم من وحدة البلاد . . لا بد وأن يتمثل الرد الصحيح عليهم . . بالتمسك والعمل من أجل الوحدة ومن جديد . . ورغم عواصف تكاد تمزق النفس من الداخل . . وآلام تدمي الوعى والفؤاد . . ذهبت الى محل أحد الدهانين . . وجئت بطلاء وعامل . . وانتظرت حتى خيم الليل وانصرف الجميع من مقر الحزب داخل النادي . . وطلبت من العامل أن يرسم العلم السنوسي على الجدران الأربعة للنادي . . وأن يجعله كبيرا وواضحا . .

---

(١) ـ انظر رقم ١٩ من الوثائق الملحقة .

وفي الصباح جاء الناس الى النادي . . ليجدوا في انتظارهم هذه المفاجأة . . التي تستعصي على الازالة أو التمزيق . . كما حدث في حالات تعليق الاعلام الورقية والقماشية أو لصقها على الحوائط . . وللحقيقة فقد ترك الجميع العلم ولم يتعرض له حتى الذين أبدوا تعصبا وحماسا ضد الامارة . . فلعلني أحرجت الجميع . . في وقت رفضوا هم فيه احراجي أو مضايقتي . . ولم احتج لشرح . . أو بمعنى أصح لم يطالبوني هم بشرح أو تبرير . . كرما ونبلا علما بأن حججي في هذه الحالة . . لم تكن لتزيد عما سبق أن قلته للرفاق والأصدقاء في القاهرة . . وكررته على مسامعهم في الأيام الأخيرة من الزيارة . . بأنه يلزمنا التمسك بالأمير لنبعد شبح عودة الطليان . . وعند ذلك يصبح ابعاد الأمير أسهل . . اذا سار في ركب الاستعمار . . وأقل مخاطر من ابعاد الطليان فيما لو عادوا . . وان نضالنا ضد الانجليز . . لا بد وأن يجرف معه أنصارهم وأذيالهم بالتبعية .

وصولا بالمناورة الى مشارف الخطر

في يوليو من عام ١٩٤٧ تم ابرام معاهدة صلح بلندن بين بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وروسيا من جهة . . وايطاليا من جهة أخرى . . وفي هذه المعاهدة تنازلت ايطاليا عن مستعمراتها . . وكان قد سبق ذلك في باريس نقاش طويل بين الحلفاء على مصير المستعمرات . . لم يؤد الى نتيجة . . وجرى النقاش على نفس المنوال في لندن . . وهكذا جرت احالة قضية المستعمرات الى هيئة الأمم المتحدة . . وعقدت هذه الأخيرة اجتماعاتها في (ليك سيكس) حيث تقرر ارسال لجنة استفتاء الى المستعمرات الايطالية . . وتتلخص وظيفة هذه اللجنة في استفتاء شعوب هذه المستعمرات حول المصير الذي ترغب فيه . . والطريقة التي تريد أن تكون عليها ادارتها لمقدراتها . .

وقد بدأت لجنة الاستفتاء عملها بالسير الى (ارتيريا) . . وحتى لا نؤخذ على حين غرة . . وضمانا لوجود نوع من التنسيق والاستعداد بيننا لعملية الاستفتاء . . ونظرا لما كنت ألمسه من فرقة بين الأحزاب وتطاحن بين بعض الأفراد ذوي النزعات والمصالح الذاتية . . نظرا لهذا وغيره . . فقد قررت أن

أحصل على معلومات حول نوايا اللجنة . . وأسلوب عملها . . ونظام حركتها بين التيارات والأحزاب في ارتيريا والصومال . . وبالفعل كتبت برقيات ورسائل عاجلة الى الأحزاب والشخصيات المعروفة هناك . . وحددت طلباتي . . في الرغبة في تحصيل صور عن مجريات الأمور بصفة عامة . . ومراحل الاستفتاء والاتصالات بين اللجنة وقيادات الشعب الأرتيري بصفة خاصة . . ولم يطل انتظاري . . فقد تلقيت شرحا وافيا وأمينا . . بتاريخ أول فبراير ١٩٤٨ . . مصدره الرابطة الاسلامية بمدينة كرن بأرتيريا . . وفي نفس اليوم عمدت الى نسخ عديد من النسخ لهذه الردود وأرسلتها لكل الأحزاب والهيئات الموجودة بالبلاد وبعد ارسالها بيومين . . اذا بجريدة طرابلس الغرب تصدر وعلى صفحاتها الرد الذي بعثت به إليّ الأحزاب . . ولم يكن السر في نشره بالكامل خافيا . . أو يحتاج لكثير تفكير . . فالصحيفة (طرابلس الغرب) تتبع الادارة البريطانية . . وتضمّن الرد ما يشير لوقوف السلطات الانجليزية على الحياد بالنسبة لعمل اللجنة . . وقد ذكر ذلك الأخ ابراهيم سلطان رئيس الرابطة الاسلامية . . وسجل أن السلطات الانجليزية ـ عندهم ـ لم تتدخل في حرية الشعب واتصالاته باللجنة ورأى الانجليز ـ عندنا ـ ان هذه الشهادة قد تفيدهم مستقبلا . . وقد زاد رئيس الرابطة الاسلامية فأرسل لي نسخة من مذكرة الرابطة للجنة الاستفتاء . . والتي قدمتها الرابطة بتاريخ ٧ من نوفمبر ١٩٤٧ . . وقد رأيت تنويع اتصالاتي . . حتى أحصل على صورة شاملة . . ومفيدة . . فكتبت للأخ أحمد صالح باسعد في منطقة مصوع ـ أسمرة . . ووافاني بدوره بإجابات شافية على استفساراتي . . وقمت بدراستها . . لأبدأ على ضوئها حركة اتصالات واسعة امتدت من كل الأحزاب الوطنية الى الأحزاب والتنظيمات الايطالية الموجودة في الوطن . . فاتصلت بالحزب الاشتراكي الايطالي بطرابلس . . وقد برز فيه عضو هو (ألفارو فيلشي) . . وقد عمل هذا الرجل الى جانبنا . . وشارك في أعمال كثيرة لمصلحة القضية الوطنية سواء بصفته الشخصية أو الاعتبارية كواحد من قيادات الحزب وباسم الحزب كله كذلك تحركت والى الجمعية السياسية الايطالية لتقدم ليبيا وهي الجمعية التي يرأسها (تشيبيلي) وذات الموقف الواضح مع استقلال البلاد وضد عودة النفوذ او الادارة الايطالية بأي شكل من الأشكال . .

وانضمت الى جانبنا الجبهة الاقتصادية الايطالية برئاسة كاتيني[١] .

وهكذا . . تم تعميم جزء أساسي من المعلومات عن اللجنة . . وطبيعة عملها ومنهجها . . ودارت مناقشات مستفيضة لما جرى في ارتيريا . . وبالتالي فقد توافرت بوادر الاستعداد والردود على اللجنة . . وجاءت اللجنة بالفعل . . ورأيت من المفيد أن تستمع الى صوت المزارعين . . خاصة وأنني أقوم برئاسة مجلس الادارة لجمعية المزارعين . . وأحوز على ضمانة أخرى هي تأييد عدد من أبرز المعمرين الايطاليين . . وقد قمنا فعلا بتحرير مذكرة إضافية . تنقل وتترجم بصورة مرضية أماني الوطنيين في استقلال البلاد . . وبالمقابل دبجت الهيئة السياسية لتقدم ليبيا (الايطاليون الأحرار) مذكرة وافية جاءت معبرة عن تمنيات الوطنيين الليبيين . . وقد طلبوا مني أن أطلع عليها بشير السعداوي . . فحملتها اليه . . فأثنى على مضمونها . . وسلمها إليّ مشجعاً وشاكرا . . حتى تأخذ طريقها للجنة الاستفتاء . . وأذكر في هذا الصدد تعقيبا فاه به أحد الحاضرين مع بشير . . ممن حز في نفسه اطراء بشير للمذكرة . . وكان التعقيب يشكك في وصول نفس المذكرة الى لجنة الاستفتاء . . ويحاول أن يتهم الايطاليين بامكانية التغيير فيها أو تقديم مذكرة أخرى مخالفة للجنة . . وزاد التعقيب فوصف المذكرة بأنها موضوعة خصيصا للتضليل . . ولكنني لم أعر الأمر أي اهتمام . . اذ كنت أثق من نتيجة جهودي ومن صدق هؤلاء في تقدير مصالحهم . . وبالفعل . . فقد أخذت المذكرة من بشير وتوجهت بها الى تشيبيلي وأصحابه . . وهناك وجدت معهم مركيني مازوكو . . بسكوتو . . وغيرهم . . فسألوني ان كان لنا ملاحظة على المذكرة . . ولما أجبت بالنفي . . ووصفتها بأنها في الصميم . . وهممت بالانسحاب . . اذ بشبيبلي يعيدها إليّ طالبا مني أن أحملها بنفسي الى لجنة الاستفتاء . . بعد أن ضمنوها توقيعاتهم وأسماء التنظيمات والشركات التي يمثلونها . . وبهذا رفعوا ودحضوا أية شكوك أو وساوس تحوم حولهم . .

---

(١) انظر رقم (٢٠) من الوثائق الملحقة .

والغريب . . أن عدة بوادر صدرت عن اللجنة . . أثارت الكثير من القلق في نفوسنا فقد جرت تعليقات أعضاء اللجنة الأممية على لفظ الاستقلال . . وكأنه مرادف للأحلام . . وقد أزعجني ذلك . . فعمدت الى طبع مستندات وصور . . تدمغ الوجود الاستعماري الايطالي . . وتكشف مدى وحشية وهمجية الفاشيست . . وصبر الشعب بالتالي . . ومواجهته البطولية لمحنة الاحتلال . . وقد ساعدني في ذلك فؤاد الكعبازي . . وقد جهزت منها أربع (البومات) كاملة قدمتها لممثلي الدول الأربع في اللجنة . . ووضعت لها عنوانا هو (صوت من وراء القبور) [١] . ومع استمرار وجود الشكوك في نوايا اللجنة . . عمدت الى تحرك آخر هو تكثيف الاتصالات بالايطاليين لدفعهم لمزيد من التأييد العلني والجماعي للقضية الوطنية . . وذلك بالمشاركة في المسيرات . . وفي توقيع البرقيات المطالبة بالاستقلال . . والمرسلة للجنة الاستفتاء . . وهيأت لهم فرصة لقاء مع بشير السعداوي وتصاعد حماسهم للقضية حتى أن تشيبيلي ومازوكو سألاني مرة عن سبب عدم قيامنا بتخريب مزرعة أو اثنتين من المزارع المملوكة للفاشيين أصحاب العلم القديم . . وذلك حتى يرتدع الآخرون . . ويلتزموا الصمت ويتجمد نشاطهم المعادي لأماني الشعب . . وقد حرصت على أن أبقى همزة الوصل بين الأحزاب والتنظيمات الايطالية وبين بشير السعداوي .

وفي هذه الأثناء ورغم خطورة المرحلة وحساسيتها البالغة . . فقد نشط البعض للأسف في اتجاه أناني . . انتهازي . . ولحسن الحظ فانه رغم خطورة مناوراتهم فقد بقوا قلة ضئيلة وان شكلت غصة في حلوق الوطنيين المخلصين . . خاصة الذين اقتربوا منهم بحكم الموقع من القضية المصيرية . . أذكر أنني قابلت واحدا منهم ذات مرة فاذا بصراحته تصل الى أبعد حد . . اذ قال لي بالحرف : اذا كان الاستقلال يعطي فرصة لغيرنا . . كي يشفي غليله منا . . فاننا نعمل على تمكين المستعمر . . حتى نكون أسيادا . . بدلا من أن نتحول الى عبيد تحت الاستقلال . . والمقصود بغيرنا في عبارته . . العناصر الوطنية المتطرفة التي كانت

---

(١) انظر رقم (٢١) من الوثائق الملحقة .

تعتبره وغيره خونة ومتآمرين . . قال هذا بروح طيبة وبقصد جمع الشمل لا التهديد .

* * *

اتخذت اللجنة الرباعية مقرا لها عمارة الغرفة التجارية القديمة بشارع اسطنبول . . وبدا الصوت الأساسي فيها لبريطانيا وفرنسا حيث المطامع سرعان ما أخذت تعبر عن نفسها . . ومن ثم تضع شكوكنا ومخاوفنا من اللجنة على أساس واقعي وحقيقي . . ومع ذلك فلم نرد أن نترك مجالا لتعللات أو مبررات يمكن أن يستند عليها اجراء للجنة من شأنه ألا يكون في صالح القضية . . ومن هنا تواصلت علاقتي باللجنة . . فكتبت لها سيلا من الرسائل التي حرصت على أن تتضمن كل واحدة منها حقائق مشفوعة بالأدلة والوثائق . . ولم يكد يمر أسبوع واحد دون أن تصلها رسالة مني . . كتبت للجنة في ١٨ من مارس ، و١٠ من أبريل ، و١٢ من أبريل ، و١٣ من ابريل من عام ١٩٤٨ . . وكلها بطرابلس . . وقد ردت على اللجنة بالعلم باستلام هذه الرسائل كلها . . وكان الحذر يغلب على ردود اللجنة على خطاباتي . . اذ كانت لي معها تجربة . . وهي ما تزال في أسمرة بارتيريا . . ففي ١٠ من ديسمبر ١٩٤٧ ناقشت هيئة الأمم المتحدة . . قضية فلسطين وغدرت بالعرب . . اذ اتخذت قرارا بتقسيم هذا الجزء من الوطن العربي بين اليهود والعرب . . وهذا دفعني الى الكتابة للجنة في أسمرة . . وقد عبرت في الرسالة بصدق عن مشاعري . . فقلت ان اللجنة ما هي الا تكرار للجان السابقة . . فهي بدورها تخدير لأعصاب الشعوب الصغيرة والضعيفة وأن اللجنة لن تنصف هذه الشعوب . . وبذلك يظل دورها من قبيل الخداع والتمويه على أبناء أقطار يطمحون في الاستقلال والحرية والعدالة وحقهم في امتلاك نواص الأمور فوق تراب أوطانهم . . وقد أثبتت التجربة صدق ما جاء في الخطاب . . وظهرت على المكشوف مناورات اللجنة بعد تركها ليبيا . . وقد بلغت الرسائل المتبادلة بيني وبين اللجنة والأحزاب والصومال وارتيريا ثلاثا وثلاثين رسالة .

وقد بقيت هيئة تحرير ليبيا . . رغم ذلك ملتزمة الموقف السليم من اللجنة . . فمع كامل علمها بالاطماع والالاعيب . . حرص بشير السعداوي على تجميع كافة البيانات والأرقام المطلوبة . . ومن أوثق المصادر . . ليمد بها اللجنة اجابة على أي استفسار أو تساؤل . . قد يثار . . من ذلك مثلا : ان هيئة التحرير أرادت دحض الفردية التي حاولت الترويج لادعاءات بأن ليبيا غير قادرة على الاعتماد على نفسها اقتصاديا . . فطلبوا مني تحضير الوثائق والبيانات التي تنفي هذه الادعاءات . . فاتصلت بصديق لي في قسم التوريد والتصدير . . ما زلت أذكر اسمه (حبيب نجار) . . وقد زودني ببيانات وافية عن حركة الاستيراد والتصدير الخاصة بليبيا . . وكانت متوازنة تقريبا . . ثم اتصلت بالمستر سوللر . . وهو من أصل مالطي . . يشتغل مع بنك (باركليز) فزودني بدوره بمعلومات مفيدة . . ثم ذهبت الى الجمارك والضرائب والجهات الأخرى ذات الصلة بهذا الجانب الاقتصادي وجمعت المعلومات اللازمة وقدمتها لهيئة التحرير . . كذلك طلب مني بشير وزملاؤه في الهيئة أن أزودهم بنماذج ووقائع عن أعمال العنف . . وأساليب الغطرسة الايطالية والاستبداد وأوجه التمييز العنصري التي مارسوها ضد أبناء البلاد . . وقد سلمتهم وثائق سبق وأن أشرت الى قصتها في غير هذا المكان .

نشاط محموم للايطاليين في أرجاء البلاد

جرف التيار السياسي الجميع . . ودونما استثناء . . المواطنين في الداخل والخارج . . والمعمرين الايطاليين . . وتوحدت مواقف . . وتباعدت مصالح . . واختلفت اتجاهات . . ولكن الكل في النهاية وجد نفسه داخل المعمعة . . في عنفوانها تحرك الكثير من الايطاليين في اتجاه ضيق الأفق يسعى لاعادة ايطاليا الى ليبيا بأي ثمن وقد عمل هؤلاء كطابو خامس نشط . . وبرز آخرون وعوا جيدا مصالحهم ومن ثم حركتهم هذه المصالح لالتزام خط ثابت محدد . . هو تأييد قضية استقلال البلاد ووحدتها . . واذا كنت قد تطرقت الى التنظيمات الفاشية المعادية لأماني الشعب فانني التزاما بالموضوعية أوجز هنا في نبذة عاجلة سطورا قليلة عن التنظيمات الايطالية الموالية للقضية الوطنية وعلى رأسها جميعا تقف الجمعية

السياسية لتقدم ليبيا ويرأسها الموثق تشيبيللي وضمت عددا من أصحاب المراكز والثقافة والمال الايطاليين . . وقد اشتهروا بالتبصر والروية وسعة الاطلاع على الشؤون الدولية . . ولعل ذلك هو الدافع لهم للالتزام بموقفهم الى جانب الشعب الليبي . . ضمانا للحفاظ على مصالحهم ومكاسبهم وأملاكهم . . اذ لم يعد ثمة طريق غير مساندة الشعب والاقتراب منه . . كذلك الحزب الاشتراكي الايطالي . . ويقوم بادارته في طرابلس الفاروا فيليش . . وقد عمل معنا بنشاط وجدّ وأبدى اهتماما كبيرا بقضية استقلال ليبيا ووحدتها . . وأيضا الجبهة الاقتصادية ويرأسها كاتيتي وضمت عددا قليلاً من الاعضاء . . وقد ابتعدت عن السياسة . . وان لم تتأخر في تأييدنا عندما كنا نطلب منها ذلك . . وتعدى نشاط المعمرين طرابلس الى الدواخل . . فامتد الى غريان وترهونة والخمس والزاوية والقره بوللي ومصراته وغيرها . . وفي هذه الأخيرة برز نشاط فاشي ايطالي كبير . . ظل علما عليه هو كابيلّي . . ولعدم وجود جاليات ايطالية في كل من برقة وفزان فقد خلت الولايتان من مثل هذه المشاكل والصراعات . . التي امتدت الى الصحف . . سواء منها الصادرة في ليبيا أو خارجها . . في ايطاليا نفسها . . وقد تابعت الصحف الايطالية هذا النشاط المحموم للايطاليين في ليبيا . . وهاجمت بعضها علنا الفئة المتعاطفة مع استقلال البلاد ووحدتها ووصفتهم بالانفصاليين . . وقد لجأ هؤلاء الى الدفاع عن مواقفهم على صفحات الصحف الليبية نفسها . . فاتشبيلّلي رئيس الجمعية السياسية لترقى ليبيا نقلت له صحيفة طرابلس الغرب مقالا غاية في الدلالة . . نشره في صحيفة الكوريري الصادرة بطرابلس . . المقال منشور في (طرابلس الغرب) بتاريخ ٢٥ من مايو ١٩٤٩ . . واني أنقل أهم فقرات المقال هنا . . استكمالا للصور في ذهن القارىء . . يقول تشيبيللي . . والحق ما شهد به الأعداء :

«منذ أن انتهت الحرب وظل في الامكان الشروع عمليا في مناقشة مسائل معاهدة الصلح ومن بينها أمر مستقبل هذا البلد (ليبيا) منذ ذلك الحين كنت قد كتبت الى وزارتي الخارجية وافريقيا الايطالية بروما . . كما كنت قد نشرت المقالات في الصحف المحلية والجرائد التي تصدر في ايطاليا شارحا وجهة نظري

التي عرفت معرفة مفصلة ولا لزوم الآن الى اعادة شرحها سيما وقد وردت مبينة بكل دقة في البرقية التي بعثت بها أخيرا الجمعية السياسية الايطالية لتقدم ليبيا الى منتظم الأمم المتحدة .

ووجهة نظري هذه هي في جوهرها معارضة على خط مستقيم لوجهة النظر الحكومية الايطالية ، ذلك لأن هذه الأخيرة ترتكب خطأ فاحشا وبعيد الأثر بسبب عدم اقامتها أي وزن لحقيقة واقعية تتمثل في انتشار الروح الاستقلالية بين الليبيين انتشارا جارفا قويا . . وفي تكامل رشد هذه الأمة . . وفي بغضها المشروع ومعارضتها النبيلة لأية محاولة ترمي الى اعادة قيام نظام استعماري أو شبيه بالاستعماري في البلاد الليبية ولقد كنت أكدت اذ ذاك وأعود اليوم فأؤكد بأن الشعب الليبي بأسره مجمع اجماعا تاما على التمسك بمطامحه الطبيعية الشريفة والمشروعة والمتمثلة في وحدة البلاد الليبية واستقلالها القومي والسياسي . . . » .

ويمضي الكاتب في التدليل على حقيقة أهدافه . . . حماية للجالية الايطالية ولمصالحها واستعداده للدفاع عنها مهما كانت التضحيات . . الى أن يصل الى عدة ملاحظات على تصرفات الحكومة الايطالية . . هي بذاتها أقوى دليل على ما كان يجري حول قضيتنا الوطنية . . يسوقها تشبيللي للدراسة . وهي :

«ارتأت الحكومة الايطالية ألا تأخذ بنصائحي المتواضعة . . وبدلا من أن تنهج سياسة رشيدة طاهرة من أدران النزعات الاستعمارية ومتشبعة بروح التفاهم وازالة الخلاف . . وهي السياسة التي كانت تكسبنا عطف جميع الشعوب الاسلامية وتحفظ لنا عطف الأمة الليبية . . آثرت الحكومة الايطالية أن تتبع سياسة وصفتها صحيفة ايطالية في هذه الأيام الأخيرة بأنها سياسة (الاستعمار الوضيع) . . وساندت ايطاليا هذه السياسة الخرقاء بحملة صحفية استعمارية وقومية مستندة في جوهرها على أنباء كاذبة عن الحالة المحلية وهذه الأنباء الزائفة كثيرا ما سببت لنا مضايقات لأنها استفزازية تثير الأعصاب بل وتجرح في بعض الأحيان شعور الليبيين الوطني . . وان هذا كله لما يدل على أن الحكومة الايطالية عندما تنهج سبيلها السياسي المذكور تهتم قليلا وربما لا تهتم على الاطلاق بموقف

الايطاليين الدقيق هنا وبمصالحهم المادية والأدبية . . وهذه حقيقة لا يجهلها أحد منا .

كان لثلاثة من الاقتراحات التي أجرى التصويت عليها في هيئة الأمم المتحدة مغزى خاص ـ حسب رأيي ـ اذ تبشر بأن هذا البلد سيحظى باستقلاله فيجب علينا اذن معشر الايطاليين أن نرى فيها تحديدا جديا لموقف معين سيتجلى في الدورة القادمة لهيئة الامم المتحدة في سبتمبر المقبل . .

على اثر انهزام مشروع (بيفن ـ سفورزا) صرحت الحكومة الايطالية بأنها لن تغير سياستها . . كما لو أنه لم يقع أي شيء . . وهذا يجعلنا نتوقع منذ الآن بأن موقف الشعب الليبي ومظاهراته في سبتمبر القادم لن تكون بطبيعة الحال في صالح ايطاليا . . الخ . .

ونتيجة للمظاهرات ولبعض الحوادث الفردية الصغيرة التي يقع مثلها في كل بلد عندما تتحرك الجماهير . . استولى على الجالية الايطالية قلق شديد . . وكثير من أفرادها أبدوا رغبة في السفر . . وهذا خطأ فاحش وغير مناسب على وجه الاطلاق بحقيقة الحالة . . وهو في رأيي على أي حال وليد مزاج الشعب الايطالي الذي يقع في التطرف بكل سهولة . . الخ . .

على الجالية أن تشعر بأنها تعيش وسط شعب يجتاز أهم مرحلة من تاريخه الوطني . . ويحيا في ظروف سياسية متعبة . . يستحق عليها كل اعجاب وقبول . .

* * *

الترويع يتصاعد حلّا مرحليا

وفي مايو من عام ١٩٤٩ . . وعندما ألقت بريطانيا بمفاجآتها أمام هيئة الأمم المتحدة . . تلك المفاجأة التي تمثلت في مشروع (بيفن ـ سفورزا) . . كان الوفد الليبي الذي جرى اختياره برئاسة منصور قدارة ما يزال موجودا في لندن

رهين استكمال اجراءات السفر . . وهكذا الأمر بالنسبة للوفدين الآخرين : وفد برقة . . ووفد حزب الاستقلال . . وخشية لمغبة بدء المناقشات في غيابنا . . وما يمكن أن يسفر عنه ذلك من نتائج في غير مصلحتنا . . سارعت للحركة وعلى الفور فأجريت اتصالات بالوفود الدولية وحررت لهم أربعا وخمسين رسالة . . خاصة وفود الدول المؤيدة لنا . . وعلى رأسها وفد باكستان الذي تبنى القضية . . وقمت بتزويد رئيس الوفد الباكستاني بشرح واف للقضية . . ومع وصول منصور قدارة الى مقر الهيئة واطلاع الوفد الليبي المختار على ما قمت به . . أبرق لي منصور قدارة شاكرا ومثنيا على جهدي وطالبا المزيد من صور التأييد الشعبي دعما للموقف الليبي . . وتغلبا على الشكوك التي ساورت الوفود الدولية عندما وجدت أمامها ثلاثة وفود ليبية مختلفة . . وليس وفدا واحدا . . مما أدى الى تضارب الآراء . . وتباين المطالب . . والغريب أن موقف تركيا في هيئة الأمم جاء مشابها لموقف ايطاليا . . وهذا ما حفزني لمضاعفة الجهد وتكثيف الاتصالات . . وقد وصلتني برقية الوفد الليبي في تاريخ ٢٠ من ابريل من عام ١٩٤٩ . . وتقول سطورها في صراحة ووضوح ما نصه :

«يشكركم ظفر الله خان (رئيس الوفد الباكستاني) . . ويحتاج الوفد (الليبي) الى برقيات التأييد من الأحزاب والهيئات والرؤساء والأعيان . .» وقد استجبت لذلك استجابة كاملة وبأقصى الجهد . . وأسفرت الأمور عن حملة تأييد واسعة . . وقد عاونني في ذلك اخوتي وجميل المبروك وسعد الشريف وأحمد راسم باكير . . كما لجأت الى أساليب وطرق مختلفة لاظهار الاجماع الشعبي تأييدا لقضيتنا الوطنية . . فأرسلت زوجتي برقية باسم جمعية المرأة الليبية . . وللحقيقة فانه لم يكن للمرأة في ذلك الوقت أية جمعية . . ولم يقع حتى اجتماع نسائي . . وأيضا أرسل الفاروا فيليشي رئيس الحزب الاشتراكي والجمعية السياسية لترقي ليبيا . . وهما تنظيمان ايطاليان . . بدورهما برقيات الى هيئة الأمم . . يعبران فيها عن تمثيل وفد هيئة التحرير لهما في الهيئة الدولية . . وعندما تناقلت وكالات الأنباء أخبار هذه البرقيات الأخيرة هاجم المعمرون الايطاليون رئيس الحزب الاشتراكي وضربوه ضربا مبرحا أثناء تواجده في رواق دي بونوا . .

حرائق وانفجارات

ذكرت أن ردود فعلنا كانت تأتي متناسبة مع تطورات الحوادث وما يستجد من أخبار . . وجريا على عادتي في عدم الانسياق والاكتفاء بالتجريد . . فانني أسوق هنا بعض الأمثلة العاجلة للممارسات التي قرر الشعب مواجهتها بالطريقة الأنسب . . والتي تكفل وضع الحد لخطرها . . من ذلك :

* نشطت مطبعة (دي مايو) في اغراق الشوارع بالمنشورات يوم ٢٢ من ابريل ١٩٤٨ . . وكان مصدر هذه المنشورات حزب محدد يعمل في الخفاء . . ويهدف لعودة ايطاليا للبلاد . . وفي العلانية للاستقلال . . وقد رسمت الخطة على أساس تخليص الناس من هذه المنشورات المسمومة المليئة بالدعاية الكاذبة . . وفي نفس الوقت تخويف الذين يقفون وراء اصدار وتحرير هذه المنشورات سواء في الحزب أو بين أفراد الجالية الايطالية . . واستقر الرأي على حل محدود الضرر . . ولكنه يضمن تحقيق الأهداف . . هذا الحل هو حرق المطبعة وحمل سليمان دهان البنزين وسكبه صالح عمار النائلي على المبنى الخاص بالمطبعة . . وأثناء اشعال صالح لعود الثقاب . . إذا بالنار تتعلق بها . . ولولا أنه استخدم ذكاءه . . فخلع معطفه وأحاط به قدميه لأحرقته النيران . . ورغم أن المطبعة لم تحترق بأكملها . . الا أن الواقعة حققت أهدافها . . فطغى الرعب على الايطاليين وانهارت روحهم المعنوية وصاروا يحسبون لخطواتهم ألف حساب .

* بدأت تتجلى للعيان مظاهر تعاون أحد الأعيان مع الايطاليين . . وتقررت المواجهة . . وجرى رسم الخطة لانهاء هذا التعاون . . وجاءت المواجهة في صورة كمية من المتفجرات استقرت في نوافذ بيت هذا المتعاون . . وأمام الباب الخارجي . . ولكن نظرا لتشديد الحراسة على البيت . . فان الشاب الموكل اليه التنفيذ لجأ الى عملية انتحارية جريئة . . فقد استطاع أن يقفز فوق الأسطح . . حتى وصل الى سطح بيت المتعاون . . وألقى قنبلة في وسط البيت من الداخل . . وترددت أصداء الانفجارات مدوية . . رهيبة وازاء شدتها لجأ

الشاب الى مسجد مجاور وظل مختبئا في المسجد حتى حلول صلاة الفجر . . فاختفى بين المصلين وخرج يحمل مسبحة وسط قوات الأمن . . واتجه الشاب مباشرة الى محطة السيارات وركب احداها وبعد عدة أيام وليالي من السير وصل الشاب الى طبرق . . وعن طريق الصدفة التقيت به بعد عشرين سنة من هذه الواقعة وكان لقاؤنا في طبرق وأعاد على مسامعي القصة من جديد .

* تواصلت عمليات الترويع . . وانتظمت في شكل موجات ارهاب متوالية . . بعد أن وصلت قناعة أصحابها الى نتيجة مجددة وهي أنه لا سبيل غير الارهاب لوقف المارقين . . ووأد خطر تعاونهم مع العدو . . وقد تصادف مرة أثناء جلوس مصطفى حسن بك وصالح عمار النائلي و ف . ش . وأمامهم القنابل ذات الفتيل . . حدث أن بدأ صالح في رسم الخطط والأهداف . . ولكن مصطفى حسن اعترض قائلا : أنا أختار الشخص الذي أومن بأنه يستحق نتيجة عملي . . وقبل الاثنان الآخران هذا الاقتراح . . وجرى رسم الخطة من جديد وتفرق الثلاثة يحملون المفرقعات بعد أن اتفقوا على أن يعودوا في نهاية العمليات . . ليوقف أحدهم زميليه على النتيجة . . ويطمئنون جميعا على سلامة مجموعتهم . . وبعد فترة جاء صالح بعد أن ألقى القنبلة على مكتب شركة الطيران الليبية . . وهي شركة ايطالية . . أما مصطفى فقد عاد بعد أن نجح في نسف باب بيت أحدهم بشارع ميزران ومن شدة خوف صاحب البيت انهار ولم يطق البقاء في البلاد فأوفدته ايطاليا في وظيفة الى احدى مستعمراتها كانت في دور التصفية . . وأما فتحي فانه لم يفعل شيئا وآثر العودة من الغنيمة بالاياب . . فقد أسرع الى بيته . . ولما سئل في الغد عن النتيجة اعترف بأن الشجاعة خانته هذه المرة . . ولما طولب بتسليم المتفجرات اعتذر بأنه ألقاها في بئر البيت حتى يودع القلق ويستطيع أن ينام ملء الجفنين . .

وقوائم الشباب الوطني الذي رأى في الارهاب وسيلة مناسبة لتخليص الوطن من مؤامرات الاستعمار والعملاء والخونة . . أقول عن ثقة انها قوائم طويلة . . تحت يدي بعضها وأصحابها أعرفهم . . كانوا يتقدمون حماسا

وشجاعة .. لا يبالون بما يمكن أن يطولهم من عقوبات في سبيل خدمة القضية الوطنية وتخليصها من الذين يقفون عقبة على طريق الاستقلال وحرية البلاد .. وقد عبر هؤلاء جميعا عن عمق مشاعرهم واخلاصهم للوطن .. في أقوى وأعلى صوت .. وأقدم هنا بعض الأمثلة .. وان جاءت بلا ترتيب .. ومعها قصة تكفي تدليلا على الدور :

* الشاب عبد الله بوخطوة .. هذا الشاب تميز بكثير من الجرأة .. استدعاه مرة محمد بن طاهر وعمر طلوبة .. وسلما له مناشير .. وتركا له حرية اختيار الأماكن التي يرى من الأنسب الصاقها فيها .. ولكن كان من الضرورة الوصول بهذه المناشير الى ثلاثة أماكن .. ولا بد من الصاق المناشير داخلها رغم خطورتها .. هي :

- داخل مبنى الولاية .
- داخل مكتب الاستعلامات الانجليزي .
- رئاسة الأمن العام بسيدي عيسى .

وتحرك عبد الله بكل شجاعة وجسارة .. فألصق المنشورات داخل ممرات المبنيين الأولين .. أما المبنى الثالث فان كثرة الحركة واستمراريتها فيه جعلته يلصق المنشور قرب الباب بالخارج .. وقد ألقى القبض مرة على عبد الله ودخل السجن بتهمة حيازة أسلحة .. ولم تفلح كل الأساليب البوليسية في حمله على الاعتراف بمصدر هذه الأسلحة .

- شباب ثلاثة هم : فتحي شرادة ، ومبروك المصراتي ، وسالم قشاش .. تعاونوا في جملة من الأعمال البطولية .. خاصة أثناء الثورة ضد اليهود .. فحرقوا مخازن بضاعة (حبيب) أكبر التجار اليهود .. وقد صعد فتحي لسطح المخزن ليجد أسفله كمية من المواد سريعة الاشتعال مثل المطاط .. والاطارات وغيرها .. ولكنه مع ذلك حمل البنزين وأخذ يبلل به الخرق .. ويلقيها في أرجاء

المخزن ثم أشعل النار .. لتأتي على المخزن .. وتلقي الرعب في نفوس التجار الصهاينة .

تكونت بعد هذا جماعة أخرى من الشباب الوطني .. هدفها الوحيد هو القيام بعمليات الانتقام ضد المنحرفين .. وتضم هذه الجماعة كل من : محمد الصيد صفر .. محمد شراطة .. أبو بكر الحمال .. سالم بسباس .. ومحمد بن سالم الشريف .. ومحمد بن علي حليلة .. وعبد المجيد الزروق .. وبالقاسم المشاط .. ومحمد القنور .. وقد جمعوا كميات من المتفجرات والقنابل وخزنوا قسما منها في بيت صفر الكائن بمياني .. وقسما آخرا في بيت شراطة .. وقد ترصدوا لاثنين من الخونة .. ولكن شدة حماسهم .. أدت لفشلهم .. ووصل الخبر للشرطة .. فقبض عليهم يوم ١٩٥١/٥/٢١ وعندما قبض على البطل محمد القنور كان يحمل سلة على رأسه بها ثماني وأربعون قنبلة فقط ليس الا .. من أصل خمسين حسب ما وصل للشرطة من أخبار .. ومن أجل هذا الفرق .. ضرب محمد بن سالم الشريف ضربا لا هوادة فيه .. وكان المشرف على تعذيبهم شوقي سعد .. فأراد محمد الشريف أن يعمل حدا لهذا الضرب والركل .. فألقى بنفسه من النافذة .. وكل الجماعة دفعت الثمن غاليا جسديا ولم يسلم واحد من جرح أو كسر .. وقدموا للمحاكمة أمام محكمة جنايات بطرابلس .. وحكم عليهم جميعا بمدد تتراوح ما بين سنة وخمس سنوات سجنا .. والغريب في أمر هؤلاء الشباب انهم كانوا يختلفون في الرأي والتفكير .. والانتماء .. اذ كان منهم مؤتمرون (نسبة للمؤتمر الوطني) ومنهم من يتبع (الكتلة الوطنية الحرة) ومنهم التاجر والموظف والشرطي والمزارع والعامل .. ولكنهم جميعا يتقدون حمية وحماسا لكل ما يمس الوطن .. وقد قضى هؤلاء الشباب فترات ليست بالقصيرة داخل السجن .. الى أن كانت احدى المناسبات .. وحاولت الحكومة التظاهر بالتقرب للشعب .. فأخلت سبيلهم .. ولكنها رفضت اعادتهم الى وظائفهم وأعمالهم .. بل لقد وضعت العراقيل أمام التحاقهم بأي أعمال أخرى جديدة .. فرفضت طلباتهم التي تقدموا بها الى الجهات المختلفة .. ولم ينقذ الموقف الا مبادرة شخصية .. عندما علم سليمان دهان بموضوع هؤلاء الشباب .. وكان مديرا

للبريد . . فاستدعاهم والحقهم بالوظائف بحسب أسبقيتهم . . ولم تكن هذه هي البادرة الأولى لسليمان دهان . . فقد وقف بجانبي موقفا بطوليا .

وهنا أسجل أن الأسماء والأهداف تملأ صفحات طويلة وجميعها خطت على أرض الواقع آثارها البارزة . . وترتب عليها الكثير من النتائج من خوف هؤلاء العملاء . . والتحسب لما قد يقدم عليه هؤلاء الوطنيون المتحمسون في أي وقت . . خاصّة وأنهم يرون الأمثلة بارزة وصارخة منها :

ففي عشية يوم من أيام شتاء عام ١٩٥٠ أطلق طفل في سن المراهقة النار على أحدهم وكان جالسا بالمقهى الطرابلسي لصاحبه زغوان بجادة عمر المختار . . مع بعض رفاقه يلعب الشطرنج . . وقد اخترقت الرصاصة زجاج المقهى . . ومرت بجانب اذن المعنى وخدشته خدشا بسيطا . . وفر الجاني ولم يعثر له على أثر .

في أواخر عام ١٩٥١ دخل مجهول فندق مادي حسان وكان يجلس به أول وال في عهد الاستقلال يلعب الورق مع بعض أعضاء مجلسه التنفيذي وآخرين من وزراء الفيدرالي . . واذا بصبي صغير يوجه نحوهم مسدسه ويطلق رصاصة . . ولكنه أخطأ الهدف . . وهنا جرى واحد منهم خلفه وأطلق عليه بعض الأعيرة . . ولكنه اخطأه أيضا . . ولم يعرف المقصود برصاصة الصبي . . اذ استطاع الفرار . .

صور وآيات من الفداء والبطولة

وحتى لا يسدل ستار النسيان أو التناسي عن بطولات وأعمال وتضحيات . . حققت نتائج ملموسة على صعيد العمل الوطني . . نفذها أصحابها مضحين بأرواحهم ودونما مرور على أبواق الدعاية . . أو الوقوف أمام عدسات التصوير . . أو ملاحقة أجهزة الدعاية والاعلام . . رغم أن ما قاموا به يتجاوز هذه الأجهزة والوسائل كلها . . ليحفر وقائعه وتفاصيله فوق صفحات

التاريخ . . وحتى لا نقع في شبهات الجحود أو التقصير ازاء هؤلاء الأبطال . . فانني أقدم هنا أسماء بعضهم . . فتحا للطريق أمام مزيد من محاولات البحث والاستقصاء لاضافة أسماء جديدة . . كلها بالقطع أدت أدوارا كبيرة وأسهمت في انضاج الثمار المطلوبة . . ومن هؤلاء :

صالح عمار النائلي على رأس تنظيم جماعة العمل الخاصة ، سليمان دهان . . محمود الهتكي . . علي وريث . . خليفة قدح . . عجاج تامر . . محمد شرميط . . الطاهر طروش . . سعيد ساسي . . محمد الصيد أصفر . . محمد شراطة . . ابو بكر الحمال . . سالم قشاش . . فتحي شرادة . . مبروك المصراتي . . مصطفى حسن بك . . عبد الله بوخطوة . . سالم بسباس . . محمد بن سالم الشريف . . محمد بن علي حليلة . . عبد المجيد الزروق . . بالقاسم المشاط . . محمد القنور .[1] .

ووقفة بجانب أمانة ومسؤولية التزمتها في مقدمة الكتاب . . استدرك بأنه قد يكون للعاطفة أو حسن الظن دور في ذكر اسم ساقته الصدفة على هامش الأحداث الكبيرة . . في وقت أخفت فيه الصدفة نفسها أسماء لعبت أدوارا في صنع الأحداث . . واندفعت في معمعتها . . ولي في ذلك عذر بديهي يتأتى عبر مفهوم الانسان نفسه المحدود القوى والامكانات . . وبالتالي المعرض للخطأ . . وجل من لا يخطىء . . فمن ذكرتهم هنا منهم العاملون مباشرة في الميدان . . والمساعدون لهم . . ومنهم المخزنون للمفرقعات . . والباحثون عنها . . وللحقيقة فان البحث عن المفرقعات كان صعبا جدا يصل في بعض الأحيان الى (ورفلة) أو زوارة . . وأحيانا أخرى يمتد الى الشواطىء ويجري البحث عنه في مقتنيات الصيادين . . حيث تستخدم الألغام في الصيد . . وهناك . . وفي قلب الأمواج . . تدور المباحثات . . ويقبض الصيادون الأثمان التي يحددونها لألغامهم . . وحساب الثمن هنا . . يتحدد على أساس ما يمكن أن يترتب على

---

(١) ـ انظر رقم ٢٢ من الوثائق الملحقة حيث القائمة الكاملة .

تفجير اللغم من صيد . . وبالأحرى لم تكن ثمة بوادر للاستغلال . . أما تحديد أماكن هؤلاء الصيادين الحائزين على الألغام . . فانه يجيء حيثما تتردد أصوات الانفجارات . . وبالطبع فان هذا كله يفترض الحذر والمحاظير أيضا . . ولي صديق من بين هؤلاء الاخيرين . . واظب على اللف والدوران حول الشواطىء . . تصنتا على أصوات انفجارات . . أما بقية نوعيات المتفجرات فانها في معظمها تصل في شكل خام . . ويجري تصنيعها . . لم يكن التركيز مصبوبا على القدرة التدميرية لها . . وانما وبالدرجة الأولى على الموجات والاصداء الصوتية . . فالقصد هو احداث دوي عظيم . . يلفت الأنظار ويثير الارتباك . . ويرهق الجبان . . وكل خائن جبان . . وقد تكثفت جهود البحث والتحصيل حتى تنوعت ونجحت في جلب كميات منها من مطار الملاحة . . غير أن عدم المعرفة بطاقة هذه المتفجرات . . انتهت الى القائها في البحر . . خوفا على أرواح الأبرياء . . وعلى بيوت المواطنين وممتلكاتهم . . خاصة وأن الغايات كانت واضحة جلية . . فالوطن يقف بقضيته الحياتية على مفترق الطرق تتناهبه أطماع ثلاث قوى كبيرة هي بريطانيا وايطاليا وفرنسا . . والشعب لم يبخل في الماضي بأعز الأرواح وأغلى الدماء قدمها رخيصة سهلة في سبيل حرية الوطن وكرامته . . وذلك عندما وجد نفسه في مواجهة قوة السلاح . . فلما انتهت هذه المرحلة . . وبدأت مرحلة جديدة من المؤامرات والمناورات لم يكن هناك بـد من المضيّ قدما في المواجهة وجاء الارهاب شكلا مناسبا للرد على المتآمرين والمناورين . . ومن ثم فقد انحسر طريق التنازلات وصار مقطوعا أمام سالكيه خشية ورهبة . . ولولا ذلك لتمادوا في التسليم للطامعين ولتسابقوا في التفريط الى غير ما حد . . ما دامت مصالحهم الذاتية والمناصب هي مبتغاهم الأول والأوسط والأخير . . واذا كانت أهداف المتآمرين مكشوفة واضحة . . فان الأهداف التي صوب اليها الشعب قنابله كي يطولهم فيها . . هذه الأهداف جاءت محددة أيضا وتمثلت في :

مطابع . . بيوت . . مكاتب . . صحف . . أشخاص بين ايطاليين وعرب . . سيارات . . مكاتب طيران . . مقاهي . . تجمعات شرب الشاي ولعب الورق . . النوادي الايطالية . . مكتب الاستعلامات البريطاني ومخزن

قرجي للاسلحة وبركليس بنك وغيرها .

وقد حققت الحوادث نتائجها . . وباستثناء حادثتين أو ثلاث كاد يترتب عليها ضحايا ولكنها عناية الله سبحانه وتعالى . . وأما أبطال التشكيلات التي انتظمت تلقائيا أثناء الثورة ضد الصهاينة . . واحتجاجا على العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ فانهم قاموا ببعض الأعمال التخريبية كما فكروا في أعمال تخريبية أخرى . . مساندة لمصر[١] .

والطريف هنا أن الانجليز تمشيا مع أسلوبهم المعروف في افتعال الاغتيالات والحوادث ـ حاولوا استغلال ذلك حتى ينسفوا جهود الوحدة ويفرضوا أمرا واقعا جديدا . . وهو ما فعلوه في مصر مثلا عندما دبروا اغتيال السردار الانجليزي للعودة الى احتلال مصر ولنسف المعاهدات . . أقول لجأ الانجليز عندنا الى الاحتيال بدل الاغتيال . . فدبروا مؤامرة لالقاء قنبلتين على موكب الملك ادريس في أول زيارة له الى طرابلس . . وقد ، جرى القاء القنبلة الأولى عندما دخل الركب شارع الاستقلال من ميدان الشهداء . . أما الثانية . . ففي اليوم التالي عند مفترق شارع الرشيد وعمر المختار . . ولم يترتب عليها أية اصابات . . فالهدف منها معروف . . وهو زرع الفتن والانشقاقات .

مشروع بيفن ـ سفورزا

التقى وزير الخارجية البريطاني بيفن بوزير الخارجية الايطالي سفورزا . . وتعاونا على وضع مشروع مشترك . . تقدما به لهيئة الأمم المتحدة في ٨ من مايو ١٩٤٩ وذلك بمقرها بمدينة ليك سيكس الأمريكية في ذلك الوقت . . ويتلخص في عودة ايطاليا لطرابلس على شكل وصاية لثماني سنوات . . واستقلال برقة ذاتيا مع وجود بريطانيا ضمنيا . . وابقاء فزان تحت الادارة الفرنسية . . ومع أنه

---

(١) ـ وعملوا بطريقة مُحكمة على مقاطعة البضائع الفرنسية والامريكية تضامنا مع قضية الجزائر .

كان موجودا في هذه الدورة عن ليبيا منصور قدارة ومحمد فؤاد شكري من هيئة التحرير . . وعلي العنيزي موفد الجامعة العربية . . مع ذلك فان الشعب لم ينتظر . . وهدرت ثورته ضد المشروع وخرجت المظاهرات الصاخبة للشوارع بعشرات الألوف وطرح اعلان العصيان المدني . . وقد استمرت المظاهرات عدة أيام وليالي . . تحفها قوات الشرطة . . وقد بلغ عدد المتظاهرين في احداها ٣٠ ألفا . . كما وقعت في أحد أيامها حوادث صغيرة مثل حرق محل (سيمس) الرياضي الموجود تحت فندق النسر الذهبي بشارع الوادي . . كما أحرق النادي الايطالي (شيركلو ايطاليا) الموجود قرب سينما الغزالة . . كما اقتحمت الجماهير بيت الايطالي غالمبرتي الذي جاء لطرابلس موفدا من وزارة المستعمرات (افريقيا الايطالية) لتنفيذ أهداف سياسية تؤدي لعودة ايطاليا . . وقد أرادت الجماهير القائه من النافذة . . وهنا تدخلت الشرطة لتخليصه من أيدي الجمهور . . وأطلق بعضهم أعيرة نارية في الهواء . . الى غير ذلك من حوادث مشابهة . . كما أخذ الشباب والأطفال يضايقون الايطاليين في الشوارع . . ولم تهدأ الحال الا عندما فشل المشروع . . وقد تواكبت قوافل وجموع المتظاهرين مارة بشارع ميزران . . فشارع المغاربة فشارع ماريو سننريني ثم جادة الاستقلال ـ وسط كتل من الأجساد المتراصة ـ وتستغرق المظاهرة ساعات طويلة من اليوم حتى اذا ما انفضت بدأت مظاهرات الدراجات في الليل . . وتتكون من مجموعات كبيرة من الشباب راكبي الدراجات يسيرون في مواكب عبر الشوارع عدة مرات يهتفون بسقوط المشروع وحياة ليبيا حرة . . متحدة .

وقد تصاعد العمل الشعبي منذ صدور المشروع الاستعماري حتى فشله . . تصاعد في صور تعتبر مفخرة لهذا الشعب . . ودليلا على وعيه . . وتمسكه بحريته وكامل اهتمامه بالقضية الوطنية . . وأنقل هنا تسجيلا مختصرا لما حدث في طرابلس وحدها . . طوال تلك الفترة :

الاثنين ٩ من مايو : أذيع خبر المشروع . . وعلى الفور أغلقت المحلات والمقاهي أبوابها . . وأخذت التجمعات الجماهيرية تتكاثر في الشوارع حتى اتحدت في مسيرة سلمية توجهت الى الرئاسة . . وقابل بعض الزعماء والأعيان

الحاكم العام وقد أظهر الأخير جهله بالمشروع وادعى أنه لم يستمع للخبر . . وقال أنه أبرق للندن حتى يوافوه بالمعلومات والتفاصيل .

الثلاثاء ١٠ من مايو : دب النشاط في مقار الهيئات والأحزاب السياسية وتواصلت الاجتماعات داخلها . . كما حدثت اتصالات بينها . . وأجمعت على الاضراب والخروج في مظاهرات .

الاربعاء ١١ من مايو : عم الاضراب جميع الأوساط . . وتعطلت المصالح والأسواق تماما . . بما في ذلك الاجانب . . فالذي لا يؤيد الشعب . . أغلق بابه خوفا على نفسه من تحدي الجماهير وشهد جامع السنوسية اجتماعا عارما . . وخرج المجتمعون في مظاهرة من عشرات الآلاف شارك فيها الأساتذة وطلبة المدارس والموظفون والتجار والعمال . . وكل فئات الشعب عامة . . وعلى رأسهم المفتي . . وساروا الى الادارة العسكرية البريطانية . . وقابلوا الوالي بلاكلي وقدموا له احتجاجا شديد اللهجة يتضمن تهديدا باعلان العصيان المدني في حالة القبول بعودة ايطاليا . . وقد ضمت هذه المظاهرة شعارات وطنية رائعة . . ارتفعت فوق أكثر من عشرين لافتة وباللغتين العربية والانجليزية وكلها تفضح اتفاق ـ بيفن ـ سفورزا [١] وتتضمن سقوط الدولتين الاستعماريتين والوزيرين . . وقد رفعت الجماهير العلم السوفييتي نكاية بالدول والسياسات الاستعمارية الغربية . . وتنوعت الهتافات . . بحياة ليبيا . . والعروبة . . وبحياة روسيا وستالين . . كما حمل المتظاهرون نعشا على أعناقهم كتبوا عليه «أحلام ايطاليا في العودة لحكم ليبيا» . . وقد استغربت السلطات البريطانية هذه المشاعر نحو الاتحاد السوفييتي والاشتراكية . . وذهب فريق من المتظاهرين الى مقرّ حزبين ايطاليين فأحرقوهما . . كما قدم ممثلو الهيئات احتجاجات شديدةاللهجة لقنصلي فرنسا وأمريكا . . ومزق المتظاهرون العلم الامريكي امام القنصلية الامريكية . . ثم توجهوا الى قنصل فرنسا وكان يطل على الجماهير من الشرفة . . فرددوا على مسامعه ما يكره من هتافات معادية لفرنسا ومحيية لهتلر الذي هزم فرنسا في

---

(١) ـ انظر رقم ٢٣ من الوثائق الملحقة .

ساعات ثم توجهوا الى قنصل اليونان وشكروا موقف حكومته عامة . . وفي المساء ترأست وفدا قابل القنصل اليوناني وشكر حكومته لموقفها منا . . أما الأحزاب والنوادي الايطالية التي جرى حرقها فهي نادي الفرتوس بشارع الوادي . . ونادي سيمس بشارع ميزران . . وأيضا نادي مشوهي الحرب . . وقد ظل المتظاهرون في حراسة النيران حتى أتت على الاثاث بالكامل . . ثم توجهوا الى ادارة ممثل ايطاليا . . ومدير شؤون الهجرة (غالمبرتي) فاتلفوها وأنزلوا العقوبة ببعض الخونة ممن صادفوهم في الطريق او في المقاهي .

الخمس ١٢ من مايو : تقدمت هيئة التحرير بمذكرة مطالبة فيها من السلطات العسكرية البريطانية ابلاغ حكومتها استياء الشعب من المشروع البريطاني - الايطالي . . وطالبت بأن تعدل حكومة جلالة الملك موقفها من اتفاقية بيفن - سفورزا . . والا فان الشعب سيلجأ الى اجراءات حازمة من بينها اعلان العصيان المدني .

الجمعة ١٣ من مايو : تحولت البلاد الى شعلة من الحماس . . وعلى أثر الانتهاء من صلاة الجمعة . . توجهت جموع الشعب لمقابلة وفد برقة العائد من ليك سيكس .

السبت ١٤ من مايو : دعت الجبهة الوطنية لعقد مؤتمر عام يمثل كل البلاد . . فحضر مندوبون عن كل التجمعات والأحزاب وجرى اتخاذ قرارات هامة وخطيرة . . منها العصيان المدني والاستعداد للسير في الشوط حتى نهايته . . بالتصادم مع السلطات تصادما ايجابيا . . الخ . . وقد نظمت عدة مظاهرات وفرق المتظاهرون بالفعل صفوف الشرطة . . وسقط البعض من المتظاهرين جرحى بعد اطلاق الشرطة للرصاص . . كما جرح بعض أفراد الشرطة . . وهكذا مضى اليوم كاملا . . بين ضجيج المتظاهرين وخطب المتحمسين . . وقد طغى اسم روسيا وستالين على كل هتاف بعد ليبيا الحرة . . المستقلة الموحدة فقد كان مشروع بيفن - سفورزا صدمة قاسية خيّبت الأمل في الحلفاء الغربيين عامة وفضحتهم كقوى استعمارية ذات مطامع ونوايا لاستغلال

الشعوب والسيطرة على ثرواتها والتحكم في مقدراتها .

وقد ظل الشعب على اتصال وثيق بزعيم الحركة بالقاهرة بشير السعداوي . . ومندوب ليبيا في الأمم المتحدة منصور قدارة بليك سيكس . . كما انهم أبرقوا الى بعض أعضاء الدول الممثلة في الهيئة الأممية طالبين الانصاف (حتى وان كنا نعلم أن الانصاف بيدنا) . . وقبل حلول موعد حظر التجول (الذي أعلنته السلطات الانجليزية بعد أحداث يوم الأربعاء السابق ومنعت فيه التجول اعتبارا من بعد الغروب) وصل وفد من جمعية عمر المختار ممثلا لبرقة . . وقد أعلن الوفد من شرفة مقر هيئة التحرير تأييده لوحدة سائر التراب الليبي . . وللاستقلال ومجيئه باسم الجزء الشرقي من ليبيا مشاركة للجزء الغربي من ليبيا وتأييدا لمطالبهم ومشاعرهم . . كما أعرب الوفد عن استعداد برقة للاستشهاد عن آخرها بجانب اخوتها في الغرب . . تأكيدا بأن ليبيا وحدة لا تتجزأ .

الأحد ١٥ من مايو : واصل الشعب اجتماعاته لبحث وسائل التنفيذ لمقرراته . . وتنسيق طرقه وقد جرى في هذا اليوم اعلان العمل باحدى المواد المقررة . . وهي العصيان المدني وخرج وفد من مقر هيئة التحرير على رأس مظاهرة عارمة الى الولاية حاملا رسالة الانذار بالعصيان المدني اعتبارا من اليوم احتجاجا على حكومة جلالة الملك كونها لا زالت محبذة للمشروع . . وقد خافت السلطات ما يمكن أن يتمخض عنه هذا الحشد الهائل من البشر . . فلجأت الى استخدام القنابل المسيلة للدموع . . ولكنها لم تجد نفعا . . وفشلت رغم كثرتها في تفريق المتظاهرين . . وقد بلغ من اصرار الجمهور الى الوصول الى هدفه . . ان أسرع المتضررون من القنابل بغسل أعينهم . . وتبريدها بالماء ووضع خرق مبللة على الأنوف . . وتكميد الأعين . . وهم في نفس أماكنهم . . ثم مواصلة التظاهر . . وواصلت الجماهير تقدمها تحمل الأعلام الليبية وعلما روسيا كبير الحجم . . ورغم كل العراقيل ومحاولات الشرطة . . فقد وصلت الجماهير لقصر الوالي ودخل أعضاء هيئة التحرير الى قصر الوالي وقدموا انذارات تنفيذ العصيان المدني وعدم التعاون مع السلطات والاحتفاظ بسرية عدد من المقررات الخطيرة الأخرى التي تقرر وضعها موضع التنفيذ الفوري فيما لو نجح تمرير مشروع بيفن -

سفورزا في الجمعية العمومية للأمم المتحدة . . ومر يوم الأحد بدوره كاملا في المظاهرات والتجمعات . . وسقط فيه عشرات الجرحى . . وقرر الشعب الاضراب العام الشامل في كافة أرجاء البلاد باستثناء ساعات قليلة لقضاء الحاجات الضرورية . . كما نظم سوق الجمعة مظاهرة صاخبة . . دخل بها طرابلس . . وقد قابلهم المفتي في الطريق . . وطلب منهم الرجوع فرجعوا . . وتكررت الظاهرة بالنسبة لجميع قرى وضواحي طرابلس بدون استثناء .

هنا تجدر الاشارة الى واقعة في غاية الأهمية . . حدثت أثناء هذا الهدير الشعبي العارم . . فبينما كانت تبيت مجموعة من الوطنيين المتحمسين بمقر الهيئة اذا ببرقية تصل من منصور قدارة من مقر هيئة الأمم المتحدة . . ويطلب فيها ارسال مزيد من برقيات الاحتجاج على مشروع بيفن ـ سفورزا . . خصوصا من عميد بلدية طرابلس الطاهر القره مانلي . . وسبب ذلك أن سفورزا وزير خارجية ايطاليا خطب في هيئة الأمم مدعيا أن الشعب في طرابلس يؤيد ايطاليا ويرغب في عودتها وأن الدليل على ذلك هو أن الشعب انتخب لمجلس البلدية أعضاء من المؤيدين لرجوع ايطاليا للبلاد . . فذهب صالح عمار النائلي وسليمان دهان والطاهر الشكشوكي وابراهيم الفلاح الى مبنى بلدية طرابلس ودخلوا على عميد البلدية بمكتبه ووجدوا معه عضوين ليبيين عينتهما الادارة العسكرية البريطانية . . وطلبوا من الطاهر القره مانلي أن يبرق لرئيس هيئة الامم المتحدة . . مفندا أقوال سفورزا . . فطلب العميد مهلة كي يجمع المجلس البلدي ويتخذ قرارا في ذلك . . ولكن الأخوة أصروا على وجوب الابراق على الفور . . فالأمر مستعجل ويفترض الاسراع . . فاعترض أحد العضوين المعينين قائلا : انه معين من قبل الادارة البريطانية وبالتالي فليس مقصودا بكلام سفورزا الذي يعني المنتخبين . . ورفض التوقيع . . عندئذ قفز سليمان دهان وصاح قائلا بالحرف الواحد : «قوموا يا اخوان . . وكل منا يعرف ماذا سيعمل غدا . . » وخرج من مكتب العميد وتبعه ابراهيم الفلاح والشكشوكي وبقي صالح عمار مع العميد الذي قدر العواقب . . وأخذ ورقة بيضاء ووقعها . . وناولها لصالح عمار النائلي قائلا : هذا توقيعي على بياض فاذهب وأبرق بما شئت . . فخرج صالح من البلدية الى البريد رأسا وأبرق

الى هيئة الأمم المتحدة في الحال مفندا ادعاءات سفورزا في الجمعية العامة. وكان لهذه البرقية صداها القوي في أروقة هيئة الأمم المتحدة.. وبعد يومين خرجت الصحافة الايطالية في هيستيريا تحمل في صفحاتها الأولى مانشيتات صارخة.. تعكس خيبة الأمل والصدمة مثل: «عميد بلدية طرابلس.. يرغم على تكذيب سفورزا».. الى غير ذلك من العناوين المشابهة.

وفي صبيحة سقوط المشروع اجتمع الناس في شارع عمر المختار أمام مقر هيئة التحرير وساروا في مظاهرة كبيرة لم تشهد لها طرابلس مثيلا.. ووضع المتظاهرون باقات من الزهور في ميدان الشهداء[1] .. كما خرج رؤساء الأحزاب من مخابئهم التي التزموها طيلة الأحداث وساروا في مقدمة المظاهرة.. كما أنه زار مقر الهيئة في ذلك اليوم ولأول مرة عدد من الشخصيات الرسمية.. ومن الذين كانوا يترددون على زيارة ايطاليا بحجة أو أخرى.. فتقام لهم الحفلات والموائد هناك.. وكما أن عددا من هؤلاء بمساعدة بروساسكا (نائب وزير افريقيا الايطالي).. انشأوا جريدة أطلقوا عليها اسم «صوت افريقيا» تصدر باللغة الايطالية.. وكانوا ينشرون بها مقالات طويلة عريضة تدبج المديح لايطاليا.. تدعو الناس للمطالبة بعودة ايطاليا الى طرابلس.. وأن ايطاليا هي الأم الرؤوم لليبيين.. ومن سخرية القدر ومهازله.. أن هؤلاء قد تبوأوا المراكز الحساسة بعد الاستقلال.. في الوقت الذي عانى فيه المناضلون الحقيقيون من الابعاد والانتقام.. والسر في ذلك واضح.. وهو أن الحكم في ليبيا بعد اعلان استقلالها - ظل والحقيقة تقال - يسير في ركب الاستعمار الجديد.. أما الذين دخلوا سجون الاستعمار وواجهوا الضرب والتعذيب وتحملوا في سبيل قضية الوطن الكثير.. أما هؤلاء فقد بدأوا من جديد يواجهون المؤامرات وسيظلون هكذا راضين وثابتين حتى يلاقوا ربهم..

---

(١) - انظر رقم ٢٤ من الوثائق الملحقة.

زيارة إدريس لطرابلس لأول مرة

كانت المناورات البريطانية قد وصلت الى حد صارت معه مكشوفة بالنسبة للجميع . . حتى أدرك الكل أن ما تبغيه من التلويح باعادة ايطاليا . . انما هو في حقيقته من أجل تثبيتها في حكم البلاد . . ودفع الشعب الى تسليمها مقدراته كاملة . . ولعل أبلغ دليل على انكشاف اللعبة . . ما أبداه أبناء الشعب في الداخل والخارج من تعبيرات عن ردود فعلهم حيالها .

ومع هذا كله وغيره . . فقد بقيت الحقيقة الموضوعية وهي أن الانجليز يملكون دورا . . وانهم لن يتورعوا عن القيام باللعبة الخطرة . . اذا لم يحققوا على الأقل جزءا رئيسيا من مخططاتهم . . وقد رأينا مؤامرتهم على فلسطين وكيف انسحبوا ليسلموا مقاليد الأمور وبالكامل للعصابات الصهيونية . . وكيف جعلوا اليهود يحتلون مواقعهم الاستراتيجية في مدن فلسطين الرئيسية مثل حيفا ويافا وعكا وغيرها . . ومؤامرتهم على ليبيا لم تكن بأقل خطرا . . فتقسيم البلاد بدا البديل عن تنصيب ادريس ملكا . . وهكذا ـ وعلى مضض ـ وعبر اختيار بين أمرين أحلاهما مرّ . . رسا الخيار على ادريس . . وتكررت دعوته لزيارة طرابلس . . فالانجليز يدفعون الناس الى طريق واحد نهايته هي القبول بادريس ملكا . . وتحدد في النهاية يوم ١١ من يوليو ١٩٤٩ موعدا لزيارته لطرابلس . . وشاء الله . . ولعلها الصدفة . . أن تكون لزيارته نفس الدلالة . . فقد مر علينا بطرابلس في أول زيارة ـ وهو في طريقه الى لندن ـ . . ونظم المؤتمر الوطني ـ مع ذلك ـ برنامجا حافلا للزيارة . . وكنت أحد أعضاء لجنة الحفاوة . . وقد نزل ادريس في بيت محمود المنتصر . . وقد تجسد ذلك كله في أول ساعات زيارته لطرابلس . . فقد سارع زعماء البلاد وعلى رأسهم بشير السعداوي لاستقباله في مصراتة . . وسار الركب في اتجاه بدا مرسوما . . لينتهي عند بيت محمود المنتصر . . فاذا بادريس وحده يدخل البيت . . ويجري منع الباقين جميعا بما فيهم بشير السعداوي نفسه . . فليس ثمة حاجة بعد ذلك لتعليق أو شرح . .

وعاد السعداوي ورفاقه الى مقر هيئة التحرير . . ولم يدع محمود منتصر أحداً للعشاء غير عمه سالم .

وقد طبعت هيئة التحرير عدة منشورات للحفاوة بمقدمه والترحيب به . . وزار ادريس مقر الهيئة وأشرف ادريس والسعداوي على حشود الشعب والقى السعداوي كلمة ترحيب ونوه فيها بوحدة البلاد واستقلالها تحت تاج الملك ادريس . . ثم نطق ادريس بجملة وقال بالحرف الواحد (أشكركم وأشكركم وسأحمل مطالبكم الى بريطانيا) فقط .

وفي يوم ١٢ من يوليو سافر الى بريطانيا على ظهر بارجة حربية .

ثم أوفد ادريس من لندن عبد الرازق شقلوف الى السعداوي طالبا منه تشكيل حكومة طرابلس على غرار حكومة برقة . . وقد تردد في البداية ثم انتهى بسرعة الى رفض الاقتراح ووصفه بكلمة قصيرة بليغة بقوله (ان هذا من دواعي الفرقة) .

وأثناء رجوع ادريس من اوربا . . نزل بالمغرب ودخل طرابلس من حدود تونس يوم الجمعة ٢ سبتمبر ١٩٤٩ في طريقه الى برقة .

وفي غرة صفر من عام ١٣٦٩ الموافق ٢٢ من نوفمبر١٩٤٩م أصدرت **الجمعية السياسية لترقي ليبيا منشورا** . . جرى توزيعه على نطاق واسع بين الجماهير واعتبر تأكيدا لما يتمتع به أعضاء هذه الجمعية الايطالية من بعد نظر . . ومما جاء فيه :

أيها الوطنيون ،

في هذا اليوم الذي يهزنا فيه الفرح . . وتستفزنا الأريحية . . قررت الجمعية العالمية للأمم المتحدة حق استقلال ليبيا المتحدة بحدودها التاريخية والجغرافية . . الأمر الذي كان هدفا لكل من أشرف الأماني التي كان الشعب الليبي دائم الشوق والنزوع اليها . . هذا وعما قريب ستحوز مدينتنا هذه شرف الترحيب

والضيافة للجنة التي أوكلت اليها الأمم المتحدة أمر اسعاف ليبيا ومعاضدتها باسم الأمم المتحدة . . وذلك لكي تبلغ هذه البلاد ما في نفسها مما سيكون بلا شك أعظم حادث في تاريخ هذه الديار الليبية .

أيها الوطنيون ،

فلنتحدن من دون أدنى فرق ولا تمييز بين لسان ولسان واعتقاد واعتقاد أو جنس وجنس . . ولنفصحن جميعا باتفاق ووئام منتظم على ما تقتضيه الخلال الحرة عما يشملنا قاطبة من طرب الفرح العظيم بهذا الحادث . . الخ .

أيها الوطنيون ،

وبعد . . فتنتظرنا مشاكل شاقة وصعاب . . اذ أن هذا الجهاز العضوي الذي ستتركب منه الدولة لا بد من أن يتخذ جسما بما يتسنى من السرعة لتقوم هذه الأعضاء كل منها بأهم وظائفها الحيوية . . ولأننا نعلم أن الحرية والاستقلال يراد بهما زوال الفاقة والآلام المحزنة التي كابدها قسم كبير . . من شعبنا هذا الذي طوى فؤاده على صرعة حذاء . . . هيهات أن ينثني عنها ما لم يظفر بضالته المنشودة ألا وهي فكّ كل ما خلفه من قيود وأغلال الاستعباد الاستعماري . . والانقاذ من أي حالة كانت تنافي سنن الحق والعدالة . . والله تعالى حسبنا . . .

التوقيع :

اللجنة التنفيذية للجمعية السياسية لترقي ليبيا

ولكن هذه المواقف والنداءات المستنيرة والمدركة لمصالحها والعاملة على حماية امتيازات وممتلكات الايطاليين في البلاد . . هذه النداءات كانت تضيع أدراج الرياح في مواجهة المواقف المتزمتة والمتعصبة والمنطلقة خلف المؤامرات والدسائس من أجل اعادة الحكم الايطالي على مقدرات ليبيا . . والصحف الايطالية نفسها عرفت هذه الحقائق وكتبتها . . من ذلك مثلا ما كتبته صحف ايطاليا في أوائل عام ١٩٤٨ . . خاصة في شهر مارس . . والذي يصف الجالية الايطالية

بالانقسام وبأن بعض أفرادها يؤيدون الاستقلال عن ايطاليا . . أما الأغلبية الساحقة فهي مع عودة الحكم الايطالي . . وفي احدى هذه الصحف الايطالية في العدد الصادر بتاريخ ٩ من مارس ١٩٤٨! . . تقول احدى هذه الصحف : «ان اللجنة - لجنة الاستفتاء - ستجد في طرابلس الايطاليين مقسمين ، ويطلب معظمهم بطبيعة الحال منح ايطاليا ادارة البلاد . . ولكن توجد مجموعة أخرى مكونة من الطبقة الغنية وعناصر أخرى مؤيدة . . تقف بجانب العرب في مطالبهم لاستقلال ليبيا . . ولذا فانه من المفيد جدا ترجيع هؤلاء الى ايطاليا أثناء التحقيقات التي ستجري بشأن مصير البلاد . .» .

الفصل التاسع عشر

اضطرابات سبها

سارت الأمور في فزان من سيء الى اسوأ . . تحت الاحتلال الفرنسي الذي لم يحاول ادخال أي اصلاح على الأمور المتردية في الاقليم . . وظلّ على جموده . . وكأن هذا الجمود يخدم مخططه لتثبيت أقدامه في فزّان وقد تصاعد التبرم الشعبي دون أي حل . . أو حتى محاولة لتخفيف النقمة الشعبية . . هنا لم يطق الشعب مزيدا من الصبر على هذا الحال المنهار . . وفي يونيو ١٩٤٩ . . بدا أن الأمور لا تحتمل أي قدر آخر من الصبر . . اذ ذاك تجمع الشعب . . وهاجم اخوتنا أهل فزان احدى ثكنات الجيش الفرنسي . . [١] احتجاجا على هذه الأوضاع الخطيرة المتردية وحالهم الذي لا يحسدون عليه . . وكرر الجيش الفرنسي نفس الأسلوب الايطالي الدموي . . فسلط مدافعه ورشاشاته على الشعب الأعزل . . وقد هز هذا الحادث وجدان الجميع . . ولم يكن ثمة ما يمكن عمله مؤازرة لاخوتنا في فزان . . اللهم الا عبر تعبئة شعبية شاملة . . هي الوحيدة هنا بقلب الموازين الاستعمارية . . ليس فقط بالنسبة لفرنسا في فزان وانما أيضا بالنسبة للانجليز والطليان . . وغيرهم من عملاء وأذناب . . ولأن الموقف يحتاج لسرعة حركة . . فان الارتكاز على الواقع الموجود هو بمثابة البديهية أو الفرضية المنطقية الأساسية هنا . . الواقع هنا ليس على ما يرام . . حيث عديد من

---

(١) ـ انظر رقم ٢٥ من الوثائق الملحقة .

الأحزاب المتنافرة . . المتصارعة . . وعلى سطح الواقع . . دفع الاستعماريون بطفيليات مريضة من العملاء والانتهازيين وأصحاب المصالح الأنانية . . ولا يبقى بعد ذلك اختيار . . فكتبت للأحزاب رسائل مطوّلة . . شارحا فيها ما يتهدد الوطن كله من مصائب نذرها تتجلى فيما جرى في فزان . . ويمكن أن يجري في أرجاء الوطن من جديد . . وأفضت في الدليل . . اعتقادا مني بأن هذا هو واجبي . . ولكن ولأول مرة أحس أن عمل واجب لم يرح ضميرا . . فقد كانت مرارة الفرقة وألاعيب الاستعمار ومناوراته التي تلقى القبول والنجاح . . كانت مرارتها أقوى طغيانا على كل حال . . لقد حدث ما توقعت . . فلم يحرك أحد ساكنا . . والتزاما بالحقيقة . . رغم عدم أهميتها هنا . . أقول أن بعضهم اتصل بي طالبا مني زيادة الايضاح .

مؤتمر الشباب

لم يقف الشباب أبدا بعيدا عن الأحداث . . بل كان دائما في قلب المعمعة . . ولطالما اعتمدنا عليهم في اشعال المظاهرات والمسيرات بالحماس . . ومدها بكتل بشرية متزايدة . . ولم يخل تنظيم جاد . . أو حركة وطنية من قطاع الشباب . . عملوا على مستوى المسؤولية . . وأثّر حماسهم في عديد من المناسبات تأثيرا ايجابيا في تحريك وتطوير العمل الوطني . . وأحد المظاهر البارزة لهذا النشاط هو ما فكّر فيه بعض الشباب لعقد مؤتمر للشباب . . أخذ طريقه الى الوجود بمقر النادي الأدبي والحزب الوطني يوم ١٤ من ابريل ١٩٤٩ . . وحقق المؤتمر نجاحا ملحوظا في البداية . . واختير لرئاسته نجم الدين فرحات . . وكان موظفا بالادارة البريطانية ـ قسم الشؤون العربية . . وقد قام المؤتمر بطبع استمارة لأجل الانتساب . . وقد عقد المؤتمر حوالي خمسة اجتماعات . . وقد واظب على حضورها جميعا أخي عبد المجيد المشيرقي . . وقد اتخذ المؤتمر جملة قرارات وجرى اتخاذ لجنة لتنفيذها ضمت صالح عمار وسليمان دهان وعلى العزوقي . . وقد واصلت اللجنة التنفيذية اجتماعاتها وقامت بما عهد اليها من مسؤوليات بكل جد ونشاط . . كما قام المؤتمر بارسال بعض البرقيات في عدد من المناسبات التي تآنت

مع انعقاد جلساته . . والطريف أن استمارة العضوية التي طبعتها وأرسلتها اللجنة التنفيذية للشباب قد راعت التعديل على تاريخ الشخص ودوره الوطني . . ومخاطبته عبر صيغة محددة للانضمام . . وهي موجزة ومضمونها واضح . . وتقول :ـ بعد التحية والسلام . . لما عهد فيكم من الوطنية الصادقة والاخلاص القوي لقضية البلاد . . تتشرف اللجنة التنفيذية لمؤتمر الشباب الطرابلسي بتوجيه الدعوة اليكم للاشتراك في دورات المؤتمر المقبلة .

في حال قبولكم هذه الدعوة . . الرجاء منكم أن تملؤوا قصاصة القبول أدناه وترسلوها الى عنواننا . . الامضاء : اللجنة التنفيذية . . مع رجاء بالاحتفاظ بالخطاب لابرازه عند الحضور . . قررت عدم تلبية الدعوة وطلبت من الشباب المواظبة على حضور الجلسات والسير بها الى جادة الصواب .

اعلان استقلال ليبيا

عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة جلستها في ٢١ من نوفمبر ١٩٤٩ بليك سيكس . . وكان لليبيا في تلك الجلسة وفود خمسة : الأول عن طرابلس وعلى رأسه بشير السعداوي . . ويضم : محمد فؤاد شكري . والثاني عن برقة وعلى رأسه خليل القلال وعمر شنيب . . والوفد الثالث دفعت به ايطاليا وهو يضم أربعة عملاء . . والرابع موفد من الجامعة العربية وعلى رأسه العنيزي . . والخامس وفد حزب الاستقلال من بين أعضائه مختار المنتصر وعبد الله الشريف . . والمساجلات كلها موجودة في مكاتب هيئة الأمم المتحدة خارج البلاد وداخلها بكل تفاصيلها . . رهن من يطلبها . . ولذلك فانني لن أطيل الشرح اكتفاء بالحقائق الأساسية . . فقد جرت الأمور على عكس ما أراد الوفد الثالث الذي يرأسه شخص ليبي من أصل تركي . . وليبي مرتزق في الجيش الايطالي . . المهم جاء الاقتراع على مشروع استقلال ليبيا . . وتكافأت كفّتا المؤيدين والمعترضين . . وجاء مندوب هيتي ليرجح كفة الاستقلال . (وقد زارنا هذا المندوب وقدمت له شركة المشيرقي هدية قيمة . . باسم مجاهدي

الهاني [١] . . والهدية عبارة عن سرج مطرز بالفضة الخالصة) . . وجاء قرار منح الاستقلال بعد فترة انتقالية مدتها سنتان . . وقد تسبب وجود أكثر من وفد في ضعف القرار . . بل وفي احتمال عدم صدوره لصالحنا أصلا . . وبعد قرار منح الاستقلال . . وكلمة (منح) اقصدها حرفيا . . فلأنه (منح) فقد فرطنا فيه بسهولة . . بعد القرار تشكل مجلس بيلت الذي عمل على تقسيمنا وذلك ترضية لوفدي برقة وفزان . . والحق يقال إن المجلس عارض كثيرا بل تصلب في بعض الأحيان . . ولكن أمام تعنت الوفدين واصرارهما قبل المجلس مشروع الاتحاد الفيدرالي وحتى هذا الاتحاد جرت عملية حبكه وتفصيله لصالح الأقلية . . وعلى حساب طرابلس . . فلو أضفنا الى قانون الاتحاد ثقل الملك والانجليز فان طرابلس تتحول الى أقلية وتذوب . . ولعل عدم وجود أي نعرة اقليمية في طرابلس وتسابق الجميع عن النوايا والمقاصد . . تفانيا في تحقيق وحدة البلاد . . لعل هذا كله جعل الثمن باهظا . . وقد ضم مجلس (بيلت) [٢] عددا كبيرا من الشخصيات العربية والأجنبية المتباينة . . فمن بين أعضائه باكستاني هو (عبد الرحيم خان) . . ومصري (محمد سليم) . . هذا عدا الأمريكي والفرنسي والانجليزي . . وقد بذل الباكستاني والمصري جهدا ايجابيا ومخلصا . . من أجل الابقاء على وحدة البلاد . وكان لمثابرة المندوب الباكستاني اثره في نفوسنا . . فنظمت مظاهرة في أول رمضان جعلت جانبا من مسيرتها تحية للمندوب الباكستاني . . فتوقفت الجموع أمام بيته وهتفنا طويلا للأخوة الاسلامية . . كما أرسلت له شاكرا موقفه وتلقيت منه ردا رقيقا يؤكد المشاعر الأخوية الاسلامية . . أما بقية المندوبين فكانوا ميزران عن طرابلس . . وعلى الجربي عن برقة . . وعن فزان تناوب عدد من الأفراد . . ولكل عضو في مجلس (بيلت) مستشار . . وجاء مستشار مندوب فزان فرنسي (وهكذا مباشرة) . . أما برقة فسائرة في ركاب الأمير تماما فلا تحتاج لمستشار . . ومحمد فؤاد شكري هو مستشار هيئة التحرير . . وأيضا مستشار مصطفى ميزران في مجلس بيلت . . وقد لعب دورا نشطا في تحريك

---

(١) ـ انظر رقم ٢٦ من الوثائق الملحقة .

(٢) ـ انظر رقم ٢٧ من الوثائق الملحقة .

القضية وادارة دفتها . . وقد تألق اسم فؤاد شكري في الأوساط الداخلية . . وللحقيقةفانه أخلص للقضية وتحمس لها كوطني ليبي واصل الليل بالنهار في العمل مع بشير . . فقام له بدور المستشار والسكرتير . . وكل الأدوار المساعدة الأخرى . . وثابر على النشاط والحركة كما حافظ على اتصالات مستمرة مع الشباب وتمتع بنشاط جم وطاقة ضخمة رغم ضخامة جسمه . . فلم يكن يكل من الجلوس في المكتب طوال ساعات اليوم والليل أحيانا . . وكثيرا ما تخلى عن النوم عندما تقتضي الحاجة حتى لقد بدا فؤاد شكري مثلا فذا خاصة في عهد عمّ فيه الكسل والفساد وبيعت الذمم في الأسواق العامة . . ولم يكن ثمة عيب في فؤاد شكري غير أنه سريع الوثوق بالأشخاص ذوي الوجاهة سواء في المركز أو المظهر . . فلا يبحث عن ماضيهم . . وكادت هذه الغلطة أن تودي بالبلاد الى كارثة . . خاصة وان هذا العيب تجلى واضحا عند بشير السعداوي أيضا الذي لم يكن يفتش عن ماضي الشخص قبل أن يعهد اليه بمسؤولية . . وقد استغل كثير من الأشخاص هذه النقطة . . فتكالبوا على بشير السعداوي وتجمعوا حوله طالما رأوا في ذلك تحقيقا لمصالحهم وأغراضهم وعند الضرورة انفضوا جميعا من حوله . . وزادوا بأن ساروا في الاتجاه المعاكس . . أما عن صدى قرار هيئة الأمم المتحدة باستقلال ليبيا ووحدتها . . فقد تبلور عميقا في أرجاء البلاد . . فعمت البلاد موجة من الفرح وتوالت المظاهرات لعدة أيام . . وأخذت كل المحلات تقيم الحفلات بالتناوب[1] . . واشترك الشباب ورجال المناطق في تعليق الزينات ونصب المسارح المتنقلة والأنوار ومكبرات الصوت . . وتنافست المحلات في وضع برامج الاحتفالات . . وتضمينها فقرات التمثيل والغناء والرقص الشعبي والقصائد والأناشيد الحماسية والازجال الشعبية . . والأغاني القومية . . ورغم شدة برودة الجو في ذلك الوقت فقد شارك الشعب بأعداد كبيرة في الاحتفالات التي كانت تتواصل الى ساعات متأخرة من الليل على امتداد شهر كامل أو أكثر . . ومما يذكر أنه بعد التصويت جاء وفد برقة الى طرابلس ونزل بفندق اكسيلسيور . . وقد قابله بعض الاخوة البرقاويين المقيمين بطرابلس بالترحيب . . والغريب أن الوفد اعتبر قرار الأمم المتحدة انتصارا لطرابلس وأن طرابلس كسبت المعركة على حد قوله . . اذ جاء الاستقلال مقرونا بالوحدة . . وبتاريخ ٤ من ديسمبر ١٩٤٩ شكل المؤتمر

(١) انظر رقم (٢٨) من الوثائق الملحقة .

لجنة لتنظيم استقبال السعداوي . . عند عودته من الأمم المتحدة وبعد أن كللت جهوده بالنجاح والاستقلال . .

الذكاء الانجليزي في الميزان

قلت أن وصول هيئة التحرير الليبية . . كان له أقوى الأثر والنتيجة . . اذ ضم شمل الشتات من الهيئات والأحزاب والافراد . . وجعل الجميع يبدون أمام لجنة الاستفتاء وكأنهم صوت واحد . . وقد جاء الوليد الكبير لهذا التوحد . . في صورة اكثر اكتمالا ونضوجا وهو اعلان الاستقلال ولم تبق قرية أو قبيلة الا وانضمت للهيئة . . لتجمع خليطا متنافرا وغير متجانس من عناصر وطنية ومتطرفين متحمسين وأيضا . . وجنبا الى جنب العملاء والمأجورون . . لكل واحدة منها مراميها واغراضها العامة والخاصة . . وجاءت الخطيئة القاتلة ولا أقول الأخطاء . . في شكل اتخاذ جريتوريكس مستشارا للمستفيدين من التجمع في مقر الهيئة ومن طرف بعض المنتسبين الكبار . . وجريتوريكس هذا هو مستشار الشؤون العربية في الادارة البريطانية . . وتسمح لي نفسي بذكر عبارة اتخاذه مستشارا لأنه ـ وللأسف الشديد ـ فان بعض الأشخاص الذين ضمتهم الأحزاب عمدوا الى التردد على جريتو ريكس سواء في مكتبه أو بيته . . وبذكاء الانجليز ومكره . . فقد كان هذا يفتح لهم كل غرف البيت ويستقبل ويبقي كل مجموعة في غرفة . . ويدور عليهم بالتناوب . . وتارة تنوب عنه زوجته في عملية اللف والتخدير وكل مجموعة تعرف في نفس الليلة بوجود المجموعة الأخرى . . وأحيانا تتجاور السيارات أمام أو بالقرب من بيت جريتو ريكس . . والغريب أن ذلك بدلا من أن يشكل مؤشر حذر . . واحساسا بالخطر . . ومن ثم يحفز الجميع للعودة الى جادة الصواب على الأقل حفاظا على ماء الوجه . . وبالعكس فان بعض المخلصين الذين يقصدون من وراء الزيارة الحصول على معلومات لما تحيكه الادارة العسكرية لهذا الوطن .

وقد تمثل الخطأ الأكبر في أن رئيس الهيئة وسكرتيره ومستشاره لم يكونوا يحسبون أي حساب لماضي الشخص الذي ينضم الى الحركة . . ومن هنا لم يجيء

مستغربا أن أشخاصا ضمتهم المسيرة داخل الهيئة هم أنفسهم الذين عمدوا لتخريب المسيرة والتأثير على القضية الأساسية . . قضية استقلال البلاد .

وكان السعداوي . . وزارم . . والدكتور فؤاد . . يضعون الاعتبارات للأشخاص من حيث الجاه والنفوذ القبلي حتى لو تمثلت الحقيقة في أن هذا الجاه والنفوذ القبلي هو من صنع المستعمرين أنفسهم . . فرضوه على القبائل بالخديعة والحيلة والمال وعبر الخدمات والمصالح لهؤلاء الأشخاص . . وربما قام العذر على خطأ الاعتبار . . فالثلاثة : السعداوي . . وزارم . . وشكري . . عاشوا بعيدا عن الوطن ومنهم من هو غريب عن الوطن أصلا . . وصار متواترا أن كل زعيم قبيلة أو سيد لحمة يضرب عصاه على الأرض أو قبضته على المكتب مدعيا أن لديه عشرين ألف أو عشرة آلاف . . ويذهب البعض الآخر بعيدا في ادعاءات بأن المديرية أو المتصرفية كلها معه . . وسار السباق على السلطة أو غيرها حادا بلا منطق ولا تدبر . . وزاد الطين بلة أن آخرين جاءوا من خارج البلاد مثل كامل وابراهيم وسليمان . . ومنير . . وآخرين هم في حقيقتهم أذناب للانجليز . . يعملون في المخابرات الانجليزية . . وفي نفس الوقت يقومون بزيارة مقر الهيئة عند غياب السعداوي وهو كثير الغياب بالخارج . . واذا تساءل أحد عن هؤلاء ودورهم فان الردود جاهزة . . وواحدة دائما لا تتغير وتتلخص في أنهم مخلصون للقضايا العربية واستحوذ هؤلاء على أسرار العمل . . ومفاتيح القضايا وتحت ستار (العروبة) والشعارات القومية يدخلون ويخرجون الى مقر الهيئة في أي ساعة ودونما ابداء سبب أو مبرر . . هذه هي نوعية بعض الشخصيات التي تكالبت على التجمعات بمقر الهيئة . . ومن السهل بعد ذلك على أي منصف أن يدرك أن أي شيء تحقق لصالح القضية الوطنية . . انما جاء من قبيل الصدفة والحظ وحدهما . ولم يقتصر ذلك على طرابلس وحدها . . فممثلو برقة وفزان جاءوا على نفس المستوى . . وتقطع بذلك النظرة الأولية العاجلة على ممثليهما في مجلس بيلت وجمعية الستين ولجنة الواحد والعشرين والشواهد والادلة . . تتراءى في سياق واحد عبر خيط طويل لا تشذ فيه الجوهريات أو العوارض . . ربما منذ الجلسات الأولى وحتى النهاية . .

مؤتمر مسلاتة

عمل السعداوي على عقد جلسة عامة لأول مرة في السابع من يوليو من عام ١٩٤٩ وقد اختيرت بلاد القصبات بمسلاتة بالذات تيمنا بمؤتمر سابق عقده المجاهدون هناك أثناء حربهم مع الطليان . . وقد تحدد جدول أعمال المؤتمر في هذه الجلسة في اطار نقاط محددة هي دمج الأحزاب الخمسة وهيئة التحرير تحت اسم المؤتمر الوطني العام وتجديد البيعة . . وانتخاب رئيس للمؤتمر . . ونواب للرئيس وهيئة تنفيذية . . وقد استمرت الجلسة يومين (في الضيافة) . . ومنذ اليوم الأول جاء جـريتوريكس الى المتصرفية بمسلاتة . . وهدفه من ذلك واحد وهو القاء الأوامر وتبليغ التعليمات لأتباعه في المؤتمر وتكشفت المناورات على عجل . . وحتى قبل أن يبدأ المؤتمر جلساته . . اذ طلبت جماعة (جـريتوريكس) أن يبقى السعداوي بعيدا عن الرئاسة وذلك بحجة أنه أرفع من الرئاسة وأن مناصب المؤتمر لا تتناسب مع عظمة دوره الوطني وشخصيته . . ولكن أثناء الجلسة . . اذا بأحد الأشخاص يقف قائلا : السعداوي رئيس . . هنا وقف السعداوي وشكر الحاضرين وأعلن السعداوي اختيار ثلاثة نواب . . فصفق الجميع . . وقد وقفت وصالح عمار بمفردنا في جانب أن يكون الاختيار بالتصويت ولكن الحاضرين اسكتونا . . وعندما جاء الدور على الهيئة التنفيذية جرى الاختيار بالعودة للانتخاب وكان من بين الناجحين بالانتخاب أنا وصالح عمار . . وما ان انفض الاجتماع حتى انتشرت الاشاعات المغرضة وراجت بضاعتها خاصة من المجموعة التي رشحت نفسها . . ولم تفز في انتخابات اللجنة التنفيذية . . وبدأ المؤتمر الوطني نشاطه باصدار المنشورات حول جوانب القضية الليبية . .

في مواجهة التآمر والخيانة

استطاع المد الشعبي الوطني أن يحاصر النشاط المعادي وأن يحكم الطوق حوله . . وقد وجد هذا النشاط نفسه يسير في طريق مسدود . . محكوم عليه بالنهاية . . ولكنه مع ذلك . . ودونما استفادة من دروس التاريخ وتجاربه . . ظل يعمل ويواصل النشاط . . بحسب الظروف المواتية له دوليا وداخليا . . وفي

الأخيرة حكمته الأحقاد والعقد النفسية التي أخذت طريقها للخارج في تصرفات وحماقات مكشوفة . . من ذلك مثلا هذه القصة التي حدثت معي . . وكدت بسببها أدخل السجن لمدة خمس سنوات . . وقد دخلت فعلا . . وخطوت على الطريق الى الزنزانة . . لولا فكرة طرأت . . وهي معالجة الأمر بنفس الأسلوب الذي سارت فيه الأمور منذ البداية . . وتتلخص الواقعة . . أنه في أحد أيام صيف عام ١٩٤٩ بينما كنت بالمكتب بشارع عمر المختار . . واذا بصوت مدوّ نتيجة سقوط أحد ألواح زجاج المنور . . وحاولت أن أتبين الأمر . . وفي طريقي لأعلى السطوح اذا بزوجة اليهودي (براخا) وهي صاحبة البيت أيضا . . تدعي أنني اقتحمت باب السطوح عنوة . . فأخذها زوجها مباشرة الى البوليس . . وفي رئاسة المركز الأوسط آنذاك ضابط ايطالي اسمه (ديلا سكولا) فاستدعاني للحضور للمركز على الفور . . واصطحبني في سيارته السيد بالقاسم السنوسي الغرياني . . وكنت قد دعوته وعددا من أصدقائي للغذاء على شاطىء البحر . . وقد صحبتنا الى المركز سيارة شرطة واليهودي وزوجته وهي على معرفة بالشرطة الايطالية . . ودخلت ليبدأ في الكتابة على الآلة الكاتبة . . ودوّن اسمي وعمري . . الى الآخر . . وكانت الورقة هي اذن بدخول السجن . . طبقا لمادة سجلها تقضي بحبسي لمدة خمس سنوات . . وتم كل شيء دون أن يكلف نفسه عناء استجوابي . . أو مواجهتي باتهام . . وطلب مني أن أصاحبه الى (النوبتجي) المسؤول عن زنزانات الحبس الاحتياطي بالمركز . . وسلم قرار الحبس له . . لتسجيله وتنفيذ حبسي بالغرفة . . هنا رفع (النوبتجي) الليبي بصره عن الورقة ووجه الكلام إليّ قائلا : انه لو قام بتسجيل الأمر . . فانني سألزم السجن حتى نهاية المحاكمة . . وطلب مني أن أتصرف قبل تسجيل اسمي في الدفتر . . وهنا عدت الى البوليس الايطالي (ديلا سكولا) طالبا التفسير لهذا الاجراء الغريب . . فاذا به يرد في صفاقة نادرة بأنني واقع تحت طائلة القانون وانه لا بد من حبسي . . وأثناء النقاش الحاد بيني وبينه . . نزل من الطابق العلوي للمركز يوسف العسلي . . وكان ضابطا بالبوليس . . فسألني عما يدور . . فرويت له القصة . . فاستنكرها وصعد الى الضابط الانجليزي . . فنزل هذا الأخير ولجأ الى حل وسط هو التحفظ عليّ في مكتب البوليس دون تسجيل اسمي حتى

المساء . . وطلب من يوسف العسلي أن يسعى في الصلح . . واذا بيوسف يضع الأمور على المكشوف وبصراحة . . لأول مرة . . وداخل قسم الشرطة . . أمام الضابط الانجليزي . . اذ قال ان اليهود أعداء لأبناء المشيرقي من أجل قضية فلسطين ، والايطاليون اعداؤهم من أجل قضية ليبيا . . والعداء قديم ومستحكم . . ورد الانجليزي بأن هذا الكلام مكانه أوراق التحقيق في القضية . . وانه اذا لم يتم صلح . . فلا سبيل الا حبسي . . وتوجه بلقاسم السنوسي على الفور الى راسم باكير . . وذهب الأخير الى الحاخام (ناحوم) وأخذه معه الى بيت (براخا) وزوجته . . وتوجه بلقاسم والصادق الشريف الى حاي الدرناوي وهو رئيس حومة اليهود . . وكان معهم اليهودي جويلي وكيل بن شعبان . . واجتمع الكل في بيت (براخا) . . وبعد أخذ ورد . . قبل براخا وزوجته الصلح . . وجاء البوليس الايطالي فحمل محضر الصلح . . وهكذا خرجت من المركز الأوسط . . بعد ساعات . . وأثناء تناولنا الغذاء بعد العصر . . تندر الأصدقاء . . بأن فرصة مواتية لانتقام الطليان واليهود معا من شخصي . . ذهبت سدى . . والفضل في ذلك يرجع لاختيار راسم باكير الطيب الصلة بالحاخام اليهودي . . والذي لولاه لسهل على الايطاليين أن يطولوني داخل السجن . . بعد أن تعذر عليهم ذلك خارجه .

مؤتمر تاجوراء[1]

وفي ٢٥ من مارس من عام ١٩٥٠ . . عقد المؤتمر جلسة أخرى . . لمدة يوم واحد بقرية تاجوراء . . بمسجد مراد آغا . . وتواصلت الجلسة من الصباح حتى المساء . . وكان الهدف من ورائها محددا وواضحا أيضا . . وهو ابعاد عبد الرحمن عزام عن القضية الليبية .ويعلل السعداوي عمله هذا بقوله : ان عزام يعمل على تجزئة ليبيا والشواهد والغايات متعددة ولم يعلن عنها في المؤتمر صراحة . . وأيضا لفصل الحركة الوطنية عن الجامعة العربية . . وبمعنى أصح

---

(١) انظر رقم ٢٩ من الوثائق الملحقة .

لنحدد نوعا من المسافة بيننا وبين عزام . . خاصة وقد تواترت الاتهامات والتشكيكات بأن بشير السعداوي يتلقى الأوامر والتوجيهات من عبد الرحمن عزام . . وألح مرددو هذه الأقاويل على تلك النقطة حتى لم يعد ثمة بد لاسكاتهم من هذا الاعلان . . وبالطبع فان الانفصال عن عزام والتباعد قليلا عن الجامعة العربية . . مثلا خطوتين . . لا بد منهما للتقارب مع برقة . . والأمير ادريس السنوسي . . ولم تنل هذه الخطوات موافقة اجماعية من المؤتمر . . فقد اعترض البعض في السر . . ورأوا غير ذلك . . من هؤلاء : ميزران وتجرأ أحد المستقلين فوقف يحاول الرد . . لكن السعداوي أسكته . . فجلس خائفا من غضبة الشعب .

وبعد انتهاء المؤتمر سافر السعداوي الى القاهرة وسلم للحكومة المصرية نسخة من محضر مؤتمر تاجوراء . . ومن هنا بدأ الخصام بين عزام والسعداوي على المكشوف أدى الى القطيعة وحجب من بعدها تأييد المؤتمر من قبل جامعة الدول العربية . .

وفي الحقيقة . . كان لهذه الاجراءات ما يبررها . . فقد بدأ عبد الرحمن عزام يعترض على تصرفات ونشاط بشير السعداوي ويلجأ الى تحريك عناصر من هيئة التحرير واللجنة الطرابلسية بالقاهرة . وعمل عزام على اصدار جريدة بطرابلس للتشكيك والاتهام . . وعمل أيضا على ارسال علي العنيزي لهيئة الأمم (المتفرقة) بليك سكس باسم الجامعة (التي لم تجمع على رأي) وبه زادت الحصيلة لخمسة وفود متضاربة ومتباينة . . وعلى العموم فقد جرت الأمور مع الشخصيات الموجودة بالقاهرة أشبه بالمقالب . . وظاهرة المقلوب لم يسلم منها حتى المؤتمر الوطني نفسه . . بل وفي أخطر المراحل مارس البعض المقالب . . فمثلا في أثناء وجود أعضاء المؤتمر الوطني في أمريكا . . لتمثيل ليبيا في اجتماعات هيئة الأمم . . وأراد الانجليز تدبير مقلب للوفد الموجود بأمريكا . . فاذا بهم يوعزون لشخص من الموجودين في قيادة المؤتمر بطرابلس . . وكلفه جريتو ريكس بكتابة برقيات دون الرجوع للهيئة التنفيذية . . فنفذ صاحبنا التكليف حرفيا . . وفي الحال . . وعند رجوع مصطفى ميزران من أمريكا حمل معه هذه البرقيات

الأخيرة . . وفي الاجتماع الأول للمؤتمر الذي حضره مصطفى ميزران بعد عودته . . اذا بصاحبنا يتغيب عن الاجتماع . . وفوجىء الحاضرون بالطبع بالصيغ المزرية التي تحملها البرقيات . . وبعد التحقيق عرفنا قصة المقلب . . وقد حدثت هذه المقالب مع السعداوي نفسه عندما سافر الى الحجاز . . فاذا بعدد من الشخصيات يبرق للملك السعودي (عبد العزيز) ضد السعداوي طالبين من الملك أن يتمسك ببقاء السعداوي في الحجاز . . وألا يتركه يعود للبلاد . . ولما علمت بذلك أرسلت برقية مطولة دفاعا عن السعداوي وأنهيتها بضرورة عودته لمواصلة جهاده من أجل استقلال البلاد . . وقد رد الملك عبد العزيز على برقيتي . . مما أفهمني أنني كنت الوحيد الذي أبرق دفاعا عن السعداوي .

هذه الصور اضطردت في عمل المؤتمر . . حتى أنه أحيانا كان يتصادف دخولي مقر المؤتمر فأجد نفسي في مواجهة الشخصيات الغريبة . . المريبة . . وعند غياب المسؤولين يجري العمل على طريقة (من يحضر يهنّى) . . وكل من يتواجد في مقر المؤتمر فهو رئيس أو بطل . . بما في ذلك المباشر . . الذي لم يتردد في ممارسة صلاحيات واصدار تصريحات اذا غاب أحمد زارم . . وأخيرا كان لا بد مما ليس منه بد . . ففي آخر أيام المؤتمر تخلى الطامعون في المناصب وأصحاب المصالح عن السعداوي وحاولوا أكثر من ذلك تلطيخ تاريخه الوطني . . فاتهامه بتبديد المبالغ التي حصل عليها من الجامعة العربية لحساب القضية . . علما بأن المبالغ التي تبرع بها الأهالي لم تزد على الالفي دينار . . وقد اعتاد الكثيرون الظهور في الاجتماعات بمظاهر حاتمية والاعلان عن تبرعات ضخمة حتى اذا جاء موعد الدفع . . اذا بهؤلاء يتسترون خلف ايصالات وفواتير ثمنا لمصروفات دفعوها لاصلاح سيارة . . أو ثمنا لاطار . . الى غير ذلك . . وللحقيقة والتاريخ فقد استطاع السعداوي أن يخدم القضية على أوسع نطاق . . وفي مختلف المحافل الدولية في حدود مبلغ زهيد لا يساوي شيئا بالقياس الى ما تحقق . . وعندما جاء السعداوي ممثلا لهيئة التحرير تولى عملية الانفاق كاملة وتحمل المسؤولية في شجاعة وثبات وظل كذلك حتى نضب ما تحت يده من أموال . . سواء أكانت عامة أم خاصة . . وعندها فقط عدت للانفاق من جديد في حدود امكانياتي .

سبق أن تعرضت لتفاصيل ظاهرة مؤسفة . . صاحبت العمل في القضية الوطنية . . وانعكست سلبيا على عديد من جوانب القضية . . بحيث أطالت جدلا كان يمكن أن يكون قصيرا وحاسما . . وضاعفت من جهد كان يمكن أن ينصرف لانجازات أبعد لصالح القضية نفسها . . بل وأعطت فرصا لعناصر معادية للقضية الوطنية كي تناور وتتآمر في العلن أحيانا . . وأعني هنا ظاهرة الانقسامات بين الأحزاب . . وفي داخل الحزب الواحد . . والخلافات التي تستعر بسبب وبغير سبب بين العاملين في الحقل الوطني . . وسرعان ما يتولد عنها شطط واتهامات تصل الى مزالق خطيرة . . مثل الاتهام بالخيانة أو الانحراف وغيرها . . وربما جاء أبلغ دليل على خطورة هذه الظاهرة واستحالتها إلى مرض مزمن . . ان تطول بشير السعداوي نفسه . . وأن تصدر في حقه مذكرة طويلة . . عريضة يجري توزيعها . . واخطار جهات وأجهزة بها . . مع أن الردود عليها . . موجودة في ثناياها نفسها . . بحيث لا تنطلي على أي قارىء متبصر أو منصف ينظر لأبعد من تحت قدميه . . وهي من خمس صفحات . . وصلتني عن طريق البريد من القاهرة . . والمرسل مجهول . . وتنتهي المذكرة دون توقيع من أحد وبدون تاريخ ولهذا لا تستحق المتابعة . وقد قمت بكتابة رد على ما جاء في تلك المذكرة على صيغة نداء وجهته الى الليبيين في الشام وغيرها ، وقد قامت جريدة الأيام بنشره .[1] .

قبل الأبطال التّحدي

بدت الألاعيب الانجليزية مكشوفة حتى النهاية . . رغم كل ما هو معروف عن الانجليز من دهاء تقليدي في ميدان السياسة خاصة . . فحين تحفظ الزعماء في دخول الجيش الليبي للحرب بجانب الحلفاء . . حتى يعلن هؤلاء ـ على الأقل ـ نواياهم تجاه حرية البلاد . . والاستقلال . . وموقفهم من الطليان . . فان ادريس لم يتحفظ أو ينتظر . . اندفع بجيشه من الاسكندرية الى داخل البلاد . .

---

(١) انظر رقم ٣٠ من الوثائق الملحقة .

وعندما أراد الانجليز . . وعقدوا النية على تقسيم البلاد . . فقد أمر جيش السنوسي بالتوقف حيث تصور أنها حدود المملكة الجديدة . . كما تكشّف للعيان أنه بلا ارادة ازاء الرغبات التي أبداها البعض حرصاً على وحدة البلاد .

وقد أدركت بريطانيا نفسها انكشاف أوراقها . . فلعبت على المكشوف أيضا مع الشعب في طرابلس . . وجاءت المناورات محسوبة ومفهومة أيضا . . فعندما تريد بريطانيا أن تصعد بأسهم ادريس وتجعل الزعماء يقتربون منه ويوافقون عليه . . فانها تدلي على ألسنة مسؤوليها بتصريحات عن عودة الايطاليين أو بحث أمر اعادة الأوضاع على ما كانت عليه قبل الحرب . . وقد أدرك الانجليز وعي الشعب لهذه المناورات . . فحاولوا التغطية . . أو توسيع دائرة المناورة كما يقول التعبير السياسي . . فلجأ الانجليز مرة الى محاولة في اتجاه سحب أحمد السويحلي . . وعرض امارة طرابلس عليه . . ولكن السويحلي أعاد الى الأذهان ما سبق أن طالب به الزعماء قبل دخول الحرب . . سألهم السويحلي أن يوضحوا الشروط والأسس التي يضعونها لمستقبل البلاد . . وهكذا عادت المناورة عليهم . . وان بقيت في يدهم الورقة الرابحة أبدا . . وهو التلويح باعادة الايطاليين وما يشكله ذلك من أخطار فادحة على مستقبل البلاد . . اذا بقي الانجليز في برقة والايطاليون في طرابلس . . والفرنسيون في فزان . وهو وضع أقسى وأمر مما كان قبل الحرب العالمية . . ففي الوضع الأخير كانت البلاد موحدة . . تحت سيطرة استعمار واحد . . تقاومه وتكيل له الضربات وتتلقى منه أبشع ألوان الانتقام وضروب الجرائم . . ولكنها . . ومع مختلف النتائج . . وتحت كل الظروف تحتفظ بأملها في الخلاص واستعادة الحرية كاملة فوق كامل التراب الوطني دون أن ترد مخاطر تقسيم وتفتيت ودخول في لعبة التجزئة التي انطلت على عديد من شعوب العالم . . ونجح الاستعمار فيها . . وأجادها . . وأصرخ مثال على ذلك نراه ونعيشه في وطننا العربي نفسه . . هكذا ووفق قانون النسبية أصبحت اختياراتنا الوطنية محصورة في دوائر المرارة . . وبدا الأخف مرارة هو المقبول أو المطلوب . على أننا للحقيقة والتاريخ لم نقع أسرى تخطيطات وألاعيب الأقوى . . أو نسلم بذلك تسليما مطلقا . . أذكر أنني . . رغم ماأعلنته مراراً بأنه

ليس لنا إلا التمسك في هذه الظروف بوحدة البلاد وبابعاد شبح ايطاليا . . ففي المهجر تواكبت أفواج الرافضين للمستعمر ، وهناك لوحقوا من قبل هذا المستعمر . . وقبل هؤلاء الأبطال التحدي . . واستمروا يتعقبون المحتل . . فضحا للجرائم وتعبئة للرأي العام العربي ضدهم . . واستشارة للضمير الانساني ضد ممارساتهم . . وكسبا للتنظيمات والأحزاب التقدمية في أرجاء العالم الى جانب قضيتنا الوطنية . . وهو ما جهد الايطاليون لتلافيه وما بذلوا الجهد في سبيل محاصرته والتعتيم على ما يجري داخل البلاد . . بل ومحاولة شراء أقلام رخيصة لتزوير الوقائع هنا وهناك . . ومن أبرز المجاهدين في هذا المجال يقف بشير السعداوي . . الذي وقفت معه في بضع سطور خلال الجزء الأول من هذا التسجيل التاريخي . . كان بشير قد أنشأ وترأس لجنة الدفاع عن طرابلس وبرقة في مهجره بسوريا . . وظل يناضل من هناك حتى أوصل صوت البلاد للقاصي والداني . . مضحيا براحته ومقترا على نفسه وأسرته . . حرمانا من الضروريات في كثير من الأحيان . . وعندما ضاقت الموارد أمام اللجنة قبل العمل في السعودية مستشارا ليمد اللجنة بجزء من احتياجاتها لمواصلة دورها في التصدي لمؤامرات وممارسات الايطاليين . . واستمرت ايطاليا تعمل ألف حساب وحساب لنشرات الجمعية وتمنع تسربها الى البلاد تحت أي ظرف . . وظل بشير يواصل هذا الدور في اصرار . . وهكذا أمسكت بالقلم لأكتب له مرة أخرى باللفظ الذي يمكن أن يلخص كل المضامين والمواقف . . ومن جديد قلت له في رسالة الى السعودية وصلته قبل عودته بفترة تزيد على العامين :

سلاما وتحية ،

بلغني من عدة جهات . . وانتشر الخبر فوق الجرائد . . عزمكم على زيارة بلادكم . . وقد انتشر هذا الخبر السار في كل أنحاء القطر والكل في الانتظار . . فالبدار . . البدار حيث آن الآوان .

أرجو سيدي أن يبلغ سلامي لزعماء البلاد . . وتقبلوا سلامي واحترامي . . وجاء فوق التوقيع . . وفي أعلى الرسالة . . التاريخ لتحريرها وهو ٥ ربيع الثاني

١٣٦٥ . . أي أوائل (مارس) عام ١٩٤٦ ميلادي . . فقد عاد بشير لطرابلس في السادس من مارس من عام ١٩٤٨ . . عاد ليجد ما يمكن تسميته بالاحباط وخيبة أمل . . فقد واجهته منذ اللحظة الأولى مفارقات مريرة . . تمثلت في تضارب الآراء وتناقض الاتجاهات . . فضلا عن تربص الأعداء الثلاثة له . . أعني بريطانيا . . وفرنسا . . وايطاليا . . وللأسف فان تربصهم به وترصدهم لحركاته تم عبر وجوه ليبية لها مطامع خاصة تحركها . . حتى وان جاءت الحركة على ايقاع المستعمرين . . وانسجاما مع ترتيباتهم وتواكبها بصفة عامة . . ظاهرة أخطر تتمثل في ضيق النظرة ومحدودية الوعي عند الكثيرين . . فلكل مصلحة ذاتية . . يحاول أن يسلك أقصر الطرق لتحقيقها ابتداء من مفتيها حتى مغنيها كما يقول المثل . . كل واحد يكاد يكون له رأيه الخاص به وحده . . واتجاهه الخاص به وحده . . وغايته الخاصة به وحده . . كل واحد يتشكك في الآخر . . ويكيل له الاتهامات . . وقبل أن استطرد في أي وصف للسائد فلا بد من اشارة سريعة . . ان سياسة (فرّق تسد) لعبة استعمارية ذكية . . طعم ابتلعه للأسف الكثيرون على مستوى الوطن العربي . . من أفراد الى أحزاب . . وهكذا ظل بشير يتجرع المرارات . . اذا اجتمع بواحد في مكان . . وجاء آخر . . فان كل واحد يلهب ظهر الآخر بسياط من الاتهامات . . اذا التقى بعدد من أفراد . . فانهم حريصون على القاء الظلال والاتهامات على مجموعة أفراد أخرى . . وهذه على تلك . . وهكذا . . وبالجملة . . لقد وجد نفسه أمام أحزاب وهيئات ونواد وجبهات ومصالح وادارات متطاحنة متضاربة . . تتشدق بادعاءات عريضة . . كاذبة . . هي تمثيلها وتعبيرها عن الشعب . . اذا تحركت واحدة منها في اتجاه لتحقيق مطلب عام أو فئوي . . لم تطلع شمس اليوم التالي حتى تكون قد خرجت لتكذيبها حركة أخرى . . سواء جاء هذا الخروج في صورة مظاهرة أو احتجاج أو نقد . . حسب ما تسمح به وتقتضيه الظروف وبينها أحزاب يرأسها وطنيون مخلصون . . وعيبهم الوحيد هو الأنانية الظاهرة . . دونما ليونة أو مرونة . . ولا يتمتعون بأبسط ما تفترضه السياسة أحيانا من أبجديات . . وبينها أحزاب أخرى تتبع سياسة الصيد في الماء العكر مباشرة . . وبلا حيطة أو كياسة . . فهي تطبل وتزمر للاستعمار دون ما تحفظ أو تدبر . . وغير عابئة بحقيقة كونها خالية

الوفاض من أي رصيد وطني . . مكتفية وراضية بأنها تضم طلاب الأجر اليومي المباشر وأصحاب المطامع العاجلة والآجلة . . وحفنة من المخدوعين أو المغفلين . . كل هذا يجري ويطفو على صفحة سطح بحر خضم من جماهير شعب متحفز للحرية والوحدة .

يأتي بشير السعداوي . . الذي قبل أن يعيش على الكفاف . . وأن يحرم نفسه وأسرته من الضروريات . . توفيرا لكل شيء . . وأي شيء . . لصالح قضية البلاد . . رغم الغربة . . ورغم ما يفترضه عمله من مظاهر وتكاليف . . في وسط رجالات الدول وزعمائها . . وقادة الرأي . . والأدباء . . والكتاب . . ورؤساء الدول والحكومات . . هذه التضحية الغالية منه . . التي لا بد وأن يكون قد أوقد جذوتها . . وحافظ على استمراريتها . . الأمل في الغد . . في المستقبل فاذا بهذا الغد يتمخض عن هذه المؤامرة الانجليزية من المتناقضات والمؤامرات التي طالت كل شيء . . حتى وحدة البلاد . . فاذا بنعرات الانفصال تتصاعد في أرجاء البلد الواحد . . وهو الذي اعتاد العمل في سوريا على مستوى ونطاق الوطن العربي بأكمله . . بل والعالم الاسلامي بأجمعه . . وكان هناك ما يزال في ريعان الشباب . . فاذا به يعود في كهولته ليرزح تحت عبء خائب وثقيل . . وكان لا بد مما ليس منه بد . . وهو المتمرس الواعي العاقل . . ان التيارات أكثر من أن تعد . . وأبعد من أن تشكل أي تجانس . . أو تساعد في الوصول الى قرار . . أي قرار . . ان ما تفرضه هو السباحة في مختلف الاتجاهات . . ومحاولة القفز معها وعليها . . اذا أريد لسفينة الوطن . . أن تصل الى البر . . بأقل الخسائر والتضحيات . . ان قيمة واحدة هي التي تصلح معيارا للحركة في هذا الوسط . . انها الاشفاق وحده . . فنحن هنا بصدد مناضل فذ . . لا يمكن أن يكون الانسحاب واردا بالنسبة اليه . . فلم يكن بشير . . ولن يكون سلبيا أبدا . . والرضا من الغنيمة بالاياب . . كما يقول المثل العربي . . أمر غير وارد عنده . . مصطلح ليس في قاموسه النضالي . . ومن هنا كان بشير يجامل مرة ويساير أخرى . . وينصح ثالثة . . ويحاول التأثير والتحويل رابعة . . بالجملة عصا مشروخة . . جملة شروخ . . لا سبيل الى الاحتفاظ بها واحدة موحدة . .

متماسكة . . غير الامساك بها من الوسط . . حتى وان أدمت اليد . . وأوجعت القلب . . وأنهكت الطاقة . . وأجهدت الذهن في لمها وجمع شتاتها وشظاياها . . حتى لا ينفرط عقدها . . وما يزال الاستعمار رابضا فوق الأرض . . يعمل لذلك ويبني خططه على هذه النتيجة المرجوة . . وحتى لا يأخذنا التجريد . . فانني أسوق هنا قضية الوحدة بين ولايات البلاد . . لقد واجه بشير دعاة الانفصال في برقة وفزان بالمجاملة والمسايرة . . تمهيدا ضروريا . . ولازما وصولا الى حوار دأب أثناءه في السعي والاتصال وتحييد عناصر انفصالية . . والدفع بآخرين أقل تطرفا . . والوصول الى عناصر بعيدة أو مترددة لتجنيدها في صف الوحدة . . حتى استطاع في النهاية أن يجمع شملا حول قضية الاتحاد الفيدرالي . . وهو مكسب لا شك فيه بالنسبة للانفصال وهزيمة مؤكدة لدعاة الانفصال الذين كانوا وحدهم في الميدان . . وهم الأعلى صوتا . . وهم الأجدى تأثيرا . . فاذا ببشير بعد الجهد المضني يصل الى نتيجة ايجابية أذهلت المتطرفين من دعاة الانفصال . . خاصة وأنه كان وسطهم يمارس العمل عبرهم وتحت سمعهم وبصرهم . . كل هذا وبشير يرنو بعينيه الى فزان . . وما يفعله الفرنسيون هناك . . مع الوحدويين وما يمارسونه ضدهم من عمليات تعذيب وتشتيت ويدرك تماما التأييد الذي توفره السلطات الانجليزية للانفصاليين في برقة . . فما يجري في برقة ينعكس مباشرة وببساطة على فزان . . وبصفة عامة . . تمثلت أداة بشير في مؤتمر المفاوضات في ثلاثة نواب . . جسدوا بدورهم صورة مركزة ومطابقة لما يجري على الساحة العامة . . فكل نائب منهم يمثل اتجاها كاملا . . والاتجاه ينقسم الى تيارات . . الى تبدلات وتغيرات طارئة ومفاجئة . . النواب الثلاثة بينهم مسافات وخلافات ومنها التناقض نفسه . . فاذا اقتنع واحد منهم برأي سرعان ما يتغير الآخر الى الضد . . ولم يكن أمام بشير فرصة اختيار . . فرضي بالواقع أو بقدره رغم قسوته وفداحة الخطب المجسم فيه . . رضي أن يشد نفسه الى حبل موزع في ثلاثة اتجاهات متضاربة . . وظل يدور في دوامة عاتية ليصفه البعيدون بالذبذبة . . فكأنهم لم يكافئوه حتى بالسكوت وهذا أضعف الايمان . . بل أخذوا يزيدون من جراحه ومعاناته . . اتهموه مرة بعدم الالتزام بمبدأ ، أو الصمود عند رأي . . مع أنه حقيقة وواقع لو لم تبدر منه هذه الليونة أو المرونة الضرورية لكانت البلاد قد تمزقت

الى أشلاء ولنفتح الباب على مصراعيه لرجوع ايطاليا الى طرابلس . . انني لا أتحفظ ثقة في أن ما فعله السعداوي انما هو وثبة من وثباته الوطنية الجسورة . . وانجاز جليل يضاف الى رصيده النضالي . . أسفر عن استقلال البلاد وهي متحدة فيدراليا . . وبقي الطريق مفتوحا أمام الشعب . . وسهلا في سبيل تكريس الوحدة وتعميقها وصولا الى حتمية توحيدها . . لقد كان ما حققه السعداوي في ايجاز . . هو وأد أمل ايطاليا في العودة الى طرابلس ودق مسمار قاتل في نعش طموح فرنسا للتواجد في فزان . . وعندما التفت الى بريطانيا أسرعت هذه فتغذت به قبل أن يتعشى بها .

قام بشير بكل هذا في غضون خمس سنوات متنقلا بين ليبيا ومصر والأمم المتحدة وباريس ولندن . . رغم ضآلة الامكانيات . . وفي حدود مبلغ زهيد لا يفي بهدف محدود مثل تأسيس شركة نقل خاصة بأربع سيارات أو لبناء بيت متوسط . . لكن بشير حقق به آمال شعب واستقلال وطن . . فما قدمته الجامعة العربية ومنها سوريا والعراق ولبنان ومصر . . والأخيرة كانت أكثر سخاء بلغ اجماليه اثنين وثلاثين ألف جنيه فقط بما في ذلك التبرعات المحلية . . وأنا أعلم بها من غيري . . غطى بها بشير التنقلات والمؤتمرات ومصروفات اللجان والطماعين حتى ليمكن أن يقال وبارتياح أن جهد بشير وعرقه دون المال هو الذي أوصل الى الهدف . . وحقق الأمل .

احتفال جمعية الستين ... أو المفسدين ..

لا أود هنا التعرض لهذه الجمعية ولا لأغراضها . . وظروف تكوينها . . ولا عن لجنة الواحد والعشرين ولا مجلس بيلت . . فذلك كله واضح ومفهوم للجميع . . وقد جمعت محاضرها في كتاب (مطبوع) وهو موجود في المكتبات بالسوق . . وما أقصد اليه هنا لا ينصب على الجمعية . . كما يبدو من العنوان وانما يتناول واحدة من وقائع الزيف والتضليل التي عمدت اليها الجمعية . . بعد أن وضعت ما أسمته بالدستور وأرادت الجمعية أن تقدم الدستور في مظاهرة

شعبية . . الدستور الذي وضعه الانجليز ودفعوا بنصوصه ومواده جملة وتفصيلا . . واستنطقوا عملاءهم بكلماته وفقراته . . الدستور الذي وضع لهدف أساسي محدد هو خدمة أشخاص بعينهم لا أكثر ولا أقل . . الدستور الذي كان كالجبل على كاهل وأنفاس الشعب . . وبسببه تفرق الشعب . . وتمزق كيانه وتشتت شمله . . وتصدعت أركانه . . أراد أن يوهم العالم بأن الشعب راض عن عمله لهذا الدستور . . وأن شركاءه الذين عملوا معه في نفس المؤامرة قد أعطوا شيئا في وقت لم يكنوا فيه جميعا سوى (دمى) ممسوخة في أيدي الانجليز والفرنسيين . . ولا يكاد الاستثناء من ذلك يمتد الى اثنين أو ثلاثة من لجنة الستين . . والمهزلة أو التمثيلية جاءت عندما أعلن ممثلو طرابلس بالجمعية يوم ٤ من ديسمبر ١٩٥٠ . . ان الشعب سيقوم في الغد بمظاهرة [١] ابتهاج وسرور تعبيرا عن تقديره لأعضاء جمعية الستين لما قاموا به من وضع الدستور وحددوا ساعة التواجد لاعضاء الجمعية وهو قصر الخلد . . وفيه يصلهم . . على رأس مظاهرة شعبية ضخمة . . وبدأت الاستعدادات لذلك الحدث . . فبعثوا برسلهم للدعاية والتضليل وجاءت عملية قلب الحقائق ومحاولة اظهار الأسود في لون أبيض . . جاءت استفزازية ومثيرة للأعصاب . . فقررت أن أتحرك حتى لا أدع مخطط التضليل تكتمل حلقاته حول الشعب الطيب . . فسألت عن صالح عمار النائلي . . فقيل لي أنه مريض : . . فأسرعت بالاتصال بآخرين . . منهم عبد المجيد المشيرقي وجميل المبروك ودقدق وأبناء عمر الزيات والحاج بشير بن رمضان . . وكلهم عملوا الكثير لصالح هذا الوطن . . ثم ذهبت الى صالح عمار في بيته . . فقال لي انه سيخرج غدا دون أدنى شك وسيعمل الواجب كاملا . . فوضعت امامه الوقائع ملخصة . . في أن . . . . . دعا الشباب الى الاجتماع في نادي الاتحاد . . والبرنامج هو الاجتماع صباحا في جامع السنوسية ثم خروج المظاهرة الى شارع عمر المختار . . ثم الى شارع (الاستقلال) . . وتتوقف المظاهرة هناك ليلقي مع كل أسف اثنان من شباب المؤتمر المرموقين كلمتين من مكتب (بعمارة سيدي حمودة) فرد صالح بأن أترك الموضوع له وأن أذهب للمزرعة . .

---

(١) انظر رقم ٣١ من الوثائق الملحقة .

واعترضت . . فقال صالح بالحرف : «لا أطمئن لعملك المباشر معي . .» وهكذا كان صالح يتردد في اشتراكي معه كلما كان العمل على المكشوف . .

وفي الصباح بدأ الناس في التجمع . . وعند الموعد صعد من ألقى كلمة تأييد للجمعية ولاعمالها . . وبدأ الجمهور مترددا على غير قناعة بالسير في المظاهرة أو الرجوع الى العمل أو تخريب هذه المظاهرة . . هنا صعد صالح عمار على المنصة وأخذ في شرح المؤامرة التي يحيكها الاستعمار ضد مستقبل الشعب وهنا جاءه عبد الغني أحد أقطاب نادي الاتحاد الرياضي ووجه الاتهام لصالح بأنه أخذ نقودا من ايطاليا ليفسد على الشعب نعمة الاستقلال . . لكن صالح لم يلتفت اليه أو يعبأ به . . واستمر في الشرح وكان الناس منصتين للشرح . . هنا دخل المسجد شخص آخر من الجماعة التي تسمي نفسها (الكبار) . . وطلب هذا الشخص من صالح أن ينزل . . ويكف عن الكلام . . فرد صالح : هذا بيت الله وليس بيت (جريتو ريكس) ولا بيت (بلاكلي) . . هنا تحمس الشعب . . وطلب من هذا الشخص أن يصمت . . ومنهم من بصق عليه . . وهنا جاءت سيارة تابعة لمصلحة الاستعلامات الامريكية . . وعليها مكبر صوت . . فهجم الشعب على السيارة وحطم مكبر الصوت وفرت السيارة وتزايد حماس الشعب ضد المظاهرة ورغبته في اكتشاف الحقائق . . فسارت الجموع في مظاهرة وهرب المسؤول الذكي . . اما الآخرون فقد أصروا على البقاء . . وتقدم المظاهرة رغم أنها تحولت الى معادية لهم ولاهدافهم التي خططوا لها . . وبدأ هؤلاء ينسحبون واحدا بعد الآخر حتى بقي صاحبنا بمفرده . . ظانا أن منصبه الديني ووقاره كفيلان بمنع الشعب من ايذائه . . واذا الشعب يبدأ في استنكار وجوده في المظاهرة . . وعبر عن ذلك بالصفير أولا . . ولولا حماية بعض الانجليز ورجال الشرطة له . . لفتك به الناس . . وأخيرا وضعوه في سيارة وحملوه الى بيته . . أما من يقرأ محاضر اجتماعات جمعية الستين . . فانه يقف على صور نادرة من التواطؤ مع المستعمرين والتهافت على ارضائهم وتتجلى له على الفور مؤامرات هؤلاء المستعمرين ضد البلاد وشعبها . . وانحطاط أطماعهم . . ولا أخلاقياتهم . . ويعجب بعد ذلك كيف يستبيح بعد ذلك أعضاء هذه الجمعية لأنفسهم اطلاق

مفهوم (وطنية) على جمعيتهم . . ووضع مفهوم او عنوان (دستور) على مؤامراتهم القذرة . . ويجد قارىء المحاضر أيضا بعض الحقائق الأساسية الأخرى .

اعلان الفيدرالية

وضعت جمعية الستين الدستور . . ونصت فيه على الاتحاد الفيدرالي بين أجزاء البلاد . . وبالتالي فقد انقسمت البلاد الى ثلاث ولايات . . وقد ترتب على هذا غصة في نفوس أبناء طرابلس . . وسخط شديد بين الأهالي . . وكان لذلك أثره الفعال فيما بعد .

كان بشير السعداوي خارج البلاد في ذلك الحين . . وعند عودته للوطن مر ببنغازي . . وفيها وجد أعضاء جمعية الستين لرفع مسودة الدستور الى ادريس السنوسي . . فاشترك في تقديمها والتقطت له صورة معهم كذلك . . وفي طريقه الى طرابلس قابلناه في مصراتة . .وكنا جماعة . . وقد أوضحنا له الأمر . . ورأى الشعب في طرابلس . . وبينا له سخط الناس على جمعية الستين وعلى النظام الاتحادي . . وصارحناه بأنه اذا كان موافقا على ذلك فليعد من حيث أتى . . فذلك خير له . . وكعادته طمأن الجميع خيرا . . ودخل طرابلس وصعد الى شرفة المؤتمر حيث ألقى كلمة رد فيها على الكلمة التي ألقاها صالح عمار . . بعد أن حمل الناس صالحا على الأعناق . . وألقى كلمته من وسط جموع الناس . . وبالطبع فقد هاجم صالح جميعة الستين وقرارها المتعلق بتقسيم البلاد . . ولم يكن رد بشير حاسما . . وقد طمأن الناس خيرا وطلب منهم الانصراف فانصرفوا . . ولم يمض وقت طويل حتى وجد بشير نفسه في مأزق حرج . . اذ أنه قد حضر تقديم الدستور من ناحية بما فيه من نظام فيدرالي . . ومن ناحية أخرى فها هو يعلن أنه لم يوافق على ذلك البتة . . وأنه لا يرضى على تقسيم البلاد . . وفكر بشير في ارسال وفد لبنغازي لمقابلة الأمير وبحث تصحيح هذه الأوضاع . . وقد وقع الاختيار على شخصي وعلى محمد الكريكشي للتمهيد للوفد . . وقد سافرنا بالفعل لبنغازي . . ولكن عندما علم الانجليز بموضوع الوفد وأهدافه تدخلوا لدى الأمير . . وأبرق والى برقة في ذلك الحين المستر (داكاندول) الى والي طرابلس

(بلاكلي) وهذا بدوره سلم البرقية الى السعداوي . . وفيها ينذر بأنه اذا أرسل اي وفد فانه سيمنع منعا باتا من دخول برقة . . وعندما تسلم السعداوي هذه البرقية وكان معه في ذلك اليوم فؤاد شكري وصالح عمار النائلي وأحمد زارم . . قال السعداوي : «هذه ليست أول مرة يصدمني فيها ادريس السنوسي» فقد كنت أعاني من تصرفاته منذ عشرات السنين» .

وساعة وصولنا الى بنغازي قصدنا القصر وكتبنا في سجل التشريفات كلمة لا تشير الى القصد من الزيارة . . وخرجنا دون طلب مقابلة وبقينا يومين نمهد لوصول الوفد ومباحثاته . . ونستكشف الجو الأنسب للوصول لتقريب وجهات النظر . . وجاءت المفاجأة مع اليوم الثالث . . عبر صحف الصباح . . فقد خرجت الجريدة . . وعليها برقيات متبادلة بين السعداوي وحاكم برقة الانجليزي . . وقرار من الأخير بمنع الوفد من دخول برقة . . وقررت أن أحاول عمل شيء وطلبت من ابراهيم الشلحي الاجتماع بالملك . . فوعدني بالاتصال بي بالفندق لتحديد موعد المقابلة . . ورغم انتظارنا للمقابلة مع الملك . . فقد حجزت مقعدين على الطائرة العائدة الى طرابلس في الساعة الواحدة ظهر اليوم التالي وقمنا في الصباح بترتيب الحقائب استعدادا للعودة . . وعند الساعة ١١ صباحا . . أخبرونا أن المقابلة عند الساعة ١٢ ظهرا . . فأرسلنا الحقائب الى وكالة السفر . . وتوجهنا للقصر . . وأثناء شرب القهوة قصصت على الملك الموضوع بأكمله . . وسبب قدومنا وما حدث بالتفصيل والنوايا الحسنة التي تحكم كل التصرفات والقرارات الصادرة عن طرابلس . . وما يفرضه ذلك بالتبعية على برقة . . وفات موعد الطائرة . . وفي المساء أخذنا الطائرة الى طرابلس ووجدنا معنا على متنها عمر شنيب وخليل القلال . . وقد اتفقنا في الطائرة على شيء واحد . . هو تقريب وجهات النظر . . ونزلنا من الطائرة مباشرة الى السعداوي ثم الى فندق اكسلسيور بطرابلس لمقابلة شنيب والقلال . . وطال النقاش . . وخرجنا لنعود مرة أخرى في نفس الليلة الى بيت السعداوي رغم رداءة الجو والزوابع . . وكان السعداوي يريد التقارب تمسكا بالوحدة وحفاظا على الاستقلال . . ولكن الجماعة خانتنا . . ففي الصباح نشرت صحف برقة ما يعتبر

اهانة وجرحا للسعداوي بادعاء تقلب سياسته . . ونشرت له برقيات التأييد . . فاذا بكل جهودنا مع شنيب والقلال تذهب أدراج الرياح . . وعلى اثر ذلك دعا المؤتمر (في شهر يناير ١٩٥١) للقيام بمظاهرة كبرى . . انضم اليها ما يزيد على عشرة آلاف مواطن . . وقصدت المظاهرة مقر هيئة الأمم المتحدة . . ودخل السعداوي وآخرون . . وقابلوا المستر (بيلت) مندوب الأمم المتحدة في ليبيا [١] . وقدموا له احتجاجا قويا بهذا الخصوص . . وفي مساء نفس اليوم اجتمع جماعة من أعضاء المؤتمر واقترحوا الاستمرار في الاضراب والمظاهرات حتى تستجاب طلبات أغلبية السكان . . وقد عارض البعض معارضة قوية . . فما كان من صالح عمار الا أن خرج من الاجتماع ليركب دراجة ويصطحب معه مجموعة من الشباب وأخذوا يجولون في الشوارع والحارات طالبين من الجمهور الاستمرار في الاضراب والمظاهرات . . وجاء اليوم التالي ليشهد مظاهرات أعنف . . قادها صالح عمار النائلي وعلي المصراتي وغيرهما . . وقد طافت بشوارع المدينة الى أن وصلت الى مقر مكتب هيئة الأمم المتحدة . . وهناك لحق بها السعداوي . . وأخذ يطالب الناس بالرجوع فأطاعوا . . وعند الساعة الواحدة من بعد منتصف الليل بدأت الشرطة نشاطها . . فاقتادوا صالح عمار النائلي وابراهيم المقدود وبشير بن رمضان من منازلهم الى سجن باب بن غشير . . وبعدها بيوم واحد جاءوا بعلي المصراتي ومعه آخر كان من رجال الشرطة . . وقد بات الأخير مع الجماعة ليلة ثم أفرج عنه . . وقد تكشف فيما بعد أن البوليس أتى برجله لينقل لهم بعض المعلومات التي يتحصل عليها أثناء مبيته معهم . . خلال أحاديثهم في الليل .

الوطنيون داخل السجون

وجرى تقديم الأربعة الى المحكمة العسكرية البريطانية بطرابلس . . وكان مركزها قصر بالبو . . ولم يحضر عن المؤتمر الا أحمد زارم وعبد الحميد السعداوي وابراهيم البكباك ليوم واحد ثم اختفوا . . أما المحكمة في حد ذاتها فهي مهزلة

---

(١) انظر رقم ٣٢ من الوثائق الملحقة .

من المهازل . . فقد جيء بترجمان لا يفقه في العربية شيئا . . وازاء ذلك طلب المتهمون تغييره . . وامتنع بعضهم عن الكلام . . وهنا رفعت الجلسة وأعيدت بعد نصف ساعة . . وبعدها تقدم الى المتهمين يوسف العسلي . . وهو ضابط شرطة فلسطيني الجنسية . . وسأل المتهمين ان كانوا يقبلونه كمترجم . . فرحبوا جميعا بالاجماع . . ولم يكتف يوسف العسلي بالترجمة بل عمد الى نقل الصور والوقائع التي تخدم المتهمين . . كما وجههم لما فيه مصلحتهم مستغلا عدم معرفة هيئة المحكمة للغة العربية . . وجيء بمفوض الشرطة وضابط انجليزي اسمه كلارك كشاهدين . . وقد تضارب الشاهدان في تسمية الشوارع التي مرت فيها المظاهرات . . كما أتت المحكمة بثلاثة شهود آخرين من الشرطة العرب . . أحدهم كان مسؤولا عن التصوير . . وقدم صورة لعلي المصراتي وهو فوق أعناق المتظاهرين . . وبعد ثلاثة أيام من الأخذ والرد والاستماع ومناقشة الشهود بعد هذه التمثيلية أصدرت المحكمة حكمها بسجن علي المصراتي ستة أشهر وصالح عمار ثلاثة أشهر وقضت بتغريم ابراهيم المقدود وبشير بن رمضان خمسة آلاف مال .

مؤتمر الشباب الثاني

وجاء انعقاد المؤتمر الثاني للشباب في أبريل سنة ١٩٥١ . . وقد تم عقد المؤتمر بمبنى سينما (كاتانيا ـ المعرض) وحضره بشير السعداوي وصحفية هندية كانت في طريقها لتونس . . وقد نظم هذا المؤتمر جماعة من الشباب المتحمسين أيضا . . وعند بدء الجلسة تقدم أحدهم ليترأس الجلسة بدون انتخاب . . مما تسبب في ضجة شديدة . . طالب الحاضرون بوجوب أخذ الرأي في رئيس المؤتمر . . وهنا تقدم أحمد بوعرقوب وطلب من الحاضرين شرح وبيان الطريقة التي يريدونها لتحديد شخص الرئيس . . فرفع أحدهم صوته مطالبا بالانتخاب . . وقد كان . . وصوّت الجميع بالاجماع على صالح عمار النائلي رئيسا . . واعتلى المنصة وألقى كلمة مسهبة تعرض فيها للسجون . . وتمنى للحاضرين جميعا أن يزوروا السجن . . كما تمنى لهم أن يكونوا من نزلائه في سبيل

المبدأ والهدف والوطن . . ثم بدا المؤتمر في بحث الأوضاع الراهنة . . واتخاذ القرارات . . وحاول بعض الحاضرين اثارة موضوعات جانبية أو شخصية لا تمت للأهداف العامة والموضوعات العامة بصلة . . ولكن رئيس المؤتمر رفض الالتواء بغايات المؤتمر . . فاضطرهم لالتزام الصمت . . وقد نالت مقررات المؤتمر الموافقة الاجماعية . . ووقعها جميع الحاضرين . . وألقى بشير السعداوي كلمة الختام حثّ فيها الشباب على العمل والاتحاد من أجل انقاذ الوطن من براثن الاستعمار وأعوان الاستعمار . . وقد نشرت جريدة الشعلة نص الخطاب . . والذي مثل في مضمونه ما يعتمل في نفس السعداوي من مشاعر وطنية صادقة . . وما يتمثل لناظريه من أخطار ومتاعب في طريقها لأن تحيق بالوطن المفدى . .

مجلس ليبيا الدولي[1] للنظر في ميزانية الدولة

وفي سبتمبر ١٩٥١ سافرت لجنيف لحضور مجلس بيلت المعقود هناك لدراسة وبحث ميزانية الدولة الليبية . . وفي يوم ٧ من سبتمبر دخلت الى قاعة عصبة الأمم لحضور احدى الجلسات . . دخلت قصر العصبة القديمة . . التي أنشأت قبل الحرب العالمية الثانية وبعد صلح الحرب العالمية الثانية أسست هيئة الأمم المتحدة وهي نفسها من حيث المبادىء والغايات . . ويكاد الفرق بينهما ينحصر في المبنى والموقع . . فالأول في اوروبا والثاني في أمريكا . . وقد شهدت جلستين وكنت أحمل آلة تصوير . . وقد سمح لي بيلت بالتصوير . . وبقيت عدة أيام بجنيف . . دعاني علي العنيزي فيها مرة للغذاء . . وعلى الرغم من كونه ممثل برقة . . وعلى الرغم من كوننا كنا بمفردنا فقد تهرب من الدخول في موضوع أو تقليعة الاتحاد الفيدرالي التي تشدق بها الوفدان . . ادعاء بانها هي الانسب حفاظا على مصالح برقة وفزان باعتبارهما أقلية . . كلما سحبت الموضوع الرئيسي . . تهرب العنيزي بالكلام عن المطعم والوجبة وغيرها مما لايتصل بالموضوع الوطني بصلة . . وجعلني أدرك أنه لا جدوى من الحوار خاصة وانني لاحظت أن وفود ليبيا . . طرابلس . . وبرقة . . وفزان . . لا تجمعهم ـ رغم

(١) ـ وقد يدعى أحيانا (بمجلس الأمم المتحدة لليبيا) ، انظر رقم ٣٣ من الوثائق الملحقة .

الغربة في سويسرا - لا تجمعهم غير الجلسات الرسمية . . وهذا لا يعني أن الاجتماعات كانت تتواصل بين وفدي برقة وفزان . . وقد فشلت كل جهودي في محاولة مقابلة فخامة مندوب فزان وهو محمد عثمان . . اذ ظل يعتذر بكثرة الأعمال والمشاغل . . وبقيت طوال المدة برفقة مصطفى ميزران . . وهنا أود أن أضيف للحقيقة والتاريخ . . ان الحكومة المصرية في ذلك الوقت عرضت عن طريق سفارتها بطرابلس بأن تقوم بتغطية العجز في ميزانية الدولة الجديدة شريطة القبول بابعاد المستشار المالي الانجليزي واستبداله بمستشار مالي مصري . . ولكن هذا الطلب رفض . . ومغزى ذلك واضح . . فهو يعني ببساطة قطع الطريق على شبح الانجليز والأمريكان . . ومن ثم انهاء أي عذر أو مبرر لتأجير قواعد عسكرية لهما . . ورغم هذا الرفض فقد أعادت مصر من جديد عرضها في ٢٦ من أيار ١٩٥٣ عندما أوفدت الى طرابلس حسن ابراهيم ، عضو مجلس قيادة الثورة . .

الانتخابات

ودارت السنة دورتها . . وتحدد يوم الانتخابات في ١٩ من فبراير ١٩٥٢ . . لمجلس النواب . . ووضح من قوانين الانتخابات وجوها . . ان حدوث التزوير في حكم المؤكد . . ولكن قوة المؤتمر رغم تخلي بعض الشخصيات عنه جريا وراء الاستعمار . . بحثا عن المراكز . . الا أن الشعب كله ظل مع السعداوي . . اللهم باستثناء هذه القلة من أصحاب المنافع . . ولذلك ورغم هذه القوانين والظروف . . فقد قررنا عدم مقاطعة الانتخابات ثقة منا بقوة مواقفنا وتأييد الشعب لنا . . واحتاج السعداوي في أسبوع الانتخابات الاخير الى نقود . . فأرسل لي من يطلب مني اقراضه . . فحملت له مباشرة ما طلبه [1]

---

(١) - وعندما قابلت بشير السعداوي بعد ذلك بالقاهرة صرف لي صكاً بالقيمة التي استلفها مني قبل ابعاده عن طرابلس باسبوع فامتنعت عن قبول الصك فاقسم بالله على سحب القيمة من المصرف قائلا أنت دفعت الكثير من تلقاء نفسك وأما هذه المرة أنا طلبت منك القيمة على سبيل السلفة وكان ذلك من يدك ليدي .

وقد علم بذلك للأسف الوالي وبطانته وعلى اثر ذلك استدعيت أنا وأخي علي من طرف الوالي وعند دخولنا لمكتبه وجدنا معه رئيس الحكومة الاتحادية فبدأ الوالي بالحديث مشيرا الى عريضة تظلم كنا تقدمنا بها باسم شركة أبناء ابراهيم المشيرقي كانت بيده وقال بكل صراحة نعم كل مسؤول في هذه الدولة لازم يعمل على الحد من نشاطكم التجاري في الظاهر وضد الوطن في الباطن ، هنا تحرك أخي علي وقال ضد الوطن بمفهومكم فأراد رئيس الحكومة أن يعمل حد للجدل بلاش اتهامات ندخل في لب الموضوع .

فقال الوالي نحن على علم بالقيمة التي دفعتوها لبشير فرددت عليه حالا قبل أن يرد أخي وأنكرت ذلك بكل قوة فتكلم رئيس الحكومة بجمل لتخفيف النقاش مع اشارة منه لانهاء الحديث .

نتكلم الوالي وقال (أنتم أربعة اخوة اذا تودون تجارتكم تتحرك بصاروخ أحدكم يدخل الوزارة والثاني البرلمان أو الشيوخ اختاروا واخر في المجلس التنفيذي والرابع في التشريعي تكونوا صحيح خدمتوا وطنكم وشركتكم) .

فانبرى أخي علي واقفا للخروج قائلا جملة نقلها عن أحد الزعماء القدماء وهي :

ولكن أنى لنا أن تكون حياتنا كسبا ورزق الوطن والمستقبل والمصير ظلمات بعضها فوق بعض . ثم مد يده للتحية وخرجنا بسلام .

المهم اقتربت منا أو اقتربنا من الأيام الفاصلة . . وجاء يوم الانتخابات . . فاذا بالشعب يقوم بمشاغبات . . مطالبا بعدم التزوير في الانتخابات . . وتحقيق اصلاحات لصالح الشعب .

وتكهرب الجو . . وأطلق البوليس النار على الشعب في مصراتة . . مما أدى الى استشهاد أكثر من عشرة مواطنين واصابة (٢٢) من أفراد الشعب بجروح . . وقد فوجىء الشعب بهذا الأسلوب المتطرف في العدوانية . . فتفرق بلا نظام . .

ونفس الشيء تقريبا حدث في الزاوية . . وصبراتة . . والعجيلات . . وقد عاد الشعب للتجمع والاستعداد وقطع الطرق بقوة السلاح . . وفي يوم ٢١ ذهب رئيس الوزراء لبنغازي . . وطلب من الملك أمرا بابعاد السعداوي . . وعاد في الليل أيضا . . وفي صباح ٢٢ من فبراير ١٩٥٢ . . عند الساعة الرابعة صباحا . . جاءت قوة من البوليس بقيادة شوقي سعد الى بيت السعداوي وأخذوه بالقوة الى الطائرة . . هو وأخوه نوري وخليفة بن شعبان . . أما أحمد زارم فقد أخذوه من فندق طرابلس ووضعوه في السجن . . وبعد أسبوع أخرجوه وأبعدوه الى تونس . . وفي نفس اليوم اقتحم البوليس مقر المؤتمر . . وحطم كل شيء . . ونفذوا التعليمات الصادرة اليهم بكل دقة وحرفية . . حتى لقد حطموا صورة كبيرة للملك . . كانت معلقة . . ولم يروا في ذلك أي تناقض وبالطبع . . وبعد ذلك كان لا بد أن تجيء نتيجة الانتخابات على نفس السياق . . فدخل السجون المستحقون لكراسي البرلمان . . واحتلها من هم على طرف نقيض في المبادىء والقيم . . ويكفي أن أسوق مجرد مثل . . دون ذكر الاسم . . اذ جاء بين المرشحين لمجلس الشيوخ أحدهم وعندما بلغ ذلك مسامع الدكتور (زبيوني) روى هذه القصة . . فقال : عندما حللت بليبيا كنت ضابطا بالمدفعية بالقوات الايطالية . . وبعد معارك حامية وتضحيات ومشقة طلعنا الجبل . . وفي احدى الليالي وكنا في غاية الاسترخاء والاطمئنان . . بعد أن وصلتنا كميات كبيرة من المؤن والأسلحة والذخائر . . قررنا أن نستريح قبل مواصلة الزحف لعدة ليالي . . واذا بي في أحدى الليالي أمام هذا المرشح بالذات . . وجاء ملتفاً بحوليه . . كانت الليلة مظلمة . . وحضر خلسة متخفيا . . ولم يكتشفه أو يشعر به أحد . . وقال لي أنه جاء خصيصا ليحذرنا من هجوم كبير سيقوم به الفلاقة (يعني المجاهدين) . . هذه الليلة . . وأبلغنا أن قوات كبيرة منهم تستعد لذلك منذ أيام . . وفي سرية شديدة . . وشكرته . . وأبلغت القيادة بذلك . . فأذيع النفير العام حالاً . . واكتمل الاستعداد للمعركة . . ونصبنا كمائن متقدمة . . وحدث ما أخبرنا به هذا النائب (. . . . . . .) كان المجاهدون يريدون اكتساحنا على حين غرة . . ولولاه لأبادونا عن بكرة أبينا . . ولاستولى المجاهدون منا على كميات من الأسلحة تكفيهم لطردنا من ليبيا شر طردة . . ورد عليه أخي عبد

المجيد بأن النائب لم ينجح ولكنه عين . . أما زبيوني هذا فكان يعمل وقتها مدرسا للغة الانجليزية . . وقد سجل التزوير في تلك الانتخابات . . أعلى أرقامه القياسية على مستوى عالمي . . فنجح من لم يحصل على عشرة أصوات . . وسقط مرشحو المؤتمر الوطني الذين كانوا يلقون تأييدا شعبيا كاسحا . . ليس محل شك أو جدل مكابر . . وكان هذا التزوير باكورة عطاء الحكومة الليبية من الأعمال الرائدة . . ذلك أنها كانت أول انتخابات تجري في البلاد لاختيار أعضاء مجلس النواب . . وعلى اثر ذلك قامت الاضطرابات في صبراتة . . والزاوية . . والعجيلات . . استشهد فيها برصاص البوليس أكثر من ١٥ شخصا بدون مبرر . . وأعلن حظر التجول ليلا . . وشكل البوليس قوة على رأسها صنيعة سابق لهم في فلسطين هو (شوقي سعد) أحضروه لطرابلس معهم . . وأسندوا اليه منصب مدير المباحث الجنائية . . واشترك في القوة ضباط انجليز أيضا وأحكموا الحصار حول قرية قرقارش . . واكتملت خيوط المؤامرة . . وانتهت الاستعدادات . . وعند الساعة الرابعة صباحا . . بدأ الهجوم على بيت السعداوي . . فوجىء الجميع بصوت تحطيم الزجاج والأقدام الثقيلة تحكم الحصار حول بيت الزعيم الأعزل من كل سلاح . . الا سلاح حب الشعب وتأييده . . والبعيد عن كل حماية . . الا دفء الاخلاص للوطن . . ورضا الضمير عبر تضحيات جمة في سبيل ترابه . . ونفذ شوقي الخطة بعنترية لا لزوم لها . . فأتى بسلم صعد به الى سطح البيت واقتحم حجرة السعداوي حيث كان يبيت الرجل مع بعض رفاقه من أبناء الوطن . . كان السعداوي مستيقظا اثر صراخ أحد الخدم ممن أزعجهم تكسير زجاج النوافذ واقتحامها . . ودعوا الرجل لحزم أمتعته وحملوه في سيارة هو وابنه وشقيقه وخليفة بن شعبان . . والمرير في المفارقة كلها أن سبب الابعاد جاء بدوره دليلا على العقلية الخيانية التي باعت القلب والضمير لشيطان الاستعمار . . فسبب ابعاد هؤلاء كما أعلنه ضباط البوليس الانجليز هو أنهم يحملون جوازات سفر غير ليبية . . وهذا دليل لهم . . وليس عليهم . . انه ادانة للخونة . . من رجال السلطة الذين يعملون على تفتيت وحدة الوطن الواحد . . على تقسيم ليبيا الواحدة الى ولايات تنفيذا وخدمة لأهداف المستعمرين من انجليز وفرنسيين . . في الوقت الذي يحمل فيه أخلص أبناء ليبيا

جواز سفر من بلد عربي آخر . . ويأتي وقد طرح كل الشكليات ليقلب خطط الاستعمار ومؤامراته ضد الوطن . . ويخوض المعارك عن رضا وطيب خاطر . . مضحيا براحة البال . . وما كان يمكن أن يحصل عليه من امتيازات في أي بلد عربي . . يطلب الاقامة فيه . . وفي نفس الوقت الذي اتجهت فيه قوات البوليس بالسعداوي للمطار كانت قوات الشرطة تداهم مقر المؤتمر الوطني وتزيل لافتاته وتحطم محتوياته . . وقد اعماهم الحقد والعمالة . . وجرى تعطيل جريدة الشعلة الناطقة باسم المؤتمر . . وجرى القبض على أكثر من خمسمائة من رجالات المؤتمر من كافة أنحاء الولاية . . وكان من بينهم مرشحون فوزهم من قبيل البديهيات مثل ابراهيم الفتحلي . . وأبي القاسم القصبي . . وأحمد أبو عرقوب . . وصالح عمار . . وعلي مصطفى المصراتي . . وغيرهم كثير . . وزج بهم جميعا في سجن باب بن غشير المركزي . . بعد تفتيش بيوتهم وتحطيم أثاثها واهانة أهلها وأجريت لهم محاكمات صورية . . فحكم على البعض وأطلق سراح البعض الآخر . . بعد تحصيل الكفالات والوضع تحت المراقبة لمدة سنة . أما أقسى الأحكام فقد نزلت على أبناء المنطقة الغربية صبراتة . . والعجيلات . . والزاوية . . اذ بلغت الأحكام عشر سنوات على الكثيرين وقد وجهت اليهم تهمة مضحكة وهي القيام بانقلاب لازالة حكومة شرعية . . هكذا . . ولعل السخرية الواضحة في الاتهام والخوف من ردود الفعل الحتمية لهذه المهزلة هي التي أدت الى صدور عفو عنهم بعد انقضاء عام كامل داخل السجون .

وعندما أخرج بشير من طرابلس . . كان قد ترك في قلبي وفي قلوب الالاف معي صورا نادرة للجهاد الشريف . . والتضحيات الجمة . . التي تواصلت عبر حلقات قوية مترابطة . . سواء في المراحل القديمة أو خلال المرحلة الجديدة . . سافر وقد رسخ في أعماقي عهد بالوفاء للوطن وله . . فقد جسد نضاله رمزا حيا للوطنية . . غاب عني . . ولكن رموزه وعطاءه لم تغب . . ظل ماثلا في مخيلتي . . حاضرا في خاطري وضميري . . صورته محفورة في قلبي حتى وانا أتمثله على صورة فوتوغرافية أهداني اياها . . وقد خطّ عليها هذه الكلمات التي تعتبر في حقيقتها رمزا آخر لهذا الرجل الفذ . . كانت الكلمات

تقول : «هدية الى المواطن العزيز الذي عرفت فيه الوطنية الصادقة . . يوم كان سيف الاستعمار مسلطا على الأعناق . . الابن الأبر [1] . . الاستاذ الهادي المشيرقي حفظه الله في ١٩٤٨/٤/٦م . . » حقا لقد خرج بشير . . ولكن بعد أن قطع على نفسه عهدا يعرفه الجميع . . هو أن يعمل ويعمل حتى يلقى ربه [2]

---

(١) ـ انظر رقم ٣٤ من الوثائق الملحقة .
(٢) ـ انظر رقم ٣٥ من الوثائق الملحقة .

مجموعة الوثائق والصور الملحقة

تونس ٢ سبتمبر ١٩٣٧
الهادي ابراهيم المشيرقي

سعادة الأمير رجل الجهاد شكيب أرسلان، السلام عليكم ورحمة الله.

لقد سررت كثيرا عندما بلغنا خبر عزمكم على القدوم الى طرابلس مع موسوليني وسررنا أكثر لعدولكم عن هذه الزيارة وعندما ظهرت علينا نتيجة الاصلاحات التي طلب وزيره الوالي بالبو مما جعلني أقبل انتخابي في اللجنة وانضمامي الى اللجنة الشعبية للحفاوة بمقدم موسليني بعد أن بلغنا تشريفكم معه.

كانت النتيجة هي سلخنا من عروبتنا والتجنس بالجنسية الايطالية مع احتفاظنا بديننا (رابطة مسلم)

أنا ربطت علاقة مع الصحفي السوري تيسير ظبيان صاحب جريدة الجزيرة بدمشق وهو يتردد علينا وأيضا لينا راضية عنه حسب تعبيره وعلى طريقه تصلني بعض مطبوعات اللجنة أي لجنة الدفاع.

كما أن شبح الحرب تخفف السلطة هنا من تعسفها وعجرفتها وبدأت تتغاضى قليلا عن قوانينها العنصرية حتى على المطرنيين وبدأ كل هذا ينقلب على اليهود بطريقة واضحة تمشيا مع السياسة الهتلرية.

ليس لدي جديد هذا اليوم حيث أصبحنا نتطلع على الاستعمار الذي طال أمده خصوصا لما أسمع لدوي المدافع أثر سكتت البندقية فسكت معها كل شيء إلا آمالنا في عودة الجهاد من جديد وبدأت تلوح في الأفق ظاهرة الحرب القريبة وكيفما كانت النتيجة فليس بيدنا شيء نخاف أن نخسره.

تحياتي وتقديري لنضالكم المستمر.

- ملحق رقم (١)

السيد ابو احمد　　　　دمشق ١٠ فبراير ١٩٣٧

السلام عليكم ورحمة الله.

تأكد أن زيارة الزعيم للبلاد للتنكيل بالعباد فمهما كان من الوصوليين أصحاب الألقاب والأطماع أن نصبوا أنفسهم على هذا الشعب المسكين في شكل لجنة عليا ولكن الشعب في واد وهم في آخر فظهرت عليهم بوادر الهزيمة فاقترحوا على من له الفضل في تنصيبهم بأن يعملوا على تشكيل ~~شعبية~~ لجنة شعبية لتدافع عنهم وتزيد في ابتهاج الحفاوة بالزعيم وطرق مسامعنا بأن الزعيم ~~[illegible]~~ دعى أمير البيان ليرافقه في هذه الزيارة ~~[illegible]~~ ليكون قريبا من الأحداث وأنه سيمنح العرب رجالا رفعهم بين جميع عرب العالم وقبل الأمير الدعوة وها نحن في انتظاره فهذه فرصة العمر بالنسبة لي فقررت أنا والشاعر احمد والسيد احمد بأن نعمل من أجل إلغاء الأمير

وعندما دعينا لقاعة البلدية من أجل اختيار اللجنة ~~[illegible]~~ الشعبية كنا نحن الثلاثة من بين من اختارهم الشعب

لعل من المستحسن إذا رأيتم أن تتصلوا بالأمير وتتفقوا معه على الإصلاحات الضرورية علما بأني لا أوثقه برجوع [illegible] الإصلاحات الممنوحة ومن رؤساء [illegible] متفرس [illegible] فإنه يقول بعض الشيء أحسن من لا شيء لأننا في موقف من خرج من ~~[illegible]~~ المعركة خاسرا معركة غير متكافئة العدد والعدة [illegible]

- ملحق رقم (٢)

روما في ٧ نيسان سنة ١٩٢٧

حضرة الأخ المحترم

أخذت اليوم رسالتك الغراء المؤرخة في ٥ الجاري فشكرت لكم عنايتكم وعواطفكم. واطمئنكم قبل كل شيء بأن الأحوال قد تحسنت كثيراً في هذه الأيام وأملي وطيد أن لا أغادر روما إلا بعد أن تكلل جهودي بالنجاح وغداً سأقابل سعادة وزير الخارجية وبعض الشخصيات الكبيرة....

إني آسف لإزعاجكم بمسألة الكتب وقد رأيت أن خير ما يعمل في هذا القبيل هو أن تخاطبوا بشأنها (إذا لم تكونوا أرسلتموها بعد) الأخ لواجي وتكلفوه بإرسالها إلى دمشق باسم القنصلية في بريد الحكومة الرسمي خوفاً من أن تصادرها الحكومة الافرنسية، وقد كتبت إليه رسالة بهذا الصدد فأرجوكم مقابلته. ولا أرى من المناسب أبداً إرسالها لإدارة الجريدة للأسباب التي ذكرتها وعلى كل فأنا انتظر جوابكم؟

هذا وهناك مسألة أخرى لا أجد بداً من إزعاجكم بها أيضاً وهي أن النقود الباقية معي ربما لا تكفي لنفقات الإقامة والعودة وأخشى أن لا أجد من يسعفني إذا نفدت فرجائي إليكم أن تتكرموا بإرسال مبلغ مائتي ليرا إيطالي (٢٠٠) على الأقل وتقيدونه بالإضافة إلى المبلغ الذي أخذته منكم مع حساب جميع نسخ الجريدة واشتراكاتها ولولا ثقتي بكم واعتمادي عليكم لما خاطبتكم بهذا الموضوع وخصوصاً ستصلكم قريباً كمية وافية من الكتب

أما عنواني فإذا سألكم أحد عنه فلا بأس من إعطائه إليه.

ونظراً أنكم نسيتم إرسال أعداد المجلة (المصورة) فأرجو أن تتكرموا بإرسالها بأي حال مع جميع ما يرد باسمي من الرسائل والسلام عليكم

المخلص

- ملحق رقم (٣)

DJAZIREH

JOURNAL ARABE POLITIQUE ILLUSTRÉ

P. O. B. 334 TÉLÉPH. 16 - 20

DAMAS - SY

الجزيرة

صحيفة سياسية مصورة

الادارة: شارع رامي دمشق (سورية)

صندوق البريد ٣٣٤ ـ رقم التلفون ١٦ ـ ٢٠

دمشق في ١٢ رجب ١٣٤٦ وفق ١٨ سبتمبر ١٩٢٧

حضرة الأخ الكريم والصديق الحميم السيد الهادي المشرقي حفظه الله

أعتذر قبل كل شيء لتأخري بالكتابة إليكم حتى الآن وما ذلك إلا بسبب انحراف صحتي واضطراب أحوالي وها أنا ذا أغتنم فرصة تماثلي للشفاء فأعرب لكم عن [illegible] لأبثكم أشواقي وعواطفي وأهديكم أجمل تحية

وأعلمكم بهذه المناسبة بأننا أخذنا نصدر الجريدة أسبوعية كالسابق وقد بدأنا نبعث بها إليكم اعتبارا من العدد الخاص الذي أصدرناه عن مؤتمر الوفود العربي القومي لفلسطين إليكم كما [illegible] الداخلية وتفضل به فإن كنتم ترغبون في سواها فاكتبوا لنقدم لكم ما تحتاجون واحتفظوا [illegible] وأخباركم السارة. أما حضرة الأخ البشير فإنه ما زال [illegible] في مصر بسبب الصحة التي [illegible] وقد [illegible] قبل سفره

وتفضلوا في الختام بقبول فائق الاحترام

المخلص

[signature]

[illegible]

حضرة الاستاذ محمد [illegible]

روما

سلام وتحية . تسلمت تحريركم ٧ يناير وقد فهمت
ماحواه ...... وبعده تسلمت نبأ رسالتكم . وفي الحال
بادرت للجهاز وفتحت على محطة روما فسمعت [illegible] اجتماعكم
بالزعيم الجليل . سأرسل لكم غداً هذا [illegible]
مشغول .

داخل هذا [illegible] على بنك روما تحت رقم
٢١٠٠٥٥ — وبه ثلاثمائة ليرة ايطاليه ارجو [illegible] الافاده
بالوصول حيث ارسلته على الطابعة الجوي في البريد العادي
[illegible] اليوم أحد ودائرة البريد معطلة [illegible] آخر
الرد عليكم [illegible] على انني لم استلم شيئاً بعد
المرسل لكم السابقة لانه [illegible] سواها
المجلات أي أعداد الجزيرة لم اتمكن من الحصول
عليها أبداً وقد صرح لي أنه وزعهم كدعاية للمجلة
الطرد ارسلته بتاريخ ٤/٨ وإذا الحكومة الفرنسية
حجزته سأطلب ترجيعه بعد .

في انتظار أخباركم والشرح بما يلزم
كل من الاصدقاء والاخوه يهدونكم [illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]
٢٩ محرم ١٣٥٦
[illegible]

العبرة في التنفيذ [illegible]

روما في ١٢ ابريل ١٩٤٧

حضرة الأخ السيد الهادي المشيرقي المحترم

منذ [illegible] أرسلت اليكم [illegible] بالبريد الجوي أرجوكم فيه أن ترسلوا

الكتب والصور الى ادارة الجريدة بدلا من أن ترسلوا [illegible]

كي يتولى ارسالها الى القنصلية [illegible] من [illegible]

الافرنسية ، ثم انني أرسلت السبت الماضي (اليوم السبت) برقية

عن المقررات التي ستصدر [illegible] ولحد الآن لم [illegible] اشعار

بوصول الرسالة أو البرقية

والآن اخبركم بأنني تلقيت الرسالة التي بعثها السيد [illegible] من طرابلس

وفيها شيك بمبلغ خمسة ليرات [illegible] تحويل

مع طرابلس لذلك أرجوكم أن تتكرموا بقبضه وارساله الي [illegible]

غير مسجل باسمي بل موقع من مرسله لما تردد

وبهذه المناسبة أرجوكم — اذا لم ترسلوا الطرود بعد — أن تتكرموا

بارسالها لعنواني الى روما لانني وجدت طريقة مضمونة لارسالها وقبضه دون

أن تكلفني شيئا وبذلك نتخلص أيضا من مسألة المراقبة

رفعت مذكرة طويلة الى سعادة الزعيم عن الحالة في طرابلس [illegible]

اهتمام الحكومة والنتائج ستسركم كثيرا ان شاء الله

أرجو اعلامي عما اذا عاد [illegible] اقرب من مصر لأنه لي بذمته مبلغا أرجو

أن تذكروه بارساله [illegible] اذا [illegible] ولكم سلامي [illegible] الأخ تيسير

Tayssir Zahran presso Venanzi
Via Cimone N. 42 . Monte Sacro
Roma

- تابع ملحق رقم (٣)

المناضل ابو أحمد ٢ ابريل ١٩٣٧

السلام عليكم ،

جاء الزعيم المزعوم في مظهر روماني ليس له مثيل بداعة
في الإخراج والتنظيم فكل هذا يقع على أرضنا الطاهرة ثم تجددت بعد
ان كانت مسلمة عربية فـ طغت عليها النصرانية الإيطالية .
وإنها طعنة في الصميم شعر بها من كان يحس ويشعر بشعور ،
وانبسطت لها القلة المستفيدة من الزيارة ، وارتفعت بها درجات
على الأقوام من المسلمين وحتى غيرهم أيضاً ليلهثوا وراء الرتب
والذي لم يلحقه منها شيء .

خيبة أمل صدمت بها وأدمت قلبي وحزت كياني عندما
بلغني أنه الأبيد عدل عن الزيارة كثر القيل والقال وأنا المحتار ولكنه لم أعرف
ولم يعرف أحد الأسباب ، ولم يتفضل علينا الزائر البخيل بالمنح الموعودة ولكنه
قال في خطاب الوداع (أنا لست بلابد الوعود ولكن إذا وعدت أنجزت) هنا
تذكرت مثل كنت أسمعه من أمي تقول (اللي ما يجي مع العروسة ما يجي
من بعد) تعني بذلك الحلي والملبس .

وها هو الزعيم أخلف وعده هنا تذكرت مثل عامي آخر يقول (نصوم
عام ونفطر على جرادة) سيكون هذا نصيبنا بعد صوم طويل

عفواً حيث جئت بهذه الأمثلة للترويح على النفس المكبوتة ،

سيدي لقد هددت من طرف رئيس اللجنة الشعبية للحفاوة بالزعيم
حين قمت بتنكيس الأعلام في الاحتفال بعيد زيارته وكنت مسؤول
على تنظيم الشباب في كل الاحتفالات وكان يعني بتنكيس الأعلام هو
غرس حماسة العلم المثلث الألوان في رمال الأقوز وترك خشبته
لأعلى ولولا تدخل الشيخ على أمينه سياله لكنت رحت في داهية
واسترحت ،

وها أنا ألقي القلم الذي بدأ يرتعش مع يدي فـ ليس لي
أمل إلا فيه سبحانه وتعالى

Comando Gruppo Gefara

Il sig. Ramadan el Gritli e lo Scimbasci Mohamed el Gebeli, del VI Battaglione Libico, sono autorizzati a recarsi, domani 3 corrente, a Zavia per motivi di servizio.—

الحاج ابراهيم الشريف

Tripoli 2 gennaio 1923

Comandante del Gruppo
(R. A. Pizzari)

- ملحق رقم (٥)

ورقة تصريح مرور إلى الزاوية الغربية

إلى رمضان الكريتلي وآخرين ..

١٩٢٣/١/٢



بعض أساتذة مدرسة العرفان بمزرعة أبناء ابراهيم المشيرقي

- ملحق رقم (٦)

الزعيم الجليل بشير بك السعداوي طرابلس في نوفمبر ١٩٤٢

السلام عليكم و رحمة من الله •

اعيد رأكتب لكم من جديد والكر والسح فأقول :

لقد ظهر الانجليز فى ابشع صورة مما أعرفه عنه تجدد شبابه بعد انتصاره في ليبيا على المحور راصبح (ديمقراطيين) مدرك الاستعمار محصورة ولا أقل خابت ظني حيث أنا لا أظن به خيرا ابدا •

سيدى الزعيم ان وجودكم هنا اليوم فوق الضرورى لأن زعامتكم ستجعل دعي الزعامة اقزام و بعضهم يحلم بالملك وقد قال فيهم الشاعر قديما ان العصافير لنا •••••• السخ وكذبهم وادعائهم و تضليلهم زادني مقتا •

لم يسمح لى الانجليز لزيارتكم كما قلت سابقا بعد ان اجريت كل الاجراءات بما فيه التطعيم و دفع ثمن الركوب و ثمن المكوث واجراءات جواز السفر كما منع رفيق الرحلة عبد اللطيف دقداق اخ الفاضل عبد الرحمن ؟ وعند مراجعتي لضابط الشؤون العربية صارت بيننا مشادة وقلت له يوم السفر سأطلع على السيارة وأنتم نزلوني امام الشعب بالقوة فكان رده رد تقليدى ببرود انجليزى قال لا لا يا هادى بل عقبالك عندما تطلع على السيارة ستكون مكرما معززا وعند وصول السيارة لصحراء سرت هناك تنزل او انزلوك فضحكت و دهشت و تعلمت درسا منه من أجل التعامل معهم مستقبلا وفهمت او تعلمت بأن النضال معهم خداع وحيل و نفاق قبل السلاح وأنت يا استاذى تعى هذا من قبلى •

زارني صديقي حسني الطويبي واظهر أسفه على منعي وقال كرهي ••• بعد سماع حديثي عنكم اذا لديكم شئ تودون توصيله اليه هاتها عندك فحررت هذه الرسالة وسلمتها اليه حيث هو في طريقه اليكم لاداء فريضة الحج وحسني موضع ثقة الجميع و هو يشرح لكم وضعنا مع من جاء لاستعبادنا و من اليلوم فضل الايطاليين علينا و منهم من اضاتنا ان الخطر حادق بنا والأعداء الحلفاء متفقين علينا ولا هم لهم الا النيل منا ويمكن ان أسميها حرب صليبية •

ارسلت مع الشيخ حسني رسالة أخرى لابن الكيخيا الذوات شارحا له وضعنا مع الحلفاء الاشرار وحتى لا يظن اننا نود اقحامه فى ورطة مالية فقلت له المال لدينا و تنقصنا القيادة القيادة لعله طموحا و يجد نفسه لهذا المركز و يدخل معنا المعمعة •

البدار البدار فالميدان والعدو امامكم ولا ازر للجميع الا الدخول للمعركة حتى الموت وهو اشرف واهون علينا من رجوع ايطاليا فى كل اطوارها ايطاليا المهزومة فى الميدان والمنتصرة فى طرابلس وذلك حسب تقدير الانجليز للطيبين والسلام عليكم يوم سفركم ويوم وصولكم ويوم فيه تنتصرون •

[توقيع]

الهادى ابراهيم المشيرقى

تحياتي وسلامي لجماعة الشام و لبنان و مصر اذا مررت عليهم والى اللقاء

سأعمل على تحضير محل لسكناكم بسكرة الباقية المحبوبة لدى الجميع حتى وصولكم

- ملحق رقم (٧)

طرابلس   كتوبر ١٩٤٣

سعادة خالد بك القرقني

المستشار لجلالة الملك

المملكة العربية السعودية .

بعد التحية والسلام .

لقد شرحت لبشير بك السعداوي ما آلت اليه البلاد من تعسف واستهتار من طرف السلطات الانجليزية التي تقول حررتنا و هي كبلتنا و لا لزوم للاطالة والشرح سيشعركم بشير على ذلك .

الشعب على استعداد للعمل بالروح والمال وانا اضمن هذان الاثنان ولكن لا فائدة منهما اذا غابت عنهما القيادة حضوركم للوطن اصبح فرض عين والشعب في انتظاركم وهو في حاجة لقيادة حكيمة .

الاستاذ حسني الصابي الذي في حضرتكم هو من خيرة شباب الوطن العاملين - هي على العمل و من بيته العتيق قولوا لبيك وطني لبيك والى اللقاء

الهادي ابراهيم المشيرقي

TEL 1977
1554

- تابع ملحق رقم (٧)

حمداً وصلاة وسلاماً

طريق جانه دولافنتانه رقم ٢٤ بالكرم : تونس

في ٧/١٠/١٩٥٨م

حضرة الأخ العزيز الكريم السيد الهادي أفندي المشيرقي المحترم حفظه الله وابقاه ذخراً للوطن ونجدة للوطنيين . واسبغ الله نعمائه على آل المشيرقي كافة واكثر من امثالهم .

وبعد : تحية اخوية واشواق وطنية واحترامات فائقة قلبية .

أخي الهادي . لابد انها قد وصلتكم اشاعات تفيد قرب رجوعي الى الوطن . ولهذه الاشاعات اساس من الصحة ونظراً الى تأخر هذا الرجوع رأيت ان اقص لكم القصة مطولة لتكونوا على علم بتطوراتها من اول الامر الى اليوم . والى حضرتكم التفصيل :

سيدي الأخ : في شهر اغسطس من سنة ١٩٥٧ رفعت التماسا الى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم لرفع قرار الابعاد الصادر ضدي سنة ١٩٥٢ وبقيت في انتظار النتيجة ولم ياتي الجواب .

وفي شهر مارس ١٩٥٨ جاء الى تونس السيد عبد السلام بك البوصيري رئيس الديوان الملكي العامر الى تونس في مأمورية رسمية ... وبعد اتصالات اجتمعت بسيادته في فندق «توندر ابن بالاس» بتونس يوم ١٢ منه فذكرت حضرته في الالتماس فتذكره ، واخذ مني تاريخ ارسال الالتماس وقال انه سيهتم بالأمر.

وفعلا بعد رجوع سيادته الى ليبيا بحوالي ٢٠ أو ٢٥ يوما استدعتني السفارة الليبية بتونس واخبرتني بان مسألتي قد انتهت ولم تبق الا اجراءات لعدة ايام . وقد طلبت مني السفارة ان اكتب رسالة الى رئيس الوزارة في نفس الموضوع لكي يتم الامر بسرعة ففعلت ،

ومنذ ذلك الحين وانا في الانتظار ، وفي يوم ٢٤/٥/١٩٥٨ اتصلنا تليفونيا من نفس السفارة بالسيد [illegible] الخطابي . بعد انتقاله الى الولاية . وسألناه عن اوراق القضية فقال : انه لاحظ عليها بما يلزم واحالها الى الحكومة الاتحادية يوم ٣١/٥/١٩٥٨ .

وكتبت جريدة «طرابلس الغرب» بتاريخ ٢٦ منه تقول : قد اجتمع مجلس الوزراء في اجتماعه الاسبوعي العادي ونظر في جدول اعماله الذي من بين مواضيعه رفع بعض الاسماء من القائمة السوداء . ومنذ ذلك الوقت وانا في الانتظار والسفارة لم يبلغها الامر لتنزيل الحكم من القائمة الى [illegible] . ولذلك فهي لاتستطيع اعطاء جواز السفر.

وبتاريخ ٢/١٠/١٩٥٨ كتبت رسالة الى دولة رئيس الوزارة رجوته اتمام الامر حتى اتمكن من السفر الى ليبيا للمثول بين يدي جلالة الملك المعظم لاداء واجب الشكر . واليوم ٧/١٠/١٩٥٨ صرح لي مسؤول في السفارة بان [illegible] السفارة تطلب مني الالتحاق بها كموظف . ولكنني طلبت منحي جواز سفر للدخول الى ليبيا قبل كل شيء . ويظهر مما تقدم ان الحكومة تخشى وجودي في ليبيا ، ولذلك فهي تحاول تشغيلي هنا . ولا ادري هل دخولي في السفارة كموظف بامر من حكومة ليبيا ام هو موقف محلي من السفارة . هذه تطورات القضية فاذا كان ممكنا ارجو ان تفاكروا برايكم في الموضوع . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته من اخيكم الشاكر لفضلكم . [illegible] تحياتي للسادة : عبد المجيد [illegible] والحاج [illegible] وعائلة آل المشيرقي ؟

[illegible] انا في انتظار اخباركم بالنتيجة والله يساعدكم [illegible]

ـ ملحق رقم (٨)

طرابلس ٢٦/١٠/١٩٦٧

سيد احمد زارم   تونس

التحيات الطيبات .

تحية طيبة . [illegible] بعدد كلام ما معترف به عند [illegible]

شاذلي تسلم رسالتكم باهتمام ٢/١١ من هذه السنة طبقا [illegible] عليها اقول وصلى الله

على الرسول وصاحب القول المأثور (ابروحانية محمد) مع دقته السعودية ؟

تأخرت في الرد عليكم حتى اليوم حيث كنت ولازلت مستغرقا بجمع بعض البيانات

للاستاذ او الدكتور محمد فؤاد شاكر . ان السيد الخطابي رجل طيب سواء

في الوزارة او الداخلية وقد وقفت على ذلك بنفسي ربما يكون من امثاله .

من رأى انا ادخل في السفارة حتى يعترف بانه كليبي او لا حتى يكون لك هذا الرد

الذي تحمل عليه اليهود اجبارا الصهيونية بالتضليل [illegible] والله يرحم [illegible]

[illegible] العابثين الماضين [illegible] صحتي منذ صغره جدا الا اذا بعد دخول الحكم

تحت الرضع وتكون ليبي الامراض عليك البرقاويين وسيد المرسلين

الكتاب وما ادراك ما الكتاب وشرا لم يعرفن انا عادة اذا امسكت القلم اكتب

لصديق انتهز الفرصة واترك الكلفة جانبا واعتمد على التنكيت حتى اروح على النفس

همومها عندما اكتب الى صديق فتلك وتارة يكون على سن القلم عفريت يأتي

شيء يجعلني اتذكر نية بعد ان يقول الصديق (لم افهم المقصود من اخر الشرح) هنا

العفريت يغيب وابقى انا وجها لوجه مع الحبيب وغياب العفريت يترك فراغا بالرحم

السعداوي [illegible] عند التواكيب والمصائب نعم انا اعرف من العهد الايطالي وانت لا تعرفني

انا متتبع كل الحركات الخارجية ولم اتصل باحد غير السعداوي وشنيب اعمل هنا في الداخل اخطط

ما يعمله اي شخص في الخارج ولكن بدون قرقعة اما عرفك مع تونس بدون ان اقدم لكم

نفسي ومرة عندما انت دخلت لكل هرجيت انا منه هذا تونسي لانه تونسي اذا قدم احد

نفسه لشخص فلك يلزم ان يترك العمل بعد ذلك لان الليبيين كثيرين لا يعرفون

الشخص في الوقت الذي يودون نفعه . انا اعرفك وانت لا تعرفني نعم انت كنت

ترسل في سنتين من المذكرات الطوال الطوال الى الاربعة الكبار [illegible]

الارشاد على الاشخاص لا تفهم ماذا تعمل بها يتطلعوا [illegible] لليدي وانا اسمع الخطة لتوحيد الجهود

وانه بعض تلك المذكرات لا زالت تحت يدي يحط يديكم الكريمة على [illegible] اعوذ بالله من الشيطان (!)

وقد صورت واحدة منهم للدكتور هذا الشهر تصدير [illegible] ارسلنا له واما اخرى [illegible]

هذا ارسلت له نسخة منها [illegible] كل ما وجدت عندي منهم ومن غيرهم .

كل الاخوة يهدونك السلام ولذلك السيدان السعداوي [illegible] اطال عمره وباقي

الرجال الاحرار [illegible] .

انا في انتظار اخباركم بالنتيجة والله [illegible]

المخلص

- تابع ملحق رقم (٨)

- ملحق رقم (٩)

طرابلس ٢٦/٨/٦٥

صديقي عمر

تحية عاطرة ـ وانه بعد كلمتكم فقد ذكرتني الايام والليالي التي كانت كلها مودة.
صديقه عرفت فيه كل الاخلاص
والمعاملات والاعمال الصالحات ـ كيف انسى
نفسه طاهرة عاهدنا الله على الموت دونها كيف انسى عمر وهو بالك جواري
اخي ـ كيف يتوسط لك من هو يتبوؤ مثالك كيف انسى الله
وانا الذي هجمت على الادارة عندما القت القبض عليك وكان معي في ذلك اليوم
السادة / سعد الشريف وعلي صدقي وصالح مختار وطلبت من يتقي معهم
بعض الشيء.

نعم يا صديقي اذا انا تكلمت عليك لا يزيد ذلك الا تقديرا واعتزازا ومن
المستحسن ان تخاطب في ذلك اذا امكن نور الدين بصفته ولي عهد
الاكبر.

وكذلك تكتب الى المجلس الوزاري وتشرح لهم واذا لم ينفع اكتب
الى مجلس هيئة الامم المتحدة بطرابلس وارسل نسخة الى مندوب الباكستان
والعراق الى مندوب مصر ونسخة الى مندوب طرابلس.

ان الوضع يا صديقي تغير الان وان الذين اشتغلوا بالسياسة اليوم
احد اوصابا الامن ومن الذين كانوا يهددونا بالطبيعة وذلك رغبة منهم في
المناصب واذا دارت الدنيا في المستقبل لا شك سيلحقون وهم
سيخرجون في الميدان مع من يعززهم الشعب ولعلهم اذا لم يلحقوا سيخرجون
من وجوههم متنكرين لا يعرفون احد.

ليس لي ما اقول اليوم غير الدرج وشارفوا بتبليغ تحياتكم
لسيدك السعداوي عندما يصل الى طرابلس حيث لازال بالقاهرة
[illegible] والسلام [illegible]

[illegible]

- تابع ملحق رقم (٩)

حضرة اخونا الكريم الوطني المجاهد من المخلصين السيد الهادي [illegible]

افندي الشيباني دام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ارجو ان تكونوا في غاية الصحة والنشاط.

اخي ها انني اكرر لكم الشكر اعتقادا مني بانكم ستقبلونها

بحصة من الاهتمام والذي حملني على هذا الاعتقاد هو [illegible]

[illegible] من المعاني السامية تلك الخطابات التي ضمنتها شعوركم

الوطنية الكاملة والجرأة النادرة [illegible] والتقدير لمن

يؤمن بالمبادئ العليا ويناضل من اجلها ويضحي ويبذل

كل عزيز لديه في سبيل النجاح العام ... وانني والحمد لله منذ

كان لي حياة منذ خمسة عشرة سنة وانا احمي نفسي ووطنيتي باي

[illegible] رغم ادعاءات المهرجين وان كلفت ذلك ما كلف اخي لكم

فقط حتى ان لا ارى بانني اتكلم بلغة التفاخر [illegible]

معاذ الله من ذلك وانما الاخلاص هو الذي دفعني

الى التكلم بهذا المنطق [illegible] عدم الولوج الى هذه

اللغة ولكن قد [illegible] من [illegible] الثاني [illegible]

اخي العزيز انني اعتقد ان الاعتقاد بان [illegible] كثير من

من الاخوان الذين كانوا معنا في حقل العمل الوطني

[illegible] عندما كانت الوطنية [illegible] في [illegible]

[illegible] الاستعمار [illegible] في [illegible]

[illegible] الله ولم [illegible] هذا [illegible]

[illegible] الشباب [illegible]

[illegible] الكاملة [illegible] هذا [illegible]

يا حضرة الاخ [illegible] الاوضاع [illegible]

- تابع ملحق رقم (٩)

عندما سارعنا عندما احتدم القتال في شارع ابتدادي ...

ليبيا عند ما بلغت شدتها تحملها وشعورنا وتعاون المسلمة بهذا

القرار الجائر الذي يخالف القوانين الدولية بتقسيم عاصمة

ووحدة ليبيا تقسيم (الحالية) فاخرج الشعب بمشيئة الله وهم التمسك بحقهم

قبل اليوم بانه شيعة وانما اليوم سارت مطالب للسادة حتكم طبيعي

انني شخصيا ليس مشحون بكم وانما هناك ما هو اعظم واقدس

من الشخصية الا وهو ذلك المبدأ الذي اشاركم فيه

وتشاركني فيه قلبيا ايضا ولما كان الامر كذلك ارجو

استعمال كامل نفوذكم في سبيل استحقاق وحدة البلاد

ليبيا ولم يبلغ ... في هذا الاتجاه الا ... تحمل

بعدكم في ميدان تشييد هيكل حكومة ليبيا المستقلة الموحدة

تحت تاج اميرها المحبوب الادريسي المعظم واني

بهذا فاني لكم بهذا الشكر سلفا وفي الختام ارجو ان تتفضلوا

بتبليغ عاطر تحياتي الى زعيمنا العظيم سعادة بشير بك

السعداوي وكذلك لحضرات السادة علي ومحمد وسليمان وعبد الحميد

وكل اخوانه

كتب ... في ... جويلية ١٩٥٠

المخلص عمر ...

ـ تابع ملحق رقم (٩)



صورة (١)



صورة (٢)

التقطت الصورة (١) سنة ١٩٣٢ أما الصورة الأخرى فقد التقطت ما بين سنتي ١٩٢٨ و١٩٣٠ ، إذ لا يعرف تاريخ محدد لالتقاطها .

ـ ملحق رقم (١٠)



صورة (٣)



صورة (٤)

- تابع ملحق رقم (١٠)

CRIMINAL INVESTIGATION BRANCH

Abdulmegid Meshergh ... da Tripoli Via Molfetta 37

Con sentenza del Tribunale ~~Civile~~ o Militare di

in data 30-10-44

venne condannato a mesi 12 carcere

per ...

Vedi originale della sentenza nel fascicolo ...

TRIPOLI, 11 ... 11-44

- ملحق رقم (١١)

١/١٣٤/ .



الجمهورية العربية الليبية

وزارة الداخلية

هاتف/ ٤٤٣٧/٢٨/٤٤٣٧

الاداره العامه لشئون الامن / ادارة تحقيق الشخصيه

التاريخ ٩٤/٣/٢ ١٣ هـ

٧٤/٣/٢٦ ١٩ م

ملف ش أ ٣٢/٧/٧

الى من يهمه الامر

بالاشاره الى الطلب المقدم من الاخ / عبد المجيد ابراهيم المشيرقي وابن امنه بنت سياله المؤرخ فى ٩٤/٣/٢هـ الموافق ٧٤/٣/٢٤م والمتعلق بطلبه صوره من محتويات الملف .

بعد البحث عليه فى قيودات هذه الاداره اتضح ما يلى :.

(بتاريخ ١٩٤٤/١٠/٣٠م المحكيم العسكريه البريطانيه طرابلس (١٢) شهرا سجنا خلاف لاعلان رقم ٥٢ الماده (٥) حرف ب. الاخلال بالنظام العام وفى تسبيب المشاغبات والعنف.)

اعطيت هذه الشهاده بناء على طلبه المشار اليه اعلاه .

والسلام عليكم ورحمة الله

محمد على البعروف

مدير ادارة تحقيق الشخصيه

المرفقات :.

صوره من الحكم الصادر ضده

صوره للملف رقم ٤٢٢ للحفظ

ط* السيد على*

- تابع ملحق رقم (١١)

الى جناب والي طرابلس الغرب المحترم

اننا نتقدم اليكم بعريضتنا هذه لنعرب لكم فيها عن مدى ما يضطرم في نفوسنا من ألم وانزعاج وانقباض مما قام به مدير ادارة المعارف الطرابلسية بالملعب الرياضي يوم الاحد ١٠ الجاري (وقد كان مشرفا على المباريات الرياضية التي دارت بين فريق الطلبة المسلمين العرب - ابناء الوطن - وفريق الطلبة الايطاليين - ابناء ايطاليا -) من اهانة لنا واستخفاف بوطنيتنا. وما كنا ننتظر من رجل كهذا يمثل في ميدان الثقافة والتعليم حكومة بريطانيا العظمى التي لم تخض غمار هذه الحرب الا لرفع شأن الامم الضعيفة والاخذ بخاطرها واعطائها حقوقها الانسانية التي كانت تحرمها اياها الامم الدكتاتورية العاتية، نقول: إننا لم نكن ننتظر من شخصية كهذه أن تظهر لنا الاهانة والتحقير والاذلال.

يا جناب الوالي!

إن أول ما آلمنا يوم تلك المباريات هو رفع العلم الايطالي البغيض يرفرف فوق رؤوسنا وفي وطننا بعد أن حمدنا الله القوي القاهر على أن أزاح عنا كابوسه ومنظره وقيض لنا الامم التي لها مبادئ بيننا وبينه وكسرت شوكته [illegible] الغزاة المتمردين.

ثم آلمنا صدح النشيد الامبراطوري الايطالي الذي اتيح للاطفال الايطاليين القيام به اثناء اللعب وبعده في آخره [illegible].

ثم آلمنا اثناء المباريات ما رأيناه من تحيز مدير المعارف المذكور للاطفال الايطاليين وحنوه عليهم وحرصه على انتصارهم ولكن النتيجة قد جاءت في الشوط الاول بانتصار فريق الطلبة الوطنيين العرب فامتعض اشد الامتعاض وبادر الى اخراج جماعة من ابنائنا اجابة لرغبة المفتشين الايطاليين الذين طلبوا منه ذلك. كما انه خرق نظام الثقافي قبل المفروض في منهج المباريات بلعبة رقم ١٢ حيث اتى بشبان كبار من الايطاليين بدل الاطفال الذين لا يتجاوز عمرهم السنة ١٤ وصاعدا انتصارهم وتفوقهم على ابنائنا.

ثم لم يكتف بهذه الجرح المحضة بل اضاف اليها جرحا اخرى اشد ايلاما عندما وزعت الجوائز على الفائزين حيث اعطى اهمها والنفيس منها للطليان.

لقد آلمنا - يا سعادة الوالي - كل هذا إيلاما شديدا ونال من عواطفنا فاضطررنا لان نتقدم الى سعادتكم بشكوانا واحتجاجنا على هذا المدير الذي يعاكس في نفس الوقت باعماله هذه دعاية حكومته وسياسة الديمقراطية التي تستعمل مع الامم والشعوب بما يتنافى مع مبادئ الديمقراطية والمساواة.

- ملحق رقم (١٢)

وهذا يا سعادة الوالي قليل من وقائع كثيرة تنم عن احتقار هذا المدير لنا ولثقافة
بنا، وسوء تصرفه في المهمة التي أسندت إليه أمرها والبكم شيئاً من تلك الوقائع
الثابتة رجاء ان تولوها عنايتكم واهتمامكم :

١ - امتياز الطلبة الطليان في الراحة وتمتعهم بكثرة المدارس ورعاية نظافتهم
وتوفير اسباب الصحة فيتيح لهم اقلية بالنسبة للطلبة العرب بينما لا يجد ابناؤنا
من هذه العناية شيئاً يذكر مع شدة الحاجة الى فتح مدارس عدة للعرب في انحاء القطر.

٢ - كان - على ما عرفنا - مقررا تهيئة جانب من المدرسة المركزية الطليانية لبنات
العرب ثم حرمهن من ذلك وبعث بهن الى مدرسة الظهرة (دي بونو) التي كانت
لا تلائم الدرس من جهة البعد ثم نقلهن الى اخرى كانت مطبخا لجنود الالمان ثم لجنود
الحلفاء ولم تخصص بعد (تنظيف) غير بهتم بما يلائمهن من الاغراض الصحية

٣ - عدم وجود مدرسة ثانوية للعرب مع انهم في اشد الحاجة لذلك وقد دعا هذا
النقص الى الالتجاء الى دورتين استثنائيتين لمدة قصيرة لا تفوتهم التعليم بينما
نرى في الوقت نفسه مدرسة ثانوية للطليان وتنال اكبر مساعدة واعظم
عناية من نفس المدير.

واخيرا نرجو سعادتكم بفارغ الصبر ان تلفتوا نظركم وتوجهوا عنايتكم
الى شؤون التعليم في هذه البلاد حتى لا نحرم ابناءنا من التثقيف
والتعليم وتنال من حكومتكم من العناية ما نالته الشعوب العربية
الاخرى التي يحميها العلم البريطاني.

وفي الختام تقبلوا فائق احتراماتنا

طرابلس الغرب ٢٧ مايو ١٩٤٤

عبد المجيد المشيرقي

علي التوغالي

احمد فهمي الشارف

محمد سعيد بشير الزرهاني

- تابع ملحق رقم (١٢)

- تابع ملحق رقم (١٢)

العارف على الشريماتي

وجيه محمد القيرواني

[illegible]

[illegible]

- تابع ملحق رقم (١٢)



بالمعتقل ٥/١١/١٩٤٥

- ملحق رقم (١٣)

إعلان

لقد قامت هيئة التحرير القومي مناشير عديدة فيما يتعلق بهؤلاء
الزعماء الخونة ومن تصرفاتهم وأعمالهم ونشرناها في مجلات عديدة.
وعلقت على جدران المساجد ولكن مع الأسف حيثما يوجد
في هذا القطر أناس لا قيمة لهم ولا إحساس نحو هذا الوطن
المقدس، إذ علق منشور رقم ٩٨ على باب جامع
النجاحي وجعلنا أناسا يراقبون جميع المناشير كي لا
يتعدى عليها. وإذا بشخصين وقفوا يقرأون المنشور
فما شعروا إلا بنفرين من البوليس السري وهما محمد بن أحمد
الصنعاني والثاني هو ابن عاشور السمسار في الخبز سابقاً فألقوا
القبض على هؤلاء الأبرياء وقادوهم إلى المركز وفي الحال
انطلق ذلك المراقب إلى الهيئة وأعلمها بجميع ما وقع
لهؤلاء المساكين ظلماً وعدواناً مع أن الشخصين ليس
لهم علاقة بهيئتنا ولا بالمناشير. فعلينا يكون مطروح
هؤلاء الجواسيس بأن يكفوا عن تعدياتهم على المسلمين وعدم
رفعهم في المناشير لأسيادهم وإلا سنهاجمهم يوماً من الأيام.

حرر يوم الخميس ١ ديسمبر ١٩٤٧ — لجنة التحرير القومي بطرابلس الغرب

- ملحق رقم (١٤)

في ليبيا صحافة سرية بدون مطابع !

من مندوب الزمان الخاص ـ الاستاذ زكريا لطفي جمعة • قام الشباب الليبي في الشهور الاخيرة بحركة وطنية تهدف الى استقلال ووحدة ليبيا وكان أول ما حرص عليه الشباب المجلوة دون اتصال أي زعيم ليبي بسلطات الاستعمار وذلك حرصا منهم على الابقاء على الوحدة الوطنية دون أي مساس

الكفاح

العدد ٢ — السنة الاولى

اصبحت المحرر ...!

تاليف الجمعات

ونتيجة لهذه الحركة تالفت عدة جمعيات في كل من طرابلس وبرقة كان أهمها جمعية « المؤتمر الوطني للشباب » وكان مقرها طرابلس الغرب وجمعية « عمر المختار » وكان مقرها برقة وكانت هاتان الجمعيتان تصطبغان بالصبغة العسكرية اذ قام الشباب بالتدريب العسكري والمرين على حمل السلاح •

وامتد نفوذ هؤلاء الشبان الى نشر بلاغات وتوزيع المنشورات على الشعب الليبي الذي استقبلها بالعيد والاحترام وبهذا توصلوا الى القبض على زمام الحالة في البلاد •

صحف سرية

دأبت السياسة في ليبيا على حرمان البلاد من المطابع حتى تحول دون اصدار الصحف أو المنشورات الى الاهالي ولم يسمح الا بصحيفة واحدة كانت تصدر في طرابلس ، وكانت تشرف عليها السلطة العسكرية البريطانية •

وازاء هذا اضطر الشباب الليبي الى اصدار عدة صحف سرية هي « الكفاح » و « الصاعقة » و « النفير » ، وكانت هذه الصحف تكتب بخط اليد وتوزع سرا بكميات قليلة يتداولها الشعب فيما بينه وكانت كل المقالات التي تنشر فيها تحض على المطالبة بالاستقلال وتشرح للشعب الليبي موقف المستعمرين فكنت ترى المقالات بعنوانين غريبة مثل « مستقبلنا على كف عفريت » و « مهازل » ... ألخ ...

ولم تكن هذه الصحف تصدر في أوقات معينة بل كانت كل جريدة تشير الى ميعاد صدور العدد التالي منها • وكان نظام التوزيع المتبع هو وضع النسخ في المكتبات العربية حيث يحصل عليها القراء •

الاتصال بفزان

وكان ضمن برنامج الجمعيات المذكورة الاتصال بالجزء الثالث

« البقية على الصفحة الثانية »



احدى المنظمات العسكرية التي يشرف عليها الشباب الطرابلسي



احد الاجتماعات السياسية لجمعية المؤتمر الوطني للشباب

ـ تابع ملحق رقم (١٤)

صحف بدون مطابع

بقية المنشور على الصفحة الاولى

من ليبيا والمعروف « بمنطقة فزان » والذى أقيم بينه وبين بقية ليبيا ستار حديدي حيث منع الدخول او الخروج من هذه المنطقة فلجأ الشباب الى وضع خطة سرية لكي تصل صحفهم الى الشعب المقيم بفزان . وقد توصلوا في الايام الاخيرة الى الوصول الى هذه المنطقة والى دعوة أهاليها الى حضور اجتماعاتهم السرية في طرابلس .

حرق مطبعة

وحدث أن أشيع أن مطبعة « دبهاري » . والتي يملكها حد الايطاليين ـ قد طبعت منشورا تؤيد فيه الحكم الايطالي فتوصل الشباب الوطني الى حرق هذه المطبعة في ليل ٢٢ أبريل الماضي .

حوادث متعددة

كما توصل الشباب الى الاعتداء على مكتب احدى شركات الطيران ومنزل الدكتور العجيلي ومنزل سالم المنتصر وذلك نتيجة لما أشيع عن اتصالهم ببعض الجهات غير المرغوب فيها .

حضرت اجتماعا سريا

وقد استطعت أن أحضر احد الاجتماعات السرية التي كان يعقدها الشباب الليبي في مزرعة أحد الاعيان هناك . وحضر الاجتماع عدد كبير من رؤساء العشائر والشباب وكان بين الحاضرين رجل ايطالي يرأس حزبا اشتراكيا في ليبيا . وقد تناقش المجتمعون في قضية ليبيا بمناسبة عرضها على هيئة الامم واتخذوا عدة قرارات تمهيدا لانتظار نتيجة عرض القضية .

جمعية عمر المختار

ومما هو جدير بالذكر أنه قد حدث خلاف بين جمعية عمر المختار وبين السيد السنوسي فأمر بحلها ولكنها عادت وتكونت بصورة أخرى وأهم ما تقوم به هذه الجمعية الان تسهيل اتصال الشعب الليبي في المناطق المختلفة وقد قررت الجمعية ارسال فريق لكرة القدم الى طرابلس لمنازلة فريقها وهم ينوون بعد انتهاء المباراة أن يعقدوا اجتماعا سياسيا يشترك فيه الطرابلسيون والبرقيون لبحث القضية الليبية .

ومن هذا نرى أن الشباب الليبي قد أخذ يستعد استعدادا كبيرا حتى يصل في النهاية الى الحصول على استقلال ووحدة ليبيا وكلهم عزيمة لتنفيذ أغراضهم مهما كلفهم ذلك ثمن .

- تابع ملحق رقم (١٤)

نشــرة الكــــفـــاح

هذا اسم عزيز تراءى في الافق زمنا ثم اختـــفى ، فلقد كانت نشرة (الكفاح) او جريدة الكفاح تطبع باليد كان يشرف عليها وطابعها السيدان صالح عمار وسليمان دهان وقد توقفت عن الصدور لان الاخير قد افشى سرها لابوبكر ابوسهمين الموظف مع الادارة البريطانية في ذلك الحين (والذي لقي حتفه اثر حادث سيارة فيما بعد) وهذا بدوره اخبر سيده في ذلك الحين المستر غراتوركس، وهكذا جاء الانذار ولم يعد لها فائدة اذ انكشف امرها وعلم سرها .

اما كيف ظهرت الى الوجود فلذلك قصة شيقة ،

فكر السيد صالح عمار وسليمان دهان في ذلك الحين في طريقة يمكن بها الرد وتوجيه الانظار الى الطريق السوي وكشف المؤامرات وما يحاك للبلاد ، فتفتقت الفكرة وولدت (الكفـــاح) وقد انتشرت بين الناس انتشارا لا بأس بـــه وكانت حديث المجتمعات والسهرات وتعلو

وقد جاء انذار ايقافها بعد ان ابتعد عنها سليمان دهان وبقي صالح عمار لوحده يديرها ويحررها ويطبعها باليد ، فزاره سليمان دهان ليلة من الليالي وانذره بان غراتوركس قد علم بالامر وانه معرض للقبض عليه اذا لم يوقفها وان خطـــه قد يكون الدليل الوحيد في حالة عدم توقفـــه عن النشـــر .

وقد دعا السيد بشير السعـــداوي صالح عمار هذا في يوم من الايام في فندق الصـــحاري وكان يوما من ايام الشتاء القارصة وعرض عليه نسخـــة من (الكفـــاح) وقال له لقد علمت بانك انت الذي تصدرها وتسهر عليها وانا معجـــب بها وبمن يعتنـــي بها (وهذا كذلك يرجع الى سليمان دهان فقد كان السعد لا يعلم شيئا عنها البتة) وطلب من محررها ان يعتني بمواضيع معينة وان يهاجم الخونة بكل صراحة وهو ما كانت تفعلـــه (الكفاح في ذلك الحين) خصوصا عندما انكشف امر الكثير منهم ، وقد عرض السيد السعداوي استعداده للمـــساعدة المادية فشكره السيد صالح عمار على اريحيتـــه واعتذر عن قبول المساعدة المادية وذلك لان الكفاح لم تكن تكلفـــه شيئا اللهم الا الجهـــد ، اذ انه كان يطبعها على ورق قد اخذه في يوم من الايام من جبهة التحرير الوطنية ، وقد لاقى صعابا في توزيعها ، اذ كان يوزعها بالليل وكان هناك حرس ليلي لا تخفى عليه خافية ، وفي ليلة من الليالي بينما كان يضع عددا منها تحت باب مقهى الساهوكي الموجود حاليا بشارع عمر المختار (بالقرب من محل سعد الشريف) واذا بالحارس يقف على راسه ويسأله ماذا يفعـــل ؟؟ فارتبك ولم يجد ما يقول ، فما كان من هذا الاخير الا ان تمسك باصطحابه الى مركز السوق وقد سار معه حتى وصلا الى فندق طرابلس الغرب وهناك رجاه صالح عمار ان يتصل تلفونيا بالحاج سليمان العروصي رئيس الحرس الليلي ، وقد كان له ما اراد ومن هناك رجع الى منـــزله الليلي .

وللحقيقة والتاريخ يجب ان ينوه هنا بان سليمان العروصي هذا كان يأوي كل شيئ ممنوع ويساعد في حدود امكانياته كل احد ، كما انه كان واضعا بيتـــه تحت تصرف اي فرد للنوم والاكل ؟ .

- تابع ملحق رقم (١٤)

١١١/٢

الصـــــــــــــاعقة

العدد ١ ٤ / ٩ / ١٩٤٨

نعم انها الصاعقة التي ستنقض على رؤوس الخونة والسماسرة ووكلاء الاستعمار وستكون جحيما ونارا تحرق هذه الحشرات الفتاكة التي تنفث سمومها في هيكل هذه الامة •

ليس لنا ما نقدم به هذه الجهة الا قولنا انها قذى في عيون الايطاليين وانصارهم واعـــوانهم

الهادي ابراهيم الشيخي

الى دعاة الهزيمة وأنصار الاستعمار وسماسرة الاستعماريين الايطاليين ووكلائهم من المواطنين الذين باعوا انفسهم وذممهم للشيطان مقابل دراهم معدودة نزف هذه الحقيقة ليعلموا ان اعمالهم العدوانية ما هي الا حفر لقبور يحفرون فيها نفوسهم اولا واشلاء يزرعونها للاجيال القادمة وان دعايتهم السافرة وشعوذتهم المشينة ما هي في الواقع الا تمهيد لحركة واسعة النطاق ترمي الى افناء العنصر العربي وابادته من هذا الوطن المقدس واسكان ابناء روما مكانه لان ايطاليا ليس لها اي فكرة اصلاحية كما تزعم ولكنها ستقضي على الامة الليبية (لا سامح الله) اذا قدر لها ان تعود لهذه الديار ونحن لا نقصد بهذه الحقائق الدعاية او التاثير على نفوس الجماهير وانما هي البراهين على سوء نية ايطاليا وهذا برنامج حكومة دي جاسبري الشيء تعبر به السياسة الايطالية في الوقت الحاضر وقد جاء بالحرف الواحد في برنامج هذه الحكومة (من الحقائق المسلم بها ان ايطاليا سيبلغ الخمسين مليونا ولضمان هذه الزيادة لا بد من احياء الاراضي البور في جنوب ايطاليا والهجرة الواسعة الى المستعمرات السابقة) هذا ما جاء في برنامج الحكومة الايطالية وهو يبدو بصورة واضحة بان مطالبة ايطاليا بالوصاية على مستعمراتها السابقة ليس الغرض منه الا فتح باب الهجرة على مصراعيه وضمان الحياة للمشردين الايطاليين ولذر الهلاك بالملايين من المرتزقة وسعيا ليجعلها منطقة ايطالية كما تعني بذلك موسوليني وانصاره والدليل على ذلك ما يراه المسافر وهو مجتاز المسافات من اراضي طرابلس وبرقة بدون ان يعترضه اي انسان وهذا ناتج عن سياسة الابادة والفناء التي اتبعتها ايطاليا في الماضي •

ولهذا فالشهاب الليبي الذي هو عماد الحركة الوطنية وعصبها الحيوي ينذر المواطنين العرب الذين باعوا ذممهم لابالسة الطليان ويعلمهم بانه سيشن عليهم حربا شعواء لا هوادة فيها وانه سيحاسبهم الحساب العسير على هذه الدنائة الكبرى والخيانة العظمى وسينتقم من هذه الطائفة من الاوباش المنافقين وان ايطاليا لن تعود الى هذه البلاد وفيها عرق ينبض بالحياة

ترقبوا العدد القادم من الصـــــاعقة

- تابع ملحق رقم (١٤)

أخي الأستاذ الهادي أنف المشيرقي
عليك سلام الله وتحيته وبركاته

وبعد فإني شاكر على ما شرفتني به من السؤال والسلام، تارة مع رسول من قبلكم، وأخرى في كتاب تشرفت به منذ قريب. وإنها لفرصة أتاحت لي التعرف إليكم طالما تمنيتها، ولقد كان لك فيها فضل السبق، فلك الشكر على هذا أيضاً. وأود من الله – مع الاعتراف بالجميل – أن تدوم الصلة من هذه الطريق التي ابتدأت منها، حتى إذا التقينا كان لقاؤنا في منتصف الطريق ولا يخفى على أخي العزيز أن الظروف تحتاج إلى كثرة الأصدقاء، فلو لم يكن للإنسان إلا عدو واحد في هذه الدنيا لما أمن شره. وقليل ما يبذل في كسب الصداقة مهما كثر. وأرجو أن يكون ما تفضلت به من السؤال فاتحة خير

أخي إني أذكر أني رأيت اسمك بين أسماء الموقعين على عريضة الحزب الوطني. وقد طال شوقنا إلى رؤية هذا المولود السعيد وسماع أخباره. ويظهر أن حوادث العصر نالت منه فلم نعد نسمع عنه شيئاً. وكان من الواجب على مثل أخي الهادي أن يزودنا بمثل هذه المعلومات ليفتح أمامنا مجال القول فيما يجب علينا للوطن وساكنيه. وإن حاجتنا ماسة في إمدادنا بالمعلومات. ولن تعدو مساعينا أن تكون ترجماناً لما يحدث في محيط الوطن من أمور، فإذا لم تمدونا بها كان كلامنا من قبيل المعلومات العامة أو القديمة التي فات وقتها

وأحب أن أصارح أخي الهادي بما يفتح أمامه طريق الصلة بي حتى إذا اخترتها [illegible] كنت على بينة. أخي لعلك سمعت أن إخوانك في مصر شكلوا لجنة منذ سنة ٩٤٠. وفي الحقيقة أن هذه اللجنة كانت تعمل سراً منذ سنة ١٩٢٤ ولكنها لم تتمكن من الإعلان عن نفسها إلا في سنة ٩٤٠

وقد بذلت هذه اللجنة قصارى جهدها في التفاهم مع السيد إدريس ومن انضم إليه ليكون العمل مشتركاً وليكون أقوى. وبعد التجارب الطويلة اخترنا قاعدة لهذا العمل المشترك وهي العمل لإنقاذ الوطن أولاً، وترك البحث في نوع الحكم ورئاسته فإذا ما وفقنا كان للشعب كامل الحرية في اختيار نوع الحكم ومن يتولى رئاسته. وذلك لأننا أقلية في مصر لا نملك هذا الحق. وأعلن أنصار السيد إدريس أنهم لا يتفقون معنا على شيء إلا بعد الاعتراف له بالإمارة. ووقف كل من الفريقين عند رأيه

أما رأيي في إمارة السيد إدريس فهي إمارة أما مزيفة وأما باطلة: أما أنها مزيفة فلأنها أول ما أنشئت كانت منحة من الطليان بمقتضى معاهدة أملت عليه شروطها. وقام بتنفيذها بكل دقة. ومن شروطها ما استند إليه في طرد السيد أحمد وإخوانه بعد أن فشلوا في هجومهم على مصر ولم يمكنهم من البقاء في برقة حتى مات أكثرهم جوعاً في صحراء [illegible]

- ملحق رقم (١٤) مكرر

ولا أظن أخي يجهل حكاية البركندره واسال عنها ان شئت . ولم يكن له في هذه المعاهدة الا
مرتب ... ألف فرنك يتقاضاها في كل شهر من الخزانة الايطالية موزعة على
رجال العائلة السنوسية ورجال الجماعات في نص المعاهدة ، كما لم يكن له في انتمائه الى الانجليز
الآن الا ما يتقاضاه من خزانتهم . وتفصيل ما ذكرته في كتاب أمين سعيد (الاستعمار الايطالي)
ويستخرج منه أن هذه الامارة كانت على جالو واوجلة والكفرة والجغبوب ومقرها في اجدابيه
ولا شك أن الامارة يجهلها عدد الوطن فهي مزيفة . وهي باطلة أيضا لأنها ليست من الشعب
وهي من أخص مقوماته التي لا يملكها غيره .

وقد طرأ على هذه الامارة دور آخر وهو ما قام به الطرابلسيون في سنة ١٣٤١ من
ارسال وثيقة بيعة له . والطرابلسيون لهم كل العذر في هذه البيعة . وقد حتمها عليهم ما كانوا
فيه من ظروف سيئة أوجدهم فيها ادريس السنوسي بعدم اعلانه الحرب على الطليان ووفاقه
بما عقده من عقود ولأن الرجل الذي حمله وفاؤه للطليان على طرد السيد احمد الشريف من برقة
حتى جاءت اكثر أنصاره خوفا [illegible] أن يلجأ الطرابلسيون من المرحوم برقتها الى مصر اذا
عملوا على كرههم [illegible] على أن بيعة الطرابلسيين كان أساسها العمل لمصلحة الوطن
وقد تعهد بالعمل لمصلحة الوطن في رده على كتاب البيعة . ولكنه لم يعمل شيئا . ومنذ أن
وصله كتاب البيعة ذهب الى مصر ولم يف بشيء مما وعد به . وقد نقض هذه البيعة عقدة
عقدة وشرطا شرطا وبقي في مصر يتمتع بنعيم الذلة والارهاب ، فتركه الوطنيون بما عاهد عليه
نقض للبيعة لا محالة . وقد دل الرجل في جميع أدوار حياته على أكبر ضعف في الارادة وتفريط
في الأمور [illegible] وخمول يشبه خمول سكان القبور . فحمل الامة على بيعة ثانية
حمل للامة على الانتحار . واستمر في أحضان الانجليز . فاذا
ما أصبح كان بيد الانجليز وملك الشعب ارادته . ورأى – في خصوص الاجتماع – أن يحكم كلمته
عليه في نطاق من الشروط والرقابة التي لا تترك حرية أصابع الانجليز ، فله ذلك ، كما أن
له غير ذلك اذا رآه التي تختلف فيها آراء الشعب الطرابلسي

ولعلني أثبت لأخي شيئا من الحقيقة يجعله على بينة من الأمر ان اراد أن يشرفني بصحبة
وأكون الان فيمن ضمن اعتقادك . وانا في انتظار رأيك . وسلامي عليك ورحمة الله .

نأسف جدا لما ذهب اليه بعض مواطنينا من اختيار الوصاية الانجليزية . ويحزننا أن
يكتب في جريدة طرابلس أن عرائض كثيرة من جهات مختلفة تؤيد هذا الرأي . ومن العار على طرابلس
والتضحيات التي تحط من الكرامة والشرف أن تتبنى هذه الفكرة وتجد أنصارا في وقت تتطلع فيه كل الشعوب
العربية [illegible] للوحدة ، وتبنا ضلالهم عن القضية الطرابلسية بكل قواها

تابع ملحق رقم (١٤) مكرر

وما فضيحة الأبد وخيبة الأمل اذا انتهت بذلك حاصة الدول العربية ؟

وعما قريب تطلب الاستفتاء في طرابلس وبيدنا الانجليز وشائقهم بأن شعبا عربيا مسلما اختارهم أوصياء عليهم . ولا ينسى أخي العزيز مساعي الانجليز في الوصاية وأساسها تصريح السيد ادريس في جريدة برقة بأنه يريد أن تتفق امته مع دولة قوية في البحر والبر والجو . فهل أخي الصادق مؤمن ان هذا الرجل الذي يختار الانجليز على الدول العربية ؟ مما ذا الله ، (وما يقنع الناس بتقديمه فذلك هو المقدم منه " ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه " ارجوا أن تزنوا الرجال بأعمالهم ، فمن شهد له التاريخ ، ووجدته في ميادين الشرف)

أخي . الأمر جد . وأنتم في ميدان جهاد هو صورة من ميادين الكفاح وجنود وسواني بنيادم . واذا كان آباؤنا واخواننا سقطوا هناك مضرجين بدمائهم ، فلن نتكلف نحن الا الثبات والاتفاق ، وان اختيار الوصاية الانجليزية سيكون وصمة عار في جبين امتنا وضربة قاضية على جهادها ، فاسعوا في اصلاح هذا الخلل ، وادعوا الى سبيل الوطن بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولن تعدموا أنصارا . والله ولي العاملين ؟

١٠/٤/٩٤٦

أرجو من أخي بيانا عن الوضع القائم في طرابلس الآن وعن الرأي الذي تدافع عنه . ولا يفوتني أن ألفت نظركم الى ما كتبت في "عمر المختار" فانه حقائق لا يرتقي اليها الشك .

سلامي الى الاستاذ احمد الفقيه حسن والاستاذ أحمد رفيقنا به شاعرنا العظيم وجميع الاخوان

- تابع ملحق رقم (١٤) مكرر



محمود البشتي والهادي المشيرقي يلتقيان في القاهرة سنة ١٩٤٦ ويختلفان في المبدأ السياسي ، ولكن . . !!

- ملحق رقم (١٥)



في القاهرة : الطاهر يتوسط الصورة وإلى يمينه : منصور قداره ، وإلى يساره : الهادي ابراهيم المشيرقي .

- ملحق رقم (١٦)



لافتة على متجر ابراهيم المشيرقي للترحيب بالسعداوي

ـ ملحق رقم (١٧)

سجل رقم ١٠٢٧ - ٥/١/٦٩

٤/١/١٩٦٩

سعادة رئيس الادارة العسكرية

طرابلس

سبق ان كتبت لكم بتاريخ ٣/ بصدد الاتحاد الزراعي (التمر... واجراريو) وقد أردفته بغيره يوم ٢٣/ ١٢ الماضي طالبا فيه الرد حيث ان الموضوع هو حياة او موت بالنسبة للمزارعين وان سكوتكم هذا يصعب الأمر في الاخذ بيدنا.

تقبلوا سلامي واحترامي

Assegno L. 1027

Mittente ....

Destinatario Autorità Capo Tripolitania

Destinazione Tripoli

Tassa L. 15 Espresso L. .... Firma ....

É vietato includere valori nelle raccomandate
L'Amministrazione non ne risponde.

Amministr. dell'Africa Italiana Servizi Postali ... Corrispondenza raccomandata Modello 22-E

TRIPOLI 15.1.43

- ملحق رقم (١٨)

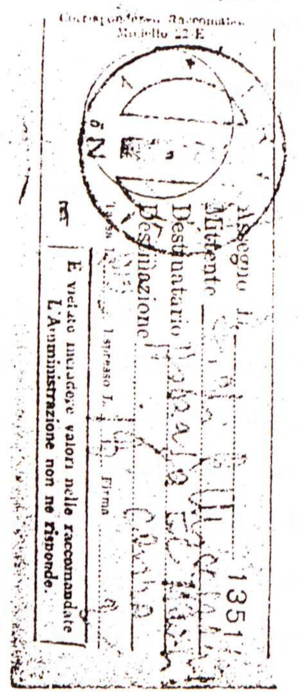
٢٣/ ١٢/ ١٩٤٨

الى رئيس الادارة العسكرية طرابلس

سبق ان كتبت لسعادتكم من زمن بعيد بتاريخ ٣/ ٩
بصدد الاتحاد الزراعي (الكنسرسوقراريو) وكان نحلك مؤيدا من
طرف الهيئات السياسية وحتى اليوم لم استلم الرد وكلي أمل
ان احظ به قريبا.

وانتهز هذه الفرصة لحلول عيد الميلاد ورأس السنة واتقدم
الى سعادتكم بالتهاني داعيا المولى ان يجعلها سنة خير ورخاء
وان تعاد فيها المياه الى مجاريها والامآنات لأهلها.

تقبلوا سلامي واحترامي


Corrispondenza Raccomandata
Modello 22-E

Assegno L.
Mittente
Destinatario
Destinazione
Tassa L. Espresso L. Firma
1351

È vietato includere valori nelle raccomandate
L'Amministrazione non ne risponde.

- تابع ملحق رقم (١٨)

The Chief Administrator
British Military Administration
Tripolitania, M.E.L.F. (1)

٢٨ ديسمبر ١٩٤٨

حضرة الفاضل السيد الهادي المشيرقي المحترم

أبادركم على تهانيكم الرقيقة بمناسبة عيدي الميلاد ورأس السنة وأتمنى لكم عاماً جديداً حافلاً بالسعادة والتوفيق.

T.R. Blackley

رئيس الإدارة العسكرية

- تابع ملحق رقم (١٨)

اجوبة على مذكرة هيئة التحقيق الدولية ، من رئيس الجمعية الهادى ابراهيم المشيرقى

س :- الاســم .

ج - جمعيــة المزارعين بطرابلس الغرب

س - تاريخ الانشـــاء

ج - أنشئت هذه الجمعية في سنة ١٩٣٤ م تحت اسم آخر ، وكانت تدار امورها من سنة ١٩٤٣ على القاعدة الدكتاتورية العقيمة بينما في هذه الاونة تنظمت من جديد على اسس ديموقراطيــة حقــة وذلك بانشاء مجلس للادارة تمثل فيه جميع العناصر الزراعية على اختلاف اجناســـها .

س - القانون وجدول الاعمالــه .

ج - ان القانون المرفق هنا دون من قبل خمسة عرب وخمسة ايطاليين ويهودى واحد انتخبوا بالاجماع من هيئة الفلاحيين العمومية ، ثم حسبما هو مذكور في نفس القانون ان غرض هذه الجمعية هو الدفاع عن الفلاح وتقوية نمــو الزراعة بكل الطرق .

س - عدد المشتركين وعدد الفروع وعدد جميع المنتسبين لكل فرع .

ج - الى يومنا هذا حسبما هو مذكور في القانون لم تنشا فروع في ضواحي البلاد بينما المنتسبون في المركز العام هم كما يلي : ١٩٧٦ عرب - ٢٠ يهودى - ٧٨١ ايطالي .

س - ملاحظات عن اللجان وعن العناصر الادارية .

ج - ان المجلس الادارى متكون من ١٩ عضوا منهم : ١١ عربيا و ٧ ايطاليا ويهوديا واحدا هو الذى يديــر دفة الجمعيـــة . واما العناصر الاخرى للجمعية فهى هيئة المراقبين وهيئة المحكمين . فــ انه بموجب قرار من قبل مجلس الادارة انشئت هذه اللجان الفنية المختلطــة لدراسة المسائل التي تتعلق بالـــزراعة من حيث جميع ميادينها :

١ - لجنة لدراسة مشاكل البساتين - ٢ - لجنة لدراسة المشاكل التي تتعلق بالاراضي المقســـة - ٣ - لجنة لدراسة المشاكل التي تتعلق بالاراضي القاحلة ٤ - لجنة لدراسة المشاكل التي تخص بجمع المنتوجات - ٥ - لجنة لدراسة القرض الــزراعي .

يتبع ص ٢

تابع ملحق رقم (١٨)

س ـ النشاط العملي والاعمال الاساسية وكيفية تنفيذها .

ج ـ باشرت الجمعية نشاطها بتقديم دراسة ما يلي :

١ ـ المشاكل المستعجلة المتعلقة بحالة جميع الفلاحين السيئة .

٢ ـ المشاكل المتعلقة بتقوية الزراعة ونموها .

٣ ـ الاتصال بالعناصر الزراعية الكائنة بطرابلس الغرب وذلك لتنظيم كيفية توزيع المواد الحبية المستجلبة من اجل المزارعين مثل : الزراريع والاسمدة الكيماوية والاعلاف والاسمنت وغيره .

٤ ـ التوفيق للوصول الى معالجة النزاع الزراعي الذى يحدث بين الفلاحين . وتحرير العقود الزراعية وتشغيل العطلة . واما فيما يتعلق بكيفية تنفيذ الاعمال الاساسية فذلك لا زال الطبيعة في انتظار نتائج اللجان المشكلة .

س ـ رأى يتعلق بمستقبل البلاد والتدابير العملية التي ستتخذ لتحقيق مشاريعها .

ج ـ ان الجمعية ـ على الطريقة الفكرية ـ تعتقد ان رفاهية البلاد المقبلة كائنة في الاستقلال التام الكامل وفي الوحدة الطبيعية بينما الحالة الاقتصادية عندما يحين الوقت للتنفيذ .

ولكن فى الميدان العملى للمطامح المذكورة يكمن فى مقدور الدول العظيمة لما تظهره من نوايا طيبة واستبعاد فكرة الاستغلال والمصالح الخاصة حتى تتمكن البلاد السايرة فى طريق النمو والتقدم أن تقف بعيدة عن التيارات العقائدية المستوحات من فكرة المستعمر

س ـ ما هي الحالات التي تحتها قائم نشاط العمل ؟

ج ـ النشاط الزراعي متاثر من مسائل عدة منها عدم استقرار البلاد واسباب الجفاف العام الذى طرأ في هاتين السنتين الاخيرتين .

رأى الدكتور مراجنو :

" اني اعتقد غير ضروري الرد على سؤال لات هيئة التحقيق الدولية لانه بما ان هذه الجمعية عنصر غير سياسي . وبما ان هدفها الوحيد الدفاع عن الزراعة التي تحوى تحت طياتها جميع المزارعين الذين يرغبون في الانضمام اليها مهما كانت معتقداتهم السياسية . "

ـ تابع ملحق رقم (١٨)

نادي "ماكابي" العالمي بلندن

فرع طرابلس الغرب

מכב"י
הסתדרות עולמית
סניף טריפולי
(אפריקה)

حضرة السيد علي الحشيري المحترم

في يوم ١٤ نوفمبر الجاري بالساعة العاشرة صباحا سيقام بتمثيل رواية سيدنا يوسف عليه السلام في مسرح ميراماري من قبل فرقة النادي للتمثيل المسرحي

فالمرجو من حضرتكم تشريفنا لمشاهدة الرواية وأملنا وطيد في انكم لاتحرمونا من وجودكم في هذه الحفلة التى ننوي بها توثيق عرى المؤالفة والصداقة بين العنصرين الاسلامي والاسرائيلي في بلادنا

تحريرا في ٨ نوفمبر سنة ١٩٤٣

رئيس الفرع

فيكتور زرد

أول مرة تظهر فيها الحروف العبرية بطرابلس

- ملحق رقم (١٩)



يظهر في الصورة من على يمين القارىء :

١ ـ محمد فؤاد شكري ٢ ـ بشير السعداوي

٣ ـ كاتيني ، رئيس الجبهة الاقتصادية ٤ ـ الهادي ابراهيم المشيرقي

٥ ـ دورسو جوسيبي ، نائب رئيس الجبهة الاقتصادية

ـ ملحق رقم (٢٠)

طرابلس الغرب ١٨/ ٣/ ١٩٤٨

حضرة سكرتير لجنة التحقيق الرباعية   طرابلس

بعد التحية .

هـــــذا

صوت من العالم الآخر يقول :

مئات الآلاف من الشهداء الليبيين ضحايا

الاستعمار الاطالي البغيض يدلون بأصواتهم للجنتكم

الموقرة .. التي ستقرر مصير الضحية

هل يتحقق خلاص هذا الشعب المنكوب بحيات

البؤس والشقاء التي عاناها طيلة ثلث قرن ؟

وهل تنعم البقية الباقية منه بنسيم الحرية والطمأنينة

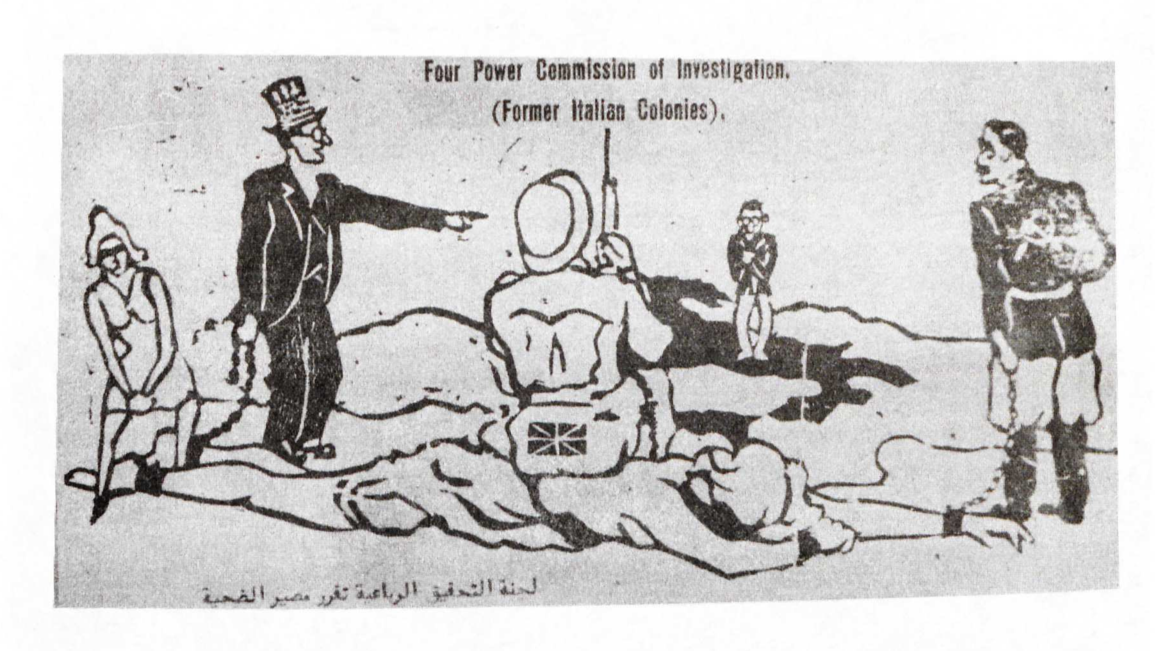
بعد طول عذاب ؟

الهادي ابراهيم المشيرقي
من الباقين على قيد الحيات

مع هذا أربعة البوم صور

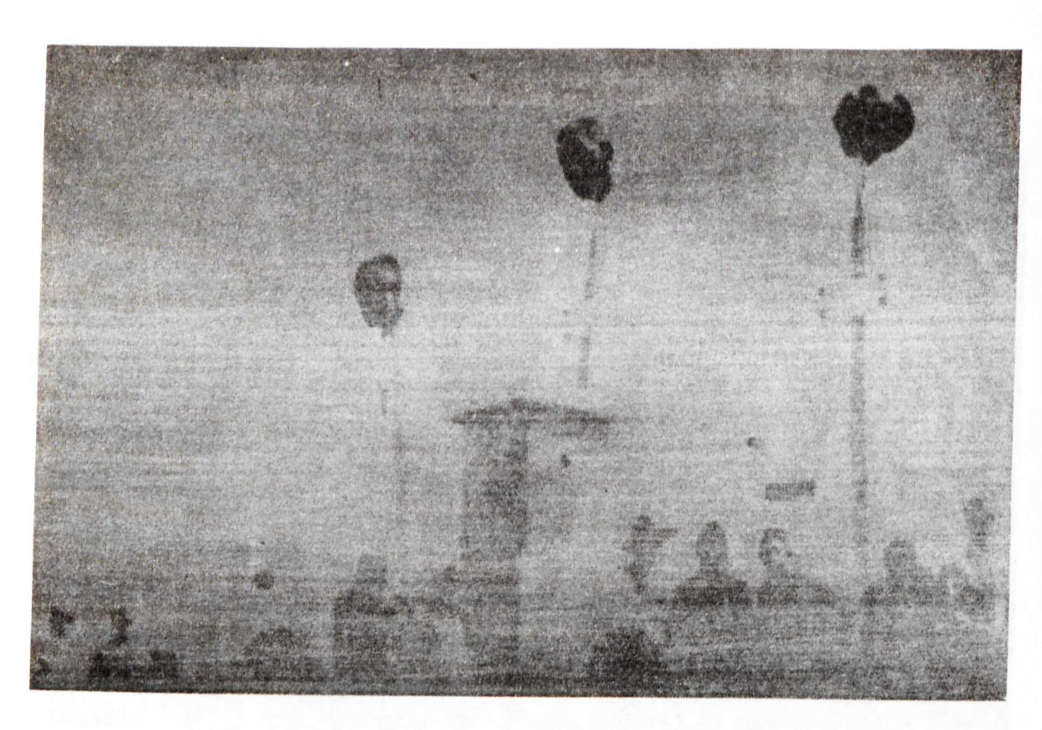
الرجا بالوصول بتاريخ ٢٣/٤/١٩٤٨

- ملحق رقم (٢١)



- لجنة التحقيق الرباعية تقرر مصير الضحية

- تابع ملحق رقم (٢١)



- التمدين بالحديد والنار

- تابع ملحق رقم (٢١)



- مجاهدون تم تنفيذ حكم الإعدام فيهم

- تابع ملحق رقم (٢١)



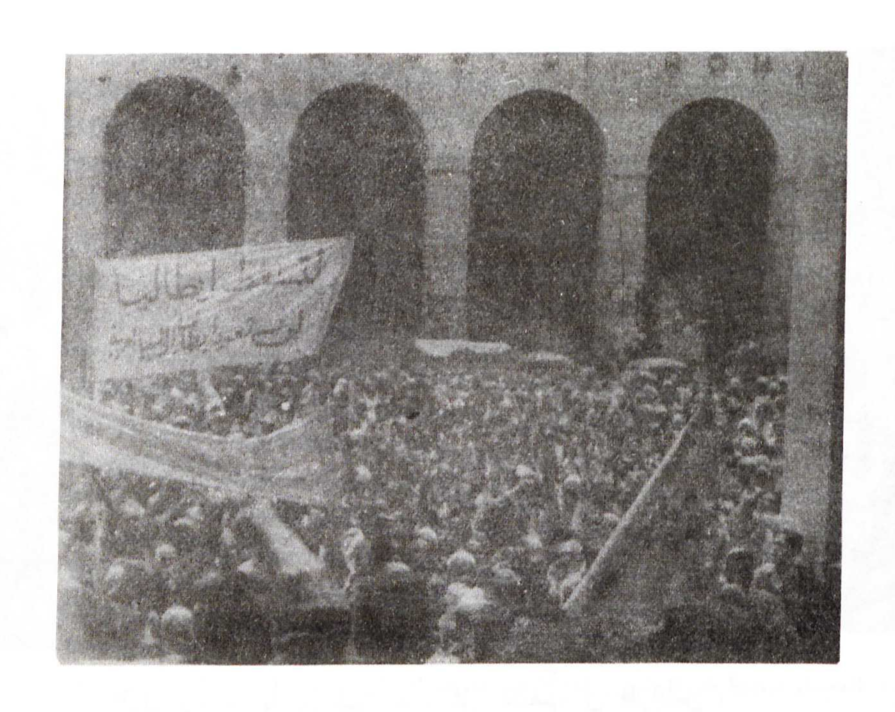
تابع ملحق رقم (٢١)

ابطال فى ساحة النضال

صالح عمار النائلى رئيس التنظيم للجماعة الخاصة

سليمان دهان	مصطفى سعد الدوكالى
عبد المجيد المشيرقى	سالم الشيطان
على وريث	بشير المسلاتى
محمود الهتكى	الهادى بوخريص
احمد راسم باكير	عبد المولى سالم القماطى
خليفة قدح	المبروك الغزاوى واخوته
عجاج تامر	مفتاح كريسته
محمد شرميط	الهاشمى بوخلال
الطاهر طروش	بو بكر بالخير
سعيد ساسى	عبد الله شرف الدين
محمد الصيد صفر	راسم بن عثمان
محمد شرطة	حسن بوراوى
ابو بكر الحمال	بوراوى التاجورى
سالم قشاش	يوسف البزنطى
فتحى شراده	محمد نجاح
مبروك المصراتى	سالم قدورة
مصطفى حسن بك	على قدورة
عبد الله بوخطوة	سعيد الزقلعى
سالم بسباس	السويعى (مقطوع اليد)
محمد بن سالم الشريف	محمد لحبيشى
محمد بن على حليله	حفيضة لشتل
عبد المجيد الزروق	محمد بن على حليلة
بالقاسم المشاط	العيساوى محمد البوسيفى
سليمان لعروصى	محمد القنور

- ملحق رقم (٢٢)





مظاهرة ابتهاج بسقوط مشروع بيڤن ـ سفورزا

ـ ملحق رقم (٢٣)



لأول مرة في تاريخ ليبيا يقوم كل الشعب في طرابلس ،
يتظاهر بصورة لم يسبق لها مثيل ضد دعوة إيطاليا من جديد



مظاهرة ابتهاج بسقوط مشروع بيفن - سفورزا
وفي مقدمة المتظاهرين حملة الأكاليل لنصبها في ميدان الشهداء

- ملحق رقم (٢٤)

هذا شرح لقصة مداهمة حصن ناهمرة بسببها لعل بها شرحا وافيا اكثر من الاول .

قائد الجماعة او الطائفة هو الله شيخ الطريقة القادرية عبد القادر بن سعود .

قام برحلة الى لنشر الطريقة مع مريديه وقام بحضرة بكل ناحية زارها حلقات الاذكار والابتهالات وتلاوة العقيدة ومن المحلات التى زارها وادى الاجال والجديد ووادى الشاطئ ولعله كان القصد من وراء هذه الرحلة من اجل الدعوة لقتال (الكفرة الملحدين) الفرنسيين .

تحت جبل ناهرة يوجد ضريح سيدى عبد الله نأخذ اذن من القيادة الفرنسية للقيام بحفل اذكار ودروشة فى مقر ضريح عبد الله المذكور ، دامت تلك الحفلة حتى الفجر وبعد ان انتهوا من نده الصالحين والاولياء [illegible] عبد القادر امرهم شيخهم عبد الله بحمل السلاح الذى كان فى حوزتهم والشامل على عدة سكاكين وهراوات وغير ذلك كان معهم سيفا قام باصلاحه وسنه الاسطى بن مشدور قيل معهم ايضا بندقية وهم لم يكونوا فى حاجة للبنادق حيث السيف سيعمل فى اعناق الكفار كسيف خالد ابن الوليد .

كان عددهم ستة عشر مقاتل طلعوا الى راس الجبل حتى وصلوا القلعة حيث يوجد المعسكر فهجموا على الحارس وقتلوه رفع احدهم الاذان وعندما استيقظ الجيش عند سماعه الاذان والتكبير فى اركان المعسكر فر بلباس النوم من الشبابيك بما فيهم رئيسهم القبطان كونى تخيل لهم انها ثورة عامة فبقوا الدراويش بالمعسكر وبما ان الشعب لم يسمع شئ عن هذه الحركة ولا عن احتلال المعسكر بدا فى سبها كل شئ عادى .

خرجت الجرذان من جحورها ونفخت فى البوق معلنة النفير العام وخططوا لاقتحام القلعة واسترجاعها من يد الثوار وبعد تخطيط وتكتيك اقتحموا رجال الصاعقة ابواب القلعة وقتلوا كل افراد الطائفة وحرقوهم ودفنوهم تحت الناهرة حيث يوجد المطار اليوم .

كان بالقلعة سلاح ولكنهم لم يستعملوه او لم يهتدوا اليه او صعب عليهم استعماله يقول البعض يمكن كانوا مدفوعين ولكن الفرنسين استعجلوا على قتلهم ، فحققوا الفرنسيون مع بعض الاعيان من بلاد الجديد والشاطئ والوادى والقرنة وغيرها من بينهم محمد عثمان الصيد xxxxx ومحمد طاهر البركزلى واحمد قريش البكوش الحطمانى وهذا الاخير تعذب كثيرا بالمعسكر وبعد ان ساءت حالته الصحية وتمكن منه البرد نفوه الى مرزق وحرموه من قربته ابوقدوود .

يقول شيخ الطريقة عبد القادر قائد الحملة لمريديه واصدقائه لا تستقل البلاد الا اذا سال دمه فى القاهرة . اى حصن سبها

وقد امتد وتشعب التحقيق والاستفسار حتى اشارت اصبع الاتهام من بعيد الى شيخ الطريقة القادرية بطرابلس على امين سيالة .

- ملحق رقم (٢٥)



سان لو ينظر للهدية

- ملحق رقم (٢٦)

Port-au-Prince, le 20 Janvier 1958

Mr. Hadi El MESHERGHI
Grand Hotel
Tripoli
LYBIE

Cher Monsieur Mesherghi,

Madame SAINT-LOT et moi ne savons comment vous exprimer toute notre gratitude pour l'accueil chaleureux que vous nous avez fait au cours de notre séjour inoubliable en votre beau pays. Grâce à votre amabilité nous y avons connu les heures les plus exaltantes de notre vie.

Comment pourrions-nous ne pas vous renouveler nos remerciements les plus vifs ainsi que notre profonde gratitude.

[signature]

بورت او برنس، في ٢٠ يناير ١٩٥٨

السيد الهادي المشيرقي
الغراند هوتيل
طرابلس
ليبيا

عزيزي السيد المشيرقي،
السيدة سان لو وانا لا نستطيع معرفة كيف نعبر
لكم عن عظيم امتناننا من اجل الاستقبال الحار الذي غمرتمونا به
خلال زيارتنا واقامتنا الخالدة في بلدكم الطيب.
وبفضل ودكم فقد عرفنا اسعد ساعات في حياتنا.
وانه ليسرنا ان نكرر ونجدد تشكراتنا وان نعرب عن
تأثرنا العميق —

La Signora SAINT_LOT ed io stesso non sappiamo come



- ملحق رقم (٢٧)



- صورة شابين من الكشافة يرافقهما :
صالح بن عمار ، وسليمان دهان
يضعون أكاليل الزهور بميدان الشهداء احتفالا بإعلان الإستقلال

- ملحق رقم (٢٨)



مؤتمر تاجوراء الذي عقد في مسجد مراد آغا

ـ ملحق رقم (٢٩)

نــد اء

طرابلس ٣ / ٤ / ١٩٥٠

ايها الليبيون بالشـام وفي كل مكان خارج الميدان •

اعملوا والعمل مطلوب من الله سبحانه وتعالى والكتابة عمل والقلم امضى من السيف • ولكن لكل شئ ظروفه وابعاده فظروفنا اليوم غير ماكانت عليه بالأمس ، فالوطن اليوم يطالبكم للعمل بالداخل وفي كل ميدان ، لقد اثمر عمل القلم بالخارج في وقت لم يكن لكم موضع قدم في داخل وطنكـــم •

جاء اليوم دور التشيد والبناء والتضحية والفداء ليس لطرابلسى عمل غير هذا وأما المناشير اليوم والمقالات والرسائل لا تتعدى غالبا الانتقادات والاتهامات وهى معاول للتهديم ، حرام والله حرام تعالوا تجدوا أنفسكم في بحر متلاطمة أمواجه فوق الشراع وأعصار وأمطار (الخطابية المدللة) برقة تفوق كل اعصار فلا تنتقدوا بشير السعداوى من البعد تعالوا وأحصروا الاتجاهات الموجهة للسذج من قبل الاستعمار •

تعالوا فالوطن والسعداوى في حاجة اليكم تعالوا وارسموا سياسة ثابتة اذا لم تعجبكم حسب قولكم السياسة المدبدبة سياسة واقعية وقلتم مائعة فالميوعية هى سر بقاء خيط العنكبوت بأيـد السعداوى معبــر قــــــــة و فـــز ا ن اه واه والفاه •

تعالوا تعالوا وادخلوا خضم المعارك الكلامية وأنتم الذى برهنتم على جيادتها ولكن خصمكم هذه المرة عنيد برقة تتكلم بلسان الانجليز وفزان بلسان الفرنسيين ، عند ذلك تقولوا للسـعداوى سر ونحن معك •

العمل في هذه الفترة صعب وخطير والانتقاد والاتهام سهل والمثل العامى التونسي يقول (العرس بطبرقـة وهل الحا باجا يصفقوا) والمثل العامى الطرابلسى يقول (أهل العزاء صبرو والمعزين كفروا)

استقلالنا جاءت به مصالح الاستعمار القديم بنوعه الجديد ، xxxxxxxx فما عليكم الا الدخول للميدان والعمل متكاتفين لتخفيف وابعاد نوايا للا المستعمر اليوم العمل بالقلم اضعف الايمان فأنتم يامهاجرين عملتم لهذا الاستقلال وعند الحصول عليه اصبحتم مسؤلون على ضياعه الم يكفيكم ما وصلنا اليه فهيئة الامم تقول استقلال تام ووحدة وبرقة وفزان يقولا لا من بينهم عمر شنيب الذى طلب لا بد من اسم برقة يظهر في الجمعية من هنا حقق الاقليمية فالاستقلال عند المهاجرين موضع شك ولهذا لا يودون التضحية بمراكزهم فوضعوا اصابع احد أرجلهم بطرابلس والأخرى ثابتة بالشام

هذه صيحة صادقة وصادرة من تلميذ تلقى دروس الجهاد والمثابرة من رجال عملوا في احرج الساعات وفي اضيق الأوقات وعاشوا على الكفاف لينشؤ (جمعية الدفاع عن طرابلس برقة) بالشام الجمعية التى هزت (الدوتشى) برو ، او جعلته يقراء ويفكر لها الف حساب •

حياكم الله وهدانى واياكم لما فيه صالح الوطن والســـلام

نسخة الى نصوح بابيل جريدة الايام دمشق — اخرى لكامل البنى جريدة الاسبوع
نسخة الى محمد على طاهر جريدة الشورى القاهرة
في حالة قبولها للنشر ارجوا تصحيحها لغويا وشكرا الهادى ابراهيم المشيرقى
نسخة الى محمد كامل قدارة جمعية الدفاع الليبية دمشق

- ملحق رقم (٣٠)



المظاهر الرسمية ، وقد ذابت وتلاشت
حين جوبهت بمظاهرة شعبية

- ملحق رقم (٣١)

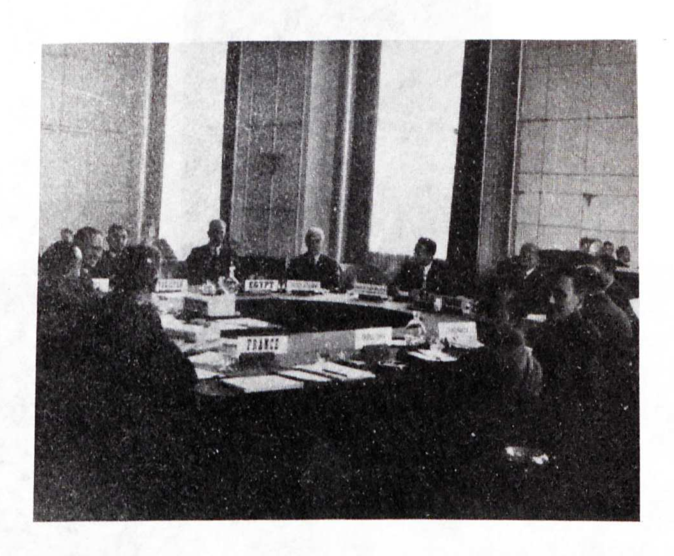


صالح عمار النائلي
عميد الشباب ، ورئيس الفرقة الخاصة للإرهاب



مظاهرة احتجاج ضد قرار الجمعية الوطنية
باختيارها النظام الفيدرالي

- ملحق رقم (٣٢)



- مجلس ليبيا الدولي منعقداً في جنيف بمقر عصبة الأمم (١٠، ١٩٥١)



- في جنيف مع الدكتور العنيزي

- ملحق رقم (٣٣)



- ممثل ولاية طرابلس الحاج مصطفى ميزران - (جنيف ١٩٥١)

- تابع ملحق رقم (٣٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأخ الوفي السيد الزيادي المشرقي : حفظه الله

بعد التحية : اخذت بيد التقدير رسالتك الرقيقة التي انت تؤيد بها أخوتك الصادقة والشعور الطيب الذي شملتنا به دون غيرك ممن كان للفقيد الأيادي البيضاء عليهم وضنوا حتى بكلمة تعزية يرسلونها تخفيفاً لمواساة اسرته والدعاء لروحه بالمغفرة . ولا حول ولا قوة الا بالله -
ولكنه لا لوم ولا ملامة ، اذ لا يعرف الفضل الا ذووه ، وقد صدق الشاعر في قوله :

وما أكثر الأصحاب حين تعدهم ... ولكنهم في النائبات قليل

تعتذر عن تأخرك بالكتابة الي بعد عودتك الى الوطن ، وانا اذا اقول عن تقصيري في القيام بما يليق بك من الحفاوة والاكرام اللذين اريد يكون عذري في ذلك قصر مدة اقامتك في بيروت -
من لقاء اتباعك ومحبيك ، لقد احسن عارف فرموه بالحفاوة [illegible] جزاهم ونقلكم تحياتهم واخص بها لك جميع آلكم واخوانكم الكرام ، وفي انتظار رسائلكم المطمئنة عن صحة جميعكم أتمنى لكم دوام العافية

اخوكم

١٨ / ٦ / [illegible]

[illegible] الصحراوي

- ملحق رقم (٣٤)



باقة زهور توضع على قبر بشير السعداوي
الذي توفي في بيروت يوم ١٧ يناير ١٩٥٧

- ملحق رقم (٣٥)



أحمد خليفة زارم المجدوب ، جمع شمل الليبيين بالمغرب الكبير ونفخ فيهم من روحه الفياضة بالاخلاص والجهاد والمثابرة ، ربط شتات المجاهدين المهاجرين بالمغرب مع المشرق ، وكان الرجل الثاني بعد السعداوي بالمؤتمر الوطني بطرابلس في الأربعينات . يجالس ويناقش خصومه بروح رياضية ، صبور دؤوب على العمل بشكل يعتبر المثال والقدوة .

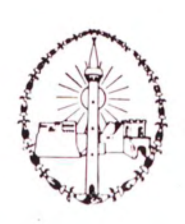
فهرس الموضوعات

الفصل الحادي عشر ١٠٥ ١١٢

الفصل الثاني عشر ١١٣ - ١٢٠

الفصل الثالث عشر ١٢١ - ١٢٧

الفصل الرابع عشر ١٢٩ - ١٤٩



مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية